تفسير

مقاتل بن سليمان

الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير
الأزدي بالولاء البلخي
المتوفى ١٥٠ سنة

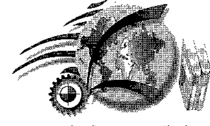
تحقيق
أحمد فريد

الجزء الثالث

المحتوى:
من أول سورة الروم - إلى آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3911-8



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرُّومِ

سورة الروم مكية، وهي ستون آية كوفي

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، قال: أقتتل الروم وفارس فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه فشق عليهم وهم بمكة، وفرح الكفار وشمتوا فقتلوا أصحاب النبي ﷺ، فقالوا لهم: إنكم أهل كتاب، والروم أهل كتاب فقد ظهر إخواننا أهل فارس على إخوانكم من الروم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ**﴾ وأدنى الأرض يؤمئذ أذرعات فيها كان القتال ﴿**وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ**﴾ أن يظهر الروم على فارس ومن بعد ما ظهرت، قال: فخرج أبو بكر الصديق، رضوان الله عليه، إلى الكفار.

فقال: أفرحتم لظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقر الله أعينكم ليظهرن الله الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبي الله ﷺ فقال له أُبي بن خلف الجمحي: كذبت يا أبا فصيل، فقال أبو بكر، رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناجيك عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر، رضي الله عنه، إلى النبي ﷺ، فقال: ناجيت عدو الله أُبي بن خلف أن يظهر الله عز وجل الروم على فارس إلى ثلاث سنين، فقال النبي ﷺ: «ما كذلك ذكرت لك»، إنما قال الله عز وجل: ﴿**بِضْعِ سِنِينَ**﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى التسع فاذهب فزايدهم في الخطر، ومادهم في الأجل، فخرج أبو بكر، رضي الله عنه، فلقي أُبي بن خلف.

فقال: لعلك ندمت يا أبا عامر، قال: فقال: تعالى أزايدك في الخطر، وأماذكم في الأجل، فنجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، قال: وكانت امرأة بفارس

لا تلد إلا ملوكًا أبطالاً، فدعاها كسرى، فقال: إنى أريد أن أبعث إلى الروم جيشًا واستعمل رجلاً من بنيك، فأشيرى على أيهم استعمل، فقالت: هذا فلان وسمته وهو أروغ من ثعلب وأجبن من صقر، وهذا الفرخان وهو أنفذ من السنان، وهو شهر بران، وهو أحلم من الأرزان فاستعمل أيهم شئت.

قال: إنى استعمل الحليم، فبعث شهر بران على الجيش، فسار الروم إلى أرض فارس، فظهر عليهم وخرب مدائنهم، وقطع زيتونهم، فلما ظهرت فارس على الروم جلس الفرخان يشرب، فقال لأصحابه: قد رأيت فى المنام أنى جالس على سرير كسر، فعمد الملاقون المبلغون بالأحاديث، فكتبوا إلى كسرى أن عبدك الفرخان يتمنى فى المنام أن يقعد على سريرك، فكتب كسرى إلى شهربران إذا جاءك كتابى هذا فابعث برأس أخيك الفرخان، فكتب إليه شهربران أيها الملك إن الفرخان له صولة ونكاية فى العدو، فلا تفعل، فكتب إليه كسرى إن فى رجال فارس منه خلفًا وبدلاً، فعجل على برأسه فراجعه.

فقال: أيها الملك، إنك لن تجد من الفرخان بدلاً صولة ونكاية، فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدًا إلى أهل فارس الذين بالروم: إنى قد نزعت عنكم شهربران واستعملت عليكم الفرخان، ودفع إلى صاحب البريد صحيفة صغيرة، فقال: إذا ولى الفرخان وانقاد له أخوه، فادفع إليه الصحيفة، فلما قرأ شهربران الكتاب قال: سمعًا وطاعة ووضع تاجه على رأس أخيه، ونزل عن سريره، وجلس عليه الفرخان، ودفع الرسول الصحيفة إليه، فقال: ائتونى بشهربران، فأتى به ليضرب عنقه، فقال شهربران: لا تعجل حتى أكتب وصيتى، قال: فكتبها، فدعا بسقط فيه ثلاث صحائف.

وقال: ويحك أنت ابن أمى وأبى، وهذه ثلاث صحائف جاءتنى فى قتلك، فراجعت فيك كسرى ثلاث مرات، فقال الفرخان: أمنا والله كانت أعرف بنا، أنت أحلم من الأزرق حين راجعت فى ثلاث مرات، وأنا أنفذ من السنان حين أردت قتلك بكتاب واحد، ثم رد الملك إلى أخيه، وكان أكبر منه، فكتب شهربران إلى قيصر إن لى إليك حاجة لا تحملها البرد، ولا تبلغها الصحف، فالقنى ولا تلقنى إلا فى خمسين روميًا، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيًا، فأقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى، فجعل يبثهم فى الطرق، وبعث بين يديه العيون مخافة أن يكون مكرًا منه حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسين رجلاً، ثم بسطت لهم بسط، فمشيا عليها ونزلا عن برذونيهما إلى قبة من ديباج ضربت

لهما عراها ذهب، وأزرارها فضة، وأطنابها إبريسم، مع أحدهما سكين نصابها زمرد أخضر، وقرابها من ذهب، ومع الآخر سكين نصابها من فارهرة خضراء، وقرابها من ذهب، ودعوا ترجمانًا بينهما.

فقال شهربران لقيصر: إن الذين كسروا شوكتك وأطفئوا جمرتك وخربوا مدائنك وقطعوا شجرك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا على ذلك، وأرادني على قتل أخي، وأراد أخي على قتلي، فأبينا، فخالفناه جميعًا، فنحن نقاتله معك، فقال: أصبتما، فأشار أحدهما إلى الآخر السر بين اثنين، فإذا جاوزهما فشا، فقتلا الترجمان بسكينيهما، وأهلك الله عز وجل كسرى، وجاء الخبر إلى النبي ﷺ يوم الحديبية، ففرح النبي ﷺ ومن معه بظهور الروم، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [آية: ٢] وذلك أن أهل فارس غلبوا على الروم ﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرض الأردن وفلسطين، ثم قال عز وجل: ﴿وَهُم﴾ يعني الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [آية: ٣] أهل فارس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ يعني خمس سنين، أو سبع سنين إلى تسع، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ حين ظهرت فارس على الروم، ﴿وَمِنۢ بَعْدُ﴾ ما ظهرت الروم على فارس، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤] وذلك أن فارس غلبت الروم، ففرح بذلك كفار مكة، فقالوا: إن فارس ليس لهم كتاب، ونحن منهم، وقد غلبوا أهل الروم، وهم أهل كتاب قبلكم، فنحن أيضًا نغلبكم كما غلبت فارس الروم، فخاطرهم أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، على أن يظهر الله عز وجل الروم على فارس، فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتى المسلمين الخبر بعد ذلك، والنبي ﷺ والمؤمنون بالحديبية

أن الروم قد غلبوا أهل فارس، ففرح المسلمون بذلك، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فنصر الله عز وجل الروم على فارس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر.

قال أبو محمد: سألت أبا العباس ثعلب عن البضع والنيف، فقال البضع: من ثلاث إلى تسع، والنيف: من واحد إلى خمسة، وربما أدخلت كل واحدة على صاحبتها فتجوز مجازها، فأخذ أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، الخطر من صفوان بن أمية، والنبى ﷺ بالحديبية مقيم حين صده المشركين عن دخول مكة، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع فى ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥] بالمؤمنين حين نصرهم.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد المؤمنين فى أول السورة أن يظهر الروم على فارس حين قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ على أهل فارس، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بأن الروم تظهر على فارس، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى كفار مكة.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعنى حرفتهم وحيلتهم، ومتى يدرك زرعهم، وما يصلحهم فى معايشهم لصلاح دنياهم، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [آية: ٧] حين لا يؤمنون بها، ثم وعظهم ليعتبروا، فقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يقول سبحانه: لم يخلقهما عبثًا لغير شىء خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: السموات والأرض لهما أجل ينتهيان إليه، يعنى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ يعنى عز وجل كفار مكة، ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿لَكَافِرُونَ﴾ [آية: ٨]. ثم خوفهم فقال عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى الأمم الخالية، فكان عاقبتهم العذاب فى الدنيا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ يعنى وعاشوا فى الأرض ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أكثر مما عاش فيها كفار مكة، ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى أخبرتهم بأمر العذاب، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٩] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ يعنى أشركوا ﴿السُّوأَىٰ﴾ بعد العذاب فى الدنيا ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى بأن كذبوا بالعذاب أنه ليس بنازل بهم فى الدنيا، ﴿وَكَانُوا بِهَا﴾ يعنى العذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية: ١٠] تكذيبًا به أنه لا يكون.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: الله بدأ الناس فخلقهم، ثم يعيدهم فى الآخرة بعد الموت أحياء كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١] فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿يُبْلِسُ﴾ يعنى ييأس ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى كفار مكة من شفاعة الملائكة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ من الملائكة ﴿شُفَعَاءُ﴾ فيشفعوا لهم ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى تبرأت الملائكة ممن كان يعبدها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [آية: ١٤] بعد الحساب إلى الجنة، وإلى النار، فلا يجتمعون أبدًا، ثم أخبر بمنزلة الفريقين جميعًا، فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [آية: ١٥] يعنى فى بساتين يكرمون وينعمون فيها وهى الجنة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى القرآن، ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنى البعث، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [آية: ١٦] ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى فصلوا لله عز وجل، ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ يعنى صلاة المغرب وصلاة العشاء، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ [آية: ١٧] يعنى صلاة الفجر.

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يحمده الملائكة فى السموات ويحمده المؤمنون فى الأرض، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ يعنى صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ [آية: ١٨] يعنى صلاة الأولى، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ يقول: يخرج الناس والدواب والطير من النطف وهى ميتة، ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾ يعنى النطف ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ يعنى من الناس والدواب والطير، ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالماء ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ فينبت العشب فذلك حياتها، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ [آية: ١٩] يا بنى آدم من الأرض أن الله عز وجل يرسل يوم القيامة ماء الحيوان من السماء السابعة من البحر المسجور على الأرض بين النفختين فتنبت عظام الخلق ولحومهم وجلودهم كما ينبت العشب من الأرض.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (٢٣) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٢٤) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ (٢٥)﴾

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى ومن علامات ربكم أنه واحد عز وجل، وإن لم تروه فاعرفوا توحيده بصنعه، ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعنى آدم ﷺ خلقه من طين، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾ يعنى ذرية آدم بشر، ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ [آية: ٢٠] فى الأرض، يعنى تتبسطون فى الأرض، كقوله سبحانه: ﴿وَيَنْشُرُ﴾ [الشورى: ٢٨] يعنى ويبسط رحمته.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى علاماته أن تعرفوا توحيده، وإن لم تروه ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعنى بعضكم من بعض ﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ وبين أزواجكم ﴿مَّوَدَّةً﴾ يعنى الحب ﴿وَرَحْمَةً﴾ ليس بينها وبينه رحم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى إن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢١] فيعتبرون فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علامة الرب عز وجل، أنه واحد فتعرفوا توحيده بصنعه أن ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأنتم تعلمون ذلك، كقوله سبحانه: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ عربى وعجمى وغيره ﴿وَ﴾ اختلاف ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ أبيض وأحمر وأسود ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى أن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٢] فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علامات الرب تعالى أن يعرف توحيده بصنعه، ﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يعنى النوم، ثم قال: ﴿وَ﴾ بـ ﴿وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ يعنى الرزق ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى إن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٢٣] المواعظ، فيوحدون ربهم عز وجل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علاماته أن تعرفوا توحيد الرب جل جلاله بصنعه، وإن لم تروه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق لمن كان بأرض، نظيرها فى الرعد ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحمته، يعنى المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر، ﴿فَيُحْىِۦ بِهِ﴾ بالمطر ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى عز وجل فى هذا الذى ذكر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٤] عن الله عز وجل، فيوحدونه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى علاماته أن تعرفوا توحيد الله تعالى بصنعه ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ يعنى السماوات السبع والأرضين السبع؛ قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد ﴿بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يدعو إسرافيل ﷺ من صخرة بيت المقدس فى الصور عن أمر الله عز وجل ﴿دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [آية: ٢٥] وفى هذه كله الذى ذكره من صنعه عبرة وتفكرًا فى توحيد الله عز وجل، ثم عظم نفسه تعالى ذكره، فقال:

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَ﴾ من فى ﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من الإنس والجن، ومن يعبد من دون الله عز وجل، كلهم عبيده وفى ملكه، قال سبحانه: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى كل ما فيهما من الخلق لله قانتون، يعنى مقرون بالعبودية له يعلمون أن الله جل جلاله ربهم، وهو خلقهم و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيدهم، ثم يبعثهم فى الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا. ثم قال عز وجل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهو الذى بدأ الخلق، يعنى خلق آدم، فبدأ خلقهم و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيدهم، يعنى يبعثهم فى الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ يقول: البعث أيسر عليه عندكم، يا معشر الكفار فى المثل من الخلق الأول، حين بدأ خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، ثم لحمًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فإنه تبارك وتعالى رب واحد لا شريك له، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه، لقولهم: إن الله عز وجل لا يقدر على البعث ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٧] فى أمره حكم البعث.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ نزلت فى كفار قريش، وذلك أنهم كانوا يقولون فى إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ يقول: وصف لكم يا معشر الأحرار، من كفار قريش مثلاً يعنى شبهًا من عبيدكم، ﴿هَل لَّكُم﴾ استفهام ﴿مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ من العبيد ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من الأموال ﴿فَأَنتُمۡ﴾ وعبيدكم ﴿فِيهِ سَوَآءٞ﴾ فى الرزق.

ثم قال: ﴿تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ يقول عز وجل: تخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار من أوليائكم، فقالوا للنبى ﷺ: لا، قال لهم النبى ﷺ: «أفترضون لله عز وجل الشركة فى ملكه وتكرهون الشرك فى

أموالكم»، فسكتوا و لم يجيبوا النبى ﷺ.

إلا شريكًا هو لك تملكه ما ملك، يعنون الملائكة، قال: فكما لا تخافون أن يرثكم عبيدكم، فكذلك ليس لله عز وجل شريك، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يعنى هكذا نبين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٨] عن الله عز وجل الأمثل، فيوحدونه، ثم ذكرهم فقال سبحانه:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه بأن معه شريكًا ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ يقول: فمن يهدى إلى توحيد الله من قد أضله الله عز وجل عنه، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٢٩] يعنى مانعين من الله عز وجل.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

ثم قال للنبى ﷺ: إن لم يوحد كفار مكة ربهم، فوحد أنت ربك يا محمد، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعنى فأخلص دينك الإسلام لله عز وجل ﴿حَنِيفًا﴾ يعنى مخلصًا ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعنى ملة الإسلام التوحيد الذى خلقهم عليه، ثم أخذ الميثاق من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى ربنا، وأقروا له بالربوبية والمعرفة له تبارك وتعالى، ثم قال سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا تحويل لدين الله عز وجل الإسلام ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعنى التوحيد وهو الدين المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٠] توحيد الله عز وجل.

ثم أمرهم بالإنابة من الكفر وأمرهم بالصلاة، فقال عز وجل: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ يقول: راجعين إليه من الكفر إلى التوحيد لله تعالى ذكره، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يعنى

واخشوه ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ يعنى وأتموا ﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لكفار مكة كونوا من الموحدين لله عز وجل ولا تكونوا: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ يعنى أهل الأديان فرقوا دينهم الإسلام، ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ يعنى أحزابًا فى الدين يهود ونصارى ومجوس وغيره ونحو ذلك، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٣٢] كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون به.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ يعنى كفار مكة ضر، يعنى السنين، وهو الجوع، يعنى قحط المطر عليهم سبع سنين، ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ يقول: عز وجل راجعين إليه يدعونه أن يكشف عنهم الضر، لقوله تعالى فى حم الدخان: ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ**﴾ [الدخان: ١٢] يعنى الجوع ﴿**إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ [الآية: ١٢]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ يعنى إذا أعطاهم من عنده نعمة، يعنى المطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣] يقول: تركوا توحيد ربهم فى الرخاء، وقد وحدوه فى الضر.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ يعنى لكى يكفروا ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ بالذى أعطيناهم من الخير فى ذهاب الضر عنهم، وهو الجوع، ثم قال سبحانه: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ قليلاً إلى آجالكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٤] هذا وعيد، ثم ذكر شركهم، فقال: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾ وأم هاهنا صلة على أهل مكة، يعنى كفارهم ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ يعنى كتابًا من السماء، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ يعنى ينطق ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى ينطق بما يقولون من الشرك. ثم ذكرهم أيضًا، فقال سبحانه:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ يعنى أعطينا كفار مكة رحمة، يعنى المطر ﴿فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ بلاء يعنى الجوع أو شدة من قحط سبع سنين ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الذنوب ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى إذا هم من المطر آيسون، ثم وعظهم ليعتبروا. فقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ
ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم

مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وذلك حين مطروا بعد سبع سنين، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن فى بسط الرزق والفتر لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿فَآتِ﴾ يعنى فأعط ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعنى قرابة النبى ﷺ وحق القرابة والصلة، ثم قال سبحانه: ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ يعنى السائل حقه أن يتصدق عليه، ثم قال: ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ يعنى حق الضيف نازل عليك أن تحسن إليه ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يقول: إعطاء الحق أفضل ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ من الإمساك عنهم، ثم نعتهم، عز وجل، فقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣٨]. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ يقول: وما أعطيتم من عطية ﴿لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ يعنى تزدادوا فى أموال الناس، نزلت فى أهل الميسر من أصحاب النبى ﷺ، يقول: أعطيتم من عطية ليلتمس بها الزيادة من الناس، ﴿فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ يقول: فلا تضاعف تلك العطية عند الله، ولا تزكوا، ولا إثم فيه، ثم بين الله عز وجل ما يربو من النفقة، فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ففيه الأضعاف، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [آية: ٣٩] الواحدة عشرة فصاعدًا.

ثم أخبر تبارك وتعالى عن صنعه ليعرف توحيد، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فى الآخرة ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم﴾ مع الله، يعنى الملائكة الذين عبدوهم ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ مما ذكر فى هذ الآية من الخلق والرزق والبعث بعد الموت من يفعل من ذلكم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ ثم نزه نفسه جل جلاله عن الشركة، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ يعنى وارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٠] ثم أخبرهم عن قحط المطر فى البر ونقص الثمار فى الريف يعنى القرى حيث تجرى فيها الأنهار إنما أصابهم بتركهم التوحيد، فقال:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعنى قحط المطر، وقلة النبات فى البر، يعنى حيث لا تجرى الأنهار، وأهل العمود، ثم قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ يعنى قحط المطر ونقص الثمار فى البحر، يعنى فى الريف يعنى القرى حيث تجرى فيها الأنهار ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي

﴿ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصى، يعنى كفار مكة ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ الله الجوع ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ يعنى الكفر والتكذيب فى السنين السبع ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٤١] من الكفر إلى الإيمان.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِىَ يَوۡمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية ﴿كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [آية: ٤٢] فكان عاقبتهم الهلاك فى الدنيا. ثم قال: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ يعنى فأخلص دينك للإسلام المستقيم، فإن غير دين الإسلام ليس بمستقيم ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِىَ يَوۡمٌ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ يعنى لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ عز وجل ﴿يَوۡمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [آية: ٤٣] يعنى بعد الحساب يتفرقون إلى الجنة وإلى النار.

﴿مَن كَفَرَ﴾ بالله ﴿فَعَلَيۡهِ﴾ إثم ﴿كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [آية: ٤٤] يعنى يقدمون ﴿لِيَجۡزِىَ﴾ يعنى لكى يجزى الله عز وجل فى القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ٤٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ يعنى ومن علاماته عز وجل، وإن لم تروه، أن تعرفوا توحيده بصنعه عز وجل ﴿أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ يعنى يستبشر بها الناس رجاء المطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يقول: وليعطيكم من نعمته يعنى المطر ﴿وَلِتَجۡرِىَ ٱلۡفُلۡكُ﴾ فى البحر ﴿بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ فى البحر ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعنى الرزق كل هذا بالرياح ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٤٦] رب هذه النعم فتوحدونه.

ثم خوف كفار مكة لكى لا يكذبوا النبى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ فأخبروا قومهم بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا إن لم يؤمنوا، فكذبوهم بالعذاب أنه غير نازل بهم فى الدنيا، فعذبهم الله عز وجل، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾ بالعذاب ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾ يعنى الذين أشركوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى المصدقين للأنبياء، عليهم السلام، بالعذاب، فكان نصرهم أن الله عز وجل أنجاهم من العذاب مع الرس.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحًا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده، فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ يقول: يجعل الريح السحاب قطعًا يحمل بعضها على بعض فيضمه، ثم يبسط السحاب فى السماء كيف يشاء الله تعالى، إن شاء بسطه على مسيرة يوم، أو بعض يوم، أو مسيرة أيام يمطرون، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ﴾ يعنى المطر يخرج ﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ يعنى من خلال السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ يعنى بالمطر ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى إذا هم يفرحون بالمطر عليهم.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ يعنى من قبل نزول المطر فى السنين السبع حين قحط عليهم المطر ﴿لَمُبۡلِسِينَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى آيسين من المطر، ﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى النبت من آثار المطر ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ بالمطر فتنبت من بعد موتها حين لم يكن فيها نبت، ثم دل على نفسه، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يقول: إن هذا الذى فعل ما ترون ﴿لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ فى الآخرة، فلا تكذبوا بالبعث، يعنى كفار مكة، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آية: ٥٠] من البعث وغيره، ثم وعظهم ليعتبروا، فقال عز وجل:

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا﴾ على هذا النبت الأخضر ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ النبت ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ من البرد بعد الخضرة ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٥١] برب هذه النعم، ثم عاب كفار مكة، فضرب لهم مثلاً، فقال عز وجل: ﴿فَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ النداء فشبه الكفار بالأموات يقول: فكما لا يسمع الميت النداء، فكذلك الكفار لا يسمعون الإيمان ولا يفقهون، ثم قال: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [آية: ٥٢] فشبهوا أيضًا بالصم إذا ولوا مدبرين، يقول: إن الأصم إذا ولى مدبرًا، ثم ناديته لا يسمع الدعاء، فكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعى.

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ﴾ للإيمان يقول: عموا عن الإيمان ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ يعنى كفرهم الذى هم عليه، ثم أخبر النبى ﷺ، فمن يسمع الإيمان، فقال سبحانه: ﴿إِن تُسۡمِعُ﴾ بالإيمان ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى يصدق بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى فهم مخلصون بالتوحيد.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾

ثم أخبرهم عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث فى خلق نفسه، فقال عز وجل: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ يعنى من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ يعنى شدة تمام خلقه ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ يقول: فجعل من بعد قوة الشباب الهرم ﴿وَ﴾ جعل ﴿وَشَيۡبَةٗۚ﴾ يعنى الشمط ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ يعنى هكذا يشاء أن يخلق الإنسان كما وصف خلقه، ثم قال: ﴿وَهُوَ﴾ يعنى الرب نفسه جل جلاله ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ يعنى العالم بالبعث ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ [آية: ٥٤] يعنى القادر عليه.

ثم قال عز وجل: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿يُقۡسِمُ﴾ يعنى يحلف ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾ فى القبور ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ وذلك أنهم استقلوا ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٥٥] يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث فى

الدنيا، كما كذبوا أنهم لم يلبثوا فى قبورهم إلا ساعة، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ للكفار يوم القيامة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فهذا قول مالك الموت لهم فى الآخرة.

ثم قال: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذى كنتم به تكذبون أنه غير كائن ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٦] كم لبثتم فى القبور، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعنى أشركوا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [آية: ٥٧] فى الآخرة فيعتبون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ يعنى وصفنا وبينا، ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يعنى من كل شبه نظيرها فى الزمر، ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ كما سأل كفار مكة ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ للنبى ﷺ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٥٨] لقالوا: ما أنت يا محمد إلا كذاب، وما هذه الآية من الله عز وجل، كما كذبوا فى انشقاق القمر حين قالوا: هذا سحر.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يقول: هكذا يختم الله عز وجل بالكفر ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٩] توحيد الله عز وجل، فلما أخبرهم الله عز وجل بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا كذبوه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على تكذيبهم إياك بالعذاب، يعزى نبيه ﷺ ليصبر، فقال: فاصبر ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعنى صدق، بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا، فقالوا للنبى ﷺ: عجل لنا العذاب فى الدنيا إن كنت صادقًا، هذا قول النضر بن الحارث القرشى من بنى عبد الدار بن قصى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ ولا يستفزنك فى تعجيل العذاب بهم ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٦٠] بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، فعذبهم الله عز وجل، ببدر حين قتلهم وضربت الملائكة وجوهم وأدرباهم، وعجل الله أرواحهم إلى النار، فهم يعرضون عليها كل يوم طرفى النهار ما دامت الدنيا، فقتل الله النضر بن الحارث ببدر، وضرب عنقه على بن أبى طالب، رضى الله عنه.

* * *

سُورَةُ لُقْمَانَ

سورة لقمان مكية، وهى أربع وثلاثون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] يعنى عز وجل المحكم من الباطل.

﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣] يعنى للمتقين، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى يتمون الصلاة، كقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤] بأنه كائن.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين فعلوا ذلك ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ يعنى بيان ﴿مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث ﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى باطل الحديث، يقول: باع القرآن بالحديث الباطل حديث رستم وأسفندباز، وزعم أن القرآن مثل حديث الأولين حديث رستم وأسفندباز، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى لكى يستنزل بحديث الباطل عن سبيل الله الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يقول: ويتخذ آيات القرآن استهزاء به مثل حديث رستم وأسفندباز، وهو الذى قال: ما هذا القرآن إلا أساطير الأولين، وذلك أن النضر بن الحارث قدم إلى الحيرة تاجرًا، فوجد حديث رستم وأسفندباز، فاشتراه، ثم أتى به أهل

مكة، فقال: محمد يحدثكم عن عاد وثمود، وإنما هو مثل حديث رستم وأسفندباز، يقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٦] يعنى وجيعًا.

ثم أخبر عن النضر، فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعنى وإذا قرئ عليه القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ يقول: أعرض متكبرًا عن الإيمان بالقرآن يقول: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يعنى كأن لم يسمع آيات القرآن ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ يعنى ثقلاً كأنه أصم فلا يسمع القرآن ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٧] فقتل ببدر قتله على بن أبى طالب، عليه السلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فى الآخرة ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ يعنى صدقًا، فإنه منجز لهم ما وعدهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٩] حكم لهم الجنة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ فيها تقديم ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يقول: هن قائمات ليس لهن عمد ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يقول: لئلا تزول بكم الأرض ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ يقول: خلق فى الأرض من كل دابة ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ يقول: فأجرينا بالماء فى الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ١٠] يعنى كل صنف من ألوان النبت حسن.

﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر ﴿خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ عز وجل وصنعه ﴿فَأَرُونِى﴾ يعنى كفار مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ﴾ تدعون، يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ يعنى الملائكة نظيرها فى سبأ، والأحقاف، ثم استأنف الكلام: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١١] يعنى فى خسران بين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ

إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ
وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن
تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ
مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن
تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن
صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أعطيناه العلم والفهم من غير نبوة فهذه نعمة، فقلنا له: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾ عز وجل فى نعمه، فيما أعطاك من الحكمة، ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ﴾ لله تعالى فى نعمه، فيوحده ﴿فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ﴾ يعنى فإنما يعمل الخير، ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ﴾ النعم، فلم يوحد ربه عز وجل، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن عبادة خلقه ﴿حَمِيدٞ﴾ [آية: ١٢] عن خلقه فى سلطانه.

﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾ واسم ابنه أنعم ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ يعنى عز وجل يؤدبه، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ معه غيره ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ١٣] كان ابنه وامرأته كفارًا، فما زال بهما حتى أسلما، وزعموا أن لقمان كان ابن خالة أيوب، صلى الله عليه.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة بن دعامة، قال: كان لقمان رجلاً أفطس من أرض الحبشة، قال هذيل: و لم أسمع مقاتلاً.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ سعد بن أبى وقاص بوالديه، يعنى أباه اسمه مالك، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ﴾ حمنة ﴿وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ يعنى ضعفًا على ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾ يعنى الله عز وجل أن هداه للإسلام ﴿وَ﴾ اشكر ﴿وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ النعم فيما أولياك ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ١٤] فأجزيك بعملك.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ لا تعلم بأن معى

شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فى الشرك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ يعنى بإحسان، ثم قال لسعد، رضى الله عنه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعنى دين من أقبل إلى، يعنى النبى ﷺ، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٥] وقال ابن لقمان أنعم لأبيه: يا أبت، إن عملت بالخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمه الله، عز وجل، فرد عليه لقمان، عليه السلام:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ يعنى وزن ذرة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ التى فى الأرض السفلى، وهى خضراء مجوفة لها ثلاث شعب على لون السماء، ﴿أَوْ﴾ تكن الحبة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يعنى بتلك الحبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ١٦] بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يعنى الشر الذى لا يعرف ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ فيهما من الأذى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ١٧] يقول: إن ذلك الصبر على الأذى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من حق الأمور التى أمر الله عز وجل بها، وعزم عليها.

﴿وَ﴾ قال لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تعرض وجهك عن فقراء الناس إذا كلموك فخرًا بالخيلاء والعظمة، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [آية: ١٨] يعنى عز وجل كل بطر مرح فخور فى نعم الله تعالى لا يأخذها بالشكر.

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ لا تختل فى مشيك، ولا تبطر حيث لا يحل، ﴿وَٱغْضُضْ﴾ يعنى واخفض ﴿مِن صَوْتِكَ﴾ يعنى من كلامك بأمر لقمان ابنه بالاقتصاد فى المشى، والمنطق، ثم ضرب للصوت الرفيع، مثلاً، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [آية: ١٩] يعنى أقبح الأصوات لصوت الحمير، لشدة صوتهن تقول العرب: هذا أصوات الحمير، وهذا صوت الحمير، وتقول: هذا صوت الدجاج، وهذا أصوات الدجاج، وتقول: هذا صوت النساء، وأصوات النساء.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الجبال والأنهار فيها السفن والأشجار والنبت عامًا بعام، ثم قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ يقول: وأوسع عليكم نعمه ﴿ظَٰهِرَةً﴾ يعنى تسوية الخلق والرزق والإسلام، ﴿وَبَاطِنَةً﴾ يعنى ما ستر من الذنوب من بنى آدم، فلم يعلم بها أحد و لم يعاقب فيها، فهذا كله من النعم، فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا، ونسأله تمام النعمة فى الدنيا والآخرة، فإنه ولى كل حسنة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾ يعنى يخاصم ﴿فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه حين يزعم أن لله عز وجل البنات، يعنى الملائكة، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [آية: ٢٠] يعنى لا بيان معه من الله عز وجل، يقول: ولا كتاب مضئ له فيه حجة بأن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعنى للنضر ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الإيمان بالقرآن ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ يعنى وإن كان ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٢١] يعنى الوقود يتبعونه، يعنى النضر بن الحارث مثله فى سورة الحج، ثم أخبر عن الموحدين، فقال سبحانه:

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: من يخلص دينه لله، كقوله تعالى: ﴿**ولكل وجهة**﴾ [البقرة: ١٤٨]، يعنى لكل أهل دين، ثم قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى عمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ يقول: فقد أخذ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ التى لا انفصام لها، لا نقطاع لها ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى مصير أمور العباد إلى الله عز وجل فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ وذلك أن كفار مكة، قالوا: فى حم عسق: ﴿**افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ [الشورى: ٢٤]، يعنون النبى ﷺ حين يزعم أن القرآن جاء

من الله عز وجل، فشق على النبي ﷺ قولهم وأحزنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالقرآن ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ من المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٢٣] يقول: إن الله عز وجل عالم بما في قلب محمد ﷺ من الحزن بما قالوا له، ثم أخبر عز وجل عنهم، فقال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى آجالهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نصيرهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [آية: ٢٤] يعني شديد لا يفتر عنهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ﴾ يعني ولكن ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٥] بتوحيد الله عز وجل، ثم عظم نفسه عز وجل، فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق، عبيده، وفي ملكه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٦] عند خلقه في سلطانه.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يعني علم الله، يقول: لو أن كل شجرة ذات ساق على وجه الأرض بريت أقلامًا، وكانت البحور السبعة مدادًا، فكتب بتلك الأقلام، وجميع خلق الله عز وجل يكتبون من البحور السبعة، فكتبوا علم الله تعالى وعجائبه، لنفدت تلك الأقلام وتلك البحور، ولم ينفد علم الله وكلماته ولا عجائبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٧] في أمره، يخبر الناس أن أحدًا لا يدرك علمه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة، ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق بن حذيفة السهمي، كلهم من قريش، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطوارًا، نطفة، علقة، مضغة، عظامًا، لحمًا، ثم تزعم أنا نبعث خلقًا جديدًا جميعًا في ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ أيها الناس جميعًا على الله سبحانه في القدرة، إلا كخلق نفس واحدة، ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ جميعًا على الله تعالى، إلا كبعث نفس واحدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٨] لما قالوا من الخلق والبعث.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعنى انتقاض كل واحد منهما من صاحبه حتى يصير أحدهما خمس عشرة ساعة والآخر سبع ساعات ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لبنى آدم ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ وهو الأجل الـ﴿مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيهما ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى ذكر من صنع الله، والنهار والشمس والقمر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ جل جلاله ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وغير باطل يدل على توحيده بصنعه، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ يعنى يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ من الآلهة هو ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ لا تنفعكم عبادتهم وليس بشىء، ثم عظم نفسه عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٣٠] فلا أعظم منه، ثم ذكر توحيده وصنعه، فقال سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالرياح ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى برحمة الله عز وجل ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى من علاماته، وأنتم فيهن، يعنى ما ترون من صنعه وعجائبه فى البحر والابتغاء فيه الرزق والحلى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ترون فى البحر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على أمر الله عز وجل عند البلاء فى البحر ﴿شَكُورٍ﴾ [آية: ٣١] لله تعالى فى نعمه حين أنجاه من أهوال البحر، ثم قال عز وجل:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ فى البحر ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ يعنى كالجبال ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ يعنى موحدين له ﴿ٱلدِّينَ﴾ يقول: التوحيد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ من البحر ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعنى عدل فى وفاء العهد فى البر، فيما عاهد الله عز وجل عليه فى البحر من

التوحيد، يعنى المؤمن، ثم ذكر المشرك الذى وحد الله فى البحر حين دعاه مخلصًا، ثم ترك التوحيد فى البر ونقض العهد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ يعنى ترك العهد ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ يعنى غدار بالعهد ﴿كَفُورٍ﴾ [آية: ٣٢] لله عز وجل فى نعمه فى تركه التوحيد فى البر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ يقول الله تعالى: وحدوا ربكم ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾ يخوفهم يوم القيامة ﴿لَا يَجْزِي﴾ يعنى لا يغنى ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ شيئًا من المنفعة، يعنى الكفار ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ يعنى هو مغن ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فى البعث أنه كائن ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [آية: ٣٣] يعنى الباطل، وهو الشيطان يعنى به إبليس.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ نزلت فى رجل اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب من أهل البادية آتى النبى ﷺ، فقال: إن أرضنا أجدبت فمتى الغيث؟ وتركت امرأتى حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت، فبأى أرض أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم، فما أعمل غدًا؟ ومتى الساعة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فى مسألة المحاربى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يعنى يوم القيامة لا يعلمها غيره، ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ يعنى المطر، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ذكرًا، أو أنثى، أو غير سوى، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ بر، وفاجر، ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير وشر، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فى سهل، أو جبل، فى بر، أو بحر، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [آية: ٣٤] بهذا كله مما ذكر فى هذه الآية، فقال النبى ﷺ: «أين السائل عن الساعة»؟ فقال المحاربى: ها أنذا، فقرأ عليه النبى ﷺ هذه الآية.

* * *

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة فى الأنصار

وهى قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ [آية: ١٦] الآية.

وقال غير مقاتل: فيها ثلاث آيات مدنيات، وهى قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً﴾** إلى قوله تعالى: **﴿يكذبون﴾** [آية: ١٦، ١٧، ١٨] وعدد آياتها ثلاثون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعنى لا شك فيه أنه نزل ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢] جل وعز، لقولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أنه ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﷺ من تلقاء نفسه، فأكذبهم الله تعالى، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى القرآن ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولو لم يكن من ربك لم يكن حقًا، وكان باطلاً ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ يعنى كفار قريش ﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ يقول: لم يأتهم ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعنى من رسول ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٣] من الضلالة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يدل على نفسه عز وجل بصنعه ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعنى السحاب والرياح والجبال والشمس والقمر والنجوم ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قبل خلق السماوات والأرض وقبل كل شيء ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ يعنى من قريب ينفعكم فى الآخرة، يعنى كفار مكة ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ من الملائكة ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤] فيما ذكر الله عز وجل من صنعه فتوحدونه.

ثم قال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقول: يفصل القضاء وحده ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فينزل به جبريل صلى الله عليه، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يقول: ثم يصعد الملك ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ واحد من أيام الدنيا ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾ أى مقدار ذلك اليوم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [آية: ٥] أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مائة عام، فذلك مسيرة ألف سنة كل ذلك فى يوم من أيام الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى الذى ذكر من هذه الأشياء ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٦] بخلقه مثلها فى يس: ﴿**ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ**﴾ [الأنعام: ٩٦] ، ثم قال لنفسه عز وجل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعنى علم كيف يخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿مِن طِينٍ﴾ [آية: ٧] كان أوله طينًا، فلما نفخ فيه الروح صار لحمًا ودمًا.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ يعنى ذرية آدم، عليه السلام، ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ يعنى النطفة التى نسل من الإنسان ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ٨] يعنى بالماء النطفة، ويعنى بالمهين الضعيف، ثم رجع إلى آدم فى التقديم، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ يعنى ثم سوى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ، ثم رجع إلى ذرية آدم، عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ يعنى ذرية آدم، عليه السلام، بعد النطفة ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٩] يعنى بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فى حسن خلقهم فيوحدونه، تقول العرب: إنك لقليل الفهم، يعنى لا يفهم ولا يفقه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ
(١٠) ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا
نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ

مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ يعنى هلكنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكنا ترابًا ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنا لمبعوثون خلقًا جديدًا بعد الموت، يعنون البعث، ويعنون كما كنا تكذيبًا بالبعث نزلت فى أبى بن خلف، وأبى الأشدين اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى، ومنبه ونبيه ابنى الحجاج، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ﴾ نبعثهم، نظيرها فى ق والقرآن، ثم قال: ﴿هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ يعنى بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٠] لا يؤمنون.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ يزعمون أن اسمه عزرائيل، وله أربعة أجنحة جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وجناح له فى أقصى العالم من حيث تجئ الريح الدبور، وجناح له فى أقصى العالم من حيث تجئ الريح الصبا، ورجل له بالمشرق، ورجله الأخرى بالمغرب، والخلق بين رجليه ورأسه فى السماء العليا وجسده، كما بين السماء والأرض، ووجهه عند ستر الحجب، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١] بعد الموت أحياء فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعنى عز وجل كفار مكة ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [آية: ١٢] بالبعث. يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا﴾ يعنى لأعطينا ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ فاجرة ﴿هُدَىٰهَا﴾ يعنى بياتها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ يعنى وجب العذاب منى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى كفار الإنس والجن جميعًا، والقول الذى وجب من الله عز وجل لقوله لإبليس يوم عصاه فى السجود لآدم، عليه السلام: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٥]، فإذا أدخلوا النار، قالت الخزنة لهم: ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ يعنى بما تركتم الإيمان بـ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ يعنى البعث ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تقول الخزنة: إنا تركناكم فى العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الذى لا ينقطع ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤] من الكفر والتكذيب.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول: يصدق بآياتنا، يعنى القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ يعنى وعظوا بها، يعنى بآياتنا القرآن ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ على وجوههم ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وذكروا الله بأمره ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ [آية: ١٥] يعنى لا يتكبرون عن السجود كفعل كفار مكة حين تكبروا عن السجود.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ نزلت فى الأنصار ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ يعنى كانوا يصلون بين المغرب والعشاء ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ يعنى ورجاء فى رحمته، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ١٦] فى طاعة الله عز وجل، ثم أخبر بما أعد لهم، فقال عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ فى جنات عدن مما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب قائل ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٧] به.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبى معيط من بنى أمية أخو عثمان بن عفان، رضى الله عنه، من أمه، قال لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه: اسكت فإنك صبى، وأنا أحد منك سنانًا، وأبسط منك لسانًا، وأكثر حشوًا فى الكتيبة منك، قال له على، عليه السلام: اسكت فأنت فاسق، فأنزل الله جل ذكره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ يعنى عليًا، عليه السلام، ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ﴾ يعنى الوليد ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [آية: ١٨] أن يتوبوا من الفسق، ثم أخبر بمنازل المؤمنين وفساق الكفار فى الآخرة، فقال سبحانه:

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ
ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ
ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ مأوى المؤمنين، ويقال: مأوى أرواح الشهداء ﴿نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٩].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ يعنى عصوا يعنى الكفار ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾ يعنى عز وجل فمصيرهم

﴿ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ وذلك أن جهنم إذا جاشت ألقت الناس فى أعلى النار، فيريدون الخروج فتلقاهم الملائكة بالمقامع فيضربونهم، فيهوى أحدهم من الضربة إلى قعرها، وتقول الخزنة إذا ضربوهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالبعث وبالعذاب بأنه ليس كائنًا، ثم قال عز وجل:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ يعنى الجوع الذى أصابهم فى السنين السبع بمكة حين أكلوا العظام والموتى والجيف والكلاب عقوبة بتكذيبهم النبى ﷺ، ثم قال: ﴿دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يعنى القتل ببدر، وهو أعظم من العذاب الذى أصابهم من الجوع ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٢١] من الكفر إلى الإيمان.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يقول: ممن وعظ بآيات القرآن ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾ عن الإيمان ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى كفار مكة نزلت فى المطعمين والمستهزئين من قريش، انتقم الله عز وجل منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يقول: أعطينا موسى ﷺ التوراة ﴿فَلَا تَكُن﴾ يا محمد ﴿فِى مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ يقول: لا تكن فى شك من لقاء موسى، عليه السلام، التوراة، فإن الله عز وجل ألقى الكتاب عليه، يعنى التوراة حقًا، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى﴾ يعنى التوراة هدى ﴿لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٢٣] من الضلالة.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ يعنى من بنى إسرائيل ﴿أَئِمَّةٗ﴾ يعنى قادة إلى الخير ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يعنى يدعون الناس إلى أمر الله عز وجل ﴿لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ يعنى لما صبروا على البلاء حين كلفوا بمصر ما لم يطيقوا من العمل فعل ذلك بهم باتباعهم موسى على دين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى بالآيات التسع ﴿يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢٤] بأنها من الله عز وجل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى يقضى بينهم، يعنى بنى إسرائيل ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ﴾ من الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٢٥] ثم خوف كفار مكة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يعنى يبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ يقول: يمرون على قراهم، يعنى قوم لوط، وصالح، وهود، عليهم فيرون هلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٢٦] الوعيد بالمواعظ، ثم وعظهم ليوحدوا، فقال سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ يعنى الملساء ليس فيها نبت ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢٧] هذه الأعاجيب فيوحدون ربهم عز وجل، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ يعنى القضاء وهو البعث ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٨] وذلك أن المؤمنين قالوا: إن لنا يومًا نتنعم فيه، ونستريح، فقال كفار مكة: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟ يعنون النبى ﷺ وحده، تكذيبًا بالبعث بأنه ليس بكائن، فإن كان البعث حقًا صدقنا يومئذ، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ يعنى القضاء ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ بالبعث لقولهم للنبى ﷺ: إن كان البعث الذى تقول حقًا صدقنا يومئذ، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالبعث، لقولهم: إن كان ذلك اليوم حقًا صدقنا ﴿إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٢٩] يقول: لا يناظر بهم العذاب حتى يقولوا، فلم نزلت هذه الآية أراد النبى ﷺ أن يرسل إليهم فيجزيهم وينبؤهم، فأنزل الله تبارك وتعالى يعزى نبيه ﷺ إلى مدة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ بهم العذاب، يعنى القتل ببدر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [آية: ٣٠] العذاب، يعنى القتل ببدر، فقتلهم الله وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار، ثم إن آية السيف نسخت الإعراض.

* * *

سورة الأحزاب

مدنية، عدد آياتها ثلاث وسبعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ
وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ
قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ
أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ﴾ وذلك أن عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، وهم المنافقون كتبوا مع غلام لطعمة إلى مشركى مكة من قريش إلى أبى سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبى جهل، وأبى الأعور رأس الأحزاب أن أقدموا علينا فسنكون لكم أعوانًا فيما تريدون، وإن شئتم مكرنا بمحمد ﷺ حتى يتبع دينكم الذى أنتم عليه، فكتبوا إليهم: إنا لن نأتيكم حتى تأخذوا العهد والميثاق من محمد، فإنا نخشى أن يغدر بنا، ثم نأتيكم فنقول وتقولون، لعله يتبع ديننا، فلما جاءهم الكتاب، انطلق هؤلاء المنافقون حتى أتوا النبى ﷺ، فقالوا: أتيناك فى أمر أبى سفيان بن حرب، وأبى الأعور، وعكرمة بن أبى جهل، أن تعطيهم العهد والميثاق على دمائهم وأموالهم، فيأتون وتكلمهم لعل إلهك يهد قلوبهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، وكان حريصًا على أن يؤمنوا أعطاهم الأمان من نفسه، فكتب المنافقون إلى الكافرين من قريش أنا قد استمكنا من محمد ﷺ، ولقد أعطانا وإياكم الذى تريدون، فأقبلوا على اسم اللات والعزى لعلنا نزيله إلى ما نهواه، ففرحوا بذلك.

ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة، فلما دخلوا على عبد الله بن أبى،

أنزلهم وأكرمهم ورحب بهم، وقال: أنا عند الذى يسركم محمد أذن، ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره، فأبشروا واستعينوا آلهتكم عليه، فإنها نعم العون لنا ولكم، فلما رأوا ذلك منه قالوا: أرسل إلى إخواننا، فأرسل عبد الله بن أُبى إلى طعمة وسعد أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا، فلما أتاهم الرسول جاءوا فرحبوا بهم ولزم بعضهم بعضًا من الفرح وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدًا ﷺ عن دينه.

فقال عبد الله بن أُبى: أما أنا فأقول له ما تسمعون لا أعدوا ذلك ولا أزيد، أقول: إنا معشر الأنصار لم نزل وإلهنا محمود بخير، ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه فى مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد كل خير، ولكن لو شاء محمد قبل أمرًا كان يكون ما عاش لنا وله ذكر فى الأولين الذين مضوا، ويذهب ذكره فى الآخرين على أن يقول: إن اللات والعزى لهما شفاعة يوم القيامة، ولهما ذكر ومنفعة على طاعتهما، هذا قولى له.

قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدًا زعموا أنه لن يبقى بها أحدًا منا فى شدة بغضه إيانا، وإنا نخشى أن يكون يضمر لنا فى نفسه ما كان لقى أصحابه يوم أحد. قال عبد الله بن أُبى: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك، وأوفى بالعهد منا، فلما أصبحوا أتوه فسلمو عليه، فقال النبى ﷺ: «مرحبًا بأبى سفيان اللهم اهد قلبه»، فقال أبو سفيان: اللهم يسر الذى هو خير، فجلسوا فتكلموا وعبد الله بن أُبى، فقالوا للنبى ﷺ: ارفض ذكر اللات والعزة ومناة، حجر يعبد بأرض هذيل، وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة فى الآخرة لمن عبدهما، فنظر إليه النبى ﷺ وشق عليه قولهم، فقال عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه: ائذن لى يا رسول الله فى قتلهم، فقال النبى ﷺ: «إنى قد أعطيتهم العهد والميثاق»، وقال النبى ﷺ: «لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان».

فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قومًا استأنسوا إليك يا محمد ورجوا منك أمرًا، فأما إذا قطعت رجاءهم، فإنه لا ينبغى لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك وأصحابك، فإن هذا من قوم أكرموك ونصروك وأعانوك ولولاهم لكنت مطلوبًا مقتولاً، وكنت فى الأرض خائفًا لا يقبلك أحد، فزجرهم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فقال: اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فعليكم رجس الله وغضبه وعذابه ما أكثر شركم،

وأقل خيركم وأبعدكم من الخير، وأقربكم من الشر، فخرجوا من عنده، فأمر النبى ﷺ أن يخرجهم من المدينة، فقال بعضهم لبعض: لا نخرج حتى يعطينا العهد إلى أن نرجع إلى بلادنا، فأعطاهم النبى ﷺ ذلك، فنزلت فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يعنى تبارك وتعالى أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، اسمه عمرو بن سفيان، ثم قال: ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ يعنى عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ١].

فلما خرجوا من عنده قال النبى ﷺ: ما هؤلاء؟ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ يعنى ما فى القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [آية: ٢].

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وثق بالله فيما تسمع من الأذى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٣] ناصرًا ووليًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله تعالى، وإنما نزلت فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ من أهل المدينة، يعنى هؤلاء النفر الستة المسمين، ودع أذاهم إياك لقولهم للنبى ﷺ: قل للآلهة شفاعة ومنفعة لمن عبدها ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يعنى مانعًا فلا أحد أمنع من الله عز وجل، ثم قال:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ نزلت فى أبى معمر بن أنس الفهرى، كان رجلاً حافظًا لما سمع وأهدى الناس بالطريق وكان لبيبًا، فقالت قريش: ما أحفظ أبا معمر، إلا أنه ذو قلبين، فكان جميل يقول: إن فى جوفى قلبين أحدهما أعقل من محمد، فلما كان يوم بدر انهزم وأخذ نعله فى يده، فقال له سليمان بن الحارث: أين تذهب يا جميل؟ تزعم أن لك قلبين أحدهما أعقل من محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ يعنى أوس بن الصامت بن قيس الأنصارى من بنى عوف بن الخزرج وامرأته خولة بنت قيس بن ثعلبة بن مالك بن أصرم بن حرامة من بنى عمرو بن عوف بن الخزرج.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾ يعنى النبى ﷺ تبنى زيد بن حارثة اتخذه ولدًا، فقال الناس: زيد بن محمد، فضرب الله تعالى لذلك مثلاً، فقال: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ﴾ فكما لا يكون للرجل الواحد قلبان، كذلك لا

يكون دعى الرجل ابنه يعنى النبى ﷺ وزيد بن حارثة بن قرة بن شرحبيل الكلبى، من بنى عبد ود، كان النبى ﷺ تبناه فى الجاهلية وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنهما، فى الإسلام، فجعل الفقير أخا الغنى ليعود عليه، فلما تزوج النبى ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهانا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ يعنى دعى النبى ﷺ حين ادعى زيدًا ولدًا، فقال: هو ابنى ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ يقول: لم يجعل أدعياءكم أبناءكم.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذى قلتم زيد بن محمد هو ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ يقول: إنكم قلتموه بألسنتكم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ فيما قال من أمر زيد بن حارثة ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [آية: ٤] يعنى وهو يدل إلى طريق الحق، ثم أخبر كيف يقولون فى أمر زيد بن حارثة.

فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ يقول: قولوا زيد بن حارثة ولا تنسبوه إلى غير أبيه ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ يعنى أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلما نزلت هذه الآية دعاه المسلمون إلى أبيه، فقال: زيد أنا بن حارثة معروف نسبى، فقال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ يقول: فإن لم تعلموا لزيد أبا تنسبوه إليه، فهو أخوكم فى الدين ومولاكم، يقول: فلان مولى فلان ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قبل النهى ونسبوه إلى غير أبيه ﴿وَلَٰكِن﴾ الجناح فى ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النهى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٥] غفورًا لما كان من قولهم من قبل أن زيد بن محمد ﷺ رحيمًا فيما بقى، فقال رجل من المسلمين فى ذلك.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فى الطاعة له ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعنى من بعضهم لبعض، فلما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ: «من ترك دينا فعلى، ومن ترك

كلا، يعنى عيالاً، فأنا أحق به، ومن ترك مالاً فللورثة». ثم قال عز وجل: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ ولا يحل لمسلم أن يتزوج من نساء النبى ﷺ شيئًا أبدًا، ثم قال عز وجل: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى المواريث ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى الأنصار، ثم قال: ﴿وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ الذين هاجروا إليهم بالمدينة، وذلك أن الله تعالى أراد أنت يحرض المؤمنين على الهجرة بالمواريثا، فلما نزلت هذه الآية ورث المهاجرون بعضهم بعضًا على القرابة، فإن كان مسلمًا لم يهاجر لم يرثه اينه ولا أبوه ولا أخوه المهاجر، إذا مات أحدهما و لم يهاجر الآخر.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يعنى إلى أقربائكم أن توصوا لهم من الميراث للذين لم يهاجروا من المسلمين، كانوا بمكة أو بغيرها، ثم قال: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ [آية: ٦] يعنى مكتوبًا فى اللوح المحفوظ أن المؤمنين أولى ببعض فى الميراث من الكفار، فلما كثر المهاجرون رد الله عز وجل المواريث على أولى الأرحام على كتاب الله فى القسمة إن كان مهاجرًا، أو غير مهاجر، فقال فى آخر الأنفال: ﴿**وَأُولُو الأَرْحَامِ**﴾ من المسلمين ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ مهاجر، وغير مهاجر فى الميراث ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٥]، فنسخت الآية التى فى الأنفال هذه الآية التى فى الأحزاب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فكان النبى ﷺ أولهم فى الميثاق وآخرهم فى البعث، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق آدم، عليه السلام، وأخرج منه ذريته، فأخذ على ذريته من النبين أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يدعوا الناس إلى عبادة الله عز وجل، وأن يصدق بعضهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [آية: ٧] الذى أخذ عليهم، فكل نبى بعثه الله عز وجل صدق من كان قبله، ومن كان بعده من الأنبياء، عليهم السلام.

يقول عز وجل: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ يعنى النبين، عليهم السلام، هل بلغوا الرسالة ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بالرسل ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٨] يعنى وجيعًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ

أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠
﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ
يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ
بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فى الدفع عنكم وذلك أن أبا سفيان بن حرب، ومن معه من المشركين يوم الخندق تحزبوا فى ثلاثة أمكنة على النبى ﷺ وأصحابه يقاتلونهم من كل وجه فبعث الله عز وجل عليهم بالليل ريحًا باردة، وبعث الله الملائكة، فقطعت الريح الأوتاد، وأطفأت النيران، وجالت الخيل بعضها فى بعض، وكبرت الملائكة فى ناحية عسكرهم، فانهزم المشركون من غير قتال، فأنزل الله عز وجل يذكرهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فى الدفع عنكم ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من المشركين يعنى أبا سفيان بن حرب ومن اتبعه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ شديدة ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ألف ملك فيهم جبريل عليه السلام ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [آية: ٩].

ثم أخبر عن حالهم، فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من فوق الوادى من قبل المشرق عليهم مالك بن عوف البصرى، وعيينة بن حصن الفزارى فى ألف من غطفان معهم طليحة بن خويلد الأسدى، وحيى بن أخطب اليهودى فى اليهود يهود قريظة، وعامر بن الطفيل فى هوزان، ثم قال جل ثناؤه: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب على أهل مكة معه يزيد بن خليس على قريش والأعور السلمى من قبل الخندق، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعنى شخصت الأبصار فرقًا ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [آية: ١٠] يعنى الإياس من النصر، وإخلاف الأمر.

يقول جل ثناؤه: ﴿هُنَالِكَ﴾ يعنى عند ذلك ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بالقتال والحصر ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [آية: ١١] لما رأى الله عز وجل ما فيه المؤمنون من الجهد والضعف بعث لهم ريحًا وجنودًا من الملائكة، فأطفأت الريح نيرانهم، وألقت أبنيتهم،

وأكفأت قدورهم ونزعت أوتادهم، ونسفت التراب فى وجوههم، وجالت الدواب بعضها فى بعض، وسمعوا تكبير الملائكة فى نواحى عسكرهم فرعبوا، فقال طليحة بن خويلد الأسدى: إن محمدًا قد بدأكم بالشر، فالنجاة النجاة، فنادى رئيس كل قوم بالرحيل، فانهزموا ليلاً بما استخفوا من أمتعتهم، ورفضوا بعضها لا يبصرون شيئًا من شدة الريح والظلمة، فانهزموا فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ بالريح والملائكة ﴿**وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾ [الأحزاب: ٢٥] يعنى منيعًا فى ملكه حين هزمهم.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ منهم أوس بن قيظى، ومعتب بن قشير الأنصارى ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ١٢] وذلك أن النبى ﷺ لما بلغه إقبال المشركين من مكة أمر فحفر كل بنى أب على حدة، وصار سلمان الفارسى فى بنى هاشم، فأتى سلمان على صخرة، فلم يستطع قلعها، فأخذ النبى ﷺ المعول من سلمان، فضرب به ثلاث ضربات، فانصدع الحجر، وسطع نور من الحجر كأنه البرق، فقال سلمان: يا رسول الله، لقد رأيت من الحجر أمرًا عجيبًا وأنت تضربه، فقال النبى ﷺ: «وهل رأيت»؟ قال: نعم، قال النبى ﷺ: «رأيت الضربة الأولى قوى اليمن، وفى الضربة الثانية أبيض المدائن، وفى الضربة الثالثة مدائن الروم، ولقد أوحى الله عز وجل إلىّ بأنه يفتحهن على أمتى»، فاستبشر المؤمنون، وفشا ذلك فى المسلمين، فلما رأوا شدة القتال، والحصر ارتاب المنافقون، فأساءوا القول.

قال معتب بن قشير بن عدى الأنصارى من الأوس من بنى عمرو بن عوف: يعدنا محمد فتح قصور اليمن، وفارس، والروم، ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى الجلاء حتى يوضع فيه سهم هذا، والله الغرور من قول ابن عبد المطلب، وتابعه على ذلك نفر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى كفرًا ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

قا معتب بن قشير: إن الذى يقول لهو الغرور، ولم يقل إن الذى وعدنا الله ورسوله غرورًا، لأنه لا يصدق بأن محمدًا ﷺ رسول، فيصدقه، فقال الله تعالى إن الذى قال محمد هو ما وعد الله، وهو قول الله عز وجل، فأكذب الله معتبًا.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين من بنى سالم ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا

مساكن لكم ﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ إلى المدينة خوفًا ورعبًا من الجهد والقتال فى الخندق، يقول ذلك المنافقون بعضهم لبعض، ثم قال: ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ يعنى خالية طائعة هذا قول بنى حارثة بن الحارث، وبنى سلمة بن جشم، وهما من الأنصار وذلك أن بيوتهم كانت فى ناحية من المدينة، فقالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾ يعنى بضائعة ﴿إِن﴾ يعنى ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [آية: ١٣] من القتل نزلت فى قبلتين من الأنصار بنى حارثة وبنى سلمة بن جشم، وهموا أن يتركوا أماكنهم فى الخندق ففيهم يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٢]، قالوا: بعدما نزلت هذه الآية ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا إذ كان الله ولينا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت عليهم المدينة من نواحيها يعنى نواحى المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ يعنى الشرك ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ يعنى لأعطوها عفوًا يقول: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة، ثم أمروهم بالشرك لأشركوا ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾ [آية: ١٤] يقول: ما تحسبوا بالشرك إلا قليلاً حتى يعطوا طائعين فيكفوا.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ قتال الخندق وهم سبعون رجلاً ليلة العقبة قالوا للنبى ﷺ اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبى ﷺ: «أشترط لربى أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا يا نبى الله، قال: لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة، فقالوا: قد فعلنا ذلك، فذلك قوله: وقد كانوا عاهدوا الله من قبل، يعنى ليلة العقبة حين شرطوا للنبى ﷺ المنعة ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ﴾ منهزمين وذلك أنهم بايعوا للنبى ﷺ أنهم يمنعونه مما يمنعون أنفسهم وأولادهم وأموالهم، يقول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا﴾ [آية: ١٥] يقول: أن الله يسأل يوم القيامة عن نقض العهد، فإن عدو الله إبليس سمع شرط الأنصار تلك الليلة، فصاح صيحة أيقظت الناس، فقال النبى ﷺ لإبليس: «اخسأ عدو الله».

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾﴾

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لن تزدادوا على آجالكم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٦] يعنى إلى آجالكم القليل لا تزدادوا عليها شيئًا.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمنعكم من الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ يعنى الهزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ يعنى خيرًا وهو النصر يقول: من يقدر على دفع السوء وصنيع الخير، نظيرها فى الفتح: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً**﴾ [الفتح: ١١]، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يعنى قريبا فينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ١٧] يعنى مانعًا يمنعهم من الهزيمة، إن أراد بكم سواء أو أراد بكم رحمة.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين يوم الخندق، فقالوا: ماذا الذى حملكم أن تقتلوا أنفسكم بأيدى أبى سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، أنا نشفق عليكم، إنما أنتم إخواننا، ونحن جيرانكم، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فأقبل رجلان من المنافقين عبد الله بن أبى، ورجل من أصحابه على المؤمنين يعوقنهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه، قالوا: لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يرفدنا بخير، ولا عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا وما لكم فى صحبته خير، هلم ننطلق إلى إخواننا وأصحابنا يعنون اليهود، فلم يزد قول المنافقين للمؤمنين إلا إيمانًا وتسليمًا واحتسابًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، و يعلم القائلين لإخوانهم يعنى اليهود حين دعوا إخوانهم المنافقين حين قالوا هلم إلينا.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ يعنى المنافقين ﴿ٱلْبَأْسَ﴾ يعنى القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية:

١٨] يعنى بالقليل إلا رياء وسمعة من غير احتساب، ثم أخبر عن المنافقين، فقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ يقول: أشفقة من المنافقين عليكم حين يعوقونكم يا معشر المؤمنين، ثم أخبر عنهم عند القتال أنهم أجبن الناس قلوبًا وأضعفهم يقينًا وأسوأهم ظنًا بالله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وجاءت الغنيمة ﴿سَلَقُوكُم﴾ يعنى رموكم، يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، يقول: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ يعنى ألسنة سليطة باسطة بالشر يقولون: أعطونا الغنيمة فقد كنا معكم فلستم بأحق بها منا، يقول الله عز وجل: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يعنى الغنيمة ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بالنبى ﷺ و لم يصدقوا بتوحيد الله ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: أبطل جهادهم لأن أعملهم خبيثة وجهادهم لم يكن فى إيمان ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى حبط أعمالهم ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [آية: ١٩] يعنى هينا.

ثم ذكر المنافقين فقال عز وجل: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وذلك أن الأحزاب الذين تحزبوا على النبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، فى الخندق، وكان أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، وكان على بنى المصطلق وهم من خزاعة يزيد بن الحليس الخزاعى، وكان على هوازن، ومالك بن عوف النضرى، وكان على بنى غطفان عيينة بن حصن بن بدر الفزارى وكان على بنى أسد طلحة بن خويلد الفقسى من بنى أسد، ثك كانت اليهود فقذف الله عز وجل فى قلبوهم الرعب، وأرسل عليهم ريحًا وهى الصبا فجعلت تطفئ نيرانهم وتلقى أبنيتهم وأنزل جنودًا لم تروها من الملائكة فكبروا فى عسكرهم فلما سمعوا التكبير قذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم، وقالوا: قد بدأ محمد بالشر فانصرفوا إلى مكة راجعين عن الخندق والرعب الذى نزل بهم فى الخندق ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ يعنى وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال ﴿يَوَدُّوا﴾ يعنى يود المنافقين ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ و لم يشهدوا القتال ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ يعنى عن حديثكم وخير ما فعل محمد ﷺ وأصحابه ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ يشهدون القتال ﴿مَّا قَاتَلُوا﴾ يعنى المنافقين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٢٠] يقول: ما قاتلوا إلا رياء وسمعة من غير حسبة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ
ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن
صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

ثم قال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أن كسرت رباعيته وجرح فوق حاجبه وقتل عمه حمزه وآساكم بنفسه فى مواطن الحرب والشدة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ يعنى لمن كان يخشى الله عز وجل ويخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [آية: ٢١] ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ يوم الخندق، أبا سفيان وأصحابه وأصابهم الجهد وشدة القتال ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فى البقرة حين قال: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [الآية: ٢١٤].

وقالوا: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ما قال فى سورة البقرة، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ الجهد والبلاء فى الخندق ﴿إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾ يعنى تصديقًا بوعد الله عز وجل فى سورة البقرة أنه يبتليهم ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [آية: ٢٢] لأمر الله وقضائه، ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ليلة العقبة بمكة ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعنى أجله فمات على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه قتلوا يوم أحد، رضى الله عنهم، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يعنى المؤمنين من ينتظر أجله على الوفاء بالعهد ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ﴿تَبْدِيلًا﴾ [آية: ٢٣] كما بدل المنافقين، ثم قال: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ﴾ بالإيمان والتسليم ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ بوفاء العهد ﴿بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ ينقض العهد ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيهديهم من النفاق إلى الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٢٤] يقول: الله عز وجل: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ يعنى أبا سفيان وجموعه من الأحزاب بغيظهم ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ فى ملكه ﴿عَزِيزًا﴾ [آية: ٢٥] فى حكمة، ثم ذكر يهود أهل قريظة حى بن أخطب ومن معه الذين أعانوا المشركين يوم الخندق على قتال النبى ﷺ فقال عز وجل

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعنى أعانوهم، تعنى اليهود أعانوا المشركين على قتال النبى ﷺ والمؤمنين وذلك أن الله عز وجل حين هزم المشركين عن الخندق بالريح والملائكة أتى جبريل عليه السلام على فرس، فقال ﷺ يا جبريل، ما هذا الغبار على وجه الفرس، فقال: هذا الغبار من الريح التى أرسلها الله على أبى سفيان ومن معه فجعل النبى ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه، فقال له جبريل عليه السلام: سر إلى بنى قريظة فإن الله عز وجل داقهم لك دق البيض على الصفا.

فسار النبى ﷺ إلى يهود بنى قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصارى فحكم عليهم سعد أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم فكبر النبى ﷺ وقال: لقد حكم الله عز وجل ولقد رضى الله على عرشه بحكم سعد، وذلك أن جبريل كان قال للنبى ﷺ: سر إلى بنى قريظة فاتقل مقاتلتهم واسب ذراريهم فإن الله عز وجل قد أذن لك فهم لك طعمة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ يعنى اليهود أعانوا أبا سفيان ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى فريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعنى من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا﴾ يعنى طائفة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلا ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى وتسبون طائفة سبعمائة وخمسين ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ يعنى خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من القرى وغيرها ﴿قَدِيرًا﴾ [آية: ٢٧] أن يفتحها على المسلمين.

فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ألا تخمس كما خمست يوم بدر، قال: هذا قد جعله الله لى دون المؤمنين، فقال عمر، رضى الله عنه: رضينا وسلمنا لرسول الله ﷺ فقسم النبى ﷺ فى أهله منها عشرين رأسا ثم جعل النبى ﷺ بقيته نصفين فبعث النصف مع سعد بن عبادة الأنصارى إلى الشام وبعث بالنصف الباقى مع أوس بن قيظى من الأنصار إلى غطفان وأمرهما أن يبتاعا الخيل فجلبا خيلا عظيمة فقسمها النبى ﷺ فى المسلمين وتوفى سع بن معاذ، رضى الله عنه، من رمية أصابت أكحلة يوم الخندق فانتقضت جراحته فنزفت الدم فمات رحمه الله وقد اعتقه النبى ﷺ فاتبع النبى ﷺ والمسلمون جنازته فقال النبى ﷺ: «لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»، رضى الله عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ
بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا
كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ
تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا
خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يقول كما يمتع الرجل امرأته إذا طلقها سوى المهر ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [آية: ٢٨] يقول: حسنًا فى غير ضرار.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعنى الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى الجنة.

فقالت عائشة بنت أبى بكر الصديق، رضى الله عنهما، حين خيرهن النبى ﷺ: بل نختار اللله والدار الآخرة، ومالنا وللدنيا إنما جعلت الدنيا دار فناء والآخرة هى الباقية أحب إلينا من الفانية، فرضى نساؤه كلهن بقول عائشة، رضى الله عنها، فلما اخترن الله ورسوله أنزل الله عز وجل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ إلى آخر الآية [آية: ٥٢].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ يعنى العصيان للنبى ﷺ ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فى الآخرة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [آية: ٣٠] يقول: وكان عذابها على الله هينًا.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يعنى ومن يطع منكن الله ورسوله ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ فى الآخرة بكل صلاة أو صيام أو تكبير أو تسبيح لها مكان كل حسنة يكتب عشرون حسنة ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٣١] يعنى حسنًا، وهى الجنة.

ثم قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ يعنى الله، فإنكن معشر أزواج النبى ﷺ تنظرن إلى الوحى فأنتن أحق الناس بالتقوى ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ يقول: فلا تومين بقول يقارف الفاحشة ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ يعنى الفجور فى أمر الزنا فزجرهن الله عز وجل عن الكلام مع الرجال وأمرهن بالعفة وضرب عليهن الحجاب، ثم قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [آية: ٣٢] يعنى قولاً حسنًا يعرف ولا يقارف الفاحشة، ومن يقذف نبيًا، أو امرأة نبى فعليه حدّان سوى التغريب الذى يراه الإمام.

ثم قال عز وجل: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ولا تخرجن من الحجاب ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ والتبرج أنها تلقى الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قرطها وقلائدها، ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قبل أن يبعث محمد ﷺ، مثل قوله: ﴿عادًا الأولى﴾ [النجم: ٥٠] أمرهن أيضًا بالعفة وأمر بضرب الحجاب عليهن، ثم قال: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطين الزكاة ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يعنى الإثم نهاهن عنه فى هذه الآيات. ومن الرجس الذى يذهبه الله عنهن إنزال الآيات بما أمرهن به. فإن تركهن ما أمرهن به وارتكابهن ما نهاهن عنه من الرجس، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ يعنى نساء النبى ﷺ لأنهن فى بيته ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾ من الإثم الذى ذكر فى هذه الآيات ﴿تَطۡهِيرٗا﴾ [آية: ٣٣].

وحدثنى أبى، عن الهذيل، فقال: قال مقاتل بن سليمان: يعنى به نساء النبى ﷺ كلهن وليس معهن ذكر.

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ يعنى أمره ونهيه فى القرآن فوعظهن ليتفكرن وامتن عليهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [آية: ٣٤] يعنى لطيف عليهن فنهاهن أن يخضعن بالقول خبيرًا به.

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وذلك أن أم سلمة بنت أبى أمية أم المؤمنين، ونسيبة بنت كعب الأنصارى، قلن: ما شأن ربنا يذكر بنت أبى أمية ولا يذكر النساء فى شىء من كتابه نخشى ألا يكون فيهن خير، ولا لله فيهن حاجة، وقد تخلى عنهن. فأنزل الله تعالى فى قول أم سلمة، ونسيبة بنت كعب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى المصدقين بالتوحيد والمصدقات ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ يعنى المطيعين والمطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فى إيمانهم ﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فى إيمانهن ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله عز وجل ﴿وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ عليه ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ يعنى المتواضعين والمتواضعات، قال مقاتل: من لا يعرف فى الصلاة من عن يمينه ومن عن يساره من الخشوع لله عز وجل، فهو منهم.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ بالمال ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ به ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ قال مقاتل: من صام شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر، فهو من الصائمين، فهو من أهل هذه الآية، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الفواحش ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الفواحش ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان والذاكرات الله كثيرًا باللسان ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا﴾ يعنى وجزاء ﴿عَظِيمًا﴾ [آية: ٣٥] يعنى الجنة، وأنزل الله عز وجل أيضًا فى أم سلمة، رضى الله عنها، فى آخر آل عمران: ﴿**أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفى حم المؤمن: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعنى عبد الله بن جحش بن رباب بن صبرة بن مرة بن غنم بن دودان الأسدى، ثم قال: ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعنى زينب بنت جحش أخت عبد الله بن جحش، وذلك أن النبى ﷺ خطب زينب بنت جحش على زيد بن حارثة، وزينب هى بنت عمة النبى ﷺ، وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب، فكره عبد الله أن يزوجها من زيد، وكان زيد أعرابيًا فى الجاهلية مولى فى الإسلام، وكان أصابه النبى ﷺ من سبى

أهل الجاهلية، فأعتقه وتبناه، فقالت زينب: لا أرضاه لنفسى، وأنا أتم نساء قريش، وكانت جميلة بيضاء، فقال النبى ﷺ: «لقد رضيته لك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعنى عبد الله بن جحش، ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعنى زينب ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وذلك أن زيد بن حارثة الكلبى، قال: يا نبى الله، أخطب علىّ، فقال النبى ﷺ: «ومن يعجبك من النساء»؟ فقال: زينب بنت جحش، فقال النبى ﷺ: «لقد أصبت أن لا نألو غير الحسن والجمال، وما أذادها بفعل أنها أكرم من ذلك نفسًا»، فقال زيد: يا نبى الله، إنك إذا كلمتها، وتقول: إن زيدًا أكرم الناس علىّ، فإن هذه امرأة حسناء، وأخشى أن تردنى، فذلك أعظم فى نفسى من كل شىء، وعمد زيد إلى علىّ، رضى الله عنه، فحمله على أن يكلم النبى ﷺ، فقال له زيد: انطلق إلى النبى، فإنه لن يعصيك، فانطلق علىّ معه إلى النبى ﷺ، فإنى فاعل، وإنى مرسلك يا علىّ إلى أهلها، فتكلمهم، فرجع على النبى ﷺ إنى قد رضيته لكم، وأقضى أن تنكحوه، فأنكحوه.

وساق إليهم عشرة دنانير وستين درهما وخمارًا وملحفة ودرعًا وإزارا، وخمسين مدًا من طعام وعشرة أمداد من تمر أعطاه النبى ﷺ ذلك كله، ودخل بها زيد، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى شكا إلى النبى ﷺ ما يلقى منها، فدخل النبى ﷺ فوعظها، فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها، وكان أمرًا قضاه الله عز وجل، ثم رجع النبى ﷺ وفى نفسه منها ما شاء الله عز وجل، فكان النبى ﷺ يسأل زيدًا بعد ذلك كيف هى معك؟ فيشكوها إليه، فقال له النبى ﷺ: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، وفى قلبه غير ذلك، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى بينا، فلما نزلت هذه الآية جعل عبد الله بن جحش أمرها إلى النبى ﷺ، وقالت زينب للنبى ﷺ: قد جعلت أمرى بيدك يا رسول الله، فأنكحها النبى ﷺ زيدًا، فمكثت عنده حينًا، ثم إن النبى ﷺ أتى زيدًا فأبصر زينب قائمة، وكانت حسناء بيضاء من أتم نساء قريش، فهويها النبى ﷺ، فقال: «سبحان الله مقلب القلوب» ، ففطن زيد، فقال: يا رسول الله، ائذن لى فى طلاقها، فإن فيها كبرًا، تعظم علىّ وتؤذينى بلسانها، فقال النبى ﷺ: «أمسك عليك زوج واتق الله»، ثم إن زيدًا طلقها بعد ذلك.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق وكان زيد أعرابيًا فى الجاهلية مولى فى الإسلام، فسبى

فأصابه النبى ﷺ فأعتقه ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ ﴾ يعنى وتسر فى قلبك يا محمد ليت أنه طلقها ﴿ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ يعنى مظهره عليك حين ينزل به قرآنا ﴿ وَتَخۡشَى ﴾ قالة ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ فى أمر زينب ﴿ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾ فى أمرها، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية على الناس، بما أظهر الله عليه من أمر زينب إذ هويها، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: لزكتم رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن لكتم هذه التى أظهرت عليه، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا ﴾ يعنى حاجة وهى الجماع ﴿ زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ يعنى النبى ﷺ، فطلقها زيدًا بن حارثة، فلما انقضت عدتها تزوجها النبى ﷺ، وكانت زينب، رضى الله عنها، تفخر على نساء النبى ﷺ، فتقول: زوجكن الرجال، والله عز وجل زوجنى نبيه ﷺ.

ثم قال عز وجل: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ ﴾ تزويج نساء ﴿ أَدۡعِيَآئِهِمۡ ﴾ يقول: لكيلا يكون على الرجل حرج فى أن يتزوج امرأة ابنه الذى تبناه، وليس من صلبه ﴿ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ ﴾ يعنى حاجة، وهو الجماع ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ [آية: ٣٧] يقول الله عز وجل: كان تزويج النبى ﷺ زينب كائنًا، فلما تزوجها النبى ﷺ، قال أنس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، وهو ينهانا عن تزويجهن.

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾

فأنزل الله تبارك وتعالى فى قولهم: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ ﴾ يقول: فيما أحل الله له، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ ﴾ يقول: هكذا كانت سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد، يعنى داود النبى ﷺ حين هوى المرأة التى فتن بها، وهى امرأة أوريا بن حنان، فجمع الله بين داود، وبين المرأة التى هويها، وكذلك جمع الله عز وجل بين محمد ﷺ، وبين زينب إذ هويها كما فعل بداود، عليه السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ [آية: ٣٨] فقدر الله عز وجل لداود ومحمد تزويجهما.

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى النبى ﷺ خاصة ﴿ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ ﴾ يعنى النبى ﷺ، يقول: محمد يخشى الله أن يكتم عن الناس ما أظهر الله عليه من أمر زينب إذ هويها

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فى البلاغ عن الله عز وجل ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [آية: ٣٩] يعنى شهيدًا فى أمر زينب إذ هويها فلا شاهد أفضل من الله عز وجل.

وأنزل الله عز وجل فى قول الناس إن محمدًا تزوج امرأة ابنه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعنى زيد بن حارثة، يقول: إن محمدًا ليس بـأب لزيد ﴿وَلَٰكِن﴾ محمدًا ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعنى آخر النبيين لا نبى بعد محمد ﷺ، ولو أن لمحمد ولـدًا لكان نبيًا رسولاً، فمن ثم قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [آية: ٤٠] يقول: لو كـان زيد بن محمد لكان نبيًا، فلما نزلت ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قـال النبى ﷺ لزيد: «لست لك بأب»، فقال زيد: يا رسول الله، أنا زيد بن حارثة معروف نسبى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ باللسان ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [آية: ٤١].

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٤٢] يعنى صلوا بالغداة الفجر والعشى، يعنى الظـهر والعصر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ نزلت فى الأنصار يقول: هـو الـذى يغفر لكـم ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعنى لكى يخرجكم من الظلمات إلى النور، يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [آيـة: ٤٣].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ يعنى يوم يلقون الرب عز وجل فى الآخرة سلام، يعنى تسليم الملائكة عليهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٤٤] يعنى أجرًا حسنًا فى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على هذه الأمة بتبليغ الرسالة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنـة والنصر فى الدنيا على من خالفهم ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ٤٥] من النار.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى إلى معرفة الله عز وجل بالتوحيد ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يعنى بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [آية: ٤٦] يعنى هدى مضيئًا للناس ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٤٧] يعنى الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة: أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبى جهل، وأبا الأعور السلمى، ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد، وطعمة بن أبيرق، حين قال أبو سفيان ومن معه من هؤلاء النفر: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة لمن عبدها، ثم قال: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ إياك يعنى الذين قالوا للنبى ﷺ قل: إن لآلهتنا شفاعة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى وثق بالله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٤٨] يعنى مانعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى إذا تزوجتم المصدقات بتوحيد الله ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعنى من قبل أن تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ إن شاءت تزوجت من يومها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [آية: ٤٩] يعنى حسنًا فى غير ضرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ يعنى النساء التسع ﴿ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ﴾ أحللنا لك ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعنى بالولاية: مارية القبطية أم إبراهيم، وريحانة بنت عمرو اليهودى، وكانت سبيت من اليهود ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَ﴾ أحللنا لك ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة إضمار فإن كانت لم تهاجر إلى المدينة فلا يحل تزويجها.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يعنى أن

يتزوجها بغير مهر، وهى أم شريك بنت جابر بن ضباب بن حجر من بنى عامر بن لؤى، وكانت تحت أبى الفكر الأزدى، وولدت له غلامين شريكًا ومسلمًا، ويذكرون أنه نزل عليها دلو من السماء فشربت منه، ثم توفى عنها زوجها أبو الفكر، فوهبت نفسها للنبى ﷺ، فلم يقبلها، ولو فعله لكان له خاصة دون المؤمنين.

فإن وهبت امرأة يهودية أو نصرانية أو أعرابية نفسها فإنه لا يحل للنبى ﷺ أن يتزوجها، ثم قال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ الهبة يعنى خاصة لك، يا محمد ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا تحل هبة المرأة نفسها بغير مهر لغيرك من المؤمنين، وكانت أم شريك قبل أن تهب نفسها بغير للنبى ﷺ امرأة أبى الفكر الأزدى، ثم الدوسى من رهط أبى هريرة.

ثم أخبر الله عن المؤمنين، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعنى ما أوجبنا على المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة ﴿وَ﴾ أحللنا لهم ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ يعنى جماع الولاية ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿حَرَجٌ﴾ فى الهبة بغير مهر فيها تقديم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٥٠] غفورًا فى التزويج بغير مهر للنبى ﷺ رحيمًا فى تحليل ذلك له.

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ توقف من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تزوجها ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾ يعنى وتضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتتزوجها فخير الله عز وجل النبى ﷺ فى تزويج القرابة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ منهن فتزوجتها ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ منهن ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ يعنى فلا حرج ﴿عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ يقول: ذلك أجدر ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ يعنى نساء النبى ﷺ التسع اللاتى اخترنه، وذلك أنهن قلن لو فتح الله مكة على النبى ﷺ فسيطلقنا غير عائشة ويتزوج أنسب منا، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ إذا علمن أنك لا تزوج عليهن إلا ما أحللنا لك من تزويج

القرابة، ثم قال: ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ يعني نساءه التسع ﴿بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ يعني بما ﴿كُلُّهُنَّ﴾ من النفقة، وكان فى نفقتهن قلة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [آية: ٥١] ذو تجاوز.

ثم حرم على النبى تزويج النساء غير التسع اللاتى اخترنه، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ أزواجك التسع اللاتى عندك، يقول: لا يحل لك أن تزداد عليهن ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ يعنى نساءه التسع ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية التى كانت امرأة جعفر ذى الجناحين، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعنى الولاية، ثم حذر النبى ﷺ أن يركب فى أمرهن ما لا ينبغى، فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من العمل ﴿رَّقِيبًا﴾ [آية: ٥٢] حفيظًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعنى نضجه وبلاغه ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ على النبى ﷺ فى بيته ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ الطعام ﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾ يعنى فقوموا من عنده وتفرقوا ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ وذلك أنهم كانوا يجلسون عند النبى ﷺ قبل الطعام وبعد الطعام، وكان ذلك فى بيت أم سلمة بنت أبى أمية أم المؤمنين، فيتحدثون عنده طويلاً، فكان ذلك يؤذيه ويستحيى أن يقول لهم قوموا وربما أحرج النبى ﷺ، وهو فى بيته يتحدثون، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ ثم أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالحجاب على نسائه، فنزل الخيار والتيمم فى أمر عائشة.

ونزل الحجاب فى أمر زينب بنت جحش، فأمر الله تعالى المؤمنين ألا يكلموا نساء

النبي إلا من وراء حجاب، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ من الريبة ﴿وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وأطهر لقلوبهن من الريبة، فقال طلحة بن عبيد الله القرشي من بني تيم بن مرة: ينهانا محمد أن ندخل على بنات عمنا، يعني عائشة، رضي الله عنها، وهما من بني تيم بن مرة، ثم قال في نفسه: والله، لئن مات محمد وأنا حي لأتزوجن عائشة، فأنزل الله تعالى في قول طلحة بن عبيد الله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [آية: ٥٣] لأن الله جعل نساء النبي ﷺ على المؤمنين في الحرمة كأمهاتهم.

فمن ثم عظم الله تزويجهن على المؤمنين، ثم أعلمهم الله أنه يعلم سرهم وعلانيتهم، فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ إن تظهروا ﴿شَيْـًٔا﴾ من أمركم يعني طلحة لقوله يمنعنا محمد من الدخول على بنات عمنا، فأعلن هذا القول، ثم قال: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يعني أو تسروه في قلوبكم يعني قوله: لأتزوجن عائشة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من السر والعلانية ﴿عَلِيمًا﴾ [آية: ٥٤].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

ثم رخص في الدخول على نساء النبي ﷺ من غير حجاب لأهل القرابة، فقال: ﴿لَّا جُنَاحَ﴾ يعني لا حرج ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ في الدخول على نساء النبي ﷺ ﴿فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني كل حرة مسلمة ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يعني عبيد نساء النبي ﷺ أن يدخلوا عليهن من غير حجاب أن يكون منهن، أو منهم من لا يصلح، فقال لهن: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ في دخولهم عليكن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿شَهِيدًا﴾ [آية: ٥٥] لم يغيب عن الله عز وجل من يدخل عليهن إن كان منهن، أو منهم ما لا يصلح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ ﷺ، أما صلاة الرب عز وجل فالمغفرة للنبي

ﷺ، وأما صلاة الملائكة فالاستغفار للنبى ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ يعنى استغفروا للنبى ﷺ ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [آية: ٥٦] فلما نزلت هذه الآية قال المسلمون: هذه لك، يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت: ﴿**هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعنى محمدًا ﷺ نزلت فى اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله عز وجل أن زعموا أن لله ولدًا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله عز وجل يعنى التماثيل والتصاوير، وأما أذاهم للنبى ﷺ، فإنهم زعموا أن محمدًا ساحر مجنون شاعر كذاب ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنى باللعنة فى الدنيا العذاب والقتل والجلاء، وأما فى الآخرة فإن الله يعذبهم بالنار، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية: ٥٧] يعنى عذاب الهوان.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا﴾ والبهتان ما لم يكن ﴿وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٥٨] يعنى بينًا، يقال: نزلت فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وذلك أن نفرًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه، وأن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال فى خلافته لأُبى بن كعب الأنصارى إنى قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية، فوقعت منى كل موقع، والله إنى لأضربهم وأعاقبهم، فقال له أُبى بن كعب، رحمه الله: إنك لست منهم إنك مؤدب معلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ يعنى القناع الذى يكون فوق الخمار وذلك أن المهاجرين قدموا المدينة ومعهم نساؤهم، فنزلوا مع الأنصار فى ديارهم فضاقت الدور عنهم، وكان النساء يخرجن بالليل إلى النخل فيقضين

حوائجهن، يعنى البراز، فكان المريب يرصد النساء بالليل، فيأتيها فيعرض عليها ويغمزها، فإن هويت الجماع أعطاها أجرها، وقضى حاجته، وإن كانت عفيفة صاحت فتركها، وإنما كانوا يطلبون الولايد، فلم تعرف الأمة فى الحرة بالليل، فذكر نساء المؤمنين ذلك لأزواجهن، وما يلقين بالليل من الزناة، فذكروا ذلك للنبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّۚ﴾ يعنى القناع فوق الخمار ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ يعنى أجدر ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ فى زيهن أنهن لسن بمربيات، وأنهن عفايف، فلا يطمع فيهن أحد ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ بالليل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ فى تأخير العذاب عنهم ﴿رَّحِيمٗا﴾ [آية: ٥٩] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

ثم أوعدهم، فقال للنبى ﷺ: ﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ الفجور وهم الزناة، ثم نعتهم بأعمالهم الخبيثة، فقال: ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعنى المنافقين كانوا يخبرون المؤمنين بالمدينة بما يكروهون من عدوهم، يقول: لئن لم ينتهوا عن الفجور والإرجاف والنفاق ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بِهِمۡ﴾ يقول: لنحملنك على قتلهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [آية: ٦٠].

ونجعلهم ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ فأوجب لهم اللعنة على كل حال أينما وجدوا وأدركوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [آية: ٦١] يقول: خذوهم واقتلوهم قتالاً، فانتهوا عن ذلك مخافة القتل.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ هكذا كانت سنة الله فى أهل بدر القتل، وهكذا سنة الله فى هؤلاء الزناة وفى المرجفين القتل، إن لم ينتهوا ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [آية: ٦٢] يعنى تحويلاً لأن قوله عز وجل حق فى أمر القتل.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ يعنى القيامة، وذلك أن النبى ﷺ كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة، فأوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ

لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ يعنى القيامة ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [آية: ٦٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [آية: ٦٤] يعنى وقودًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يمنعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٦٥] يعنى ولا مانعًا يمنعهم من العذاب ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [آية: ٦٦] يعنى محمدًا ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ فهذا قول الأتباع من مشركى العرب من أهل مكة، قالوا: ربنا إنا أطعنا سادتنا، نزلت فى اثنى عشر رجلاً وهم المطعمون يوم بدر فيهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وكبراءنا، يعنى ذوى الأسنان منا فى الكفر ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [آية: ٦٧] يعنى المطعمين فى غزوة بدر والمستهزئين من قريش فأضلونا عن سبيل الهدى، يعنى التوحيد.

ثم قال الأتباع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعنون القادة والرءوس من كفار قريش ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٦٨] يعنى عظيمًا، يعنى اللعن على أثر اللعن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعظ المؤمنين ألا يؤذوا محمدًا فيقولون زيد بن محمد، فإن ذلك للنبى ﷺ أذى كما آذت بنو إسرائيل موسى وزعموا أنه آدر. وذلك أن موس، عليه السلام، كان فيه حياء شديد وكان لا يغتسل فى نهر، ولا غيره إلا عليه إزار، وكان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، فقالوا: ما يمنع موسى أن يتجرد كما نتجرد إلا أنه آذر، فانطلق موسى، عليه السلام، ذات يوم يغتسل فى عين بأرض الشام، واستتر بصخرة، ووضع ثيابه عليها ففرت الصخرة بثيابه، وأتبعها موسى، عليه السلام، متجردًا، فلحقها فضربها بعصاه، وكان موسى، عليه السلام، لا يضع العصا من يده حيث ما كان، وقال لها: ارجعى إلى مكانك، فقالت: إنما أنا عبد مأمور لم تضربنى فردها إلى مكانها، فنظرت إليه بنو إسرائيل، فإذا هو من أحسن الناس خلقًا وأعدلهم صورة، وكان سليمًا ليس الذى قالوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ﴾ إنه آدر ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [آية: ٦٩] يعنى مكينًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [آية: ٧٠] يعنى قولاً عدلاً، وهو التوحيد.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ﴾ يعنى يزكى لكم ﴿أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ بالتوحيد ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٧١] يقول: قد نجا بالخير وأصاب منه نصيبًا وافرًا.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وهى الطاعة ﴿عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ على الثواب والعقاب إن أحسنت جوزيت، وإن عصيت عوقبت ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ يعنى الطاعة على الثواب والعقاب، فلم يطقنها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ وأشفقن من العذاب مخافة ترك الطاعة، فقيل لآدم، عليه السلام: أتحملها بما فيها، قال آدم: وما فيها يا رب؟ قال: إن أطعت جوزيت، وإن عصيت عوقبت، قال آدم: قد حملتها بما فيها، قال الله عز وجل: فلم يلبث فى الجنة إلا قليلا، يعنى ساعتين من يومه حتى عصى ربه عز وجل، وخان الأمانة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بخطيئته ﴿جَهُولًا﴾ [آية: ٧٢] بعاقبه ما تحمل من الطاعة على الثواب والعقاب.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ يقول: عرضنا الأمانة على الإنسان لكى يعذب الله المنافقين ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذى أقروا به على أنفسهم، يوم أخرجهم من ظهر آدم، عليه السلام، حين قال عز وجل: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فنقضوا هذه المعرفة وتركوا الطاعة يعنى التوحيد ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ يقول: ولكى يتوب الله ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ﴾ بما وفوا بالأمانة ولم ينقضوا الميثاق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمًا﴾ [آية: ٧٣] بهم.

* * *

سُورَةُ سَبَإٍ

مكية عددها أربع وخمسون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وذلك أن كفار مكة لما كفروا بالبعث، حمد الرب نفسه، قال عز وجل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى يحمده أولياؤه فى الآخرة إذا دخلوا الجنة، فقالوا: ﴿) **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**﴾ [الزمر: ٧٤]، و﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ حكم البعث ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١] به.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعنى وما يصعد فى السماء من الملائكة ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعذاب ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [آية: ٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أبو سفيان لكفار مكة واللات والعزى ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أبدًا، فلما حلف أبو سفيان بالأصنام حلف النبى ﷺ بالله عز وجل، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ غيب الساعة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ من ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ وزن أصغر النمل ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقل من ذلك المثقال ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ منه ولا أعظم من المثقال ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣] إلا هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ لكى يجزى فى الساعة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾ بالقسط بالعدل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ٤] حسنًا فى الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾

ثم ذكر كفار مكة، فقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ﴾ عملوا ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ يعنى القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مثبطين الناس عن الإيمان بالقرآن مثلها فى الحج ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٥] نظيرها فى الجاثية.

﴿وَيَرَى﴾ ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بالله عز وجل، يعنى مؤمنى أهل الكتاب وهى قراءة ابن مسعود، «ويعلم الذين أوتوا الحكمة من قبل»، ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ يعنى القرآن ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ ويدعو إلى دين ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ [آية: ٦] فى خلقه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالبعث أبو سفيان، قال لكفار مكة: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾ ألا ندلكم ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمۡ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يخبركم أنكم إذا تفرقتم فى الأرض وذهبت اللحوم والعظام، وكنتم ترابًا ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [آية: ٧] يعنى البعث بعد الموت.

ثم قال أبو سفيان: ﴿أَفۡتَرَىٰ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين يزعم أنا نبعث بعد الموت ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ يقول: أم بمحمد جنون، فرد الله عز وجل عليهم، فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال هم أكذب وأشد فرية من محمد ﷺ حين كذبوا بالبعث، ثم قال جل وعز: هم ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ فى الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ [آية: ٨] الشقاء الطويل، نظيرها فى آخر اقتربت الساعة.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ثم بين ما هو، فقال جل وعز: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فتبتلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ يعنى جانبًا من السماء فنهلكهم بها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾ يعنى عبرة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٩] مخلص بالتوحيد.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾ أعطينا داود ﴿مِنَّا فَضْلًاۖ﴾ النبوة كقوله عز وجل للنبى ﷺ فى سورة النساء: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣]، يعنى النبوة والكتاب، فذلك قوله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ﴾ النبوة والزبور وما سخر له من الجبل والطير والحديد ثم بين ما أعطاه، فقال عز وجل: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ سبحى معه مع داود، عليه السلام، يقول: اذكرى الرب مع داود، وهو التسبيح، ثم قال عز وجل: ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [آية: ١٠] فكان داود، عليه السلام، يضفر الحديد ضفر العجين من غير نار، فيتخذها دروعًا طوالاً.

فذلك قوله عز وجل: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ الدروع الطوال، وكانت الدروع قبل داود إنما هى صفائح الحديد مضروبة، فكان داود، عليه السلام، يشد الدروع بمسامير ما يقرعها بحديد ولا يدخلها النار، فيقرع من الدروع فى بعض النهار، وبعض الليل، بيده ثمن ألف درهم، قال لداود: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ﴾ يقول: قدر المسامير فى الخلق ولا تعظم المسامير فتنقصم ولا تضفر المسامير فتسلس، ثم قال الله عز وجل لآل داود: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ يعنى قولوا الحمد لله ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ١١].

ثم ذكر ابنه سليمان، عليهما السلام، وما أعطاه الله عز وجل من الخير والكرامة،

فقال عز وجل: ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ يعنى مسيرة شهر فتحملهم الريح من بيت المقدس إلى أصطخر وتروح بهما ذا بلستان ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ يعنى مسيرة فتحملهم إلى بيت المقدس لا تحول طيرًا من فوقهم ولا ورقة من تحتهم ولا تثير ترابًا، ثم قال جل وعز: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ يعنى أخرجنا لسليمان عين الصفر ثلاثة أيام تجى مجرى الماء بأرض اليمن ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ وسخرنا لسليمان من الجن من يعمل ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بين يدى سليمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ يعنى رب سليمان عز وجل ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ عن أمر سليمان، عليه السلام، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ١٢] الوقود فى الدنيا كان ملك بيده سوط من نار من يزغ عن أمر سليمان ضربه بسوط من نار فذلك عذاب السعير.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ يعنى الجن لسليمان ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ المساجد ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ من نحاس ورخام من الأرض المقدسة وأصطخر من غير أن يعبدها أحد، ثم قال جل وعز: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ وقصاع فى العظم كحياض الإبل بأرض اليمن من العظم يجلس على كل قصعة واحد ألف رجل يأكلون منها بين يدى سليمان ﴿وَقُدُورٍ﴾ عظام لها قوائم لا تتحرك ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات نتخذ من الجبال والقدور وعين الصفر بأرض اليمن، وكان ملك سليمان ما بين مصر وكابل، ثم قال جل وعز: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ بما أعطيتم من الخير، يقول الرب عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [آية: ١٣].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ وذلك أن سليمان، عليه السلام، كان دخل فى السن وهو فى بيت المقدس ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ ما دل الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ على موت سليمان ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الأرضة، وذلك أن الجن كانوا يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب الذى يكون فى غد فابتلوا بموت سليمان ببيت المقدس، وكان داود أسس بيت المقدس موضع فسطاط موسى، عليه السلام، فمات قبل أن يبنى فبناه سليمان بالصخر والقار، فلما حضره الموت قال لأهله: لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس، وكان قد بقى منه عمل سنة، فلما حضره الموت، وهو متكئ على عصاه، وقد أوصى أن يكتم موته، وقال: لا تبكوا علىّ سنة لئلا يتفرق الجن عن بناء بيت المقدس، ففعلوا، فلما بنوا سنة وفرغوا من بنائه سلط الله عز وجل عليه الأرضة عند رأس الحول على أسفل عصاه، فأكلته، فذلك قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ أسفل العصا فخر

عند ذلك سليمان ميتًا، فرأته الجن، فتفرقت، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سليمان ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ يعنى تبينت الإنس ﴿أَن لَّوْ كَانُواْ﴾ الجن ﴿يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ يعنى غيب موت سليمان ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ حولاً ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [آية: ١٤] والشقاء والنصب فى بيت المقدس، وإنما سموا الجن لأنهم استخفوا من الإنس، فلم يروهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ وهو زجل بن يشخب بن يعرب بن قحطان ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾، ثم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أحدهم ﴿عَن يَمِينٍ﴾ الوادى ﴿وَ﴾ الأخرى عن ﴿وَشِمَالٍ﴾ الوادى، واسم الوادى العرم، يقول الله عز وجل لأهل تلك الجنتين: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذى فى الجنتين ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ لله فيما رزقكم، ثم قال: أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بأنها خرجت ثمارها ﴿وَ﴾ ربكم إن شكرتم فيما رزقكم ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [آية: ١٥] للذنوب كانت المرأة تحمل مكتلاً على رأسها، فتدخل البستان فيمتلئ مكتلها من ألوان الفاكهة والثمار من غير أن تمس شيئًا بيدها، وكان أهل سبأ إذا أمطروا يأتيهم السيل من مسيرة أيام كثيرة إلى العرم، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالصخر والقار، فاستد زمانًا، وارتفع الماء على حافتى الوادى، فصار فيهما ألوان الفاكهة والأعناب فعصوا ربهم، فلم يشكروه، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن الحق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ والسيل هو الماء، والعرم اسم الوادى سلط الله عز وجل الفارة على البناء الذى بنو، وتسمى الخلد، فنقبت الردم ما بين الجبلين، فخرج الماء ويبست جناتهم، وأبدلهم الله عز وجل مكان الفاكهة والأعناب ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وهو الأراك ﴿وَأَثْلٍ﴾ يعنى شجرة تسمى الطرفاء يتخذون منها

الأقداح النضار ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [آية: ١٦] وثمره السدر النبق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الهلاك ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ كافأناهم بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [آية: ١٧] وهل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله عز وجل فى نعمه.

ثم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين أهل سبأ ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى﴾ قرى الأرض المقدسة الأردن وفلسطين ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالشجر والماء ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى أرض الشام على كل ميل قرية وسوق، لا يحلون عنده حتى يرجعوا إلى اليمين من الشام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للمبيت والمقيل من قرية إلى قرية ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [آية: ١٨] من الجوع والعطش والسباع، فلم يشكروا ربهم وسالوا ربهم أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يقول الله عز وجل وفرقناهم فى كل وجه، فلما خرجوا من أرض سبأ، ساروا، فأما الأزد فنزلوا البحرين وعمان، وأما خزاعة فنزلوا مكة، وأما الأنصار وهم الأوس والخزرج، فنزلوا المدينة، وأما غسان فنزلوا بالشام، فهذا تمزقهم، فذلك قوله عز وجل: «كل ممزق» و«جعلناهم أحاديث» ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يعنى فى هلاك جنتيهم وتفريقهم عبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [آية: ١٩] يعنى المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء إذا ابتلى أهل سبأ، ثم قال: شكور لله عز وجل فى نعمه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وذلك أن إبليس خلق من نار السموم، وخلق آدم من طين، ثم قال إبليس: إن النار ستغلب الطين، فقال: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إلاَ عِبَادَكَ**﴾ الآية، فمن ثم صدق بقول الله عز وجل: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ ثم استثنى عباده المخلصين، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٠] لم يتبعوه فى الشرك، وهم الذين قال الله: ﴿)**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ لإبليس ﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ من ملك أن يضلهم عن الهدى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنرى ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ ليبين المؤمن من الكافر ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإيمان والشك ﴿حَفِيظٌ﴾ [آية: ٢١] رقيب.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ
عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا
نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم
مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أنهم آلهة، يعنى الملائكة الذين عبدتموهم، فليكشفوا الضر الذى نزل بكم من الجوع من السنين السبع، نظيرها فى بنى إسرائيل، فأخبر الله عز وجل عن الملائكة أنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لا يقدرون على ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعنى أصغر وزن النمل ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فى خلق السماوات ﴿وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فكيف يملكون كشف الضر عنكم ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا﴾ فى خلق السماوات والأرض ﴿مِن شِرْكٍ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ من الملائكة ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى عونًا على شىء.

ثم ذكر الملائكة الذين رجوا منافعهم، فقال جل وعز: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ شفاعة الملائكة ﴿عِندَهُۥٓ﴾ لأحد ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يشفع من أهل التوحيد، ثم أخبر عن خوف الملائكة أنهم إذا سمعوا الوحى خروا سجدًا من مخافة الساعة، فكيف يعبدون من هذه منزلته؟ فهلا يعبدون من تخافه الملائكة؟ قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك أن أهل السماوات من الملائكة لم يكونوا سمعوا صوت الوحى ما بين زمن عيسى ومحمد ﷺ، وكان بينهما قريب من ست مائة عام، فلما نزل الوحى على محمد ﷺ سمعوا صوت الوحى، كوقع الحديد على الصفا، فخروا سجدًا مخافة القيامة، إذ هبط جبريل على أهل كل سماء، فأخبرهم أنه الوحى، فذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ تجلى الفزع عن قلوبهم قاموا من السجود ﴿قَالُوا۟﴾ فتسأل الملائكة بعضها بعضًا ﴿مَاذَا قَالَ﴾ جبريل عن ﴿رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ يعنى الوحى ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ الرفيع

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٢٣] العظيم فلا أعظم منه.

﴿۞قُلْ﴾ لكفار مكة الذين يعبدون الملائكة ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى النبات فردوا فى سورة يونس، قالوا: ﴿ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، يرزقنا إضمار، قال النبى ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يرزقكم، ثم انقطع الكلام، وأما قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٤] قال كفار مكة للنبى ﷺ: تعالوا ننظر فى معايشنا من أفضل دنيا نحن أم أنتم يا أصحاب محمد ﷺ؟ إنكم لعلى ضلالة، فرد عليهم النبى ﷺ: ما نحن وأنتم على أمر واحد إن أحد الفريقين لعلى هدى، يعنى النبى ﷺ نفسه وأصحابه، أو فى ضلال مبين يعنى كفار مكة الألف هاهنا صلة، مثل قوله عز وجل: ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُورا**﴾.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ فى الآخرة وأنتم ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يقضى ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ القضاء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٢٦] بما يقضى.

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ﴾ يعنى بالله عز وجل ﴿شُرَكَآءَ﴾ من الملائكة هل خلقوا شيئًا يقول الله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾ ما خلقوا شيئًا، ثم استأنف ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ الذى خلق الأشياء كلها ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٧] العزيز فى ملكه الحكيم فى أمره. نظيرها فى الأحقاف.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يعنى يا محمد ﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ عامة للناس ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة لمن أجابه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذى تعدنا يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٩] إن كنت صادقا بأن العذاب نازل بنا فى الدنيا ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ﴾ ميقات فى العذاب ﴿يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ﴾ عن المعياد ﴿سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [آية: ٣٠] يعنى لا تتباعدون عنه ولا تتقدمون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ

ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ
وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى الأسود بن عبد يغوث، وثعلب وهما أخوان ابنا الحارث بن السباق من بنى عبد الدار بن قصى ﴿لَن نُّؤۡمِنَ﴾ لك لا نصدق ﴿بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ من الكتب التى نزلت قبل القرآن، بين يديه التوراة والإنجيل والزبور ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فى الآخرة ﴿يَرۡجِعُ﴾ يرد ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ ثم أخبر عن قولهم: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الذين تكبروا عن الإيمان، وهم القادة فى الكفر ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٣١] لولا أنتم معشر الكبراء لكنا مؤمنين يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

فردت القادة وهم الكبراء على الضعفاء وهم الأتباع: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعنى أنحن منعناكم عن الإيمان ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ [آية: ٣٢].

فردت الضعفاء على الكبراء، فقالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بل قولهم كذب بالليل والنهار ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله عز وجل ﴿وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ يعنى وتأمرونا أن نجعل له شريكًا ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ فى أنفسهم ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ حين عاينوا العذاب فى الآخرة ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ وذلك أن الله عز وجل يأمر خزانة جهنم أن يجعلوا الأغلال فى أعناق الذين كفروا بتوحيد الله عز وجل، وقالت لهم الخزنة: ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٣٣] من الكفر فى الدنيا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ
ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم
بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ

وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ
مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ
أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾ من رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها وجبابرتها للرسل ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ بالتوحيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٤].

﴿وَقَالُواْ﴾ أيضًا لفقراء المسلمين أهؤلاء خير منا أم هم أولى بالله منا ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٣٥].

يقول الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ وقتر على من يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣٦] أن البسط والقتر بيد الله عز وجل.

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ يعني قرابة ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ صدق بالله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الخير نجزي بالحسنة الواحدة عشرة فصاعدا، ثم قال عز وجل: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ غرف الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ [آية: ٣٧] من الموت.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يقول: عملوا بالتكذيب بالقرآن مثبطين عن الإيمان بالقرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [آية: ٣٨] النار.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسع الرزق على من يشاء ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ﴾ ويقتر ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ يقول الله عز وجل أخلفه لكم وأعطاكموه ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٣٩] مثل قوله عز وجل: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيه**﴾ [الحديد: ٧].

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ
سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي
كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن
يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا

جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ
إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ
فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الملائكة ومن عبدها، يعنى يجمعهم جميعًا فى الآخرة ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى عن أمركم عبدوكم فنزهت الملائكة ربها عز وجل عن الشرك.

فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ ونحن منهم براء إضمار ما أمرناهم بعبادتنا ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾ بل أطاعوا الشيطان فى عبادتهم و ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤١] مصدقين بالشيطان.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا تقدر الملائكة على أن تسوق إلى من عبدها نفعًا، ولا تقدر على أن تدفع عنهم سوءًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يأمر الله الخزنة أن تقول للمشركين من أهل مكة: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ما فيه من الأمر والنهى ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ يعنون النبى ﷺ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ افتراه محمد ﷺ من تلقاء نفسه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعنون القرآن حين جاءهم ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤٣].

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ يعنى وما أعطيناهم ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾ يعنى يقرؤونها بأن مع الله شريكًا نظيرها فى الزخرف: ﴿**أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً**﴾ [الزخرف: ٢١]، ونظيرها فى الملائكة [فاطر: ٣٢] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ يعنى أهل مكة ﴿قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [آية: ٤٤] يا محمد من رسول لم ينزل كتاب، ولا رسول قبل محمد ﷺ إلى العرب.

ثم قال جل وعز: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى الأمم الخالية كذبوا رسلهم قبل كفار مكة ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وما بلغ الكفار مكة، عشر الذى أعطينا الأمم الخالية من الأموال والعدة والعمر والقوة ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾ فأهلكناهم بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا الرسل ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٤٥] تغييرى الشر فاحذروا، يا أهل مكة، مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا
بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم
مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى
يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ
إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ
﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن
قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿۞ قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ بكلمة واحدة كلمة الإخلاص ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ الحق ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ألا يتفكر الرجل وحده ومع صاحبه فيعلم ويتفكر فى خلق السماوات والأرض وما بينهما أن الله جل وعز خلق هذه الأشياء وحده وأن محمدًا لصادق وما به جنون ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ مبين، يعنى بينا ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [آية: ٤٦] فى الآخرة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ وذلك أن النبى ﷺ سأل كفار مكة ألا يؤذوه حتى يبلغ عن الله عز وجل الرسالة، فقال بعضهم لبعض: ما سألكم شططًا كفوا عنه، فسمعوا النبى ﷺ يومًا يذكر اللات والعزى فى القرآن، فقالوا: ما ينتهى هذا الرجل عن عيب آلهتنا سألنا ألا نؤذيه فقد فعلنا، وسألناه ألا يؤذينا فى آلهتنا فلم يفعل، فأكثروا فى ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ﴾ ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٤٧] بأنى نذير وما بى من جنون.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يتكلم بالوحى ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [آية: ٤٨] عالم كل غيب، وإذا قال جل وعز عالم الغيب فهو غيب واحد ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [آية: ٤٩] يقول: ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم فى الآخرة فيبعثهم بعد الموت والله جل وعز يفعل ذلك.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ وذلك أن كفار مكة، قالوا للنبى ﷺ: لقد ضللت حين تركت دين

آبائك ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ﴾ إنما ضلالتى على نفسى ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ [آية: ٥٠] الإجابة.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ يقول: إذا فزعوا عند معاينة العذاب، نزلت فى السفيانى، وذلك أن السفيانى يبعث ثلاثين ألف رجل من الشام مقاتلة إلى الحجاز عليهم رجل اسمه بحير بن بجيلة، فإذا انتهوا إلى البيداء خسف بهم، فلا ينجو منهم أحد غير رجل من جهينة اسمه ناجية يفلت وحده، مقلوب وجهه وراء ظهره، يرجع القهقرى، فيخبر الناس بما لقى أصحابه. قال: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [آية: ٥١] من تحت أرجلهم.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حين رأوا العذاب يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ التوبة عند معاينة العذاب ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٢] الرجعة إلى التوبة بعيد منهم لأنه لا يقبل منهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِن قَبْلُۖ﴾ نزول العذاب حين بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يقول: ويتكلمون بالإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٣] يقول: التوبة تباعد منهم، فلا يقبل منهم وقد غيب عنهم الإيمان عند نزول العذاب، فلم يقدروا عليه عند نزول العذاب بهم فى الدنيا ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من أن تقبل التوبة منهم عند العذاب ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ﴾ يقول: كما عذب أوائلهم من الأمم الخالية من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ﴾ من العذاب بأنه غير نازل بهم فى الدنيا ﴿مُّرِيبٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى بمريب أنهم لا يعرفون شكهم، ويقال: كان هذا العذاب بالسيف يوم بدر، وقالوا: آمنا به، يعنى بالقرآن.

* * *

سُورَةُ فَاطِرٍ

سورة الملائكة مكية، عددها خمس وأربعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ
يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله ﴿فَاطِرِ﴾ يعنى خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ منهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، والكرام الكاتبين، عليهم السلام، ثم قال جل وعز: الملائكة ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ يقول: من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولإسرافيل ستة أجنحة، ثم قال جل وعز: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ وذلك أن فى الجنة نهرًا يقال له نهر الحياة يدخله كل يوم جبريل، عليه السلام، بعد ثلاث ساعات من النهار يغتسل فيه، وله جناحان ينشرهما فى ذلك النهر، ولجناحه سبعون ألف ريشة، فيسقط من كل ريشة قطرة من ماء، فيخلق الله جل وعز منها ملكًا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من خلق الأجنحة من الزيادة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ١] يعنى يزيد فى خلق الأجنحة على أربعة أجنحة ما يشاء.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ الرزق نظيرها فى بنى إسرائيل ابتغاء رحمة من ربك، يعنى الرزق ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يقدر أحد على حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ وما يحبس من الرزق ﴿فَلَا مُرْسِلَ﴾ يعنى الرزق ﴿لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فلا معطى من بعد الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى أهل مكة ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ ثم أخبرهم بالنعمة، فقال جل وعز: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعنى النبات، ثم وحد جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يعزى النبى ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آية: ٤] أمور العباد تصير إلى جل وعز فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ فى البعث أنه كائن ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [آية: ٥] الباطل وهو الشيطان.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ﴾ حين أمركم بالكفر بالله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ يقول: فعادوه بطاعة الله عز وجل، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ إنما يدعو شيعته إلى الكفر بتوحيد الله عز وجل، ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٦] يعنى الوقود.

ثم بين مستقر الكفار، ومستقر المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ فى الآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أدوا الفرائض ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ لذنوبهم يعنى جزاءهم عند ربهم ﴿وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ٧] فى الجنة.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ نزلت فى أبى جهل بن هشام ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ﴾ عن الهدى ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فلا يهديه إلى الإسلام ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ لدنيه ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ يعنى النبى ﷺ يقول: فلا تقتل نفسك ندامة عليهم، يعنى أهل مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [آية: ٨].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ فسقنا السحاب ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ يعنى بالميت أنه ليس عليه نبت ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ فتنبت ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ بعد إذ لم يكن عليها نبت ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [آية: ٩] هكذا يحيون يوم القيامة بالماء كما يحيى الأرض بعد موتها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ المنعة بعبادة الأوثان فليعتز بطاعة الله عز وجل.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ جميع من يتعزز فإنما يتعزز بإذن الله عز وجل ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العمل الحسن يقول: إلى الله عز وجل يصعد فى السماء التوحيد ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقول: شهادة ألا إله إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله عز وجل فى السماء، ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ الله إليه، ثم ذكر جل ثناؤه من لا يوحده، فقال جل ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذين يقولون الشرك ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ فى الآخرة، ثم أخبر عن شركهم، فقال عز وجل: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [آية: ١٠] وقولهم الشرك يهلك فى الآخرة.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا
تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٞ ﴿١١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ
تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن
فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ
ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ
لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ
ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ
وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ
فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾
وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾

ثم دل جل وعز على نفسه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ يعنى بدأ خلقكم ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ يعنى نسله ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ﴾ ذرية آدم ﴿أَزۡوَٰجٗاۚ﴾

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ يقول: لا تحمل المرأة الولد ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ الولد ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ ثم قال جل وعز: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ يعنى من قل عمره أو كثر فهو إلى أجله الذى كتب له، ثم قال جل وعز: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ كل يوم حتى ينتهى إلى أجله ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ اللوح المحفوظ مكتوب قبل إن يخلقه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ١١] الأجل حين كتبه الله جل وعز فى اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ يعنى الماء العذاب والماء المالح ﴿هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ﴾ يعنى طيب ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ يسيغه الشارب ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌۖ﴾ مر لا ينبت ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ من الماء المالح والعذب ﴿تَأۡكُلُونَ لَحۡمًا طَرِيًّا﴾ السمك ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةً﴾ يعنى اللؤلؤ ﴿تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يعنى بالمواخر أن سفينتين تجريان إحداهما مقبلة والأخرى مدبرة بريح واحدة، تستقبل إحداهما الأخرى ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ فى البحر ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ من رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٢].

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ انتقاص كل واحد منهما من الآخر حتى يصير أحداهما إلى تسع ساعات والآخر إلى خمس عشرة ساعة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ لبنى آدم ﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ كلاهما دائبان يجريان إلى يوم القيامة، ثم دل على نفسه، فقال جل وعز: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ فاعرفوا توحيده بصنعه، ثم عاب الآلهة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ الذين تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ الأوثان ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [آية: ١٣] قشر النوى الذى يكون على النوى الرقيق.

ثم أخبر عن الآلهة اللات والعزى ومناة، فقال سبحانه: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ يقول: لو أن الأصنام سمعوا ما استجابوا لكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ يقول: إن الأصنام يوم القيامة يتبرءون من عبادتكم إياها، فتقول للكفار: ما أمرناكم بعبادتنا، نظيرها فى يونس: ﴿**فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**﴾ [يونس: ٢٩] ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [آية: ١٤] يعنى الرب نفسه سبحانه فلا أحد أخبر منه.

قوله عز وجل: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يعنى إلى ما عند الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ١٥] عند خلقه.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أيها الناس بالهلاك إذا عصيتم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [آية: ١٦] غيركم أمثل منكم.

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [آية: ١٧] إن فعل ذلك هو على الله هين.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ من الوزر ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ من الخطايا أن يحمل عنها ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ ﴾ من وزرها ﴿ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ ولو كان بينهما قرابة ما حملت عنها شيئًا من وزرها ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ آمنوا به ولم يروه ﴿ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أتموا الصلاة المكتوبة ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ ومن صلح فصلاحه لنفسه ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آية: ١٨] فيجزى بالأعمال فى الآخرة.

ثم ضرب مثل المؤمن والكافر، فقال جل وعز: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [آية: ١٩] وما يستويان فى الفضل والعمل الأعمى عن الهدى، يعنى الكافر والبصير بالهدى المؤمن.

﴿ وَلَا ﴾ تستوى ﴿ ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ [آية: ٢٠] يعنى بالظلمات الشرك والنور يعنى الإيمان.

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ
ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ
﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ ﴾ يعنى الجنة ﴿ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [آية: ٢١] يعنى النار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ﴾ المؤمنين ﴿وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يعنى الكفار، والبصير، والظل والنور، والأحياء، فهو مثل المؤمن، والأعمى، والظلمات، والحرور، والأموات، فهو مثل الكافر، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ﴾ الإيمان ﴿مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ٢٢] وذلك أن الله جل وعز شبه الكافر من الأحياء حين دعوا إلى الإيمان فلم يسمعوا، بالأموات أهل القبور الذين لا يسمعون الدعاء.

ثم قال للنبى، عليه السلام، حين لم يجيبوه إلى الإيمان: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [آية: ٢٣] ما أنت إلا رسول ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ لم نرسلك رسولاً باطلاً لغير شىء ﴿بَشِيرًا﴾ لأهل طاعته بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار لأهل معصيته، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ وما من أمة فيما مضى ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [آية: ٢٤] إلا جاءهم رسول غير أمة محمد، فإنهم لم يجئهم رسول قبل محمد ﷺ، ولا يجيئهم إلى يوم القيامة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يعزى نبيه ﷺ ليصبر فلست بأول رسول كذب ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات التى كانوا يصنعون ويخبرون بها ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبالأحاديث التى كانت قبلهم من المواعظ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آية: ٢٥] المضئ الذى فيه أمره ونهيه.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٢٦] تغييرى الشر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ بيض وحمر وصفر ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ أيضًا ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ يعنى بالجدد الطرائق التى تكون فى الجبال منها أبيض وأحمر ﴿وَ﴾ منها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [آية: ٢٧] يعنى الطوال السود.

ثم قال جل وعز: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بيض وحمر وصفر وسود ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ اختلاف ألوان الثمار، ثم قال جل وعز: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فيها تقديم يقول: أشد الناس لله عز وجل خيفة أعلمهم الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ [آية: ٢٨] لذنوب المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فى مواقيتها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [آية: ٢٩] لن تهلك، هؤلاء قوم من المؤمنين أثنى الله جل وعز عليهم.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ليوفر لهم أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على أعمالهم من الجنة ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب العظام ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٣٠] لحسناتهم.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ
لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ
ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ
وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ
ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى
مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن
يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: إن قرآن محمد ﷺ يصدق ما قبله من الكتب التى أنزلها الله عز وجل على الأنبياء، عليهم السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾ بأعمالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣١] بها.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ قرآن محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ اخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ من هذه الأمة ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عدل فى قوله ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة، وتصديق الأنبياء ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمر الله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٣٢] دخول الجنة.

ثم أخبره بثوابهم، فقال جل وعز: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ تجرى من تحتها الأنهار

﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ هؤلاء الأصناف الثلاثة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ بثلاث أسورة ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [آية: ٣٣] وقد حبس الظالم بعد هؤلاء الصنفين السابق والمقتصد، ما شاء الله من أجل ذنوبهم الكبيرة، ثم غفرها لهم وتجاوز عنهم، فأدخلوا الجنة، فلما دخلوها، واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم من المغفرة ودخول الجنة.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ لأنهم لا يدرون ما يصنع الله عز وجل بهم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ للذنوب العظام ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٣٤] للحسنات وإن قلت، وهذا قول آخر شكور للعمل الضعيف القليل، فهذا قول أهل الكبائر من أهل التوحيد.

ثم قالوا: الحمد لله ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ يعنى دار الخلود أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون عنها أبدًا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ لا يصيبنا فى الجنة مشقة فى أجسادنا ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [آية: ٣٥] ولا يصيبنا فى الجنة عيا لما كان يصيبهم فى الدنيا من النصب فى العبادة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [آية: ٣٦] بالإيمان.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يعنى يستغيثون فيها والاستغاثة أنهم ينادون فيها ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ من الشرك، ثم قيل لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ فى الدنيا ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ فى العمر ﴿مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ الرسول محمد ﷺ ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [آية: ٣٧] ما للمشركين من مانع يمنعهم من الله عز وجل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعلم ما يكون فيهما وغيب ما فى قلوبهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٣٨] بما فى القلوب.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ من بعد الأمم الخالية ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ فمن كفر بتوحيد الله ﴿فَعَلَيۡهِ﴾ عاقبة ﴿كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ يقول: الكافر لا يزداد فى طول العمل إلا ازداد الله جل وعز له بغضًا، ثم قال جل وعز: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [آية: ٣٩] لا يزداد الكافرون فى طول العمل إلا ازدادوا بكفرهم خسارًا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ مع الله يعني الملائكة ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ يعني تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ماذا خلقت الملائكة في الأرض كما خلق الله عز وجل أن كانوا آلهة ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني أم لهم: الملائكة ﴿شِرْكٌ﴾ مع الله عز وجل في سلطانه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: هل أعطينا كفار مكة فهم على بينة منه بأن مع الله عز وجل شريكًا من الملائكة، ثم استأنف، فقال: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ ما يعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ٤٠] ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الملائكة لهم في الآخرة إلا باطلاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

ثم عظم نفسه تعالى عما قالوا من الشرك، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ يقول: ألا تزولا عن موضعهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ ولئن أرسلهما فزالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ فمن يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ الله يقول: لا يمسكهما من أحد من بعده، ثم قال في التقديم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عنهم عن قولهم الملائكة بنات الله تعالى حين لا يعجل عليهم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ [آية: ٤١] ذو تجاوز.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعني كفار مكة في الأنعام حين قالوا: ﴿**لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ بجهد الأيمان ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني رسولاً ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني من اليهود والنصارى، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [آية: ٤٢] ما زادهم الرسول ودعوته إلا تباعدًا عن الهدى عن الإيمان.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ قول الشرك ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ ولا يدور قول الشرك ﴿إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ كقوله عز وجل ﴿) **وَحَاقَ بِهِمْ**﴾ [هود: ٨] ودار بهم الآية، ثم خوفهم، فقال: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾ ما ينظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ مثل عقوبة الأمم الخالية ينزل بهم العذاب ببدر كما نزل بأوائلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ فى العذاب ﴿تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [آية: ٤٣] لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم.

ثم قال جل وعز يعظهم: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ عاد، وثمود، وقوم لوط ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ﴾ بطشًا، فأهلكناهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ﴾ ليفوته ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ من أحد، كقوله عز وجل: ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**﴾ [الممتحنة: ١١]، وقوله جل وعز فى يس: ﴿**وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [يس: ١٥] يعنى من أحد، يقول: لا يسبقه من أحد كان ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيفوته أحد كان فى السماوات أو فى الأرض حتى يجزيه بعمله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا﴾ بهم ﴿قَدِيرٗا﴾ [آية: ٤٤] فى نزول العذاب بهم إذا شاء.

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الذنوب وهو الشرك لعجل لهم العقوبة، فذلك قوله عز وجل: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ فوق الأرض من دابة لهلكت الدواب من قحط المطر ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾ إلى الوقت الذى فى اللوح المحفوظ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ وقت نزول العذاب بهم فى الدنيا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [آية: ٤٥] لم يزل الله عز وجل بعباده بصيرًا.

* * *

سُورَةُ يسٓ

سورة يس مكية، عدد آياتها ثلاث وثمانون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

﴿يسٓ﴾ [آية: ١] يعني عز وجل النبي ﷺ يقول: يا إنسان بلغة طيئ، ويس قلب القرآن من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات، ومن قرأها ابتغاء وجه الله عز وجل ليلاً غفر الله ذنوبه تلك الليلة، ومن قرأها بالنهار، فله مثل ذلك، وذلك أن أُبي بن خلف الجمحي قال للنبي ﷺ: ما أرسل الله إلينا رسولاً، وما أنت برسول وتابعه كفار مكة على ذلك فأقسم الله عز وجل بالقرآن الحكيم يعني المحكم من الباطل

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٣] ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ على طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤] دين الإسلام لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم.

ثم قال: هذا القرآن هو ﴿تَنزِيلَ﴾ من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٥] بخلقة.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بما في القرآن من الوعيد ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الأولون ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٦].

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ لقوله لإبليس: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٥] لقد حق القول لقد وجب العذاب على أكثر أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٧] لا يصدقون بالقرآن.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [آية: ٨] وذلك أن أبا جهل بن هشام حلف لئن رأى النبى ﷺ ليدمغنه، فأتاه أبو جهل وهو يصلى ومعه الحجر فرفع الحجر ليدفع النبى ﷺ فيبست يده والتصق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه خلصوا يده فسألوه فأخبرهم بأمر الحجر، فقال رجل آخر من بنى المغيرة المخزومى: أنا قتله، فأخذ الحجر، فلما دنا من النبى ﷺ طمس الله عز وجل على بصره فلم ير النبى ﷺ وسمع قراءته فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ حين لم يروا النبى ﷺ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٩] حين لم ير أصحابه فسألوه ما صنعت، فقال: لقد سمعت قراءته وما رأيته.

فأنزل الله عز وجل فى أبى جهل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ يعنى بالأذقان الحنك فوق الغلصمه، يقول رددنا أيديهم فى أعناقهم فهم مقحمون يعنى أن يجمع يديه إلى عنقه، وأنزل الله عز وجل فى الرجل الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ يعنى ظلمة فلم ير النبى ﷺ ومن خلفهم سدًا فلم ير أصحابه، الآية وكان معهم الوليد بن المغيرة.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ يا محمد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠] بالقرآن بأنه من الله عز وجل فلم يؤمن أحد من أولئك الرهط من بنى مخزوم.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

ثم نزل فى أبى جهل: ﴿**أرأيت الذى ينهى عبدًا إذا صلى**﴾ [العلق: ٩ - ١٠]، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ وخشى عذاب الرحمن ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ١١] وجزاء حسنا فى الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ فى الدنيا فى حياتهم

من خير أو شر عملوه ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ ما استنوه من سنة خير أو شر فاقتدى به من بعد موتهم، وإن كان خيرًا فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص من أجورهم شيء، وإن كان شرًا فعليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص من أوزارهم شيء، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾ [القيامة: ١٣] ثم قال جل وعز: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ من الأعمل ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ بيانه ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٢] كل شيء عملوه فى اللوح المحفوظ.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ وصف لهم يا محمد، شبها لأهل مكة فى الهلاك ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [آية: ١٣].

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ تومان ويونس ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ فقوينا يعنى فشددنا الرسولين بثالث حين صدقهما بتوحيد الله وحين أحيا الجارية وكان اسمه شمعون وكان من الحواريين وكا وصى عيسى بن مريم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [آية: ١٤] فكذبوهما ولو فعلت ذلك بكم يا أهل مكة لكذبتم، فقال شمعون للذلك: أشهد أنهما رسولان أرسلهما ربك الذى فى السماء، فقال الملك لشمعون: أخبرنى بعلامة ذلك؟ فقال شمعون: إن ربى أمرنى أن أبعث لك ابنتك، فذهبوا إلى قبرها، فضرب القبر برجله، فقال: قومى بإذن إلهنا الذى فى السماء، الذى أرسلنا إلى هذه القرية واشهدى لنا على ولدك فخرجت الجارية من قبرها، فعرفوها فقالت يأ أهل القرية آمنوا بهؤلاء الرسل، وإنى لأشهد أنهم أرسلوا إليكم، فإن سلمتم يغفر لكم ربكم، وإن أبيتم ينتقم الله منكم، ثم قالت لشمعون: ردنى إلى مكانى فإن القوم لن يؤمنوا لكم، فأخذ شمعون قبضة من تراب قبرها فوضعها على رأسها، ثم قال عودى مكانك، فعادت، فلم يؤمن منهم غير حبيب النجار، كان من بنى إسرائيل، وذلك أنه حين سمع بالرسل جاء مسرعًا فآمن وترك عمله وكان قبله إيمانه مشركًا ﴿قَالُواْ﴾ فقال القوم للرسل: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [آية: ١٥] وكان فعل شمعون من الحواريين فقال شمعون: إنا إليكم مرسلون أرسلنا إليكم ربكم الذى فى السماء ما أنتم إلا بشر مثلنا ما نرى لكم علينا من فضل فى شيء وما أنزل الرحمن من شيء وما أرسل الرحمن من أحد يعنى لم يرسل رسولا الآية.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ

طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ
رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم
مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ
ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ
إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿قَالُواْ﴾ فقالت الرسل ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [آية: ١٦] فإن كذبتمونا ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١٧] ما علينا إلا أن نبلغ ونعلمكم ونبين لكم أن الله واحد لا شريك.

فقال القوم للرسل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ يقول: تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم، فقالوا: أصابنا هذا الشر يعنون قحط المطر من قبلكم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ لئن لم تسكتوا عنا لنقتلنكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ يعنى وليصيبنكم ﴿مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ١٨] يعنى وجيعًا.

﴿قَالُواْ﴾ فقالت الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ الذى أصابكم كان مكتوبًا فى أعناقكم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ أئن وعظتم بالله عز وجل تطيرتم بنا ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [آية: ١٩] قوم مشركون والشرك أسرف الذنوب.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ على رجليه اسمه حبيب بن ابريا، أعور نجار، من بنى إسرائيل كان فى غار يعبد الله عز وجل فلما سمع بالرسل أتاهم وترك عمله ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [آية: ٢٠] الثلاثة تومان، ويونس، وشمعون.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٢١] فأخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له: برئت منا واتبعت عدونا.

فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقنى ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ لا تقدر الآلهة أن تشفع لى، فتكشف الضر عنى شفاعتها ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [آية: ٢٣] من الضر.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٤] لفى خسران بين أن اتخذت من دون الله جل وعز آلهة فوطئ حتى خرجت معاه من دبره، فلما أمر بقتله.

قال: يا قوم ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [آية: ٢٥] فقتل، ثم ألقى في البئر، وهي الرس، وهم أصحاب الرس وقتل الرس الثلاثة.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ فلما ذهبت روح حبيب إلى الجنة ودخلها وعاين ما فيها من النعيم تمنى فـ ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٦] بني إسرائيل.

﴿بِمَا﴾ بأي شيء ﴿غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [آية: ٢٧] باتباعي المرسلين، فلو علموا لآمنوا بالرسل، فنصح لهم في حياته، وبعد موته.

يقول الله عز وجل: ﴿۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ يعني من بعد قتل حبيب النجار ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [آية: ٢٨] الملائكة.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ من جبريل، عليه السلام، ليس لها مثنوية ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [آية: ٢٩] موتى مثل النار إذا طفئت لا يسمع لها صوت، وقال النبي ﷺ: «إن صاحب يس اليوم في الجنة، ومؤمن آل فرعون ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون».

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ يا ندامة للعباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا، ثم قال عز وجل: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٣٠].

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ألم يعلموا ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ بالعذاب ﴿قَبۡلَهُم﴾ قبل كفار مكة ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم عاد وثمود وقوم لوط، فيرى أهل مكة من هلاكهم ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٣١] إلى الحياة الدنيا.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [آية: ٣٢] عندنا فى الآخرة.

ثم وعظ كفار مكة، فقال عز وجل: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ علامة لهم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالمطر فتنبت ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ البر والشعير الحبوب كلها ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٣٣].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فى الأرض ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [آية: ٣٤] الجارية.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكنه من فعلنا ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٣٥] رب هذه النعم فيوحدوه.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ الأصناف كلها ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مما تخرج الأرض من ألوان النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٦] من الخلق.

ثم قال جل وعز: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ يقول: من علامة الرب لأهل مكة إذ لم يروه ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ ننزع ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [آية: ٣٧] بالليل، مثل قوله عز وجل: ﴿**الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾ [الأعراف: ١٧٥].

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ لوقت لها إلى يوم القيامة، قال أبو ذر الغفارى: غربت الشمس يومًا، فسألت النبى ﷺ أين تغرب الشمس؟ فقال النبى ﷺ: «تغرب فى عين حمئة وطينة سوداء، ثم تخر ساجدة تحت العرش فتستأذن، فيأذن لها، فكأن قد قيل لها ارجعى إلى حيث تغربين». ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الليل والنهار، والشمس والقمر يجرى فى ملكه بما قدر من أمرهما وخلقهما ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [آية: ٣٨].

ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ فى السماء يزيد، ثم يستوى، ثم ينقص

فى آخر الشهر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ﴾ حتى عاد مثل الخيط كما يكون أول ما استهل فيه كالعرجون، يعنى العذق اليابس المنحنى ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ [آية: ٣٩] الذى أتى عليه الحول.

ثم قال جل وعز: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتضئ مع ضوء القمر، لأن الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ يقول: ولا يدرك سواد الليل ضوء النهار، فيغلبه على ضوئه ﴿وَكُلّٞ﴾ الليل والنهار ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [آية: ٤٠] فى دوران يجرون يعنى الشمس والقمر يدخلان تحت الأرض من قبل المغرب، فيخرجان من تحت الأرض، حتى يخرجا من قبل المشرق، ثم يجريان فى السماء حتى يغربا قبل المغرب، فهذا دورانهما، فذلك قوله عز وجل: ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ يقول: وكلاهما فى دوران يجريان إلى يوم القيامة.

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ وعلامة لهم، يعنى كفار مكة ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ذرية أهل مكة فى أصلاب آبائهم ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [آية: ٤١] يعنى المرقر من الناس والدواب.

﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ وجعلنا لهم من شبه سفينة نوح ﴿مَا يَرۡكَبُونَ﴾ [آية: ٤٢] فيها. ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ﴾ فى الماء ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ لا مغيث لهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ﴾ [آية: ٤٣] من الغرق.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ إلا نعمة منا حين لا نغرقهم ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [آية: ٤٤] وبلاغا إلى آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾ يقول: لا يصيبكم منا عذاب الأمم الخالية قبلكم ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾ واتقوا ما بعدكم من عذاب الأمم فلا تكذبوا محمدًا ﷺ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية: ٤٥] لكى ترحموا.

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ

أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا
يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٤٦] فلا يتفكروا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ وذلك أن المؤمنين قالوا بمكة لكفار قريش، لأبى سفيان وغيره: أنفقوا على المساكين من الذى زعمتم أنه لله، وذلك أنهم كانوا يجعلون نصيبًا لله من الحرث والأنعام بمكة، للمساكين، فيقولون: هذا لله بزعمهم، ويجعلون للآلهة نصيبًا، فإن لم يزك ما جعلوه للآلهة من الحرث والأنعام، وزكا ما جعلوه لله عز وجل ليس للآلهة شيء، وهى تحتاج إلى نفقة، فأخذوا ما جعلوه لله، قالوا: لو شاء الله لأزكى نصيبه ولا يعطون المساكين شيئًا مما زكى لآلهتهم.

فقال المؤمنون لكفار قريش: أنفقوا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فقالت كفار قريش: ﴿أَنُطْعِمُ﴾ المساكين الذى للآلهة ﴿مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ يعنى رزقه لو شاء الله لأطعمه، وقالوا لأصحاب النبى ﷺ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٤٧].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤٨] بأن العذاب نازل بنا فى الدنيا يقول الله عز وجل: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ لا مثنوية لها ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [آية: ٤٩] وهم يتكلمون فى الأسواق، والمجالس، وهم أعز ما كانوا.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ يقول: أعجلوا عن التوصية فماتوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٥٠] يقول: ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق، فأخبر الله عز وجل بما يلقون فى الأولى.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ
بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ
إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ
فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

ثم أخبر بما يلقون فى الثانية إذا بعثوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [آية: ٥١] يخرجون إلى الله عز وجل من قبورهم أحياء، فلما رأوا العذاب ذكروا قول الرسل فى الدنيا: أن البعث حق.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ وذلك أن أرواح الكفار كانوا يعرضون على منازلهم من النار طرفى النهار كل يوم، فلما كان بين النفختين رفع عنهم العذاب فرقدت تلك الأرواح بين النفختين، فلما بعثوا فى النفخة الأخرى وعاينوا فى القيامة ما كذبوا به فى الدنيا من البعث والحساب، فدعوا بالويل، ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «من ميتتنا»، قال حفظتهم من الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ على ألسنة الرسل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٥٢].

وذكر النفخة الثانية، فقال سبحانه: ﴿إِن﴾ يعنى ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من إسرافيل ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾ الخلق كلهم ﴿لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [آية: ٥٣] بالأرض المقدسة فلسطين لنحاسبهم.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٥٤] من الكفر جزاء الكافر النار.

ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿فِي شُغُلٍ﴾ يعنى شغلوا بالنعيم، بافتضاض العذارى عن ذكر أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم، ثم قال جل وعز: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [آية: ٥٥] فكهون يعنى معجبين بما هم فيه شغل النعيم والكرامة.

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ يعنى الحور العين حلائلهم ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ ومن قرأ فاكهون، يعنى ناعمين فى ظلال كبار القصور ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على السرر عليها الحجال ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [آية: ٥٦].

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ فى الجنة ﴿فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [آية: ٥٧] يتمنون ما شاءوا من

الخير ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [آية: ٥٨] وذلك أن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾ واعتزلوا ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٥٩] وذلك حين اختلط الإنس والجن والدواب دواب البر والبحر والطير، فاقتص بعضهم من بعض، ثم قيل لهم: كونوا ترابًا فبقى الإنس والجن خليطين إذ بعث الله عز وجل إليهم مناديًا أن امتازوا اليوم يقول: اعتزلوا اليوم أيها المجرمون، من الصالحين.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾ الذين أمروا بالاعتزال ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فى الدنيا ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ يعنى إبليس وحده، ولا تطيعوه فى الشرك ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦٠] بين العداوة.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ يقول: وحدونى ﴿هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آية: ٦١] دين الإسلام لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ﴾ إبليس ﴿مِنكُمۡ﴾ عن الهدى ﴿جِبِلّٗا﴾ خلقًا ﴿كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٢].

فلما دنوا من النار قالت لهم خزانتها: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٦٣] فى الدنيا، فلما ألقوا فى النار قالت لهم الخزنة: ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٦٤] فى الدنيا.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ﴾ وذلك أنهم سئلوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، فقالوا: والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله جل وعز على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بشركهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٦٥] بما كانوا يقولون من الشرك.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ

إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ نزلت فى كفار مكة يقول: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ ولو طمست الكفر لاستبقوا الصراط يقول: لأبصروا طريق الهدى، ثم قال جل وعز: ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ٦٦] فمن أين يبصرون الهدى إن لم أعم عليهم طريق الضلالة.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ يقول تعالى: لوشئت لمسختهم حجارة فى منازلهم ليس فيها أرواح ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لا يتقدمون ولا يتأخرون.

﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ﴾ فنطول عمره ﴿نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾ نزلت فى عقبة بن أبى معيط وأصحابه، قالوا: إن القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ أن يعلمه ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ تفكر ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦٩] بيّن.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ يعنى لتنذر يا محمد بما فى القرآن من الوعيد ﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ من كان مهديًا فى علم الله عز وجل ﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ ويجب العذاب ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٠] بتوحيد الله عز وجل.

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ من فعلنا ﴿أَنۡعَٰمٗا﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [آية: ٧١] ضابطين.

﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا﴾ كقوله عز وجل: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٤] وذللناها فيحملون عليها ويسوقونها حيث شاءوا، ولا تمتنع منها ﴿لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ﴾ حمولتهم الإبل والبقر ﴿وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى الغنم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ فى الأنعام ومنافع فى الركوب عليها، والحمل عليها، وينتفعون بأصوافها وأوبارها، وأشعارها، ثم قال عز وجل: ﴿وَ﴾ فيها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣].

ثم قال جل وعز: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يعنى اللات والعزى ومناة ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٧٤] لكى تمنعهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب.

ثم قال جل وعز: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [آية: ٧٥] يقول كفار مكة للآلهة حزب يغضبون لها، ويحضرونها فى الدنيا.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ كفار مكة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من التكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٧٦] يظهرون من القول بألسنتهم حين قالوا للنبى ﷺ: كيف يبعث الله هذا العظم علانية، نزلت فى أبى بن خلف الجمحى فى أمر العظم، وكان قد أضحكهم بمقالته فهذا الذى أعلنوا، وذلك أن أبا جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة ابنى ربيعة، وعقبة، والعاص بن وائل، كانوا جلوسًا، فقال لهم أبى بن خلف، قال لهم فى النفر من قريش: إن محمدًا يزعم أن الله يحيى الموتى، وأنا آتيه بعظم فأسأله كيف يبعث الله هذا؟ فانطلق أبى بن خلف فأخذ عظمًا باليًا، حائلاً نخرًا، فقال: يا محمد، تزعم أن الله يحيى الموتى بعد إذ بليت عظامنا وكنا ترابًا تزعم أن الله يبعثنا خلقًا جديدًا، ثم جعل يفت العظم، ثم يذريه فى الريح، ويقول: يا محمد من يحيى هذا؟ فقال النبى ﷺ: «يحيى الله عز وجل هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك، ثم يدخلك نار جهنم».

فأنزل الله عز وجل فى أبى بن خلف: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعنى أو لم يعلم الإنسان ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٧] بين الخصومة فيما يخاصم النبى ﷺ عن البعث، ثم قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ وصف لنا شبها فى أمر العظم ﴿وَنَسِيَ

خَلْقَهُۥ﴾ وترك المنظر فى بدء خلق نفسه إذ خلـق مـن نطفـة، و لم يكـن قبـل ذلـك شيئًا فـ ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [آية: ٧٨] يعنى بالية.

﴿قُلۡ﴾ يـا محمـد لأبـى ﴿يُحۡيِيهَا﴾ يـوم القيامـة ﴿ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾ خلقـهـا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ فى الدنيا و لم تك شيئًا ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٩] عليـم بخلقـهم فـى الدنيا عليم بخلقهم فى الآخرة بعد الموت خلقًا جديدًا.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [آيـة: ٨٠] فـالذى يخرج من الشجر الأخضر النار، فهو قادر على البعث، ثم ذكر مـا هـو أعظـم خلقـًا مـن خلق الإنسان.

﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فقال جل وعز: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ هذا أعظـم خلقـًا مـن خلـق الإنسان ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ﴾ فى الأرض ﴿مِثۡلَهُمۚ﴾ مثل خلقهم فى الدنيا، ثم قال لنفسه تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ قادر علـى ذلـك ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آيـة: ٨١] بخلقـهم فـى الآخرة العليم ببعثهم.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾ أمـر البعـث وغـيره ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾ مـرة واحـدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٨٢] لا يثنى قوله.

ثم عظم نفسه عـن قولهـم، فقـال عـز وجـل: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ خلـق ﴿كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ﴾ من البعث وغيره ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٨٣] إلى الله عز وجل بعد الموت لتكذيبهم.

* * *

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سورة الصافات مكية، وعددها مائة واثنتان وثمانون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [آية: ١] يعنى عز وجل صفوف الملائكة.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [آية: ٢] الملائكة يعنى بـه الرعـد، وهـو ملـك اسمـه الرعـد يزجر السحاب بصوته يسوقه إلى البلد الذى أمر أن يمطره، والبرق مخاريق مـن نـار يسوق بـها السحاب، فإذا صف السحاب بعضه إلى بعض سطع منه نار فيصيـب الله بـه مـن يشـاء، وهى الصاعقة التى ذكر الله عز وجل فى الرعد.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [آية: ٣] يعنى به الملائكة، وهو جبريل وحده، عليه السـلام، يتلـو القرآن على الأنبياء من ربهم، وهو الملقيات ذكرًا، يلقى الذكر علـى الأنبيـاء، وذلـك أن كفار مكة قالوا: يجعل محمد ﷺ الآلهة إلهًا واحدًا.

فأقسم الله بهؤلاء الملائكة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يعنى أن ربكم ﴿لَوَٰحِدٌ﴾ [آية: ٤] ليس له شريك، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال عز وجـل: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: أنا رب ما بينهما من شىء من الآلهة وغيرها ﴿وَ﴾ أنـا ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [آيـة: ٥] يعنى مائة وسبعة وسبعين مشرقًا فى السنة كلها، والمغارب مثل ذلك.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

ثـم قـال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ لأنـها أدنـى السـماء مـن الأرض وأقربـهـا ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [آية: ٦] وهى معلقة فى السماء بهيئة القناديل.

﴿وَحِفۡظٗا﴾ زينة السماء بالكواكب ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ [آية: ٧] متمرد على الله عز وجل فى المعصية.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ يعنى الملائكة وكانوا قبل النبى ﷺ يسمعون كلام الملائكة ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ ويرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾ [آية: ٨] من كل ناحية.

﴿دُحُورٗاۖ﴾ يعنى طردًا بالشهب من الكواكب، ثم ترجع الكواكب إلى أمكنتها ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾ [آية: ٩] يعنى دائم للشياكين من يستمع منهم، ومن لم يستمع عذاب دائم فى الآخرة والكواكب تجرح ولا تقتل، نظيرها فى تبارك: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾ [تبارك: ٥].

﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ﴾ من الشياطين ﴿ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ يخطف من الملائكة ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [آية: ١٠] من الملائكة الكواكب، يعنى بالشهاب الثاقب، نارًا مضيئة، كقول موسى: ﴿**أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ**﴾ [النمل: ٧]، يعنى بنار مضيئة، فيها تقديم.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ (١١) بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (١٥)﴾

قال جل وعز: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ يقول سلهم ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ نزلت فى أبى الأشدين واسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى، وإنما كنى أبا الأشدين لشدة بطشه، وفى ركانة بن عبد يزيد بن هشام بن عبد مناف، يقول: سل هؤلاء أهم أشد خلقًا بعد موتهم لأنهم كفروا بالبعث ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ يعنى خلق السماوات والأرض، وما بينهما والمشارق، لأنهم يعلمون أن الله جل وعز خلق هذه الأشياء، ثم أخبر عن خلق الإنسان، فقال جل وعز: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم﴾ يعنى آدم ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [آية: ١١] يعنى لازب بعضه فى البعض فهذا أهون خلقًا عند هذا المكذب بالبعث من خلق السماوات والأرض وما بينهما والمشارق، ونزلت فى أبى الأشدين أيضًا ﴿**أأنتم أشد خلقًا**﴾ بعثًا بعد الموت ﴿**أم السماء بناها**﴾ [النازعات: ٢٧].

ثم قال: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ يا محمد من القرآن حين أوحى إليك نظيرها فى الرعد: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ**﴾ من القرآن ﴿**فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾ [الرعد: ٥]، فاعجب من قولهم

بتكذيبهم بالبعث، ثم قال جل وعز: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى كفار مكة سخروا من النبى ﷺ حين سمعوا منه القرآن.

ثم قال: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾ [آية: ١٣] وإذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ يعنى انشقاق القمر بمكة فصار نصفين ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [آية: ١٤] سخروا، فقالوا: هذا عمل السحرة.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٥] نظيرها اقتربت الساعة: ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ١٦] بعد الموت. ﴿أَوَ﴾ يبعث ﴿ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ١٧] قالوا ذلك تعجبًا، يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [آية: ١٨] وأنتم صاغرون.

ثم أخبر عنهم عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة من إسرافيل لا مثنوية لها ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٩] إلى البعث الذى كذبوا به، فلما نظروا وعاينوا البعث ذكروا قول الرسل إن البعث حق.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٢٠] يوم الحساب الذى أخبرنا به النبى ﷺ فردت عليهم الحفظة من الملائكة.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القضاء ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢١] بأنه كائن.

﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الذين أشركوا من بنى آدم ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناءهم من

الشياطين الذين أظلوهم وكل كافر مع شيطان في سلسلة واحدة ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني إبليس وجندة نزلت في كفار قريش نظيرها في يس: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ**﴾ الآية ﴿**أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ [يس: ٦]، يعني إبليس وحده ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ يعني ادعوهم إلى طريق ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٢٣] والجحيم ما عظم الله عز وجل من النار.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [آية: ٢٤] فلما سيقوا إلى النار حبسوا فسألهم خزنة جهنم ألم تأتكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين يقول الخازن: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [آية: ٢٥] نظيرها في الشعراء: ﴿**هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ**﴾ [الشعراء: ٩٣] يقول الكفار: ما لشركائكم الشياطين لا يمنعونكم من العذاب.

يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [آية: ٢٦] للعذاب ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] يتكلمون ﴿قَالُوٓاْ﴾: قال قائل من الكفار لشركائهم الشياطين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٢٨] يعنون من قبل الحق، نظيرها في الحاقة: ﴿**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾ [الحاقة: ٤٥] بالحق، وقالوا للشياطين: أنتم زينتم لنا ما نحن عليه، فقلتم إن هذا الذي نحن عليه هو الحق.

﴿قَالُواْ﴾ قالت لهم الشياطين: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٩] مصدقين بتوحيد الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من ملك فنكرهكم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [آية: ٣٠] عاصين.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

ثم قالت الشياطين: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ يوم قال لإبليس: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ**﴾ [ص: ٨٥] الآية ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [آية: ٣١] ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ يعني أضللناكم عن الهدى ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ [آية: ٣٢] ضالين.

يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ للكفار والشياطين ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٤] ثم أخبر عنهم جل وعز: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٣٥] يتكبرون عن الهدى نزلت فى الملأ من قريش الذين مشوا إلى ابى طالب، فقال لهم النبى ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم بها».

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [آية: ٣٦] فقال جل وعز: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى محمدًا ﷺ جاء بالتوحيد ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٣٧] قبله ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى الوجيع.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٣٩] فى الدنيا من الشرك، جزاء الشرك النار، ثم استثنى المؤمنين، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٤٠] بالتوحيد لا يذوقون العذاب، فأخبر ما أعد لهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

فقال جل وعز: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ٤١] يعنى بالمعلوم حين يشتهونه يؤتون به.

ثم بين الرزق، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [آية: ٤٢] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٤٣] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [آية: ٤٤] فى الزيارة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ يعنى يتقلب عليهم بأيدى الغلمان الخدم ﴿بِكَأْسٍ﴾ يعنى الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ [آية: ٤٥] يعنى الجارى ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [آية: ٤٦] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا غائلة عليها يرجع منها الرأس كفعل خمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى يسكرون فتنزف عقولهم كخمر الدنيا.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حافظات النظر من الرجال غير أزواجهن لا يرون غيرهم من العشق، ثم قال: ﴿عِينٌ﴾ [آية: ٤٨] يعنى حسان الأعين، ثم شبههن ببياض البيض الذى الصفرة فى جوفه، فقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [آية: ٤٩].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٥٠] أى أهل الجنة حين يتكلمون، يكلم بعضهم بعضًا يقول:

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ [آية: ٥١] وذلك أن أخوين من بنى إسرائيل اسم أحدهما فطرس والآخر سلخا ورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فأما أحدهما فأنفق ماله فى طاعة الله عز وجل، والمشرك الآخر أنفق ماله فى معصية الله عز وجل ومعيشة الدنيا، وهما اللذان ذكرهما الله عز وجل فى سورة الكهف. فلما صار إلى الآخرة أدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فلما أدخل الجنة المؤمن ذكر أخاه، فقال لإخوانه من أهل الجنة: إنى كان لى قرين، يعنى صاحب

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [آية: ٥٢] بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لمحاسبين فى أعمالنه ثم ﴿قَالَ﴾ المؤمن لأخوانه فى الجنة ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [آية: ٥٤] إلى النار فتنظرون منزلة أخى فردوا عليه أنت أعرف به منا، فاطلع أنت، ولأهل الجنة فى منازلهم كوى، فإذا شاءوا نظروا إلى أهل النار ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ المؤمن ﴿فَرَءَاهُ﴾ فرأى أخاه ﴿فِى سَوَآءِ﴾ يعنى فى وسط ﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥٥] أسود الوجه أزرق العينين مقرونًا مع شيطانه فى سلسلة ﴿قَالَ﴾ المؤمن ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [آية: ٥٦] لتغوين، فأنزل منزلك فى النار.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ يقول: لولا ما أنعم الله على بالإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [آية: ٥٧] النار، ثم انقطع الكلام، ثم أقبل المؤمن على أصحابه، فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [آية: ٥٨] عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت، فليس بتام ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التى كانت فى الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٥٩] فقيل له: إنك لا تموت فيها.

فقال عند ذلك: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٠] ثم انقطع كلام المؤمن.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا
جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا
كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ
ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يقول الله عز وجل: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ النعيم الذى ذكر قبل هذه الآية فى قوله: ﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ [الصافات: ٤١]. ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٦١] فليسارع المسارعين.

يقول الله عز وجل: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ للمؤمنين ﴿أَمْ﴾ نزل الكافر ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [آية: ٦٢] وهى النار للذين استكبروا عن لا إله إلا الله حين أمرهم النبى ﷺ بها، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ يعنى الزقوم ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٦٣] يعنى لمشركى مكة منهم عبد الله بن الزبعرى، وأبو جهل بن هشام، والملأ من قريش الذين مشوا إلى أبى طلب، وذلك أن ابن الزبعرى، قال: إن الزقوم بكلام اليمن التمر والزبد، فقال أبو جهل: يا جارية، ابغنا تمرًا وزبدًا، ثم قال لأصحابه: تزقموا من هذا الذى يخوفنا به محمد، يزعم أن النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر، فكان الزقوم فتنة لهم، فأخبر الله عز وجل أنها لا تشبه النخل، ولا طلعها كطلع النخل.

فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾ تنبت ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٦٤] ﴿طَلْعُهَا﴾ تمرها ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [آية: ٦٥] ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ من ثمرتها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ من ثمرها ﴿ٱلْبُطُونَ﴾ [آية: ٦٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ يعنى لمزاجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [آية: ٦٧] يشربون على إثر الزقوم الحميم الحار الذى قد انتهى حره.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد الزقوم وشرب الحميم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٦٨] وذلك قوله عز وجل: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾ [الرحمن: ٤٤] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [آية: ٦٩] عن الهدى ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول: يسعون فى مثل أعمال آبائهم.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٧١] من الأمم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ [آية: ٧٢] ينذرونهم العذاب فكذبوا الرسل فعذبهم الله عز وجل فى الدنيا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٧٣] يحذر كفار مكة لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم العذاب فى الدنيا.

ثم استثنى، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٧٤] الوحدين، فإنهم نجوا من العذاب بالتوحيد ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ فى اقتربت: ﴿**أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾ [القمر: ١٠] وفى الأنبياء [الآية: ٧٦]، فأنجاه ربه فغرقهم بالماء، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى الرب نفسه تعالى.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٦] الهول الشديد وهو الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ ولد نوح ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [آية: ٧٧] وذلك أن أهل السفينة ماتوا، ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح، وكان الناس من ولد نوح، فلذلك قال: ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فقال النبى ﷺ: «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش».

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ٧٨] يقول: ألقينا على نوح بعد موته ثناء حسنًا، يقال له: من بعده فى الآخرين خير، فذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٩] يعنى بالإسلام الثناء الحسن الذى ترك عليه من بعده فى الناس.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٨٠] هكذا نجزى كل محسن فجزاه الله عز وجل بإحسانه الثناء الحسن فى العالمين.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ
لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً
فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨١] يعنى المصدقين بالتوحيد ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾

[آية: ٨٢] يعنى قوم نوح ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٨٣] يقول: إبراهيم على ملة نوح، عليهما السلام، قال الفراء: إبراهيم من شيعته محمد ﷺ.

قال أبو محمد: سألت أبا العباس عن ذلك، فقال: كل من كان على دين رجل فهو من شيعته، كل نبى من شيعة إبراهيم صاحبه، فإبراهيم من شيعة محمد، ومحمد من شيعة إبراهيم، عليهما السلام.

﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [آية: ٨٤] يعنى بقلب مخلص من الشرك ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٨٥] من الأصنام ﴿أَئِفۡكًا﴾ يعنى أكذبًا ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [آية: ٨٦].

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٧] إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ﴿فَنَظَرَ﴾ إبراهيم ﴿نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ﴾ [آية: ٨٨] يعنى الكواكب وذلك أنه رأى نجمًا طلع ﴿فَقَالَ﴾ لقادتهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [آية: ٨٩] وهم ذاهبون إلى عبدهم إنى سقيم يعنى وجيع، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام كانت اثنين وسبعين صنمًا من ذهب وفضة وشبه ونحاس وحديد وخشب، وكان أكبر الأصنام عيناه من ياقوتتين حمراوين، وهو من ذهب وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم دخلوا قبل أن يخرجوا فيسجدون لها ويقربون الطعام، ثم يخرجون إلى عيدهم، فإذا رجعوا من عيدهم، فدخلوا عليها سجدوا لها ثم يتفرقون، فلما خرجوا إلى عيدهم اعتل إبراهيم بالطاعون، وذلك أنهم كانوا ينظرون فى النجوم، فنظر إبراهيم فى النجوم، فقال: إنى سقيم، قال الفراء: كل من عمل فيه النقص ودب فيه الفناء وكان منتظرًا للموت فهو سقيم.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾ [آية: ٩٠] ذاهبين وقد وضعوا الطعام والشراب بين يدى آلهتهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ إلى الصنم الكبير وهو فى بيت ﴿فَقَالَ﴾ للآلهة ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾

[آية: ٩١] الطعام الذى بين أيديكم ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ [آية: ٩٢] ما لكم لا تكلمون؟ ما لكم لا تردن جوابًا، أتأكلون، أو لا تأكلون.

﴿فَرَاغَ﴾ يعنى فمال إلى آلهتهم ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنى فأقبل عليهم ﴿ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [آية: ٩٣] بيده اليمنى يكسرهم بالفأس، فلما رجعوا من عيدهم، ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾ [آية: ٩٤] يمشون إلى إبراهيم يأخذونه بأيديهم فـ ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾ [آية: ٩٥] وما تنحتون من الأصنام ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٦] وما تنحتون من الأصنام.

قال أبو محمد: قال الفراء: ﴿ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ الذى حلفها عليها، فقال: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ [الأنبياء: ٥٧]، قال أبو محمد: حدثنى هناد، قال: حدثنا ابن يمان، قال: رأيت سفيان جائيًا من السوق بالكوفة، فقلت: من اين أقبلت؟ قال: من دار الصيادلة نهيتهم عن بيع الداذى، وإنى لأرى الشىء أنكره فلا أستطيع تغييره، فأبول دمًا رجع إلى قول مقاتل.

﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا﴾ قال ابن عباس: بنوا حائطًا من حجارة طوله فى السماء ثلاثون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا ﴿فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ٩٧] فى نار عظيمة قال الله عز وجل فى سورة الأنبياء: ﴿**يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم**﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ﴿**وأرادو به كيدًا**﴾ [الأنبياء: ٧٠] سوءًا، الآية وعلاهم إبراهيم، عليه السلام، وسلمه الله عز وجل وحجزهم عنه، فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى أهلكهم الله عز وجل، فما بقيت يومئذ دابة إلا جعلت تطفئ النار عن إبراهيم، عليه السلام، غير الوزغ كانت تنفخ النار على إبراهيم، فأمر النبى ﷺ بقتلها.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [آية: ٩٨] ﴿وَقَالَ﴾ وهو ببابل ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ يعنى مهاجر ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى رضى ربى بالأرض المقدسة ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ [آية: ٩٩] لدينه، وهو أول من هاجر من الخلق، وعه لوط وسارة، فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد، فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٠٠] هب لى ولدًا صالحًا، فاستجاب له.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ
عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣
وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
١١٥﴾

﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [آية: ١٠١] يعنى عليم، وهو العالم، وهو إسحاق بن سارة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ﴾ مع أبيه ﴿ٱلسَّعۡيَ﴾ المشى إلى الجبل ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ﴾ لنذر كان عليه فيه يقول: إنى أمرت فى المنام ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ فرد عليه إسحاق ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ وأطع ربك فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم، عليهما السلام، افعل ما رأيت، ورأى إبراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات، وكان إسحاق قد صام وصلى قبل الذبح ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٠٢] على الذبح.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ يقول: أسلما لأمر الله وطاعته ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [آية: ١٠٣] وكبه لجبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه عرف الله تعالى منهما الصدق، قال الفراء فى قوله عز وجل: ﴿مَاذَا تَرَىٰۚ﴾؟: مضموم التاء، قال: المعنى ما تُرى من الجلد والصبر على طاعة الله عز وجل، ومن قرأ «ترى» أراد إبراهيم أن يعلم ما عنده من العزم، ثم هو ماض على ذبحه، كما أمره الله عز وجل رجع إلى مقاتل.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ فى ذبح ابنك، وخذ الكبش ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٠٥] هكذا نجزى كل محسن فجزاه الله عز وجل بإحسانه وطاعته، العفو عن ابنه إسحاق.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى النعيم المبين حين عفا عنه وفدى بالكبش ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [آية: ١٠٧] ببيت المقدس الكبش اسمه رزين وكان من الوعل رعى فى الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ وأبقينا ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٠٨] الثناء الحسن يقال له من بعد موته في الأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آية: ١٠٩] يعني بالسلام الثناء الحسن، يقال له من بعده في أهل الأديان، في الناس كلهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١١٠] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١١] يعني المصدقين بالتوحيد ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١١٢] يقول: وبشرنا إبراهيم بنبوة إسحاق بعد العفو عنه ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ إبراهيم وإسحاق ﴿مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ يعني مشرك ﴿مُبِينٌ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [آية: ١١٤] بالنبوة وهلاك عدوهما ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١١٥].

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على عدوهم. ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [آية: ١١٦] لفرعون وقومه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [آية: ١١٧] يقول: أعطيناهم التوارة المستبين يعني بين ما فيه.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [آية: ١١٨] دين الإسلام ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [آية: ١١٩] أبقينا من بعدهما الثناء الحسن يقال لهما بعدهما، وذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [آية: ١٢٠] يعني بالسلام الثناء الحسن.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٢١] هكذا نجزي كل من أحسن ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢٢] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ ابن فنحن ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٢٣].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٢٤] يعنى ألا تعبدون ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون ربا بلغة اليمن الإله يسمى بعلاً وكان صنمًا من ذهب ببعلبك بأرض الشام، فكسره إلياس، ثم هرب منهم.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ عبادة ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [آية: ١٢٥] فلا تعبدونه ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٢٦] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فكذبوا إلياس النبى، عليه السلام، ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [آية: ١٢٧] النار.

ثم استثنى ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى المصدقين لا يحضرون النار ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٢٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [آية: ١٣٠] يعنى بالسلام الثناء الحسن والخير الذى ترك عليه فى الآخرين.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ
﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٣١] هكذا نجزى كل محسن ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٢] المصدقين بالتوحيد.

قال الفراء، عن حيان الكلبى: إل ياسين يعنى به النبى ﷺ، فإذا قال سلام على إل ياسين، فالمعنى سلام على آل محمد ﷺ، وآل كل نبى من اتبعه على دينه، وآل فرعون من اتبعه على دينه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ [غافر: ٤٦]. راجع إلى مقاتل.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٣٣] أرسل إلى سدوم، ودارموا، وعاموراء، وصابورا، أربع مدائن كل مدينة مائة ألف ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى ابنتيه ريثا، وزعونا.

ثم استثنى امرأة، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٣٥] يعنى فى

الباقين فى العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [آية: ١٣٦] نظيرها فى الشعراء ﴿الآخرين﴾ [الشعراء: ١٧٢]، ثم أهكلنا بقيتهم بالخسف والحصب.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [آية: ١٣٧] ﴿وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٣٨] على القرى نهارًا وليلاً وغدوة وعشية، إذا انطلقتم إلى الشام إلى التجارة، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ﴾ وهو ابن متى من أهل نينوى ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٣٩] كان من بنى إسرائيل.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [آية: ١٤٠] الموقر من الناس والدواب، فساهم وذلك أنه دخل السفينة، فلف رأسه ونام فى جانبها، فوكل الله عز وجل به الحوت، واسمها اللخم، فاحتبست سفينتهم و لم تجر، فخاف القوم الغرق، فقال بعضهم لبعض: إن فينا لعبدًا مذنبًا، قالوا له وهو ناحيتها: يا عبد الله من أنت؟ ألا ترى أنا قد غرقنا؟ قال: أنا المطلوب أنا يونس بن متى، فاقذفونى فى البحر.

قالوا: نعوذ بالله أن نقذفك يا رسول الله، فقارعهم ثلاث مرات كل ذلك يقرعونه، فقالوا: لا، ولكن نكتب أسماءنا، ثم نقذف بها فى الماء، ففعل ذلك، فقالوا: اللهم إن كان هذا طلبتك، فغرق اسمه، وخرج أسماءنا، فغرق اسمه وارتفعت أسماؤهم، ثم قالوا الثانية: اللهم إن كنت إياه تطلب فغرق أسماءنا وارفع اسمه، فغرقت أسماؤهم، وارتفع اسمه، ثم قالوا الثالثة: اللهم إن كنت إياه تطلب فغرق اسمه، وارفع أسماءنا، فغرق اسمه وارتفعت أسماؤهم، فلما رأوا ذلك ثلاث مرات أخذوا بيده ليقذفوه فى الماء.

و لم يكن أوحى الله إلى الحوت ماذا الذى يريد به؟ فلما قذف أوحى إلى الحوت، وليس بينه وبين الماء إلا شبران، لى فى عبدى حاجة إنى لم أجعل عبدى لك رزقًا، ولكن جعلت بطنك له مسجدًا، فلا تحسرى له شعرًا وبشرًا، ولا تردى عليه طعامًا ولا شرابًا، قال: فقال له الماء والريح: أين أردت أن تهرب؟ من الذى يعبد فى السماء والأرض، فوالله إنا لنعبده، وإنا لنخشى أن يعاقبنا، وجعل يونس يذكر الله عز وجل، ويذكر كل شىء صنع ولا يدعوه فألهمه الله جل وعز عند الوقت، فدعاه ففلق دعاءه البحر والسحاب، فنادى بالتوحيد، ثم نزه الرب عز وجل، أنه ليس أهل لأن يعصى، ثم اعترف، فقال: ﴿**لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٨].

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [آية: ١٤١] يعنى فقارعهم فكان من المقروعين

المغلوبين ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [آية: ١٤٢] يعنى استلام إلى ربه، قال الفراء: ألام الرجل إذا استحق اللوم وهو مليم، وقال أيضًا: وليم على أمر قد كان منه، فهو ملوم على ذلك، رجع إلى قول مقاتل.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ﴾ قبل أن يلتقمه الحوت ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [آية: ١٤٣] يعنى من المصلين قبل المعصية، وكان فى زمانه كثير الصلاة والذكر لله جل وعز، فولا ذلك ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ عقوبة فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٤٤] الناس من قبورهم.

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ يعنى البرارى من الأرض التى ليس فيها نبت ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [آية: ١٤٥] يعنى مستقام وجيع ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [آية: ١٤٦] يعنى من قرع يأكل منها، ويستظل بها، وكانت تختلف إليه، وعلة فيشرب من لبنها ولا تفارقه.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ قبل أن يلتقمه الحوت ﴿إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ﴾ من الناس ﴿أَوْ﴾ يعنى بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ [آية: ١٤٧] عشرون ألفًا على مائة ألف كقوله عز وجل: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩] يعنى بل أدنى أرسله إلى نينوى. ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ فصدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٤٨] منتهى آجالهم.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: وقال مقاتل: كل شىء ينبسط مثل القرع والكرم والقثاء والكشوتا، ونحوها فهو يسمى يقطينًا.

قال الفراء: قال ابن عباس: كل ورقة انشقت واستوت، فهى يقطين.

وقال أبو عبيدة: كل شجرة لا تقوم على ساق، فهى يقطين.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ يقول للنبى ﷺ فاسأل كفار مكة منهم النضر بن الحارث ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ [آية: ١٤٩] فسألهم النبى ﷺ فى الطور والنجم وذلك أن جهينة، وبنى سلمة عبدوا الملائكة وزعموا أن حيًا من الملائكة يقال لهم: الجن منهم إبليس أن الله عز وجل اتخذهم بنات لنفسه، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم قالوا: سروات الجن.

يقول الله عز وجل: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ [آية: ١٥٠] الخلق الملائكة إنهم أناث نظيرها فى الزخرف. ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ١٥١].

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٥٢] فى قولهم، يقول الله عز وجل: ﴿أَصۡطَفَى﴾ استفهام، أختار ﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ [آية: ١٥٣] والبنون أفضل من البنات ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [آية: ١٥٤] يعنى كيف تقضون الجور حين يزعمون أن الله عز وجل البنات ولكم البنون.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٥٥] أنه لا يختار البنات على البنين ﴿أَمۡ لَكُمۡ﴾ بما تقولون ﴿سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٥٦] كتاب من الله عز وجل أن الملائكة بنات الله ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٥٧].

ثم قال جل وعز: ﴿وَجَعَلُواْ﴾ ووصفوا ﴿بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ بين الرب تعالى، والملائكة حين زعموا أنهم بنات الله عز وجل ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ [آية: ١٥٨] لقد علم ذلك الحى من الملائكة، ومن قال: إنهم بنات الله إنهم لمحضرون النار

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ (١٧٤) وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ (١٧٦) ﴾

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ١٥٩] عما يقولون من الكذب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [آية: ١٦٠] الموحدين، فإنهم لا يحضرون النار.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ١٦١] من الآلهة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما تعبدون من الأصنام ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ [آية: ١٦٢] يقول: بمضلين أحدًا بآلهتكم ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ١٦٣] إلا من قدر الله عز وجل أنه يصلى الجحيم، وسبقت له الشقاوة.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ١٦٤] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [آية: ١٦٥] يعنى صفوف الملائكة فى السماوات فى الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [آية: ١٦٦] يعنى المصلين، يخبر جبريل النبى ﷺ بعبارتهم لربهم عز وجل، فكيف يعبدهم كفار مكة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ١٦٧] كفار مكة ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٦٨] خبر الأمم الخالية كيف أهلكوا، وما كان من أمرهم.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ١٦٩] بالتوحيد نزلت فى الملأ من قريش، فقص الله عز وجل عليهم خبر الأولين، وعلم الآخرين ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٧٠] هذا وعيد يعنى القتل ببدر.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٧١] يعنى الأنبياء، عليهم السلام، يعنى بالكلمة قوله عز وجل: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١]، فهذه الكلمة التى سبقت للمرسلين.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [آية: ١٧٢] على كفار قريش ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ١٧٣] حزبنا يعنى المؤمنين لهم الغالبون الذين نجوا من عذاب الدنيا والآخرة، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٧٤] يقول الله عز وجل للنبى ﷺ فأعرض عن كفار مكة إلى العذاب إلى القتل ببدر.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ببدر ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٧٥] العذاب، فقالوا للنبى ﷺ: متى هذا الوعد؟ تكذيبًا به، فأنزل الله عز وجل ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [آية: ١٧٦].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بحضرتهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ﴾ فبئس صباح ﴿الْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ١٧٧] الذين أنذروا العذاب، ثم عاد فقال عز وجل: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٧٨] أعرض عنهم إلى تلك المدة القتل ببدر.

﴿وَأَبْصِرْ﴾ وأبصر العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٧٩] العذاب، ثم نزه نفسه عن قولهم، فقال جل وعز: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ يعني عزة من يتعزز من ملوك الدنيا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨٠] عما يقولون من الكذب إن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٨١] الذين بلغوا عن الله التوحيد ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٨٢] على هلاك الآخرين الذين لم يوحدوا ربهم.

* * *

سُورَةُ صٓ

مكية، عددها ثمان وثمانون آية، كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن
قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ
هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ (٥) وَٱنطَلَقَ
ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىۡءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ
ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ (٧) أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِى شَكٍّ مِّن ذِكۡرِىۖ بَل
لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ (٨) أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ (٩) أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِى ٱلۡأَسۡبَٰبِ (١٠)﴾

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ [آية: ١] يعنى ذا البيان ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالتوحيد من أهل مكة ﴿فِى عِزَّةٍ﴾ يعنى فى حمية، كقوله فى البقرة: ﴿) **أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالأَثْمِ**﴾ [البقرة: ٢٠٦] الحمية ﴿وَشِقَاقٍ﴾ [آية: ٢] اختلاف.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾ من قبل كفار مكة ﴿مِّن قَرۡنٍ﴾ من أمة بالعذاب فى الدنيا، الأمم الخالية ﴿فَنَادَواْ﴾ عند نزول العذاب فى الدنيا ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [آية: ٣] يعنى ليس هذا بحين قرار فخوفهم لكيلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

ثم قال جل وعز: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾ محمد ﷺ ﴿مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ رسول منهم ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ يفرق بين الاثنين ﴿كَذَّابٌ﴾ [آية: ٤] يعنون النبى ﷺ حين يزعم أنه رسول.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ﴾ [آية: ٥] وذلك حين أسلم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فشق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ وهم سبعة وعشرون رجلاً، والملأ فى كلام العرب الأشراف منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأمية وأبى ابنا خلف، وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ إلى أبى طالب ﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰٓ﴾ عبادة

﴿ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ نظيرها فى الفرقان: ﴿**لولا أن صبرنا عليها**﴾ [الفرقان: ٤٢] يعنى ثبتنا، فقال الله عز وجل، فى الجواب: ﴿**فإن يصبروا فالنار مثوى لهم**﴾ [فصلت: ٢٤]، فمشوا إلى أبى طالب، فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا فى أنفسنا وقد رأيت ما فعلت السفهاء وإنا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبى ﷺ فأتاه، فقال أبو طالب: هؤلاء قومك، يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبى ﷺ: «وماذا يسألونى»؟ قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال النبى ﷺ لهم: «أعطونى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدن لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينكها وعشرًا معها، فقال النبى ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله»، فنفروا من ذلك، فقاموا، فقالوا: أجعل، يعنى وصف محمد الآلهة إلهًا واحدًا أن تكون الآلهة واحدًا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ﴾ الأمر ﴿يُرَادُ﴾ [آية: ٦].

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الأمر الذى يقول محمد ﴿فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنى ملة النصرانية، وهى آخر الملل لأن النصارى يزعمون أن مع الله عيسى ابن مريم، ثم قال الوليد: ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [آية: ٧] من محمد تقوله من تلقاء نفسه.

ثم قال الوليد: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ ونحن أكبر سنًا وأعظم شرفًا، يقول الله عز وجل لقول الوليد: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِى شَكٍّ مِّن ذِكۡرِىۚ﴾ يعنى القرآن ﴿بَل لَّمَّا﴾ يعنى لم ﴿يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [آية: ٨] مثل قوله: ﴿**ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ [الحجرات: ١٤]، يعنى لم يدخل الإيمان فى قلوبكم.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ يعنى نعمة ربك، وهى النبوة، نظيرها فى الزخرف: ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك**﴾ [الزخرف: ٣٢]، يعنى النبوة يقول: بأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة، فيضعونها حيث شاءوا، فإنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾ [آية: ٩] الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ.

ثم قال: ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ يعنى كفار قريش يقول: ألهم ملكهما وأمرهما، بل الله يوحى الرسالة إلى من يشاء، ثم قال: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِى ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ [آية: ١٠] يعنى الأبواب إن كانوا صادقين بأن محمدًا ﷺ تخلقه من تلقاء نفسه، يقول الوليد: ﴿**إن هذا إلا اختلاق**﴾ الأسباب، يعنى الأبواب التى فى السماء، فليستمعوا

إلى الوحى حين يوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٍ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [آية: ١١] فأخبر الله تعالى بهزيمتهم ببدر مثل قوله: ﴿**سيهزم الجمع**﴾ [القمر: ٤٥] ببدر والأحزاب بنى المغيرة، وبنى أمية، وآل أبى طلحة.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ [آية: ١٢] كان يأخذ الرجل فيمده بين أربعة أوتاد، ووجهه إلى السماء، وكان يوثق كل رجل إلى سارية مستلقيًا بين السماء والأرض، فيتركه حتى يموت.

﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٍ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ يعنى غيضة الشجر، وهو المقل، وهى قرية شعيب يعزى النبى ﷺ ليصبر على تكذيب كفار مكة، كما كذبت الرسل قبله فصبروا، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ [آية: ١٣] يعنى الأمم الخالية.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [آية: ١٤] يقول: فوجب عقابى عليهم فاحذروا يا أهل مكة مثله فلا تكذبوا محمدًا ﷺ، فكذبوه بالعذاب فى الدنيا والآخرة، فقالوا: متى هذا العذاب؟.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى كفار مكة يقول: ما ينظرون بالعذاب ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعنى نفخة الأولى ليس لها مثنوية، نظيرها فى يس: ﴿**صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون**﴾ [يس: ٤٩] ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [آية: ١٥] يقول: ما لها من مرد ولا رجعة.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ وذلك أن الله عز وجل ذكر فى الحاقة أن الناس يعطون

كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فقال أبو جهل: عجل لنا قطنا، يعنى كتابنا الذى تزعم أنا نعطى فى الآخرة فعجله لنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ١٦] يقول ذلك تكذيبًا به.

فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعنى أبا جهل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبيهم ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ بن أشى، ويقال: ميشا، بن عويد بن فارض بن يهوذا بن يعقوب، عليه السلام ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ يعنى القوة فى العبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ١٧] يعنى مطيع.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [آية: ١٨] وكان داود، عليه السلام، إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه ففقه تسبيح الجبال.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يعنى مجموعة، وسخرنا الطير محشورة ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ١٩] يقول: كل الطير لداود مطيع ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قال: كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا من بنى إسرائيل، ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعنى وأعطيناه الفهم والعلم ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [آية: ٢٠] يقول: وأعطيناه فصل القضاء: البينة على المدعى، واليمين على من أنكر.

﴿۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟﴾ يعنى حديث ﴿ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آية: ٢١] وذلك أن داود قال: رب اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليمًا، فوددت أنك أعطيتنى من الذكر مثل ما أعطيتهما، فقال له: إنى ابتليتهما بما لم أبلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل الذى ابتليتهما، وأعطيتك مثل ما أعطيتهما من الذكر، قال: نعم، قال: أعمل عملك، فمكث داود، عليه السلام، ما شاء الله عز وجل، يصوم نصف الدهر، ويقوم نصف الليل، إذا صلى فى المحراب فجاء طير حسن ملون، فوقع إليه فتناوله، فصار إلى الكوة،

فقام ليأخذه، فوقع الطير فى بستان، فأشرف داود فرأى امرأة تغتسل فتعجب من حسنها، وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها، فزاده بها عجبًا ودخلت المرأة منزلها، وبعث داود غلامًا فى أثرها إذا هى بتسامح امرأة أدريا بن حنان، وزوجها فى الغزو فى بعث البلقاء الذى بالشام، مع نواب بن صوريا ابن أخت داود، عليه السلام، فكتب داود إلى ابن أخته بعزيمة أن يقدم أدريا، فيقاتل أهل البلقاء، ولا يرجع حتى يفتحها أو يقتل، فقدمه فقتل، رحمة الله عليه، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فولدت سليمان بن داود، فبعث الله عز وجل إلى داود، عليه السلام، ملكين ليستنقذه بالتوبة، فأتوه يوم رأس المائة فى المحراب، وكان يوم عبادته الحرس حوله.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ فلما رآهما داود قد تسوروا المحرب فزع داود، وقال فى نفسه: لقد ضاع ملكى حين يدخل علىّ بغير أذن، ﴿قَالُوا۟﴾ فقال أحدهما لداود: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ يعنى ولا تجر فى القضاء ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [آية: ٢٢] يقول: أرشدنا إلى قصد الطريق.

ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ يعنى الملك الذى معه ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يعنى تسعة وتسعون امرأة وهكذا كان لداود. ثم قال: ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعنى امرأة واحدة ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يعنى أعطنيها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى غلبنى فى المخاطبة، إن دعا كان أكثر من ناصرً، وإن بطش كان أشد منى بطشًا، وإن تكلم كان أبين منى فى المخاطبة.

﴿قَالَ﴾ داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ يعنى بأخذه التى لك من الواحدة، إلى التسع والتسعين التى له ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ يعنى الشركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ليظلم بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا﴾ استثناء، فقال: إلا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا يظلمون أحدًا ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يقول: هم قليل، فلما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك، فلم يفطن لهما، فأحبا يعرفاه فصعدا تجاه وجهه، وعلم أن الله تبارك وتعالى ابتلاه بذلك ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ يقول: وعلم داود أنا ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يقول: وقع ساجدًا أربعين يومًا وليلة ﴿وَأَنَابَ۩﴾ [آية: ٢٤] يعنى ثم رجع من ذنبه تائبًا إلى الله عز وجل، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ مثل قوله: ﴿**ادخلوا الباب سجدًا**﴾ [البقرة: ٥٨] يعنى ركوعًا.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يعنى ذنبه، ثم أخبر بما له فى الآخرة، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ يعنى لقربة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى وحسن مرجع.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فتحكم بغير حق ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: يستنزلك الهوى عن طاعة الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن دين الإسلام ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ يعنى بما تركوا الإيمان ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ يعنى لغير شىء ولكن خلقتهما لأمر هو كائن ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة أنى خلقتهما لغير شىء ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٢٧] لما أنزل الله تبارك وتعالى فى «ن والقلم»: ﴿**إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾ [القلم: ٣٤]، قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى من الخير فى الآخرة ما تعطون.

فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب، أخوى بنى عبد مناف، فيهم على بن أبى طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبى طالب، عليهم السلام، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وطفيل بن الحارث بن المطلب، وزيد بن حارثة الكلبى، وأيمن بن أم أيمن، ومن كان يتبعه من بنى هاشم يقول: أنجعل هؤلاء ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصى، نزلت فى بنى عبد شمس بن عبد مناف، فى عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبى سفيان، وعبيدة بن سعيد بن العاص، والعاص بن أبى أمية بن عبد شمس، ثم قال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب فى الآخرة ﴿كَٱلْفُجَّارِ﴾ [آية: ٢٨].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ يعنى هو بركة لمن عمل بما فيه ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟

ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ليسمعوا آيات القرآن ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بما فيه من المواعـظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٢٩] يعنى أهل اللب والعقل.

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ ثم أثنى على سليمان، فقال سبحانه: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ﴾ وهـذا ثناء على عبده سليمان نعم العبد، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ٣٠] يعنى مطيع.

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ يعنى بالصفن إذا رفعت الدابة إحدى يديـها فتقوم على ثلاث قوائم، ثم قال: ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ [آية: ٣١] يعنى السراع، مثل قوله: ﴿**فاذكروا اسم الله عليها صواف**﴾ [الحج: ٣٦]، معلقة قائمـة على ثـلاث، وذلـك أن سـليمان، عليه السلام، صلى الأولى، ثم جلس على كرسيه لتعرض عليـه الخيـل وعلـى ألـف فـرس كان ورثها من أبيه داود، عليه السلام، وكان أصابها من العمالقة، فعرض عليه منها تسع مائة، فغابت الشمس و لم يصل العصر.

فذلك قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ يعنى المال، وهو الخيل الذى عرض عليه ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ يعنى صلاة العصر، كقولـه: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور: ٣٧]، يعنى الصلوات الخمـس، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [آيـة: ٣٢] والحجاب جبل دون «ق» بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه.

ثـم قـال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ يعنـى كروهـا علـى ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [آيـة: ٣٣] يقول: فجعل يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقطعها، وبقى منـها مائـة فـرس، فمـا كان فى أيدى الناس اليوم فهى من نسل تلك المائة.

قوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ يعنى بعدما ملك عشرين سنة، ثم ملك أيضًا بعـد الفتنـة عشرين سنة، فذلك أربعين يقول: لقد ابتلينا سليمان أربعين يومًا ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾ يعنى سريره ﴿جَسَدٗا﴾ يعنى رجلاً من الجن يقـال لـه: صخـر بـن عفـير بـن عمـرو بـن

شرحبيل، ويقال: إن إبليس جده، ويقال أيضًا اسمه أسيد ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [آية: ٣٤] يقول: ثم رجع بعد أربعين يومًا إلى ملكه وسلطانه، وذلك أن سليمان غزا العمالقة، فسبى من نسائهم، وكانت فيهم ابنة ملكهم، فاتخذها لنفسه فاشتاقت إلى أبيها، وكان بها من الحسن والجمال حالاً يوصف فحزنت وهزلت وتغيرت، فأنكرها سليمان أن يتخذ لها شبه أبيها، فاتخذ لها صنمًا على شبه أبيها، فكانت تنظر إليه فى كل ساعة، فذهب عنها ما كانت تجد، فكانت تكنس ذلك البيت وترشه، حتى زين لها الشيطان فعبدت ذلك الصنم بغير علم سليمان لذلك، وكانت لسليمان جارية من أوثق أهله عنده قد كان وكاها بخاتمه وكان سليمان لا يدخل الخلاء، حتى يدفع خاتمه إلى تلك الجارية، وإذا أتى بعض نسائه فعل ذلك، وأن سليمان أراد ذات يوم أن يدخل الخلاء، فجاء صخر فألقاه فى البحر وجلس صخر فى ملك سليمان، وذهب عن سليمان البهاء، والنور فخرج يدور فى قرى بنى إسرائيل، فكلما أتى سليمان قومًا رجموه وطردوه تعظيمًا لسليمان، عليه السلام، وكان سليمان إذا ليس خاتمه سجد له كل شىء يراه من الجن والشياطين وتظله الطير، وكان خرج فى ملكه فى ذى القعدة، وعشر ذى الحجة، ورجع إلى ملكه يوم النحر.

وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أربعين يومًا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ يعنى رجع إلى ملكه، وذلك أنه أتى ساحل البحر، فوجد صيادًا يصيد السمك فتصدق منه، فتصدق عليه بسمكة، فشق بطنها، فوجد الخاتم فلبسه، فرجع إليه البهاء والنور، وسجد له كل من رآه وهرب صخر، فدخل البحر، فبعث فى طلبه الشياطين، فلم يقدروا عليه حتى أشارت الشياطين على سليمان أن يتخذ على ساحل البحر، كهيئة العين من الخمر، وجعلت الشياطين تشرب من ذلك الخمر ويلهون، فسمع صخر جلبتهم، فخرج إليهم، فقال لهم: ما هذا اللهو والطرب، قالوا: مات سليمان بن داود وقد استرحنا منه، غنحن نشرب ونلهو، فقال لهم: وأنا أيضًا أشرب وألهو معكم، فلما شرب الخمر فسكر، أخذوه وأوثقوه وأتى به سليمان، فحفر له حجرًا، فأدخل فيه وأطبق عليه بحجر آخر، وأذاب الرصاص، فصب بين الحجرين وقذف به فى البحر، فهو فيه إلى اليوم.

فلما رجع سليمان إلى ملكه وسلطانه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آية: ٣٥] فوهب الله عز وجل له من الملك ما لم يكن له، ولا لأبيه داود، عليهما السلام، فزاده الرياح والشياطين بعد ذلك.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [آية: ٣٦] يقول: مطيعة لسليمان حيث أراد أن تتوجه توجهت له ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [آية: ٣٧] كانوا يبنون له ما يشاء من البينان، وهو محاريب وتماثيل ويغوصون له فى البحر، فيستخرجون له اللؤلؤ، وكان سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

قال: ﴿وَآخَرِينَ﴾ من مردة الشياطين، إضمار ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى موثقين فى الحديد ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ على من شئت من الشياطين، فحل عنه ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ يعنى وأحبس فى العمل والوثاق من شئت منهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٣٩] يعنى بلا تبعة عليك فى الآخرة، فيمن تمن عليه فترسله، وفيمن تحبسه فى العمل.

ثم أخبر بمنزلة سليمان فى الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ يعنى لقربة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [آية: ٤٠] يعنى وحسن مرجع، وكان لسليمان ثلاث مائة امرأة حرة وسبع مائة سرية، وكان لداود، عليه السلام، مائة امرأة حرة وتسع مائة سرية، وكانت الأنبياء كلهم فى الشدة غير داود وسليمان، عليهما السلام.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)﴾

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ يعنى إذ قال لربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ يقول: أصابنى الشيطان ﴿بِنُصْبٍ﴾ يعنى مشقة فى جسده ﴿وَعَذَابٍ﴾ [آية: ٤١] فى ماله.

﴿ارْكُضْ﴾ يعنى ادفع الأرض ﴿بِرِجْلِكَ﴾ بأرض الشام، فنبعت عين من تحت قدمه فاغتسل، فيها فخرج منها صحيحًا، ثم مشى أربعين خطوة فدفع برجله الأخرى، فنبعت عين ماء أخرى، ماء عذاب بارد شرب منها، فذلك قوله: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ الذى اغتسل فيها، ثم قال: ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [آية: ٤٢] الذى أشرب منه، وكان داود يأكل سبع سنين وسبعة أشهر، وسبعة أيام وسبع ساعات متتابعات.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فأضعف الله عز وجل له، وكان له سبع بنين وثلاث بنات قبل البلاء، وولدت له امرأته بعد البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فأضعف الله له ﴿رَحْمَةً﴾ يعنى نعمة ﴿مِّنَّا﴾، ثم قال: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى تفكر ﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٤٣] يعنى أهل اللب والعقل.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ يعنى بالضغث القبضة الواحدة، فأخذ عيدانا رطبة، وهى الأسل مائة عود عدد ما حلف عليه، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ يعنى ولا تأثم فى يمينك التى حلفت عليها، فعمد إليها فضربها بمائة عود ضربة واحدة فأوجعها فبرئت يمينه، وكان اسمها دنيا، ثم أثنى الله عز وجل على أيوب، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ على البلاء إضمار ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ٤٤] يعنى مطيعًا لله تعالى، لما برأ أيوب فاغتسل كساه جبريل، عليه السلام، حلة.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد صبر ﴿عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ حين ألقى فى النار ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ للذبح ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ فى ذهاب بصره، ولم يذكر إسماعيل بن إبراهيم لأنه لم يبتل، واسم أم يعقوب رفقا، ثم قال: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعنى أولى القوة فى العبادة، ثم قال: ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٥] يعنى البصيرة فى أمر الله ودينه.

ثم ذكر الله تعالى هؤلاء الثلاثة إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب بن إسحاق، فقال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ للنبوة والرسالة ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٤٦].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا الوليد، عن ابن جابر أنه سمع عطاء الخراسانى فى قوله: ﴿**أولى الأيدى والأبصار**﴾ قال: القوة فى العبادة والبصر بالدين، ﴿**إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾ يقول: وجعلناهم أذكر الناس لدار الآخرة يعنى الجنة.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [آية: ٤٧] اختارهم الله على علم للرسالة ﴿وَٱذْكُرْ﴾ صبر ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ هو أشوبل بن هلقانا ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَٱلْيَسَعَ وَ﴾ صبر ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [آية: ٤٨] اختارهم الله عز وجل للنبوة، فاصبر يا محمد على الأذى كما صبر هؤلاء الستة على البلاء.

ثم قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعنى هذا بيان الذى ذكر الله من أمر الأنبياء فى هذه السورة ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من هذه الأمة فى الآخرة ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٤٩] يعنى مرجع ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [آية: ٥٠].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا بن رشيد، قال: حدثنا جليد، عن الحسن فى قوله: ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ قال: أيوب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، يقال لها: انفتحى، انقفلى، تكلم فتفهم وتتكلم.

حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا﴾ [مريم: ٦٢]، قال: ليس فى الجنة ليل، وهم فى نور أبدًا ولهم مقدار الليل بإرخاء الحجب ومقدار النهار.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ فى الجنة على السرر ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [آية: ٥١].

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ النظر عن الرجال لا ينظرن إلى غير أزواجهن لأنهن عاشقات لأزواجهن، قم قال: ﴿أَتْرَابٌ﴾ [آية: ٥٢] يعنى مستويات على ميلاد واحد بنات ثلاثة وثلاثين سنة.

ثم قال: ﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر فى هذه الآية، ذكر يعنى بيان من الخير فى الجنة ﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٥٣] يعنى ليوم الجزاء ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ فى الجنة ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [آية: ٥٤] يقول: هذا الرزق للمتقين.

ثم ذكر الكفار، فقال سبحانه: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بئس المرجع، ثم أخبر بالمرجع، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ٥٦] ما مهدوا لأنفسهم من العذاب.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ يعنى الحار الذى انتهى حره وطبخه ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [آية: ٥٧] البارد الذى قد انتهى برده، نظيرها فى عم يتساءلون: ﴿حميمًا وغساقا﴾ [النبأ: ٢٥]،

فينطلق من الحار إلى البارد، فتقطع جلودهم وتتصدع عظامهم وتحرق كما يحرق فى النار.

ثم قال: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [آية: ٥٨] يقول: وآخر من شكله يعنى من نحو الحميم والغساق أصناف، يعنى ألوان من العذاب فى الحميم يشبه بعضه بعضًا فى شبه العذاب ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ وذلك أن القادة فى الكفر المطمعين فى غزاة بدر والمستهزئين من رؤساء قريش دخلوا النار قبل الأتباع، فقالت الخزنة للقادة وهم فى النار: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ يعنى زمرة ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ النار إضمار يعنون الأتباع، قالت القادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ قال الخزنة: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٥٩] معكم.

فردت الأتباع من كفار مكة على القادة: ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ زينتموه ﴿لَنَا﴾ هذا الكفر إذ تأمروننا فى سورة سبأ أن تكفر بالله، وتجعل له أندادًا ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [آية: ٦٠] يعنى فبئس المستقر.

قالت الأتباع: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ يعنى من زين لنا هذا، يعنى من سبب لنا هذا الكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦١] ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [آية: ٦٢] يعنون فقراء المؤمنين عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسالم، ونحوهم.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فى الدنيا، نظيرها فى قد أفلح: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [آية: المؤمنون: ١١٠]، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [آية: ٦٣] يقول: أم حارت أبصارهم عناقهم معنا فى النار ولا نراهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦٤] يعنى خصومة القادة والأتباع فى هذه الآية، ما قال بعضهم لبعض فى الخصومة، نظيرها فى الأعراف، وفى «حم» المؤمن حين قالت: ﴿**أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا**﴾ [الأعراف: ٣٨] عن الهدى، ثم ردت أولاهم دخول النار على أخراهم دخول النار، وهم الأتباع، وقوله: ﴿**إذ يتحاجون فى النار**﴾ إلى آخر الآية [غافر: ٤٧].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ
مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ

سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ
ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ يعنى رسول ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ [آية: ٦٥] لخلقه، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ فإن من يعبد فيهما، فأنا ربهما ورب من فيهما ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [آية: ٦٦] لمن تاب.

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦٧] يعنى القرآن حديث عظيم لأنه كلام الله عز وجل ﴿أَنتُمۡ﴾ يا كفار مكة ﴿عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾ [آية: ٦٨] يعنى عن إيمان بالقرآن معرضون.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ من الملائكة ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آية: ٦٩] يعنى الخصومة حين قال لهم الرب تعالى: ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ قالت الملائكة: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ ﴿**قال**﴾ الله لهم: ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠] فهذه خصومتهم.

﴿إِن﴾ يعنى إذ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٠] يعنى رسول بين ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [آية: ٧١] يعنى آدم، وكان آدم، عليه السلام، أول ما خلق منه عجب الذنب وآخر ما خلق منه أضفاره، ثم ركب فيه سائر خلقه، يعنى عجب الذنب، وفيه يركب يوم القيامة كما ركب فى الدنيا.

﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٧٢] ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين كانوا فى الأرض إضمار ﴿كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ [آية: ٧٣] ثم استثنى من الملائكة إبليس، وكان اسمه فى الملائكة الحارث، وسمى إبليس حين عصى أبليس من الخير.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ حين تكبر عن السجود لآدم، عليه السلام، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٤] فى علم الله عز وجل ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ ما لك ألا تسجد ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ يعنى تكبرت ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى من المتعظمين.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ
﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [آية: ٧٦] والنار تغلب الطين ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ يعنى من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [آية: ٧٧] يعنى ملعون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٧٨].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٧٩] يعنى النفخة الثانية ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [آية: ٨٠] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [آية: ٨١] يعنى إلى أجل موقوت وهو النفخة الأولى.

﴿قَالَ﴾ إبليس لربه تبارك وتعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يقول: فبعظمتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ يقول: لأضلنهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٨٢] عن الهدى، ثم استثنى إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٨٣] بالتوحيد، فإنى لا أستطيع أن أغويهم.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾
قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [آية: ٨٤] يقول: قوله الحق فيها تقديم، وأقول الحق يعنى قول الله عز وجل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ يا إبليس ومن ذريتك الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ على دينك من كفار بنى آدم ﴿مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٨٥] يعنى من الفريقين جميعًا.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى من جعل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [آية: ٨٦] هذا القرآن من تلقاء نفسى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يقول: ما القرآن إلا بيان ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٧] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يعنى كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ يعنى القرآن ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [آية: ٨٨] هذا وعيد لهم القتل ببدر، مثل قوله فى الصافات: ﴿**فتول عنهم حتى حين**﴾ [الصافات: ١٧٤] يعنى القتل ببدر.

* * *

سورة الزمر

مكية إلا ثلاث آيات فيها

نزلت في وحشي بن زيد وأصحابه بالمدينة

وهن قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾

إلى قوله: ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ [آية: الآيات: ٥٣ - ٥٤]

عددها خمس وسبعون آية كوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن
يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ
(٥)﴾

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ [آية: ١] في أمره ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ يقول: لم ننزله باطلاً لغير شيء ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ يقول: فوحد الله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [آية: ٢] يعني له التوحيد.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يعني التوحيد وغيره من الأديان ليس بخالص ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يعني كفار العرب ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ فيها إضمار قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني الآلهة، نظيرها في «حم عسق»: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم**﴾ [الشورى: ١]، وذلك أن كفار العرب عبدوا الملائكة، وقالوا: ما نعبدهم

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعنى منزلة فيشفعوا لنا إلى الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ لدينه ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [آية: ٣].

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يعنى عيسى ابن مريم ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ يعنى لاختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الملائكة، فإنها أطيب وأطهر من عيسى، كقوله فى الأنبياء: ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهوًا**﴾ يعنى ولدًا، يعنى عيسى ﴿**لاتخذناه من لدنا**﴾ [الأنبياء: ١٧] يعنى من عندنا من الملائكة، ثم نزه نفسه عما قالوا من البهتان، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ [آية: ٤].

ثم عظم نفسه، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ لم يخلقهما باطلاً لغير شيء ﴿يُكَوِّرُ﴾ يعنى يسلط ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يعنى ويسلط النهار ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ﴾ يعنى انتقاص كل واحد منهما من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾ لبنى آدم ﴿كُلٌّ يَجْرِى﴾ يعنى الشمس والقمر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ يعنى ليوم القيامة يدل على نفسه بصنعه ليعرف توحيده، ثم قال: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [آية: ٥] لمن تاب إليه.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعنى حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعنى وجعل لكم من أمره مثل قوله فى الأعراف: ﴿**يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا**﴾ [الأعراف: ٢٦] يقول جعلنا، ومثل قوله: ﴿**وأنزلنا الحديد**﴾ [الحديد: ٢٥] يقول: وجعلنا الحديد ﴿**وأنزل لكم من الأنعام**﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ يعنى أصناف، يعنى أربعة ذكور، وأربعة إناث ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعنى نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، ثم الروح ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ﴾ يعنى البطن والرحم والمشيمة التى يكون فيها الولد، ثم قال:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذى خلق هذه الأشياء هو ﴿رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [آية: ٦] يقول: فمن أين تعدلون عنه إلى غيره.

يقول لكفار مكة: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ عن عبادتكم ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ الذين قال عز وجل: عنهم لإبليس: ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ يعنى توحدوا الله ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ يقول: لا تحمل نفس خطيئة أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٧].

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ﴾ يعنى أصاب ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنى أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومى ﴿ضُرّٞ﴾ يعنى بلاء أو شدة ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ يقول: راجعا إلى الله من شركه موحدًا يقول: اللهم اكشف ما بى ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ﴾ يقول: أعطاه الله الخير ﴿نَسِيَ﴾ يعنى ترك ﴿مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ فى ضره ﴿وَجَعَلَ﴾ أبو حذيفة ﴿لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ يعنى شركاء ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ يعنى ليستزل عن دين الإسلام ﴿قُلۡ﴾ لأبى حذيفة ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ فى الدنيا إلى أجلك ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٨].

ثم ذكر المؤمن، فقال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ يعنى مطيع لله فى صلاته، وهو عمار بن ياسر ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا﴾ يعنى ساعات الليل ساجدًا ﴿وَقَآئِمٗا﴾ فى صلاته ﴿يَحۡذَرُ﴾ عذاب ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ يعنى الجنة كمن لا يفعل ذلك ليسا بسواء ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ إن ما وعد الله إضمار فى الآخرة من الثواب والعقاب حق، يعنى عمار بن يسار ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ يعنى أبا حذيفة ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٩] يعنى أهل اللب والعقل، يعنى عمار بن ياسر.

ثم قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ العمل ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ﴾ يعنى الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾ يعنى المدينة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾ يعنى جزاءهم الجنة وأرزاقهم فيها ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ١٠].

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى
﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ
يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ
مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: ما يحملك على الذى أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة، فتأخذ به، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ يعنى أن أوحد الله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [آية: ١١] يعنى له التوحيد.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى المخلصين بتوحيد الله عز وجل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ فرجعت إلى ملة آبائى ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٣].

﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا﴾ موحدًا ﴿لَّهُۥ دِينِى﴾ [آية: ١٤] ﴿فَٱعْبُدُوا۟﴾ أنتم ﴿مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الآلهة ونزل فيهم أيضًا: ﴿**قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون**﴾ [الزمر: ٦٤] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ يعنى غبنوا ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ فصاروا إلى النار ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ يعنى وخسروا أهليهم من الأزواج والخدم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٥] يعنى البين حين لم يوحدوا ربهم يعنى وأهليهم فى الدنيا.

ثم قال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يعنى أطباق من النار فتلهب عليهم ﴿وَمِن

تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ﴾ يعنى مهادًا من نار ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى ذكر من ظلل النار ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ١٦] يعنى فوحدون.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يعنى الأوثان، وهى مؤنثة ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى ورجعوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ يعنى الجنة ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [آية: ١٧] فبشر عبادى بالجنة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعنى القرآن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ يعنى أحسن ما فى القرآن من طاعة الله عز وجل، ولا يتبعون المعاصى مثل قوله: ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ أى من طاعته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ لدينه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ١٨] يعنى أهل اللب والعقل حين يستمعون فيتبعون أحسنه من أمره ونهيه، يعنى أحسن ما فيه من أمره ونهيه، ﴿**ولا يتبعون السوء الذى ذكره عن غيرهم**﴾.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ﴾ يعنى وجب عليه ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى يوم قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [هود: ١١٩]، ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٩] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ وحدوا ﴿رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ ثم نعت الغرف، فقال: ﴿مَّبۡنِيَّةٞ﴾ فيها تقديم ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ تجرى العيون من تحت الغرف، يعنى أسفل منها ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ هذا الخير ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آية: ٢٠] ما وعدهم.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ يعنى فجعله عيونًا وركايا ﴿فِي

﴿ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يعنى ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بعد الخضرة ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ يعنى هالكًا، نظيرها: ﴿**لا يحطمنكم سليمان وجنوده**﴾ [النمل: ١٨] يعنى لا يهلكنكم سليمان هذا مثل ضربه الله فى الدنيا كمثل النبت، بينما هو أخضر إذ تغير فييبس، ثم هلك، فكذلك تهلك الدنيا بعد بهجتها وزينتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعنى تفكر ﴿لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٢١].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يقول: أفمن وسع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعنى على هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ يعنى الجافية ﴿قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن، يعنى أبا جهل ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن توحيد الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى أبا جهل يقول الله تعالى للنبى ﷺ: ليس المشرح صدره بتوحيد الله كالقاسى قلبه ليسا بسواء.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا ﴿مَّثَانِىَ﴾ يعنى يثنى الأمر فى القرآن مرتين أو ثلاثًا، أو أكثر من نحو ذكر الأمم الخالية، ومن نحو ذكر الأنبياء، ومن نحو ذكر آدم، عليه السلام، وإبليس، ومن نحو ذكر الجنة والنار، والبعث والحساب، ومن نحو ذكر النبت والمطر، ومن نحو ذكر العذاب، ومن نحو ذكر موسى وفرعون، ثم قال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ يعنى مما فى القرآن من الوعيد ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ عذاب ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى إلى الجنة وما فيها من الثواب، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من القرآن ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿مَن يَشَآءُ﴾ لدينه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن دينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [آية: ٢٣] إلى دينه يقول: من أضله الله عن الهدى، فلا أحد يهديه إليه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ﴾ يعنى شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: ليس الضال الذى يتقى النار بوجهه كالمهتدى الذى لا تصل النار إلى وجهه، ليس بسواء، يقول الكافر يتقى بوجهه شدة العذاب، وهو فى النار مغلولة يده إلى عنقه، وفى عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من كبريت تشتعل النار فى الحجر، وهو معلق فى عنقه، وتشتعل على وجهه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال التى فى يده وعنقه ﴿وَقِيلَ﴾ وقالت الخزنة: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ﴾ العذاب بـ ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٢٤] من الكفر والتكذيب.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعنى قبل كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب فى الآخرة بأنه غير نازل بهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٢٥] وعن غافلون عنه.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ﴾ يعنى العذاب ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ مما أصابهم فى الدنيا ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٦]. ولكنهم لا يعلمون قوله: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا﴾ يعنى وضعنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ من كل شبه ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى كى يؤمنوا به.

ثم قال: وصفنا ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليفقهوه ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ يعنى ليس مختلفًا، ولكنه مستقيم ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٢٨] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ وذلك أن كفار قريش دعوا النبى ﷺ إلى ملة آبائه وإلى عبادة اللات والعزى ومناة، فضرب لهم مثلاً ولآلهتهم مثلاً الذين يعبدون من دون الله عز وجل، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ يعنى مختلفين يملكونه جميعًا، ثم قال: ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾ يعنى خالصًا لرجل لا يشركه فيه أحد، يقول: فهل يستويان؟ يقول: هل يستوى من عبد آلهة شتى مختلفة يعنى الكفار والذى يعبد ربًا واحدًا يعنى المؤمنين؟ فذلك قوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ فقالوا: لا يعنى هل يستويان فى الشبهن فخصهم النبى ﷺ. فقال: قل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ حين خصمهم ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٩] توحيد ربهم.

فذلك قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [آية: ٣٠] يعنى أهل مكة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أنت يا محمد وكفار مكة يوم القيامة ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾ [آية: ٣١].

﴿۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن له شريكا ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعنى بالحق وهو التوحيد ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ يعنى لما جاءه البيان هذا المكب بالتوحيد ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ يعنى مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٣٢].

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعنى بالحق، وهو النبى ﷺ جاء بالتوحيد ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعنى بالتوحيد، المؤمنون صدقوا بالذى جاء به محمد ﷺ، والمؤمنون أصحاب النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [آية: ٣٣] الشرك من أصحاب النبى ﷺ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ فى الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ من الخير يعنى ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى الموحدين ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ من المساوئ يعنى يمحوها بالتوحيد ﴿وَيَجْزِيَهُمْ﴾ بالتوحيد ﴿أَجْرَهُم﴾ يعنى جزاءهم ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٣٥] يقول: يجزيهم بالمحاسن ولا يجزيهم بالمساوئ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أما الله ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ يعنى النبى ﷺ يكفيه عدوه، ثم قال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦۚ﴾ اللات والعزى ومناة، وذلك أن كفار مكة، قالوا للنبى ﷺ: إن نخاف أن يصيبك من آلهتنا اللات والعزى ومناة جنون أو خبل، قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [آية: ٣٦] يهديه للإسلام.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ يقول: لا يستطيع أحد أن يضله

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ يعنى بمنيع فى ملكه ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [آية: ٣٧] من عدوه يعنى كفار مكة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يا محمد ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال لهم النبى ﷺ: من خلقهما؟ قالوا: الله خلقهما ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ قال الله عز وجل لنبيه، عليه السلام: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أصابنى الله ﴿بِضُرٍّ﴾ يعنى ببلاء أو شدة ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعنى الآلهة ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ يقول: هل تقدر الآلهة أن تكشف ما نزل بى من النضر ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ يعنى بخير وعافية ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعنى الآلهة ﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ يقول: هل تقدر الآلهة أن تحبس عنى هذه الرحمة، فسألهم النبى ﷺ عن ذلك فسكتوا و لم يجيبوه، قال الله عز وجل للنبى ﷺ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ﴾ يعنى يثق ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ٣٨] يعنى الواثقون.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يعنى على جديلتكم التى أنتم عليها ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على جديلتى التى أمرت بها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩] هذا وعيد ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعنى يهينه فى الدنيا ﴿وَ﴾ من ﴿وَيَحِلُّ﴾ يعنى يجب ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] يقول: دائم لا يزول عنه فى الآخرة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ
جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ
ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى القرآن ﴿لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالقرآن ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يقول: فضلالته على نفسه، يعنى إثم ضلالته على نفسه ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [آية:

٤١] يعنى بمسيطر نسختها آية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ يقول: عند أجلها، يعنى التى قضى الله عليها الموت، فيمسكها على الجسد فى التقديم ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ فتلك الأخرى التى يرسلها إلى الجسد ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ لعلامات ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٢] فى أمر البعث.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ نزلت فى كفار مكة زعموا أن للملائكة شفاعة ﴿قُلۡ﴾ لهم: يا محمد ﴿أَوَلَوۡ﴾ يعنى إن ﴿كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٤٣] أنكم تعبدونهم نظيرها فى الأنعام.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ فجميع من يشفع إنما هو بإذن الله، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وما بينهما من الملائكة وغيرهم عبيده وفى ملكه ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٤٤].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ يعنى انقبضت، ويقال: نفرت عن التوحيد ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، يعنى كفار مكة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ﴾ عبدوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الآلهة ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [آية: ٤٥] بذكرها وهذا يوم قرأ النبى ﷺ سورة النجم بمكة، فقرأ: ﴿**اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ تلك الغرانيق العلى، عندها شفاعة ترتجى، ففرح كفار مكة حين سمعوا أن لها شفاعة.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ أمر النبى ﷺ أن يقول: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [آية: ٤٦] ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ

ظَلَمُواْ﴾ يعنى لمشركى مكة يوم القيامة ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ﴾ يعنى من شدة ﴿ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم﴾ يعنى وظهر لهم حين بعثوا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [آية: ٤٧] فى الدنيا أنه نازل بهم فى الآخرة.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ يعنى وظهر لهم حين بعثوا فى الآخرة الشرك الذى كانوا عليه حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك لقولهم ذلك فى سورة الأنعام: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [الآية: ٢٣] ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى وجب لهم العذاب بتكذيبهم واستهزائهم بالعذاب أنه غير كائن، فذلك قوله: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾ بالعذاب ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٤٨].

﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ يعنى أصاب ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنى أبا حذيفة بن المغيرة ﴿ضُرّٞ﴾ يعنى بلاء أو شدة ﴿دَعَانَا﴾ يعنى دعا ربه منيبا يعنى مخلصًا بالتوحيد أن يكشف ما به من الضر ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا﴾ يقول: ثم إذا آتيناه، يعنى أعطيناه الخير ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعنى إنما أعطيت الخير ﴿عَلَىٰ عِلۡمِۭ﴾ عندى يقول: على علم عندى، يقول: على علم علمه الله منى، يقول الله عز وجل: ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾ يعنى بل تلك النعمة بلاء ابتلى به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٤٩] ذلك.

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يقول: قد قالها قارون فى القصص قبل أبى حذيفة: ﴿**إنما أوتيته على علم عندى**﴾ [الآية: ٧٨] يقول: على خير علمه الله عندى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ من العذاب يعنى الخسف ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ

ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ يعنى عقوبة ما كسبوا من الشرك ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٥١] يعنى وما هم بسابقى الله عز وجل بأعمالهم الخبيثة حتى يجزيهم بها، ثم وعظوا ليعتبروا فى توحيده، وذلك حين مطروا بعد سبع سنين فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾ يعنى يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ يعنى ويقتر على من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى لعلامات ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ نزلت فى مشركى مكة وذلك أن الله عز وجل أنزل فى الفرقان: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ [الآية: ٦٨] فقال وحشى، مولى المطعم بن عدى بن نوفل: إنى قد فعلت هذه الخصال فكيف لى بالتوبة فنزلت فيه: ﴿**إلا من تاب وآمن وعملا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠] فأسلم وحشى، فقال مشركو مكة قد قبل من وحشى توبته، وقد نزل فيه ولم ينزل فينا فنزلت فى مشركى مكة: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعنى بالإسراف: الشرك والقتل والزنا فلا ذنب أعظم إسرافًا من الشرك ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ يقول: لا تيأسوا ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لأنهم ظنوا ألا توبة لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ يعنى الشرك والقتل والزنا الذى ذكر فى سورة الفرقان ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥٣] لمن تاب منها ثم دعاهم إلى التوبة.

فقال سلحانه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ يقول: وارجعوا من الذنوب إلى الله ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ يعنى وأخلصوا له بالتوحيد، ثم خوفهم فقال: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ٥٤] يعنى لا تمنعون من العذاب.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ من القرآن ﴿مِّن رَّبِّكُم﴾ يعنى ما ذكر من الطاعة من الحلال والحرام ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ﴾ يعنى فجأة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٥] حين يفجؤكم من قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ يعنى يا

ندامتا ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ يعنى ما ضيعت ﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى ذات الله يعنى من ذكر الله ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [آية: ٥٦] يعنى لمن المستهزئين بالقرآن فى الدنيا.

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٥٧] ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ يعنى رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٥٨] يقول: فأكون من الموحدين لله عز وجل يقول الله تبارك وتعالى رد عليه ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي﴾ يعنى آيات القرآن ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا﴾ أنها ليست من الله ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ يعنى وتكبرت عن إيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٩] ثم أخبر بما لهم فى الآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن معه شريكا ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ﴾ لهذا المكذب بتوحيد الله ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى﴾ يعنى مأوى ﴿لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٦٠] عن التوحيد.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ يعنى بنجاتهم بأعمالهم الحسنة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ يقول: لا يصيبهم العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ٦١] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [آية: ٦٢] يقول: رب كل شىء من الخلق ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى بآيات القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٦٣] فى العقوبة ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [آية: ٦٤] وذلك أن كفار قريش دعوا النبى ﷺ إلى دين

آبائه فحذر الله عز وجل النبى ﷺ أن يتبع دينهم فقال: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ بعد التوحيد ﴿لَيَحۡبَطَنَّ﴾ يعنى ليبطلن ﴿عَمَلُكَ﴾ الحسن إضمار الذى كان ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٦٥] فى العقوبة.

ثم أخبر بتوحيده، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ يقول: فوحد ﴿وَكُن﴾ له ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٦٦] فى نعمه فى النبوة والرسالة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ نزلت فى المشركين، يقول: وما عظموا الله حق عظمته ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ مطويات يوم القيامة بيمنه فيها تقديم فيهما كلاهما فى يمينه يعنى فى قبضته اليمنى، قال ابن عباس: يقبض على الأرض والسموات جميعًا فما يرى طرفهما من قبضته ويده الأخرى يمين ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عن شركهم ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وارتفع ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٦٧] به.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهو القرن وذلك أن إسرافيل وهو واضع فاه على القرن يشبه البوق ودائرة رأس القرن كعرض السماء والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرض، يؤمر فينفخ فى القرن فإذا نفخ فيه: ﴿فَصَعِقَ﴾ يعنى فمات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من شدة الصوت والفزع من فيها من الحيوان، ثم استثنى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ يعنى جبريل، وميكائيل، ثم روح جبريل، ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت، فيموت ثم يدعهم، فيما بلغنا أمواتًا أربعين سنة، ثم يحيى الله عز وجل إسرافيل، فيأمره أن ينفخ الثانية، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ﴾ على أرجلهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٦٨] إلى البعث الذى كذبوا به، فذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ [المطففين: ٦] مقدار ثلاث مائة عام ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يعنى بنور ساقه، فذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ [القلم: ٤٢] ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الذى عملوا فى أيديهم ليقرءوه ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فشهدوا عليهم بالبلاغ ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة، فشهدوا عليهم بأعمالهم التى عملوها ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٩] فى أعمالهم.

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ بر وفاجر ﴿مَّا عَمِلَتۡ﴾ فى الدنيا من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول الرب تبارك وتعالى: أعلم بأعمالهم من النبيين والحفظة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بتوحيد الله ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ يعنى أفواجًا من كفار كل أمة على حدة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ يعنى جهنم ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ يومئذ وكانت مغلقة ونشرت الصحف وكانت مطوية ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ يعنى خزنة جهنم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ يعنى من أنفسكم ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعنى يقرءون عليكم ﴿ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ القرآن ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ يعنى البعث ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قد فعلوا ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ﴾ يعنى وجبت ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى بالكلمة يوم قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾ [ص: ٨٥] ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧١].

﴿قِيلَ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا يموتون ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٧٢] عن التوحيد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ (٧٤) وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٥)﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ يعنى أفواجًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وأبواب الجنة ثمانية مفتحة أبدًا ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [آية: ٧٣] لا يموتون فيها.

فلما دخلوها ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعنى أرض الجنة بأعمالنا ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ يعنى نتنزل منها حيث نشاء رضاهم بمنازلهم منها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آية: ٧٤] وقال فى هذه السورة: ﴿**الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض**﴾ يعنى أرض الجنة، وقال فى

سورة الأنبياء: ﴿**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض**﴾ يعنى أرض الجنة ﴿**يرثها عبادى الصالحون**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿وَتَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ يعنى تحت العرش ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يعنى يذكرونه بأمر ربهم ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٥].

وذلك أن الله تبارك وتعالى افتتح الخلق بالحمد، وختم بالحمد، فقال: ﴿**الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض**﴾ [الأنعام: ١]، وختم بالحمد حين قال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى العدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا أبو القاسم، قال: قال الهذيل، حدثنى جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ابن جبير، فى قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها**﴾ قال: تقبض أنفس الأموات وترسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى فلا تقبضها: ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ [الزمر: ٤٢].

* * *

سُورَةُ غَافِرٍ

سورة المؤمن مكية، عددها خمس وثمانون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: قضى تنزيل الكتاب من الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ [آية: ٢] بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يعنى من الشرك ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن لم يوحده ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ يعنى ذى الغنى عمن لا يوحده، ثم وحد نفسه جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٣] يعنى مصير العباد إليه فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ يعنى يمارى ﴿فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى الحارث بن قيس السهمى ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾ يا محمد ﴿تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [آية: ٤] يعنى كفار مكة يقول: لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة من الرزق، فإنه متاع قليل ممتعون به إلى آجالهم فى الدنيا.

ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا، فلا يكذبوا محمدًا ﷺ، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوۡمُ نُوحٖ﴾ الخالية رسلهم ﴿وَ﴾ كذبت ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ﴾ يعنى الأمم الخالية رسلهم ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ يعنى من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ يعنى ليقتلوه ﴿وَجَٰدَلُواْ﴾ يعنى وخاصموا رسلهم ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ يعنى ليبطلوا به الحق الذى جاءت به الرسل وجدالهم أنهم قالوا لرسلهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وما نحن إلا بشر مثلكم، ألا أرسل الله ملائكة، فهذا جدالهم كما قالوا للنبى ﷺ ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [آية: ٥] يعنى عقابى أليس وجده حقًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا عذبتهم، وكذلك ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يقول: وجبت كلمة العذاب من ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦] حين قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾ [ص: ٨٥].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ فيها إضمار، وهم أول من خلق الله تعالى من الملائكة وذلك أن الله تبارك وتعالى قال فى سورة «حم عسق»: ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض**﴾ [الشورى: ٥] فاختص فى «حم» المؤمن، من الملائكة حملة العرش ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ يقول: ومن حول العرش من الملائكة، واختص استغفار الملائكة بالمؤمنين من أهل الأرض، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يذكرون الله بأمره ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ويصدقون بالله عز وجل بأنه واحد لا شريك له ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حين قالوا: ﴿**فاغفر للذين تابوا**﴾ [غافر: ٧].

وقالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يعنى ملأت كل شىء من الحيوان فى السماوات والأرض ﴿رَّحْمَةً﴾ يعنى نعمة يتقلبون فيها ﴿وَعِلْمًا﴾ يقول: علم من فيهما من الخلق، وقالوا: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ يعنى دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٧].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ على ألسنة الرسل ﴿وَ﴾ أدخل معهم الجنة ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ يعنى من وحد الله من الذين آمنوا ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ﴾ من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٨].

ثم قال: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ يعنى الشرك ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فى الدنيا ﴿يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ يومئذ فى الآخرة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الثواب ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [آية: ٩].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار فى الآخرة ودخلوها مقتوا أنفسهم، فقالت لهم الملائكة، وهم جزنة جهنم يومئذ: لمقت الله إياكم فى الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان، يعنى التوحيد فكفرتم أكبر من مقتكم أنفسكم.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ يعنى كانوا نطفًا فخلقهم فهذه موتة وحياة، وأماتهم عند آجالهم، ثم بعثهم فى الآخرة، فهذه موتة وحياة أخرى، فهاتان موتتان وحياتان ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بأن البعث حق ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [آية: ١١] قالوا: فهل لنا كرة إلى الدنيا مثلها فى «حم عسق».

قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ المقت فى التقديم إنما كان ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ يعنى إذا ذكر الله ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ به يعنى بالتوحيد ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ يعنى وإن يعدل به تصدقوا، ثم قال: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾ يعنى القضاء ﴿لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ [آية: ١٢] يعنى العظيم فلا شىء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والسحاب، والليل، والنهار، والفلك فى البحر، والنبت، والثمار عامًا بعام ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ يعنى المطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ فى هذا الصنع فيوحد الرب تعالى ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [آية: ١٣] إلا من يرجع.

ثم أمر المؤمنين بتوحيده، فقال عز وجل: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ يعنى موحدين

﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعنى التوحيد ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٤] من أهل مكة، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال عز وجل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يقول: أنا فوق السماوات لأنها ارتفعت من الأرض سبع سماوات ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ يعنى هو عليه، يعنى على العرش ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يقول: ينزل الوحى من السماء بإذنه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من الأنبياء ﴿لِيُنذِرَ﴾ النبيون بما فى القرآن من الوعيد ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [آية: ١٥] يعنى يوم يلتقى الخالق والخلائق.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

ثم ذكر ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ من قبورهم على ظهر الأرض مثل الأديم الممدود ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ يقول: لا يستتر عن الله عز وجل منهم أحد، فيقول الرب تبارك وتعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يعنى يوم القيامة حين قبض السموات والأرض فى يده اليمنى فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ [آية: ١٦] لخلقه حين أحياهم.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾ بر وفاجر ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ١٧] يفرغ الله تعالى من حسابهم فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ يعنى النبى ﷺ أنذر أهل مكة ﴿يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ يعنى اقتراب الساعة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار فى الآخرة شخصت أبصارهم إليها فلا يطرفون وأخذتهم رعدة شديدة من الخوف فشهقوا شهقة فزالت قلوبهم من أماكنها فنشبت فى حلوقهم فلا تخرج من أفواههم ولا ترج إلى أماكنها أبدًا، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ يعنى عند ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ ﴿كَٰظِمِينَ﴾ يعنى مكروبين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعنى قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [آية: ١٨] فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ يعنى الغمزة فيما لا يحل بعينه والنظرة فى المعصية ﴿وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾ [آية: ١٩] يعنى وما تسر القلوب من الشر ﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ﴾ يعنى يحكم بالعدل ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ﴾ يعنى لا يحكمون ﴿بِشَىْءٍ﴾ يعنى والذين يعبدون من دونه لا يقضون بشىء، يعنى آلهة كفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [آية: ٢٠].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِى الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِىٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)﴾

ثم خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا فيوحدو الرب تبارك وتعالى فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية عاد، وثمود، وقوم لوط ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ يعنى من كفار مكة ﴿قُوَّةً﴾ يعنى بطشًا ﴿وَآثَاراً فِى الأَرْضِ﴾ يعنى أعمالا وملكوا فى الأرض ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فعذبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية: ٢١] يقى العذاب عنهم.

يقول: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب إنما نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى بالبيان ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالتوحيد ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّهُ قَوِىٌّ﴾ فى أمره ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آية: ٢٢] إذا عاقب يعنى عقوبة الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ يعنى اليد والعصا ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٣] يعنى وحجة بينة ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ فلما رأوا اليد والعصا قالوا ليستا من الله بل موسى ساحر فى اليد حين أخرجها بيضاء، والعصا حين صارت حية ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [آية: ٢٤] حين زعم أنه رسول رب العالمين.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّى أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن
يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن
يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ
﴿٢٨﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ يعنى اليد والعصا آمنت به بنو إسرائيل فـ﴿قَالُوا۟﴾ أى قال فرعون وحده لقومه للملأ يعنى الأشراف: ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يعنى مع موسى ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ يقول: اقتلوا أبناهم ودعوا البنات، فلما هموا بذلك حبسهم الله عنهم حين اقطعهم البحر، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى خسار يقول: ﴿وَمَا كَيْدُ﴾ فرعون الذى أراد ببنى إسرائيل من قتل الأبناء واستحياء النساء ﴿إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ يعنى خسار.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقومه القبط ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ﴾ يقول: خلوا عنى أقتل ﴿مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فليمنعه ربه من القتل ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يعنى عبادتكم إياى ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى بالفساد أن يقتل أبناءكم ويستحيى نساءكم كما فعلتم بقومه يفعله بكم، فلما قال فرعون لقومه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾.

استعاذ موسى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ يعنى متعظم عن الإيمان يعنى التوحيد ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٧] يعنى فرعون لا يصدق بيوم يدان بين العباد ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يعنى قبطى مثل فرعون ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ مائة سنة حتى سمع قول فرعون فى قتل موسى، عليه السلام.

فقال المؤمن: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعنى اليد والعصا ﴿وَإِن يَكُ﴾ موسى ﴿كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ فى قوله وكذبتموه ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [آية: ٢٨] يعنى مشرك مفتن.

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ
قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ

ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ
ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ
﴿٣٣﴾ ۞

وقال المؤمن: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ لأنه قبطى مثلهم ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى أرض مصر على أهلها ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فمن يمنعنا من عذاب الله عز وجل ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ لما سمع فرعون قول المؤمن ﴿قَالَ﴾ عدو الله ﴿فِرۡعَوۡنُ﴾ عند ذلك لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ﴾ من الهدى ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لنفسى ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [آية: ٢٩] يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى، بل يدلهم على سبيل الغى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ يعنى صدق بتوحيد الله عز وجل ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾ فى تكذيب موسى ﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى مثل أيام عذاب الأمم الخالية الذين كانوا رسلهم ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ﴾ يعنى مثل أشباه ﴿قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [آية: ٣١] فيعذب على غير ذنب.

ثم حذرهم المؤمن عذاب الآخرة، فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [آية: ٣٢] يعنى يوم ينادى أهل الجنة أهل النار ﴿**أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا**﴾ [الأعراف: ٤٤]، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة: ﴿**أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ [الأعراف: ٥٠].

ثم أخبر المؤمن عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ يعنى بعد الحساب إلى النار ذاهبين، كقوله: ﴿**فتولوا عنه مدبرين**﴾ [الصافات: ٩٠] يعنى ذاهبين إلى عيدهم ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ يعنى من مانع يمنعكم من الله عز وجل ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [آية: ٣٣] يعنى من أحد يهديه إلى دين الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ
مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ
مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

ثم وعظهم ليتفكروا، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ولم يكن رآه المؤمن قط، و ﴿مِن قَبْلُ﴾ موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى ببينات تعبير رؤيا الملك البقرات السبع بالسنين.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ يعنى مما أخبركم من تصديق الرؤيا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ يعنى مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى إضمار ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ يعنى من هو مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾ [آية: ٣٤] يعنى شاك فى الله عز وجل، لا يوحد الله تعالى.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ يعنى بغير حجة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ من الله ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نزلت فى المستهزئين من قريش يقول: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يعنى يختم الله عز وجل بالكفر ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [آية: ٣٥] يعنى قتال يعنى فرعون تكبر عن عبادة الله عز وجل، يعنى التوحيد كقوله: ﴿**إن تريد إلا أن تكون جبارًا**﴾ [القصص: ١٩]، يعنى قتالاً.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يعنى قصرًا مشيدًا من آجر ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [آية: ٣٦] ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى أبواب السموات السبع يعنى باب كل سماء إلى السابعة ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ثم قال فرعون لهامان: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعنى إنى لأحسب موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ فيما يقول: إن فى السماء إلهًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يقول: وهكذا ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أن يطلع إلى إله موسى، قال: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: وصد فرعون الناس حين قال لهم: ما أريكم إلا ما أرى فصدهم عن الهدى ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [آية: ٣٧] يقول: وما قول فرعون إنه يطلع إلى إله موسى إلا فى خسار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ
إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي
بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ
دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

ثم نصح المؤمن لقومه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى طريق الهدى ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: تمتعون فى الدنيا قليلاً، ثم استقرت الدار الآخرة بأهل الجنة وأهل النار، يعنى بالقرار لا زوال عنها.

ثم أخبر بمستقر الفريقين جميعًا، فقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ﴾ يعنى الشرك ﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ فجزاء الشرك النار وهما عظيمان كقوله: ﴿جزاءً وفاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آية: ٤٠] يقول: بلا تبعة فى الجنة فيما يعطون فيها من الخير.

ثم قال: ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار إضمار يعنى التوحيد ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤١] يعنى الشرك ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ بأن له شريكًا ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ فى نقمته من أهل الشرك ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ [آية: ٤٢] لذنوب أهل التوحيد.

ثم زهدهم فى عبادة الآلهة، فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يعنى حقًا ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ من عبادة الآلهة ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ مستجابة إضمار تنفعكم يقول: ليس بشىء ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى مرجعنا بعد الموت إلى الله فى الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤٣] يومئذ فردوا عليه نصيحته.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ
﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ
﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا

لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى
ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ
تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

فقال المؤمن: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصيحة فأوعدوه، فقال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية: ٤٤] واسمه حزبيل بن برحيال، فهرب المؤمن إلى الجبال فطلبه رجلان، فلم يقدرا.

فذلك قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ يعنى ما أرادوا به من الشر ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٥] يقول: ووجب بآل القبط، وكان فرعون قبطيًا، شدة العذاب، يعنى الغرق.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وذلك أن أرواح آل فرعون، وروح كل كافر تعرض على منازلها كل يوم مرتين ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ما دامت الدنيا، ثم أخبر بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى القيامة يقال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى أشد عذاب المشركين.

ثم أخبر عن خصومتهم فى النار، فقال: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعنى يتخاصمون ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الإيمان، وهم القادة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فى دينكم ﴿فَهَلْ أَنتُم﴾ يا معشر القادة ﴿مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤٧] باتباعنا إياكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم القادة للضعفاء: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ﴾ يعنى قضى ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [آية: ٤٨] قد أنزلنا منازلنا فى النار وأنزلكم منازلكم فيها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ فلما ذاق أهل النار شدة العذاب، قالوا: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ يعنى سلوا لنا ربكم ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ من أيام الدنيا إضمار ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٩].

فردت عليهم الخزنة فـ ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم﴾ يعني رسل منكم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ يعني بالبيان ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ قد جاءتنا الرسل ﴿قَالُواْ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [آية: ٥٠].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني بالنصر فى الدنيا الحجة التى معهم إلى العباد ﴿وَ﴾ نصرهم فى الآخرة ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [آية: ٥١] يعنى الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، ويشهدون على الكفار بتكذيبهم، والنصر للذين آمنوا: أن الله تبارك وتعالى أجاهم مع الرسل من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ يعنى العذاب ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٥٢] الضلالة نار جهنم.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى﴾ يعنى أعطيناه ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعنى التوراة هدى من الضلالة ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ من بعد موسى ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آية: ٥٣].

﴿هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٥٤] يعنى تفكرًا لأهل اللب، والعقل.

قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وذلك أن الله تبارك وتعالى وعد النبى ﷺ متى يكون هذا الذى تعدنا؟ يقولون ذلك استهزاء وتكذيبًا بأنه غير كائن، فأنزل الله عز وجل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فى العذاب أنه نازل بهم القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، فهذا العذاب ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ

﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آية: ٥٥] يعنى وصل بأمر ربك بالغداة، يعنى صلاة الغداة، وصلاة العصر.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: إن صاحبنا يبعث فى آخر الزمان، وله سلطان يعنون الدجال، ماء البحر إلى ركبته، والسحاب فوق رأسه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمارون فى آيات الله، لأن الدجال آية من آيات الله عز وجل ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ يعنى بغير حجة أتتهم من الله، إضمار بأن الدجال كما يقولون، يقول الله عز وجل: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ يقول: ما فى قلوبهم إلا عظمة ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ إلى ذلك الكبر لقولهم: إن الدجال يملك الأرض ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ يا محمد من فتنة الدجال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم يعنى اليهود ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [آية: ٥٦] به.

ثم قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى بالناس فى هذا الموضع الدجال وحده يقول: خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، يقول: هما أعظم خلقًا من خلق الدجال ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٧] يعنى اليهود.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

ثم ضرب مثل المؤمن، ومثل الكافر، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى﴾ فى الفضل ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ يعنى الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعنى المؤمن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ يعنى وما يستوى فى الفضل المؤمن المحسن، ولا الكافر المسيئ ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٨].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعنى كائنة لا شك فيها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٩] يعنى كفار مكة أكثرهم لا يصدقون بالبعث.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ لأهل اليمن: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، ثم ذكر كفار مكة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ يعنى عن التوحيد ﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾ فى الآخرة ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى صاغرين.

ثم ذكر النعم، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ لابتغاء الرزق، فهذا فضله، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٦١] ربهم فى نعمه فيوحدونه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

ثم دلهم على نفسه تعالى بصنعه ليوحد، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذى جعل الليل والنهار وهو ﴿رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ثم وحد نفسه، فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٦٢] يقول: من أين تكذبون بأنه ليس بواحد لا شريك له؟.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ﴾ يعنى هكذا يكذب بالتوحيد ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ [آية: ٦٣].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ﴾ فى الأرحام يعنى خلقكم ﴿فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ ولم يخلقكم على خلقة الدواب والطير ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ يعنى من غير رزق الدواب والطير، ثم دل على نفسه، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ الذى خلق الأرض والسماء وأحسن الخلق ورزق الطيبات ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٦٤].

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم أمره بتوحيده، فقال تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ﴾ يعنى موحدين ﴿لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ يعنى له التوحيد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٦٥].

﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وذلك أن كفار مكة من قريش قالوا للنبى ﷺ: ما يحملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة، فتأخذ به، فما يحملك على ذلك إلا الحاجة، فنحن نجمع لك من أموالنا، فأمروه بترك عبادة الله تعالى، فأنزل الله ﴿ ۞ قُلْ ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ يعنى تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ لَمَّا جَآءَنِىَ ﴾ يعنى حين جاءنى ﴿ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ﴾ يعنى أخلص التوحيد ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ٦٦].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث، فأخبرهم الله عن بدء خلقهم ليعتبروا فى البعث، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعنى ذريته ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ يعنى مثل الدم ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾ يعنى ثمانى عشرة سنة، فهو فى الأشد ما بين الثمانى عشرة إلى الأربعين سنة ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ﴾ يعنى لكى تكونوا سيوخًا ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أن يكون شيخًا ﴿ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ يعنى الشيخ والشاب جميعًا ﴿ وَلَعَلَّكُمْ ﴾ يعنى ولكى ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لكى تعقلوا آثار ربكم فى خلقكم بأنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم.

ثم قال: ﴿ هُوَ ﴾ الله ﴿ ٱلَّذِى يُحْىِۦ ﴾ الموتى ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ الأحياء ﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ كان فى علمه يعنى البعث ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ [آية: ٦٨] مرة واحدة لا يثنى قوله.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى آيات الله القرآن أنه ليس من الله عز وجل ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ [آية: ٦٩] يقول: من أين يعدلون عنه إلى غيره يعنى كفار مكة.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ
ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ
﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ يعنى محمدًا ﷺ أرسل بالتوحيد، فأوعدهم فى الآخرة. فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٠] هذا وعيد.

ثم أخبر عن الوعيد، فقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [آية: ٧١] على الوجوه.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ يعنى حر النار ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى يوقدون، فصاروا وقودها.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ قبل دخول النار، يعنى تقول لهم الخزنة: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فهل يمنعونكم من النار يعنى الآلهة، و﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ضلت عنا الآلهة ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ يعنى لم نكن نعبد من قبل فى الدنيا شيئًا إن الذى كنا نعبد كان باطلاً لم يكن شيئًا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿ذَٰلِكُم﴾ السلاسل والأغلال والسحب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى تبطرون من الخيلاء والكبرياء ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى تعصون فى الأرض.

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبع ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا تموتون ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ يعنى فبئس مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٧٦] عن الإيمان.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ﴾ وذلك أن النبى ﷺ أخبر كفار مكة أن العذاب نازل بهم، فكذبوه، فأنزل الله عز وجل يعزى نبيه ﷺليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ﴾ فى العذاب أنه نازل بهم ببدر، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فى حياتك ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب فى الدنيا القتل ببدر، وسائر العذاب بعد الموت نازل بهم، ثم قال: ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ يا محمد قبل عذابهم فى الدنيا ﴿فَإِلَيۡنَا﴾ فى الآخرة ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٧٧] يعنى يردون فنجزيهم بأعمالهم

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِى صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ يا محمد ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ ذكرهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يأتيهم بآية يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ يعنى وما ينبغى لرسول ﴿أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ إلى قومه ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى إلا بأمر الله ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ بالعذاب يعنى القتل ببدر فيها تقديم، ﴿قُضِيَ﴾ العذاب ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى لم يظلموا حين عفوا ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ يعنى عند ذلك ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [آية: ٧٨] يعنى المكذبين بالعذاب فى الدنيا بأنه غير كائن.

ثم ذكرهم صنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ يعنى الإبل والبقر ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [آية: ٧٩] يعنى الغنم.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ فى ظهورها، وألبانها، وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ﴿وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِى صُدُورِكُمۡ﴾ يعنى فى قلوبكم ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ يعنى الإبل والبقر ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعنى السفن ﴿تُحۡمَلُونَ﴾ [آية: ٨٠].

ثم قال: ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ لهذا الذى ذكر من الفلك والأنعام من آياته، فاعرفوا توحيده بصنعه، وإن لم تروه، ثم قال: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [آية: ٨١] أنه ليس من الله عز وجل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا، فيوحدوه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى قبل أهل مكة من الأمم الخالية يعنى عادًا، وثمود، وقوم لوط، ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ يعنى بطشًا، ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى أعمالاً وملكًا فى الأرض، فكان عاقبتهم العذاب ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٢] فى الدنيا حين نزل بهم العذاب، يقول: ما دفع عنهم العذاب أعمالهم الخبيثة.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى بخبر العذاب أنه نازل بهم ﴿فَرِحُوا﴾ فى الدنيا يعنى رضوا ﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فقالوا: لن نعذب ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى وجب العذاب لهم بـ ﴿مَّا كَانُوا بِهِ﴾ بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية: ٨٣] أنه غير كائن.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ يعنى عذابنا فى الدنيا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ لا شريك له ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٨٤].

يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ يعنى عذابنا فى الدنيا، يقول: لم يك ينفعهم تصديقهم بالتوحيد حين رأوا عذابنا ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ بالعذاب فى الذين خلوا من قبل يعنى فى الأمم الخالية إذا عاينوا العذاب لم ينفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، فإنه رفع عنهم العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ يقول: غبن عند ذلك ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [آية: ٨٥] بتوحيد الله عز وجل، فاحذروا يا أهل مكة سنة الأمم الخالية، فلا تكذبوا محمدًا ﷺ.

قال مقاتل: فرعون أول من طبخ الآجر، وبنى به، وقال: قتل جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وزيد بن حارثة، بمؤتة قتلهم غسان، وقتل خالد بن الوليد يوم فتح مكة من بنى جذيمة سبعين رجلاً.

قال مقاتل: عاد، وثمود ابنا عم، وموسى، وقارون ابنا عم، وإلياس، واليسع ابنا عم، ويحيى، وعيسى ابنا خالة.

قال مقاتل: أم عبد المطلب سلمى بنت زيد بن عدى، من بنى عدى بن النجار، وأم النبى ﷺ آمنة بنت وهب، من بنى عبد مناف بن زهرة.

* * *

سُورَةُ فُصِّلَتْ

مكية، عددها أربع وخمسون آية كوفية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (٤) وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ (٥) قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ (٨)﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: آية: ١].

﴿تَنزِيلٌ﴾ حم، يعنى ما حم فى اللوح المحفوظ، يعنى ما قضى من الأمر، ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٢]، اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، يعنى المسترحم على خلقه، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، أرق من الرحمن، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ اللطيف بهم.

قوله: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ ليفقهوه، ولو كان غير عربى، ما علموه، فذلك قوله: ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣] ما فيه.

ثم قال: القرآن ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار، ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾، يعنى أكثر أهل مكة عن القرآن، ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [آية: ٤] الإيمان به.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾، وذلك أن أبا جهل بن هشام، وأبا سفيان بن حرب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، دخلوا على على بن أبى طالب، ورسول الله ﷺ عنده، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، فشق ذلك عليهم، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾، يقولون: عليها الغطاء، فلا تفقه ما تقول، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ﴾، يعنى ثقل، فلا تسمع ما تقول، ثم إن أبا جهل بن هشام جعل ثوبه بينه وبين النبى ﷺ، ثم قال: يا محمد، أنت من ذلك الجانب، ونحن من هذا الجانب، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾، يعنى ستر، وهو الثوب الذى رفعه أبو جهل، ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ يا محمد لإلهك الذى أرسلك، ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٥] لآلهتنا التى نعبدها.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لقولهم لرسول الله ﷺ: اعمل أنت لإلهك، ونحن لآلهتنا، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالتوحيد، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك، ثم أوعدهم إن لم يتوبوا من الشرك، فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٦]، يعنى كفار قريش.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى لا يعطون الصدقة، ولا يطعمون الطعام، ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: آية: ٧] بها بأنها غير كائنة.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بالتوحيد، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى غير منقوص فى الآخرة.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ بالتوحيد، و ﴿بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾، يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾، يعنى شركا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى خلق الأرض فى يومين هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩]، يعنى الناس أجمعين.

ثم قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾، يعنى جعل الجبل من فوق الأرض أوتادًا للأرض؛ لئلا تزول بمن عليها، ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾، يعنى فى الأرض، والبركة الزرع والثمار والنبت وغيره، ثم قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، يقول: وقسم فى الأرض أرزاق العباد والبهائم، ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [آية: ١٠]، يعنى عدلاً لمن يسأل الرزق من السائلين.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، قبل ذلك، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا﴾ عبادتى ومعرفتى، يعنى أعطيا الطاعة طيعًا، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾، وذلك أن اله تعالى حين خلقهما عرض عليهما الطاعة بالشهوات واللذات، على الثواب والعقاب، فأبين أن يحملنها من المخافة، فقال لهما الرب: ائتيا المعرفية لربكما والذكر له، على غير ثواب ولا عقاب، طوعًا أو كرهًا، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [آية: ١١]، يعنى أعطيناه طائعين.

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، يقول: فخلق السموات السبع، ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾، الأحد والاثنين، ﴿وَأَوْحَىٰ﴾، يقول: وأمر ﴿فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذى أراده، قال: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾، يقول: لأنها أدنى السموات من الأرض، ﴿بِمَصَابِيحَ﴾، يعنى الكواكب، ﴿وَحِفْظًا﴾ بالكواكب، يعنى ما يرمى الشياطين بالشهاب؛ لئلا يستمعوا إلى السماء، يقول: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من صنعه فى هذه الآية، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾ [آية: ١٢] بخلقه.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان، يعنى التوحيد، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ فى الدنيا، ﴿مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [آية: ١٣]، يقول: مثل عذاب عاد وثمود، وإنما خص عادًا وثمود من بين الأمم؛ لأن كفار مكة قد عاينوا هلاكهم باليمن والحجر.

قال مقاتل: كل من يموت من عذاب، أو سقم، أو قتل، فهو مصعوق.

ثم قال: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، يعنى من قبلهم ومن بعدهم، فقالوا لقومهم: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، يقول: وحدوا الله، ﴿قَالُوا﴾ للرسل: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾، فكانوا إلينا رسلاً، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾، يعنى بالتوحيد، ﴿كَافِرُونَ﴾ [آية: ١٤] لا نؤمن به.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا﴾، يعنى فتكبروا عن الإيمان وعملوا ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فخوفهم هود العذاب، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، يعنى بطشًا، قال: كان الرجل منهم ينزع الصخرة من الجبل لشدته، وكان طوله اثنا عشر ذراعًا، ويقال: ثمانية عشر ذراعًا، وكانوا باليمن فى حضرموت، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، يقول: أو لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، يعنى بطشًا، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾، يعنى بالعذاب، ﴿يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ١٥] أنه لا ينزل بهم، فأرسل الله عليهم الريح فأهلكتهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا
جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، فأرسل الله ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، يعنى باردة، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، يعنى شدادًا، وكانت ريح الدبور فأهلكتهم، فذلك قوله: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾، يعنى لكى نعذبهم، ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾، يعنى الهوان، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فهو الريح، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾، يعنى أشد وأكثر إهانة من الريح التى أهلكتهم فى الدنيا، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آية: ١٦]، يعنى لا يسمعون من العذاب.

قال عبد الله: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول: الصرصر، الريح الباردة التى لها صوت.

ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، يعنى بينا لهم، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، يقول: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى يعملون من الشرك.

ثم قال: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بالتوحيد من العذاب الذى نزل بكفارهم، ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٨] الشرك.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ١٩]، نزلت فى صفوان بن أمية الجمحى، وفى ربيعة، وعبد ياليل ابنى عمرو الثقفيين [......](١)، إلى خمس آيات، ويقال: إن الثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وفرقد بن ثمامة، وأبو فاطمة، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، يعنى يساقون إلى النار، تسوقهم خزنة جهنم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾، يعنى النار وعاينوها، قيل لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا؟ قالوا عند ذلك: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فختم الله على أفواههم، وأوحى إلى الجوارح فنطقت بما كتمت الألسن من الشرك، فذلك قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ وأيديهم، وأرجلهم، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٠] من الشرك.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

فلما شهدت عليهم الجوارح، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ﴾، قالت الألسن للجوارح: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾، يعنى الجوارح، قالوا: أبعدكم الله، إنما كنا نجاحش عنكم، فلم شهدتم علينا بالشرك، و لم تكونوا تتكلمون فى الدنيا، ﴿قَالُوٓاْ﴾، قالت الجوارح للألسن: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ اليوم، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الدواب وغيرها، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعنى هو أنطقكم أول مرة من قبلها فى الدنيا، قبل أن ننطق نحن اليوم، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٢١]، يقول: إلى الله تردون فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم، فى التقديم.

وذلك أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا فى ظل الكعبة يتكلمون، فقال أحدهما: هل يعلم الله ما تقول؟ فقال الثانى: إن خفضنا لم يعلم، وإن رفعنا علمه، فقال الثالث: إن كان الله يسمع إذا رفعنا، فإنه يسمع إذا خفضنا، فسمع قولهم عبد الله بن مسعود، فأخبر بقولهم النبى ﷺ، فأنزل الله فى قولهم: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾، يعنى تستيقنون، وقالوا: تستكتمون، ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾، يعنى حسبتم، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى هؤلاء الثلاثة، قول بعضهم لبعض: هل يعلم الله ما نقول؟ لقول الأول والثانى والثالث، يقول: حسبتم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾، يقول: يقينكم الذى أيقنتم بربكم وعلمكم بالله بأن الجوارح لا تشهد عليكم، ولا تنطق، وأن الله لا يجزيكم بأعمالكم الخبيثة، ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾، يعنى أهلككم سوء الظن، ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢٣] بظنكم السيىء، كقوله لموسى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٦]، يقول فتهلك، ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، يعنى من أهل النار.

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ على النار، ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾، يعنى فالنار مأواهم، ﴿وَإِن

يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ فى الآخرة، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: وإن يستقيلوا ربهم فى الآخرة، فما هم من المقالين، لا يقبل ذلك منهم.

﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ثم قال: ﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ﴾ فى الدنيا ﴿قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين، يقول: وهيأنا لهم قرناء فى الدنيا، ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾، يقول: فحسنوا لهم، كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ [يونس: ١٢]، يقول: حسن ﴿مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، يعنى من أمر الآخرة، وزينوا لهم التكذيب بالبعث والحساب والثواب والعقاب أن ذلك ليس بكائن، ﴿وَ﴾ زينوا لهم ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من الدنيا، فحسنوه فى أعينهم، وحببوها إليهم حتى لا يعملوا خيرًا، ﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾، يعنى وجب عليهم العذاب، ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾، يعنى مع أمم، ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم﴾، يعنى من قبل كفار مكة، ﴿مِّنَ﴾ كفار ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ من الأمم الخالية، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى الكفار، ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [آية: ....][1]، إلى ثلاث آيات، هذا قول أبى جهل، وأبى سفيان لكفار قريش، قالوا لهم: إذا سمعتم القرآن من محمد ﷺ وأصحابه، فارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام فى وجوههم، حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتون، فذلك قوله: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ بالأشعار والكلام، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى لكى تغلبونهم فيسكتون.

فأخبر الله تعالى بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾، يعنى أبا جهل وأصحابه، ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] من الشرك.

---

[1] ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾، يعنى أبا جهل وأصحابه، ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ لا يموتون، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بآيات القرآن، ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ [آية: ٢٨] أنه ليس من الله تعالى، وقد عرفوا أن محمدًا ﷺ صادق فى قوله، ونزل فى أبى جهل بن هشام، وأبى بن خلف: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ** ...﴾ [فصلت: ٤٠] الآية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾؛ لأنهما أول من أقاما على المعصية من الجن إبليس، ومن الإنس ابن آدم قاتل هابيل رأس الخطيئة، ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾، يعنى من أسفل منا فى النار، ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [آية: ٢٩] فى النار.

ثم أخبر عن المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فعرفوه، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على المعرفة، ولم يرتدوا عنها، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فى الآخرة من السماء، وهم الحفظة، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٣٠]، وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره، فينفض رأسه، وملكه قائم على رأسه يسلم عليه، فيقول الملك للمؤمن: أتعرفنى؟ فيقول: لا، فيقول: أنا الذى كنت أكتب عملك الصالح، فلا تخف ولا تحزن، وأبشر بالجنة التى كنت توعد، وذلك أن الله وعدهم على ألسنة الرسل فى الدنيا الجنة.

﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾

وتقول الحفظة يومئذ للمؤمنين: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ونحن أولياؤكم

اليوم ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى ما تتمنون.

هذا الذى أعطاكم الله كان ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [آية: ٣٢].

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى التوحيد، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى المخلصين، يعنى النبى ﷺ.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وذلك أن أبا جهل كان يؤذى النبى ﷺ، وكان النبى مبغضًا له، يكره رؤيته، فأمر بالعفو والصفح، يقول: إذا فعلت ذلك، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ﴾ لك فى الدين، ﴿حَمِيمٌ﴾ [آية: ٣٤] لك فى النسب، الشفيق عليك.

ثم أخبر نبيه، عليه السلام: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾، يعنى لا يؤتاها، يعنى الأعمال الصالحة، العفو والصفح، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على كظم الغيظ، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾، يعنى لا يؤتاها، ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٣٥] نصيبًا وافرًا فى الجنة، فأمره الله بالصبر، والاستعاذة من الشيطان فى أمر أبى جهل.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، يعنى يفتننك فى أمر أبى جهل والرد عنه، ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾، يعنى فتنة، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بالاستعاذة، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٦] بها، نظيرها فى حم المؤمن: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وفى الأعراف أمر أبى جهل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أن يعرف التوحيد بصنعه، وإن لم تروه، ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، يعنى الذى خلق هؤلاء الآيات، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٣٧]، فسجد النبى ﷺ والمؤمنون يومئذ، فقال كفار مكة عند ذلك: بل نسجد للات، والعزى، ومناة.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود لله، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ [آية: ٣٨]، يعنى لا يملون من الذكر له والعبادة، وليست لهم فترة ولا سآمة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ

أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أن يعرف التوحيد بصنعه، وإن لم تروه، ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾، متهشمة غبراء لا نبت فيها، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾، يعنى على الأرض المطر، فصارت حية، فأنبتت، و﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ بالخضرة، ﴿وَرَبَتْ﴾، يقول: وأضعفت النبات، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها، ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ فى الآخرة، ليعتبر من يشك فى البعث، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩]، من البعث وغيره.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى أبا جهل، يميل عن الإيمان بالقرآن، بالأشعار والباطل، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾، يعنى أبا جهل، وأخبر الله تعالى بمستقره فى الآخرة، فقال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾، يعنى أبا جهل، خير ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ثم قال لكفار مكة: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾، هذا وعيد، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٤٠]، من الشرك وغيره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى أبا جهل، ﴿بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، يعنى به القرآن حين جاءهم، وهو أبو جهل وكفار مكة، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٤١]، يقول: وإنه لقرآن منيع من الباطل، فلا يستذل؛ لأنه كلام الله.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يقول: لا يأتى القرآن بالتكذيب، بل يصدق هذا القرآن الكتب التى كانت قبله: التوراة، والإنجيل، والزبور، ثم قال: ﴿وَلَا﴾ يأتيه الباطل ﴿مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، يقول: لا يجيئه من بعده كتاب يبطله فيكذبه، بل هو ﴿تَنزِيلٌ﴾، يعنى وحى، ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾ فى أمره، ﴿حَمِيدٍ﴾ [آية: ٤٢] عند خلقه.

ثم قال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد من التكذيب بالقرآن أنه ليس بنازل عليك، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ من قومهم من التكذيب لهم أنه ليس العذاب بنازل بهم، يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى والتكذيب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، يقول: ذو تجاوز فى تأخير العذاب عنهم إلى الوقت، حين سألوا العذاب فى الدنيا، وإذا جاء الوقت،

﴿وَذُو عِقَابٍ﴾، فهو ذو عقاب ﴿أَلِيمٍ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى وجيع، كقوله: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، إن كنتم تتوجعون.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾، وذلك أن كفار قريش كانوا إذا رأوا النبى ﷺ يدخل على يسار أبى فكيهة اليهودى، وكان أعجمى اللسان، غلام عامر بن الحضرمى القرشى يحدثه، قالوا: ما يعلمه إلا يسار أبو فكيهة، فأخذه سيده فضربه، وقال له: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال يسار: بل هو يعلمنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾، يقول: بلسان العجم، ﴿لَّقَالُواْ﴾، لقال كفار مكة: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾، يقول: هلا بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بالعربية حتى نفقه ونعلم ما يقول محمد، ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ﴾، ولقالوا: إن القرآن أعجمى أنزل على محمد، ﴿وَ﴾ وهو ﴿وَعَرَبِىٌّ قُلْ﴾ نزله الله عربيًا لكى يفقهوه، ولا يكون لهم علة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما فى القلوب للذى فيه من التبيان، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالآخرة، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، يعنى ثقل، فلا يسمعون الإيمان بالقرآن، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، يعنى عموا عنه، يعنى القرآن، فلم يبصروه ولم يفقهوه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٤٤] إلى الإيمان بأنه غير كائن؛ لأنهم صم عنه، وعمى، وفى آذانهم وقر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: أعطينا موسى التوراة، ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، يقول: فكفر به بعضهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، وهى كلمة الفصل بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى، يعنى يوم القيامة، يقول: لولا ذلك الأجل، ﴿لَقُضِىَ﴾، يعنى بين الذين آمنوا وبين الذين اختلفوا وكفروا بالكتاب، لولا ذلك الأجل، لنزل بهم العذاب فى الدنيا، ﴿بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾، يعنى من الكتاب، ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى أنهم لا يعرفون شكهم.

ثم قال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ﴾ العمل، ﴿فَعَلَيْهَا ۗ﴾، يقول: إساءته على نفسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٤٦].

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: أخبرنا عن الساعة، فإن كنت رسولاً كما زعمت علمتها، وإلا علمنا أنك لست برسول، ولا نصدقك، قال النبى ﷺ: «لا يعلمها إلا الله، أرد علمها إلى الله»، فقال الله عز وجل للنبى ﷺ: فإن كنت رددت علمها، يعنى علم الساعة إلى الله، فإن الملائكة والخلق كلهم ردوا علم الساعة، يعنى القيامة، إلى الله عز وجل، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾، يعنى من أجوافهما، يعنى الطلع، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ ذكرًا أو أنثى، سويًا وغير سوى، يقول: ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾، يقول: لا تحمل المرأة الولد، ولا تضعه إلا بعلمه، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾، يقول: أسمعناك، كقوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢]، يقول: سمعت لربها، ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [آية: ٤٧] يشهد بأن لك شريكًا، فتبرءوا يومئذ من أن يكون مع الله شريك.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

يقول: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾، يقول: يعبدون، يقول: ما عبدوا فى الدنيا ﴿مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟﴾، يعنى وعلموا، ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى من فرار من النار.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، يقول: لا يمل الكافر، ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾، يقول: لا يزال يدعو ربه الخير والعافية، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، يعنى البلاء وشدة، ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ من الخير، ﴿قَنُوطٌ﴾ [آية: ٤٩] من الرحمة.

ثم قال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾، يقول: ولئن آتيناه خير وعافية، ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، يعنى بعد بلاء وشدة أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾، يقول: أنا أحق بهذا، يقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾، يقول: ما أحسب ﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، يعنى القيامة كائنة، ثم قال

الكافر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ فى الآخرة إن كانت آخرة، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الجنة كما أعطيت فى الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من أعمالهم الخبيثة، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [آية: ٥٠]، يعنى شديد لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْـَٔافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالخير والعافية، ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الدعاء، فلا يدعو ربه، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، يقول: وتباعد بجانبه عن الدعاء فى الرخاء، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، بلاء أو شدة أصابته، ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [آية: ٥١]، يعنى دعاء كبير يسأل ربه أن يكشف ما به من الشدة فى الدعاء، ويعرض عن الدعاء فى الرخاء.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾، وذلك أنهم قالوا للنبى ﷺ: ما هذا القرآن إلا شىء ابتدعته من تلقاء نفسك، أما وجد الله رسولاً غيرك، وأنت أحقرنا، وأنت أضعفنا ركنًا، وأقلنا جندًا، أو يرسل ملكًا، إن هذا الذى جئت به لأمر عظيم، يقول الله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾، يقول: فلا أحد أضل، ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى فى ضلال طويل.

ثم خوفهم، فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى عذابنا، ﴿فِي ٱلْـَٔافَاقِ﴾، يعنى فى البلاد ما بين اليمن والشام، عذاب قوم عاد، وثمود، وقوم لوط، كانوا تمرون عليهم، ثم قال: ﴿وَ﴾ نريهم العذاب ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فهو القتل ببدر، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى أن هذا القرآن الحق من الله عز وجل، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ شاهدًا أن هذا القرآن جاء من الله عز وجل، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٥٣]، كقوله فى الأنعام: ﴿قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى فى شك من البعث وغيره، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [آية: ٥٤].

* * *

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورة حم عسق، مكية، عددها خمسون وثلاث آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ
أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿عٓسٓقٓ﴾ [آية: ٢] فى أمر العذاب يا محمد، فيها تقديم، إليك وإلى الأنبياء من قبلك.

فمن ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء أنه نازل بقومهم إذا كذبوا الرسل، ثم عظم نفسه، فقال له: يا محمد، إنما ذلك بوحى ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣] فى أمره.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾، يعنى الرفيع فوق خلقه، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٤]، فلا أكبر منه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾، يعنى يتشققن من عظمة الرب الذى هو فوقهن، ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى يصلون بأمر بهم، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثم بين فى حم المؤمن، أى الملائكة هم، فقال: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾، ثم بين لمن يستغفرون، فقال: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ**

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، يعنى المؤمنين، فصارت هذه الآية منسوخة، نسختها الآية التى فى حم المؤمن، ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥] بهم.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، يعبدونها من دون الله، ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى رقيب عليهم، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم﴾ يا محمد، ﴿بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ٦]، يعنى بمسيطر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليفقهوا ما فيه، و ﴿لِّتُنذِرَ﴾، يعنى ولكى تنذر بالقرآن يا محمد ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وهى مكة، وإنما سميت أم القرى؛ لأن الأرض كلها دحيت من تحت الكعبة، قال: ﴿وَ﴾ لتنذر يا محمد بالقرآن ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، يعنى حول مكة من القرى، يعنى قرى الأرض كلها، ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَتُنذِرَ﴾ بالقرآن ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾، يعنى جمع أهل السموات، وجمع أهل الأرض، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى لا شك فيه فى البعث أنه كائن، ثم بعد الجمع يتفرقون، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٧]، يعنى الوقود، ثم لا يجتمعون أبدًا.

قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى على ملة الإسلام وحدها، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى فى دينه الإسلام، ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾، يعنى من قريب ينفعهم فى الآخرة، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى ولا مانع يمنعهم من العذاب، عذاب النار.

قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الملائكة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، يعنى آلهة، وهم خزاعة وغيرهم يعبدونها، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾، يعنى الرب، ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٩].

قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وآمن بعضهم، فقال الله تعالى: إن الذى اختلفتم فيه، فإنى أرد قضاءه إلىَّ، وأنا أحكم فيه، ثم دل على نفسه بصنعه، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، الذى يحيى الموتى، ويميت الأحياء، هو أحياكم، وهو الله ﴿رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعنى به أثق، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [آية: ١٠]، يقول: إليه أرجع.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ
الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعنى خالق السموات والأرض، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يقول: جعل بعضكم من بعض أزواجًا، يعنى الحلائل لتسكنوا إليهن، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، يعنى ذكورًا وإناثًا، ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾، يقول: يعيشكم فيه فيما جعل من الذكور والإناث من الأنعام، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فى القدرة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقول كفار مكة، ﴿الْبَصِيرُ﴾ [آية: ١١] بما خلق.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ﴾، يعنى مفاتيح بلغة النبط، ﴿مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ﴾، المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعنى النبات، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، يقول: يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من البسط والقتر، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢].

قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾، يقول: بين لكم، ويقال: سن لكم آثار الإسلام، والمن هاهنا صلة، كـ ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، فيه تقديم، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، يعنى التوحيد، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: عظم على مشركى مكة، ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمد؛ لقولهم: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥]، يعنى التوحيد، ثم اختص أولياءه، فقال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾، يقول: يستخلص لدينه، ﴿مَن يَشَاءُ وَ﴾ هو ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ إلى دينه، ﴿مَن يُنِيبُ﴾ [آية: ١٣]، يعنى من يراجع التوبة.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ
مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾، يعنى البيان، ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾، ولولا كلمة الفصل التى سبقت من ربك فى الآخرة يا محمد فى تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، يعنى به القيامة، ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾، بين من آمن وبين من كفر، ولولا ذلك لنزل بهم العذاب فى الدنيا، حين كذبوا واختلفوا، ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ قوم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أورثوا الكتاب من بعدهم، اليهود، والنصارى من بعد أنبيائهم، ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾، يعنى من الكتاب الذى عندهم، ﴿مُرِيبٖ﴾ [آية: ١٤].

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾، يعنى إلى التوحيد، يقول الله لنبيه ﷺ: ادع أهل الكتاب إلى معرفة ربك، إلى هذا التوحيد، ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾، يقول: وامض، ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ بالتوحيد، كقوله فى الزمر: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ فى ترك الدعاء، وذلك حين دعاه أهل الكتاب إلى دينهم.

ثم قال: ﴿وَقُلۡ﴾ لأهل الكتاب: ﴿ءَامَنتُ﴾، يقول: صدقت، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾، يعنى القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾، بين أهل الكتاب فى القول، يقول: أعدل بما آتانى الله فى كتابه، والعدل أنه دعاهم إلى دينه، قوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾، يقول: لنا ديننا الذى نحن عليه، ولكم دينكم الذى أنتم عليه، ﴿لَا حُجَّةَ﴾، يقول: لا خصومة، ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ فى الدين، يعنى أهل الكتاب، نسختها آية القتال فى براءة، ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾، فى الآخرة، فيجازينا بأعمالنا، ويجازيكم، ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ١٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾، يعنى يخاصمون، ﴿فِى ٱللَّهِ﴾، فهم اليهود، قدموا على النبى ﷺ بمكة، فقالوا للمسلمين: ديننا أفضل من دينكم، ونبينا أفضل من نبيكم، يقول: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾، يعنى لله فى الإيمان، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾، يقول: خصومتهم باطلة حين زعموا أن يدنهم أفضل من دين الإسلام، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ من الله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آية: ١٦].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم ينزله باطلاً لغير شىء، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾، يعنى العدل، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمد، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [آية: ١٧]، وذلك أن النبى ﷺ ذكر الساعة وعنده أبو فاطمة بن البحترى، وفرقد بن ثمامة، وصفوان بن أمية، فقالوا للنبى ﷺ: متى تكون الساعة؟ تكذيبًا بها، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾، يعنى القيامة، ﴿قَرِيبٌ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ بالساعة، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، يعنى لا يصدقون بها، هؤلاء الثلاثة نفر، أنها كائنة؛ لأنهم لا يخافون ما فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾، يعنى بلال وأصحابه، صدقوا النبى ﷺ بها، يعنى بالساعة؛ لأنهم لا يدرون على ما يهجمون منها، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ الساعة أنها كائنة، ثم ذكر الذين لا يؤمنون بالساعة، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى هؤلاء الثلاثة، يعنى يشكون فى القيامة، ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ١٨]، يعنى طويل.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، البر منهم والفاجر، لا يهلكهم جوعًا حين قال: ﴿**إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً**﴾ [الدخان: ١٥]، ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ فى هلاكهم ببدر، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [آية: ١٩] فى نقمته منهم.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله الحسن، ﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يقول: من كان من الأبرار يريد بعمله الحسن ثواب الآخرة، ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾، يعنى بلالاً وأصحابه حتى يضاعف له فى حرثه، يقول: فى عمله، ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الفجار، ﴿يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى ثواب الدنيا، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى الجنة لهؤلاء الثلاثة، ﴿مِن نَّصِيبٍ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى من حظ، ثم نسختها: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ**﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ

ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى
رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ
ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى
ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟﴾، يقول: سنوا، ﴿لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾، يعنى كفار مكة، يقول: ألهم آلهة يبينوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ التى سبقت من الله فى الآخرة أنه معذبهم، يقول: لولا ذلك الأجل، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ﴾، يقول: لنزل بهم العذاب فى الدنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٢١]، يعنى وجيع.

ثم أخبر بمستقر المؤمنين والكافرين فى الآخرة، فقال: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من الشرك، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ﴾، يعنى العذاب، فى التقديم، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ﴾، يعنى بساتين الجنة، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الجنة، ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٢٢].

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾، ذكر من الجنة، ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾، من الأعمال، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، يعنى على الإيمان جزاء، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾، يقول: إلا أن تصلوا قرابتى، وتتبعونى، وتكفوا عنى الأذى، ثم نسختها: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾ [سبأ: ٤٧]، قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾، يقول: ومن يكتسب حسنة واحدة، ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ﴾، يقول: نضاعف له الحسنة الواحدة، عشرًا فصاعدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾، لذنوب هؤلاء، ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٢٣]، لمحاسنهم القليلة، حين يضاعف الواحدة عشرًا فصاعدًا.

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار مكة إن محمدًا، ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾، حين زعم أن

القرآن من عند الله، فشق على النبى ﷺ تكذيبهم إياه، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾، يقول: يربط على قلبك، فلا يدخل فى قلبك المشقة من قولهم بأن محمدًا كذاب مفتر، ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ﴾ إن شاء ﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الذى يقولون أنك كذاب مفتر، من قلبك، ﴿وَيُحِقُّ﴾ الله ﴿ٱلۡحَقَّ﴾، وهو الإسلام، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾، يعنى القرآن الذى أنزل عليه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى القلوب، يعلم ما فى قلب محمد ﷺ من الحزن من قولهم بتكذيبهم إياه.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يقول: ويتجاوز عن الشرك الذى تابوا، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] من خير أو شر.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [آية: ٢٦]، لا يفتر عنهم.

﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ
بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ
وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ
أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ
ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا
كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾، يعنى ولو وسع الله الرزق، ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾، فى ساعة واحدة، ﴿لَبَغَوۡاْ﴾، يعنى لعصوا، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فيها تقديم، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [آية: ٢٧] بهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾، يعنى المطر الذى حبس عنهم بمكة سبع سنين، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾، يعنى من بعد الإياسة، ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾، يعنى نعمته ببسط المطر، ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾، ولى المؤمنين، ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٨] عند خلقه فى نزول الغيث عليهم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أن تعرفوا توحيد الرب وصنعه، وإن لم تروه، ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾، يعنى الملائكة فى السموات والخلائق فى الأرض،

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ فى الآخرة، ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٩].

قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾، يعنى المؤمنين من بلاء الدنيا وعقوبة من اختلاج عرق، أو خدش عود، أو نكبة حجر، أو عثرة قدم، فصاعدًا إلا بذنب، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من المعاصى، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى ويتجاوز عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب بها فى الدنيا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: بلغنا أن النبى ﷺ قال: «ما عفا الله عنه فهو أكثر»، وقال: بلغنى أنه قال، يعنى النبى ﷺ: «ما عفا الله عنه، فلم يعاقب به فى الآخرة»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال: هاتان الآيتان فى الدنيا للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، يعنى بسابقى الله هربًا، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾، يعنى قريب ينفعكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٣١]، يقول: ولا مانع يمنعكم من الله جل وعز.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾، أن تعرفوا توحيده بصنعه، وإن لم تروه، ﴿ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى السفن تجرى فى البحر بالرياح كالأعلام، شبه السفن فى البحر كالجبال فى البر.

وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾، قائمات على ظهر الماء، فلا تجرى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ترون، يعنى السفن إذا جرين وإذا ركدن، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾، يعنى لعبرة، ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾، يقول: كل صبور على أمر الله، ﴿شَكُورٍ﴾ [آية: ٣٣] لله تعالى فى هذه النعمة.

ثم قال: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾، يقول: وإن يشأ يهلكهن، يعنى السفن، ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾، يعنى بما عملوا من الشرك، ﴿وَيَعْفُ﴾، يعنى يتجاوز، ﴿عَن كَثِيرٍ﴾ [آية: ٣٤]، من الذنوب، فينجيهم من الغرق والهلكة.

قال: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٣٥]، قال: ويعنى من فرار.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، تتمتعون بها قليلاً، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ مما أوتيتم فى الدنيا، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ وأدام ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى وبربهم يثقون.

ثم نعتهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾، يقول: كل ذنب يختم بنار، ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ما يقام فيه الحد فى الدنيا، ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى يتجاوزون عن ظلمهم، فيكظمون الغيظ ويعفون، نزلت فى عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رازح بن عدى بن لؤى حين شتم بمكة، فذلك قوله: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا**﴾، يعنى يتجاوزوا عن الذين ﴿**لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ** ...﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾، فى الإيمان، ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يقول: وأتموا الصلوات الخمس، نزلت فى الأنصار، داوموا عليها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، قال: كانت قبل الإسلام، وقبل قدوم النبى ﷺ المدينة، إذا كان بينهم أمر، أو أرادوا أمرًا، اجتمعوا فتشاوروا بينهم، فأخذوا به، فأثنى الله عليهم خيرًا، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣٨] فى طاعة الله.

قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾، يعنى الظلم، ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى المجروح ينتصر من الظالم، فيقتص منه.

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، أن يقتص منه المجروح كما أساء إليه، ولا يزيد شيئًا، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، يعنى فمن ترك الجارح ولم يقتص، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل كان العفو من الأعمال الصالحة، ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، قال: جزاؤه على الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى من بدأ بالظلم والجراءة.

ثم قال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾، يقول: إذا انتصر المجروح، فاقتص من الجارح، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم﴾، يعنى على الجارح، ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [آية: ٤١]، يعنى العدوان، حين انتصر من الجارح.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾، يعنى العدوان، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، يقول: يعملون فيها بالمعاصى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى وجيع.

ثم بين أن الصبر والتجاوز أحب إلى الله، وأنفع لهم من غيره، ثم رجع إلى المجروح، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ و لم يقتص، ﴿وَغَفَرَ﴾ وتجاوز، فـ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز، ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ٤٣]، يقول: من حق الأمور التى أمر الله عز وجل بها.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ
هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ
أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا
رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ﴾، يقول: ومن يضلل الله عن الهدى، فما له من قريب يهديه إلى دينه، ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾، مثلها فى الجاثية، قال: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الآخرة، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [آية: ٤٤]، يقول: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من سبيل.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾، يعنى على النار واقفين عليها، ﴿خَٰشِعِينَ﴾، يعنى خاضعين، ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ الذى نزل بهم، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾، يعنى يستخفون بالنظر إليها يسارقون النظر، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، وقالها فى الزمر، ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، فصاروا إلى النار، ﴿وَ﴾ خسروا ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يقول: وغبنوا أهليهم فى الجنة، فصاروا لغيرهم، ولو دخلوا الجنة أصابوا الأهل، فلما دخلوا النار حرموا فصار ما فى الجنة

والأهلين لغيرهم، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى دائم لا يزول عنهم، مثلها فى الروم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وما كان لهم من أقرباء يمنعونهم من الله، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [آية: ٤٦] إلى الهدى.

قوله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ بالإيمان، يعنى التوحيد، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، يعنى لا رجعة لهم، إذا جاء يوم القيامة لا يقدر أحد على دفعه، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، ثم أخبر عنهم يومئذ، فقال: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾، يعنى حرزًا يحرزكم من العذاب، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [آية: ٤٧] من العذاب.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الهدى، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، يعنى رقيبًا، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ يا محمد، ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، يقول: إذا مسسنا، وفى قراءة ابن مسعود: وإنا إذا أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها، يعنى المطر، ﴿مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾، يعنى كفار مكة، يعنى قحط فى المطر، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [آية: ٤٨]، فيها تقديم، لنعم ربه فى كشف الضر عنه، يعنى الجوع وقحط المطر، نظيرها فى الروم.

ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فى الرحم، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾، يعنى البنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى البنين، ليس فيهم أنثى.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾، يقول: وإن يشأ نصفهم، ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾، يعنى يولد له مرة بنين

وبنات، ذكورًا وإناثـا، فنجعلهم لـه، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ ، لا يولـد لـه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بخلقه، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٥٠] فى أمر الولد والعقم وغيره.

قوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ ، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت صادقًا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لـك حتى يعمل الله ذلك بك، فقال الله لهم: لم أفعل ذلك بموسى، وأنزل الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ ، يقول: ليس لنبى من الأنبياء أن يكلمه الله ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ ، فيسمع الصوت فيفقه، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ ، كما كان بينه وبين موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ﴾ ، يقول: أو يأتيه منى بوحى، يقول: أو يأمره فيوحى، ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾ ، يعنى رفيع فوق خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥١] فى أمره.

فقالوا للنبى: من أول المرسلين؟ فقال النبى ﷺ: «أول المرسلين آدم، عليه السلام»، فقالوا: كم المرسلين؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر جماء الغفير»، ومن الأنبياء من يسمع الصوت فيفقه، ومن الأنبياء من يوحى إليه فى المنام، وإن جبريل ليأتى النبى ﷺ كما يأتى الرجل صاحبه فى ثياب البياض مكفوفة بالدر والياقوت، ورخلاه مغموستان فى الخضرة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ، يعنى وهكذا، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ ، يعنى الوحى بأمرنا، كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك حين ذكر الأنبياء من قبله، فقال: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ ، إلى آخر الآية.

قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ يا محمد قبل الوحى، ما الكتاب، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ ، يعنى القرآن، ﴿نُورًا﴾ ، يعنى ضياء من العمى، ﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾ ، يعنى بالقرآن من الضلالة إلى الهدى، ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى إنك لتدعو إلى دين مستقيم، يعنى الإسلام.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ ، يقول: دين الله، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ ، خلقه وعبيده، وفى قبضته، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى أمور الخلائق فى الآخرة تصير إليه، فيجزئهم بأعمالهم، والله غفور لذنوب العباد، رحيم بهم.

قال مقاتل: سيد الملائكة إسرافيل، وهو صاحب الصور، وسيد الأنبياء محمد ﷺ، وسيد الشهداء هابيل بن آدم، وسيد المؤذنين بلال بن رباح، وسيد الشهور شهر

رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد السباع الأسد، وسيد الطير النسر، وسيد الأنعام الثور، وسيد الوحش الأيل، وسيد البلاد مكة، وسيد البقاع بكة، وسيد البيوت الكعبة، وسيد البحور بحر موسى، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد المجالس ما استقبل به القبلة، وسيد الصلاة صلاة المغرب.

* * *

سورة الزخرف

مكية، عددها تسع وثمانون آية كوفية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى البين ما فيه.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾؛ ليفقهوا ما فيه، ولو كان غير عربى ما عقلوه، ﴿لَّعَلَّكُمۡ﴾، يقول: لكى، ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٣] ما فيه.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يقول لأهل مكة: إن كذبتم بهذا القرآن، فإن نسخته فى أصل الكتاب، يعنى اللوح المحفوظ، ﴿لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ﴾، يقول: عندنا مرفوع، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤]، يعنى محكم من الباطل.

قوله: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾، يقول لأهل مكة: أفنذهب عنكم هذا القرآن سدى لا تسألون عن تكذيب به، ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ [آية: ٥]، يعنى مشركين.

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦].

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾، ينذرهم العذاب، ﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٧] بأنه غير نازل بهم.

﴿فَأَهۡلَكۡنَآ﴾ بالعذاب ﴿أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾، يعنى قوة، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ﴾، يعنى

شبه، ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨] فى العقوبة، حين كذبوا رسلهم، يقول: هكذا أمتك يا محمد فى سنة من مضى من الأمم الخالية فى الهلاك.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾، يقول لنبيه ﷺ: لئن سألت كفار مكة: ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٩] بخلقه.

ثم دل على نفسه بصنعه ليوحد، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا﴾، يعنى فرشًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا﴾، يعنى طرقًا تسلكونها، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ١٠]، يقول: لكى تعرفوا طرقها.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٍ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِى ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾، وهو المطر، ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ﴾، يقول: فأحيينا به، يعنى بالماء، بلدة ميتًا لا نبت فيها، فلما أصابها الماء أنبتت، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يقول: هكذا ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ [آية: ١١] من الأرض بالماء كما يخرج النبت.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾، يعنى الأصناف كلها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ﴾، يعنى السفن، ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾، يعنى الإبل والبقر، ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى الذى تركبون.

﴿لِتَسۡتَوُۥاْ﴾، يعنى لكى تستووا، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، يعنى ذكورًا وإناثًا من الإبل، ﴿ثُمَّ﴾ قال: لكى ﴿تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾، على ظهورها، يعنى يقولون: الحمد لله، ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾، يعنى ذلل لنا هذا

المركب، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى مطيقين.

﴿وَ﴾ لكى تقولوا: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى لراجعون.

قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ﴾، يقول: وصفوا له ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من الملائكة، ﴿جُزْءًا﴾، يعنى عدلاً، هو الولد، فقالوا: إن الملائكة بنات الله تعالى، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فى قوله ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٥]، يقول: بين الكفر.

يقول الله تعالى ردًا عليهم: ﴿أَمِ﴾ يقول: ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الرب لنفسه ﴿مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾، فيها تقديم واستفهام اتخذ مما يخلق من ﴿**مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨] بنات؟ ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [آية: ١٦]، يقول: واختصكم بالنبنين.

ثم أخبر عنهم فى التقديم، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾، يعنى شبهًا، والمثل زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى، ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى**﴾ [النحل: ٥٨]، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾، يعنى متغيرًا، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى مكروب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾، يعنى ينبت فى الزينة، يعنى الحلى مع النساء، يعنى البنات، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [آية: ١٨]، يقول: هذا الولد الأنثى ضعيف قليل الحيلة، وهو عند الخصومة والمحاربة غير بين ضعيف عنها.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَجَعَلُواْ﴾، يقول: ووصفوا ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾؛ لقولهم: إن الملائكة بنات الله، يقول الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾؟ فسئلوا، فقالوا: لا، فقال النبى ﷺ: «فما يدريكم أنها إناث؟»، قالوا: سمعنا من آبائنا، وشهدوا أنهم لم يكذبوا، وأنهم إناث، قال الله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأن الملائكة بنات الله فى الدنيا، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ١٩] عنهما فى الآخرة حين شهدوا أن الملائكة بنات الله.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾، يعنى الملائكة، يقول الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، يقول: ما يقولون إلا الكذب إن الملائكة إناث، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آية: ٢٠]، يكذبون.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾، يقول: أعطيناهم، ﴿كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾، من قبل هذا القرآن بأن يعبدوا غيره، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [آية: ٢١]، فإنا لم نعطهم.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟﴾، ولكنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٢]، نزلت فى الوليد بن المغيرة، وصخر بن حرب، وأبى جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، كلهم من قريش.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يقول: وهكذا ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾، يعنى من رسول فيما خلا، ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾، يعنى جباريها وكبراءها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾، يعنى على ملة، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٣] بأعمالهم كما قال كفار مكة.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ
حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ من الدين، ألا تتبعونى؟ فردوا على النبى ﷺ، فـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى بالتوحيد كافرون.

ثم رجع إلى الأمم الخالية، فيها تقديم، ثم قال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٥] بالعذاب، يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ آزر، ﴿وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢٦].

ثم استثنى الرب نفسه؛ لأنهم يعلمون أن الله ربهم، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾،

يقول: خلقنى، فإنى لا أتبرأ منه، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [آية: ٢٧] لدينه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً﴾، لا تزال ببقاء التوحيد، ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾، يعنى ذريته، يعنى ذرية إبراهيم، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٢٨] من الكفر إلى الإيمان، يقول: التوحيد إلى يوم القيامة، يبقى فى ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، يقول: لكى يرجعوا من الكفر إلى الإيمان.

قوله: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى محمدًا ﷺ بين أمره.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٠]، لا نؤمن به، نزلت فى سفيان بن حرب، وأبى جهل بن هشام، وعتبة وشيبة، ثم قال الوليد بن المغيرة: لو كان هذا القرآن حقًا، لأنزل علىَّ، أو على أبى مسعود الثقفى، واسمه عمرو بن عمير بن عوف جد المختار.

فأنزل الله تعالى فى قول الوليد بن المغيرة: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾، يعنى هلا، ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٣١]، القريتان مكة والطائف، وكان عظمة أن الوليد عظيم أهل مكة فى الشرف، وأبا مسعود عظيم أهل الطائف فى الشرف.

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ (٣٢) وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ (٣٦) وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ (٣٨)﴾

يقول الله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾، يقول: أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا، ولكنها بيدى أختار من أشاء من عبادى للرسالة، ثم قال: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾، يقول: لم نعط الوليد وأبا مسعود الذى أعطيناهما من الغنى لكرامتها على الله، ولكنه قسم من الله بينهم، ثم قال: ﴿وَرَفَعۡنَا

بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾، يعنى فضائل فى الغنى، ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم ﴾، يعنى الأحرار، ﴿ بَعْضًا ﴾، يعنى الخدم، ﴿ سُخْرِيًّا ﴾، يعنى العبيد والخدم سخره الله لهم، ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾، يعنى الجنة، ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الأموال، يعنى الكفار.

ثم ذكرهم هوان الدنيا عليه، فقال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا ﴾، يعنى ملة واحدة، يعنى على الكفر، يقول: لولا أن ترغب الناس فى الكفر، إذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق، ﴿ لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، لهوان الدنيا عليه، ﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾، يعنى بالسقف سماء البيت، ﴿ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [آية: ٣٣]، يقول: درجًا على ظهور بيوتهم يرتقون.

﴿ وَ ﴾ لجعلنا ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا ﴾ من فضة، ﴿ وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى ينامون.

﴿ وَزُخْرُفًا ۚ ﴾، يقول: وجعلنا كل شىء لهم من ذهب، ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾، يقول: وما كل الذى ذكر، ﴿ لَمَّا ﴾ إلا ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ يتمتعون فيها قليلاً، ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ ﴾، يعنى دار الجنة، ﴿ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آية: ٣٥] خاصة لهم.

قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ﴾، يقول: ومن يعم بصره عن ذكر ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [آية: ٣٦] فى الدنيا، يقول: صاحب يزين لهم الغى.

﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾، وإن الشياطين، ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾، يعنى سبيل الهدى، ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾، ويحسب بنو آدم، ﴿ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى على هدى.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ ابن آدم وقرينه فى الآخرة جعلا فى سلسلة واحدة، ﴿ قَالَ ﴾ ابن آدم لقرينه، يعنى شيطانه: ﴿ يَٰلَيْتَ ﴾، يتمنى، ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾، يعنى ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء، أطول يوم فى السنة، وأقصر يوم فى السنة، ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [آية: ٣٨]، يقول: فبئس الصاحب معه فى النار فى سلسلة واحدة.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ

تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً
يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة الاعتذار، ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾، يقول: إذ أشركتم فى الدنيا، ﴿أَنَّكُمْ﴾ وقرناءكم من الشياطين ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [آية: ٣٩].

يقول: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الذين لا يسمعون الإيمان، يعنى الكفار، ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ الذين لا يبصرون الإيمان، ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٤٠]، نزلت فى رجل من كفار مكة، يعنى بين الضلالة.

قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾، يقول: فنميتك يا محمد، ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾، يعنى كفار مكة، ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ [آية: ٤١] بعدك بالقتل يوم بدر.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ فى حياتك، ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب ببدر، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى دين مستقيم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾، يقول: القرآن لشرف لك، ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾، ولمن آمن منهم، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ٤٤] فى الآخرة عن من يكذب به.

ثم قال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾، يعنى الذين أرسلنا إليهم، ﴿مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [آية: ٤٥]، يقول: سل يا محمد مؤمنى أهل الكتاب هل جاءهم رسول يدعوهم إلى غير عبادة الله؟.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ
أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ
لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ
يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، اليد والعصا، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٦].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [آية: ٤٧]، استهزاء وتكذيبًا.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾، يعنى اليد بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، يغشى البصر، فكانت اليد أكبر من العصا، وكان موسى، عليه السلام، بدأ بالعصا، فألقاها وأخرج يده، فلم يؤمنوا، يقول الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾، يعنى الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى لكى يرجعوا من الكفر إلى الإيمان.

﴿وَقَالُوا﴾ لموسى: ﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، يقول: سل ﴿لَنَا رَبَّكَ﴾، فلم يفعل، وقال: تسمونى ساحرًا، وقال فى سورة الأعراف: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أن يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى مؤمنين لك، وكان الله تعالى عهد إلى موسى، عليه السلام، لئن آمنوا كشف عنهم، فذلك قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾، إن آمنا كشف عنا العذاب.

فلما دعا موسى ربه كشف عنهم، فلم يؤمنوا، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [آية: ٥٠] الذى عاهدوا عليه موسى، عليه السلام: ﴿**لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ**﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فلم يؤمنوا.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)﴾

قوله: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ القبطى، ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ القبط، وكان نداؤه أنه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أربعين فرسخًا فى أربعين فرسخًا، ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ من أسفل منى، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا، ﴿تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٥١]، ألهم جنان وأنهار مثلها.

ثم قال فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾، يقول: أنا خير، ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾، يعنى موسى، ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، يعنى ضعيف ذليل، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [آية: ٥٢] حجته، يعنى لسانه؛ لأن الله تعالى كان أذهب عقدة لسانه فى طه، حين قال: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾

[طه: ٢٧]، قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى** ﴾ [طه: ٣٦].

ثم قال فرعون: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾، يقول: فلا ألقى عليه ربه الذى أرسله، ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾، إن كان صادقًا أنه رسول، ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى متعاونين يعينونه على أمره الذى بعث إليه.

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ ﴾، يقول: استفز قومه القبط، ﴿ فَأَطَاعُوهُ ﴾ فى الذى قال لهم على التكذيب، حين قال لهم: ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩]، فأطاعوه فى الذى قال لهم، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى عاصين.

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾، يعنى أغضبونا، ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية: ٥٥]، لم ينج منهم أحد.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ (٥٦) ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) ﴾

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾، يعنى مضوا فى العذاب، ﴿ وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى عبرة لمن بعدهم.

قوله: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾، والمثل حين زعموا أن الملائكة بنات الله، وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، وفى المسجد العاص بن وائل السهمى، والحارث وعدى ابنا قيس، كلهم من قريش، من بنى سهم، فقال لهم النبى ﷺ: «﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾» [الأنبياء: ٩٨]، إلى آيتين، ثم خرج إلى باب الصفا، فخاض المشركون فى ذلك، فدخل عبد الله بن الزبعرى السهمى، فقال: تخوضون فى ذكر الآلهة، فذكروا له ما قال النبى ﷺ لهم ولآلهتهم، فقال عبد الله بن الزبعرى: يا محمد، أخاصة لنا ولآلهتنا، أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ فقال النبى ﷺ: «بل هى لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم».

فقال عبد الله: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبى، وتثنى عليه وعلى أمه خيرًا، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة تعبد، فإن كان هؤلاء فى النار، فقد رضينا أن نكون معهم، فقال النبى ﷺ: «لا»، فقال عبد الله: أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة، فضجوا من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى** ﴾، يعنى الملائكة، وعزير، وعيسى، ومريم، ﴿ **أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وأنزل: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى يضجون تعجبًا لذكر عيسى، عليه السلام، عبد الله بن الزبعرى وأصحابه هم هؤلاء النفر.

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾، يعنى عيسى، وقالوا: ليس آلهتنا إن عذبت خيرًا من عيسى بأنه يعبد، يقول الله تعالى: بل هو ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾، يقول: ما ذكروا لك عيسى إلا ليجادلونك به، ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [آية: ٥٨].

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ ﴾، يعنى عيسى، عليه السلام، يقول: ما هو إلا عبد، ﴿ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة، ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [آية: ٥٩]، يقول الله تعالى: حين ولد من غير أب، يعنى آية وعبرة ليعتبروا.

قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [آية: ٦٠] مكانكم، فكانوا خلفًا منكم.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾

ثم رجع فى التقديم إلى عيسى، فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾، يقول: نزوله من السماء علامة للساعة، ينزل على ثنيه أفيق، وهو جبل ببيت المقدس، يقال له: أفيق، عليه

ممصرتان، دهين الرأس، معه حربة، يقتل بها الدجال، يقول: نزول عيسى من السماء علامة للساعة، ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾، يقول: لا تشكوا فى الساعة، ولا فى القيامة أنها كائنة، قوله: ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آية: ٦١].

ثم قال: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ عن الهدى، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بين.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى الإنجيل، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾، يعنى الإنجيل، فيه بيان الحلال والحرام، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾، من الحلال والحرام، فبين لهم ما كان حرم عليهم من الشحوم، واللحوم، وكل ذى ظفر، فأخبرهم أنه لهم حلال فى الإنجيل، غير أنهم يقيمون على السبت، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعبدوا غيره، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ٦٣] فيما آمركم به من النصيحة، فإنه ليس له شريك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، يعنى وحدوه، ﴿هَٰذَا﴾، يعنى هذا التوحيد، ﴿صِرَٰطٞ﴾، يعنى دين، ﴿مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آية: ٦٤].

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، فى الدين، والأحزاب هم: النسطورية، والماريعقوبية، والملكانية، تحازبوا من بينهم فى عيسى، عليه السلام، فقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت الماريعقوبية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت الملكانية: إن الله ثالث ثلاثة، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، يعنى النصارى الذين قالوا فى عيسى ما قالوا، ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٦٥]، يعنى يوم القيامة، وإنما سماه أليمًا لشدته.

ثم رجع إلى كفار قريش، فقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾، فجأة، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٦٦] بجيئتها.

ثم قال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ﴾ فى الدنيا، ﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ فى الآخرة، ﴿بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى الموحدين، نزلت فى أمية بن خلف الجمحى، وعقبة بن أبى معيط، قتلا جميعًا، وذلك أن عقبة كان يجالس النبى ﷺ ويستمع إلى حديثه، فقالت قريش: قد سبأ عقبة وفارقنا، فقال له أمية بن خلف: وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمدًا فلم تتفل فى وجهه، حتى يعلم قومك أنك غير مفارقهم، ففعل عقبة ذلك، فقال النبى ﷺ: «أما أنا لله على لئن أخذتك خارجًا من الحرم لأهريقن دمك»، فقال له: يا

ابن أبى كبشة، ومن أين تقدر علىَّ خارجًا من الحرم، فتكون لك منى السوء، فلما كان يوم بدر أسر، فلما عاينه النبى ﷺ ذكر نذره، فأمر على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فضرب عنقه، فقال عقبة: يا معشر قريش، ما بالى أقتل من بينكم؟ فقال النبى ﷺ: «بتكذيبك الله ورسوله»، فقال: من لأولادى؟ فقال النبى ﷺ: «لهم النار».

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

ولما كان يوم القيامة، وقع الخوف، فقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾، يقول: رفع الله الخوف عن المؤمنين، ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ٦٨]، فإذا سمعوا النداء رفعوا رءوسهم.

فلما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٦٩]، يقول: الذين صدقوا بالقرآن وكانوا مخلصين بالتوحيد، نكس أهل الأوثان والكفر رءوسهم، ثم نادى: الذين آمنوا وكانوا يتقون المعاصى، فلم يبق صاحب كبيرة إلا نكس رأسه.

ثم قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يا أهل التوحيد، ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾، يعنى وحلائلكم، ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ [آية: ٧٠]، يعنى تكرمون وتنعمون.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾ بأيدى الغلمان، ﴿بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ من فضة، يعنى الأكواب التى ليس لها عرى مدورة الرأس فى صفاء القوارير، ثم قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٧١] لا تموتون.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٧٢]، ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [آية: ٧٣].

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ

أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعنى المشركين المسرفين، ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى لا يموتون.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾، العذاب طرفة عين، ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾، يعنى فى العذاب، ﴿مُبْلِسُونَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى آيسون من كل خير مستيقنين بكل عذاب، مبشرين بكل سوء، زرق الأعين، سود الوجوه.

ثم قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾، فنعذب على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٧٦].

﴿وَنَادَوْا﴾ فى النار: ﴿يَا مَالِكُ﴾، وهو خازن جهنم، فقال: ماذا تريدون؟ قالوا: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فيسكت عنهم مالك، فلا يجيبهم مقدار أربعين سنة، ثم يوحى الله تعالى إلى مالك بعد أربعين أن يجيبهم، فرد عليهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [آية: ٧٧]، فى العذاب، يقول: مقيمون فيها.

فقال مالك: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ فى الدنيا، يعنى التوحيد، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [آية: ٧٨].

قوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [آية: ٧٩]، يقول: أم أجمعوا أمرًا، وذلك أن نفرًا من قريش، منهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البحترى بن هشام، وأمية بن أبى معيط، وعيينة بن حصن الفزارى، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبى بن خلف، بعد موت أبى طالب، اجتمعوا فى دار الندوة بمكة ليمكروا بالنبى ﷺ سرًا عند انقضاء المدة، فأتاهم إبليس فى صورة شيخ كبير، فجلس إليهم، فقالوا له: ما أدخلك فى جماعتنا بغير إذننا؟ قال عدو الله: أنا رجل من أهل نجد، وقدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، فأردت أن أسمع حديثكم، وأشير عليكم، فإن كرهتم مجلسى خرجت من بينكم.

فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد، ليس من أهل مكة، فلا بأس عليكم منه، فتكلموا بالمكر بالنبى ﷺ، فقال أبو البحترى بن هشام، من بنى أسد بن عبد

العزى: أما أنا، فأرى أن تأخذوا محمدًا ﷺ، فتجعلوه فى بيت وتسدوا عليه بابه، وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت، فقال إبليس: بئس الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكمك صغو، قد سمع به من حولكم، تحبسونه فى بيت، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذى له فيكم أن يقاتلكم عنه، ويفسد جماعتكم، ويسفك دماءكم، قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال هشام بن عمرو، من بنى عامر بن لؤى: أما أنا، فأرى أن تحملوه على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم، فقال إبليس: بئس الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل قد أفسد عليكم جماعتكم، وتبعه طائفة منكم، فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك بالله أن يميل بهم عليكم، فقال أبو جهل: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل بن هشام: أما أنا، فأرى أن تعمدوا إلى كل بطن من قريش، فتأخذون من كل بطن منهم رجلاً، فتعطون كل رجل منهم سيفًا، فيضربونه جميعًا، فلا يدرى قومه من يأخذون به، وتؤدى قريش ديته، فقال إبليس: صدق والله الشاب، إن الأمر لكما.

قال: فتفرقوا عن قول أبى جهل، فنزل جبريل، عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بما ائتمروا به، وأمره بالخروج، فخرج النبى ﷺ من ليلته إلى الغار، وأنزل الله تعالى فى شرهم الذى أجمعوا عليه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، يقول: أم أجمعوا أمرهم على محمد ﷺ بالشر، فإنا مجمعون أمرنا على ما يكرهون، فعندها قتل هؤلاء النفر ببدر.

يقول: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الذى بينهم، ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ الذى أجمعوا عليه ليثبتوك فى بيت، أو يخرجوك من مكة، أو يقتلوك، ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك منهم، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الملائكة الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ﴾، يعنى عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [آية: ٨٠].

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، يعنى ما كان للرحمن ولد، ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٨١]، وذلك أن النضر بن الحارث، من بنى عبد الدار بن قصى، قال: إن الملائكة بنات الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، يعنى ما كان للرحمن ولد، ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، يعنى الموحدين من أهل مكة بأن لا ولد.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾

ونزه الرب نفسه عما كذبوا بالعذاب: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٨٢]، يعنى عما يقولون من الكفر بربهم، يعنى كفار مكة حين كذبوا بالعذاب فى الآخرة، وذلك أن الله تعالى وعدهم فى الدنيا على ألسنة الرسل أن العذاب كائن نازل بهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾، يقول: خل عنهم، ﴿يَخُوضُوا۟﴾ فى باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾، يعنى يلهوا فى دنساهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة، ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٨٣] العذاب فيه.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فعظم نفسه عما قالوا، فقال: وهو الذى يوحد فى السماء، ويوحد فى الأرض، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فى ملكه، الخبير بخلقه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٨٤] بهم.

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى القيامة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى تردون فى الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا نقدر الملائكة الذين يعبدونهم من دون الله الشفاعة، وذلك أن النضر بن الحارث ونفرًا معه، قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًا، فنحن نتولى الملائكة، وهم أحق بالشفاعة من محمد ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾، يقول: ولا يقدر، ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾، وهم الملائكة، ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا تقدر الملائكة الذين تعبدونهم من دون الله على الشفاعة لأحد، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى بالتوحيد من بنى آدم، فذلك قوله:

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٦] أن الله واحد لا شريك له، فشفاعتهم لهؤلاء.

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾، يعنى أهل مكة كفارهم، ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وذلك أنه لما نزلت فى أول هذه السورة: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، نزلت فى آخرها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فقال لهم النبى ﷺ: «من خلقكم ورزقكم وخلق السموات والأرض؟»، فقالوا: الله خالق الأشياء كلها، وهو خلقنا، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٨٧]، يقول: من أين يكذبون بأنه واحد لا شريك له، وأنتم مقرون أن الله خالق الأشياء وخلقكم، ولم يشاركه أحد فى ملكه فيما خلق؟ فكيف تعبدون غيره؟.

فلما قال النبى ﷺ: يا رب، ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى لا يصدقون، وذلك أنه لما قال أيضًا فى الفرقان: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، قال الله تعالى يسمع قوله، فيها تقديم: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل.

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾، يعنى فأعرض عنهم، فيها تقديم، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾، أردد عليهم معروفًا، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٩]، هذا وعيد، حين ينزل بهم العذاب، فنسخ آية السيف الإعراض والسلام، وذكر وعيدهم، وفى حم المؤمن، فقال: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

* * *

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكية، عددها تسع وخمسون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ
﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ
مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى البين ما فيه. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، يعنى القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى السفرة من الملائكة، وهم الكتبة، وكان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر، فينزل الله عز وجل من القرآن إلى السماء الدنيا، على قدر ما ينزل به جبريل، عليه السلام، فى السنة إلى مثلها من العام المقبل، حتى نزل القرآن كله فى ليلة القدر، ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وهى ليلة مباركة.

قال: وقال مقاتل: نزل القرآن كله من اللوح المحفوظ إلى السفرة فى ليلة واحدة ليلة القدر، فقبضه جبريل ﷺ من السفرة فى عشرين شهرًا، وأداه إلى النبى ﷺ فى عشرين سنة، وسميت ليلة القدر ليلة مباركة، لما فيها من البركة والخير، ثم قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى بالقرآن.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [آية: ٤]، يقول: يقضى الله فى ليلة القدر كل أمر محكم من الباطل ما يكون فى السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل من الخير، والشر، والشدة، والرخاء، والمصائب.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾، يقول: كان أمرًا منا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [آية: ٥]، يعنى منزلين هذا القرآن.

أنزلناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، لمن آمن به، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦] به.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [آية: ٧] بتوحيد الرب تعالى.

وحد نفسه، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾، يقول: يحيى الموتى، ويميت الأحياء، هو ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨].

﴿بَلۡ هُمۡ﴾، لكن هم، ﴿فِي شَكّٖ﴾ من هذا القرآن، ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى لاهون عنه.

قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾، وذلك أن النبى ﷺ دعا الله عز وجل على كفار قريش، فقال: «اللهم أعنى عليهم بسبع سنين كسنى يوسف»، فأصابتهم شدة، حتى أكلوا العظام، والكلاب، والجيف، من شدة الجوع، فكان الرجل يرى بينه وبين السماء الدخان من الجوع، فذلك قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾، يقول: فانتظر يا محمد، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٠].

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿هَٰذَا﴾ الجوع، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ١١]، يعنى وجيع.

ثم إن أبا سفيان بن حرب، وعتبة بن ربيعة، والعاص بن وائل، والمطعم بن عدى، وسهيل بن عمرو، وشيبة بن ربيعة، كلهم من قريش، أتوا النبى ﷺ، فقالوا: يا محمد، استسق لنا، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾، يعنى الجوع، ﴿إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى إنا مصدقون بتوحيد الرب وبالقرآن.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾، يقول: من أين لهم التذكرة، يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة، ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٣]، يعنى هو بين أمره، جاءهم بالهدى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾، يقول: ثم أعرضوا عن محمد ﷺ إلى الضلالة، ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ

﴿مَّجۡنُونٌ﴾ [آية: ١٤]، قال ذلك عتبة بن أبى معيط: إن محمدًا مجنون، وقالوا: إنما يعلمه جبر غلام عامر بن الحضرمى، وقالوا: لئن لم ينته جبر غلام عامر بن الحضرمى، فأوعدوه لنشترينه من سيده، ثم لنصلينه حتى ينظر هل ينفعه محمد أو يغنى عنه شيئًا، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ يَلۡعَبُونَ﴾، يقول: بل هم من القرآن فى شك لاهون، فدعا النبى ﷺ، فقال: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا عامًا، طبقًا مطبقًا، غدقًا ممرعًا مريًا، عاجلاً غير ريث، نافعًا غير ضار»، فكشف الله تعالى عنهم العذاب.

فذلك قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾، يعنى الجوع، ﴿قَلِيلًاۚ﴾ إلى يوم بدر، ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [آية: ١٥] إلى الكفر، فعادوا، فانتقم الله منهم ببدر فقتلهم.

فذلك قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾، يعنى العظمى، فكانت البطشة فى المدينة يوم بدر، أكثر مما أصابهم من الجوع بمكة، فذلك قوله: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [آية: ١٦] بالقتل، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل الله أرواحهم إلى النار.

﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ
عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ
﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ
ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ
كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ بموسى ﷺ حتى ازدروه، كما ازدرى أهل مكة النبى ﷺ؛ لأنه ولد فيهم فازدروه، فكان النبى ﷺ فتنة لهم، كما كان موسى ﷺ فتنة لفرعون وقومه، فقالت قريش: أنت أضعفنا وأقلنا حيلة، فهذا حين ازدروه، كما ازدروا موسى، عليه السلام، حين قالوا: ﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا**﴾ [الشعراء: ١٨]، فكانت فتنة لهم، من أجل ذلك ذكر فرعون دون الأمم، نظيرها فى المزمل: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً**﴾ [المزمل: ١٥].

قوله: ﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ كما فتنا قريشًا بمحمد ﷺ؛ لأنهما ولدا فى قومهما، ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى الخلق، كان يتجاوز ويصفح،

يعنى موسى حين سأل ربه أن يكشف عن أهل مصر الجراد والقمل.

فقال موسى لفرعون: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أرسلوا معى بنى إسرائيل، يقول: وخل سبيلهم، فإنهم أحرار ولا تستعبدهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله، ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ١٨] فيما بينى وبين ربكم.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى لا تعظموا على الله أن توحدوه، ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١٩]، يعنى حجة بينة، كقوله: ألا تعلوا على الله، يقول: ألا تعظموا على الله، ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، يعنى حجة بينة، وهى اليد والعصا، فكذبوه، فقال فرعون فى حم المؤمن: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر: ٢٦].

فاستعاذ موسى، فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، يعنى فرعون وحده، ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى أن تقتلون.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [آية: ٢١]، يقول: وإن لم تصدقونى، يعنى فرعون وحده، ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾، فدعا موسى ربه فى يونس، فقال: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦]، يعنى نجنى وبنى إسرائيل، وأرسل العذاب على أهل مصر.

قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [آية: ٢٢]، فلا يؤمنون، فاستجاب الله له.

فأوحى الله تعالى إليه: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [آية: ٢٣]، يقول: يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾، وذلك أن بنى إسرائيل لما قطعوا البحر، قالوا لموسى ﷺ: فرق لنا البحر كما كان، فإننا نخشى أن يقطع فرعون وقومه آثارنا، فأراد موسى، عليه السلام، أن يفعل ذلك، كان الله تعالى أوحى إلى البحر أن يطيع موسى، عليه السلام، فقال الله لموسى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾، يعنى صفوفًا، ويقال: ساكنًا، ﴿إِنَّهُمْ﴾، إن فرعون وقومه ﴿جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [آية: ٢٤]، فأغرقهم الله فى نهر مصر، وكان عرضه يومئذ فرسخين.

فقال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ من بعدهم، يعنى فرعون وقومه، ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾، يعنى بساتين، ﴿وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى الأنهار الجارية.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى ومساكن حسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من العيش، ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى أرض مصر معجبين.

﴿كَذَٰلِكَ﴾، يقول: هكذا فعلنا بهم فى الخروج من مصر، ثم قال: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾، يعنى أرض مصر، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى بنى إسرائيل، فردهم الله إليها بعد الخروج منها.

ثم قال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات بكى عليه معالم سجوده من الأرض، ومصعد عمله من السماء أربعين يومًا وليلة، ويبكيان على الأنبياء ثمانين يومًا وليلة، ولا يبكيان على الكافر، فذلك قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾؛ لأنهم لم يصلوا لله فى الأرض، ولا كانت لهم أعمال صالحة تصعد إلى السماء؛ لكفرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [آية: ٢٩]، لم يناظروا بعد الآيات التسع حتى عذبوا بالغرق.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى الهوان، وذلك أن بنى إسرائيل آمنت بموسى وهارون، فمن ثم قال فرعون: ﴿**اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**﴾ [غافر: ٢٥]، فلما هم بذلك، قطع الله بهم البحر مع ذرياتهم وذراريهم، وأغرق فرعون ومن معه من القبط، ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، يعنى الهوان من فرعون من قتل الأبناء، واستحياء النساء، يعنى البنات، قبل أن يبعث الله عز وجل موسى رسولاً، مخافة أن يكون هلاكهم فى سببه من فرعون للذى أخبره به الكهنة أنه يكون، وأنه يغلبك على ملكك.

ثم قال: ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ عن التوحيد، ﴿مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى من المشركين.

ثم رجع إلى بنى إسرائيل، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه الله عز وجل منهم، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عالم ذلك الزمان.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾، يقول: وأعطيناهم، ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ حين فلق البحر وأهلك عدوهم فرعون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، والحجر والعمود والتوراة، فيها بيان كل شىء، فكل هذا الخير ابتلاهم الله به، فلم يشكروا ربهم، فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى النعم البينة، كقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾ [الصافات: ١٠٦]، يعنى النعم البينة.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى كفار مكة.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾، وذلك أن النبى ﷺ قال لهم: «إنكم تبعثون من بعد الموت»، فكذبوه، فقالوا: إن هى إلا حياتنا الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى بمبعوثين من بعد الموت.

ثم قال: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٦]، أنا نحيا من بعد الموت، وذلك أن أبا جهل بن هشام قال فى الرعد: يا محمد، إن كنت نبيًا فابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم قصى بن كلاب، فإنه كان صادقًا، وكان إمامهم، فنسألهم فيخبرونا عن ما هو كائن بعد الموت، أحق ما تقول أم باطل؟ إن كنت صادقًا بأن البعث حق، نظيرها فى الجاثية قوله: ﴿**وَقَالُوا مَا هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية: ٢٤]، وما البعث بحق.

فخفوهم الله تعالى بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ لأن قوم تبع أقرب فى الهلاك إلى كفار مكة، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى مذنبين مقيمين على الشرك منهمكين عليه.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى عابثين لغير شىء، يقول: لم أخلقهما باطلاً، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩]، أنهما لم يخلقا باطلاً.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ
شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾
كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ
مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا
كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾، يعنى يوم القضاء، ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾، يعنى ميعادهم، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿يَوْمَ﴾، يعنى يوم القيامة، يقول: يوافى يوم القيامة الأولون والآخرون، وهم يوم الجمعة، هذه الأمة وسواهم من الأمم الخالية، ثم نعت الله تعالى ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ﴾ ﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾، وهم الكفار، يقول: يوم لا يغنى ولى عن وليه، يقول: لا يقدر قريب لقرابته الكافر شيئًا من المنفعة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: آية: ٤١]، يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

ثم استثنى المؤمنين، فقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ من المؤمنين، فإنه يشفع لهم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه الذين لا شفاعة لهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٤٢] بالمؤمنين الذين استثنى فى هذه الآية.

قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [آية: ٤٣]، ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى الآثم بربه، فهو أبو جهل بن هشام، وفى قراءة ابن مسعود: طعام الفاجر.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾، يعنى الزقوم أسود غليظ كدردى الزيت، ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [آية: ٤٥].

﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى الماء الحار بلسان بربر وأفريقية، الزقوم يعنون التمر والزبد، زعم ذلك عبد الله بن الزبعرى السهمى، وذلك أن أبا جهل قال لهم: إن محمدًا يزعم أن النار تنبت الشجر، وإنما النار تأكل الشجر، فما الزقوم عندكم؟ فقال عبد الله بن الزبعرى: التمر والزبد، فقال أبو جهل بن هشام: يا جارية، ابغنا تمرًا وزبدًا، فقال: تزقموا.

يقول الله عز وجل للخزنة: ﴿خُذُوهُ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾، يقول: فادفعوه على وجهه، ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٤٧]، يعنى وسط الجحيم، وهو الباب السادس من النار.

ثم قال: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [آية: ٤٨]، أبى جهل، وذلك أن الملك من خزان جهنم يضربه على رأسه بمقمعة من حديد، فينقب عن دماغه، فيجرى دماغه على جسده، ثم يصب الملك فى النقب ماء حميمًا قد انتهى حره، فيقع فى بطنه.

ثم يقول له الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب أيها المتعزز المتكرم، يوبخه ويصغره بذلك، فيقول: ﴿إِنَّكَ﴾ زعمت فى الدنيا، ﴿أَنتَ الْعَزِيزُ﴾، يعنى المنيع، ﴿الْكَرِيمُ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى المتكرم.

قال: فكان أبو جهل يقول فى الدنيا: أنا أعز قريش وأكرمها، فلما ذاق شدة العذاب فى الآخرة، قال له الملك: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٠]، يعنى تشكون فى الدنيا أنه غير كائن، فهذا مستقر الكفار.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ثم ذكر مستقر المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [آية: ٥١]، فى مساكن آمنين من الخوف والموت.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى بساتين وأنهار جارية.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، يعنى الديباج، ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ [آية: ٥٣] فى الزيارة.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ﴾، يعنى بيض الوجوه، ﴿عِينٍ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى حسان العيون.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ من ألوان الفاكهة، ﴿آمِنِينَ﴾ [آية: ٥٥] من الموت.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أبدًا ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ التى كانت فى الدنيا، ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾، يعنى الرب تعالى، ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥٦].

ذلك الذى ذكر فى الجنة كان ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى الكبير، يعنى النجاة العظيمة.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾، يعنى القرآن، يقول: هوناه على لسانك، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يقول: لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٨]، فيؤمنوا بالقرآن، فلم يؤمنوا به.

يقول الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، يقول: انتظر بهم العذاب، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [آية: ٥٩]، يعنى منتظرون بهم العذاب.

* * *

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكية، عددها سبع وثلاثون آية، كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٥﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهما خلقان عظيمان، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى المصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾، يعنى وفى خلق أنفسكم إذ كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا لحمًا، ثم الروح، ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾، يقول: وما يخلق من دابة، ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤] بتوحيد الله.

﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، وهما آيتان، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فأنبتت، ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ فى الرحمة والعذاب، ففى هذا كله ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٥]، بتوحيد الله عز وجل.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ
لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن
وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

ثم رجع إلى أول السورة فى التقديم، فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى تلك آيات

القرآن، ﴿تَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد، ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾، فإن لم يؤمنوا بهذا القرآن، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ﴾، يعنى بعد توحيد الله، ﴿وَ﴾ بعد ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾، يعنى بعد آيات القرآن، ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٦]، يعنى يصدقون.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾، يعنى كذاب، ﴿أَثِيمٖ﴾ [آية: ٧]، يقول آثم بربه، وكذبه النضر بن الحارث القرشى، من بنى عبد الدار.

﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ﴾، يعنى القرآن، ﴿عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾، يعنى يصر يقيم على الكفر بآيات القرآن، فيعرض عنها متكبرًا، يعن عن الإيمان بآيات القرآن، ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ﴾، يعنى آيات القرآن وما فيه، ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ٨]، يعنى وجيع، فقتل ببدر.

ثم أخبر عن النضر بن الحارث، فقال: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا﴾، يقول: إذا سمع من آيات القرآن شيئًا، ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾، يعنى استهزاء بها، وذلك أنه زعم أن حديث القرآن مثل حديث رستم واسفنذباز، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾، يعنى النضر بن الحارث وأصحابه، وهم قريش، ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آية: ٩]، يعنى القرآن فى الدنيا يوم بدر.

ثم قال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ﴾، يعنى النضر بن الحارث، يقول: لهم فى الدنيا القتل ببدر، ومن بعده أيضًا لهم جهنم فى الآخرة، ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾، يقول: لا تغنى عنهم أموالهم التى جمعوها من جهنم شيئًا، ﴿وَلَا﴾، يغنى عنهم من جهنم، ﴿مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ﴾، يقول: ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٠]، يعنى كبير؛ لشدته.

﴿هَٰذَا هُدٗىۖ﴾، يقول: هذا القرآن بيان يهدى من الضلالة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يعنى القرآن، ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١١]، يقول: لهم عذاب من العذاب الوجيع فى جهنم.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
(١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا
كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٤) مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ
تُرۡجَعُونَ (١٥) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ﴾، يقول: لكى تجرى السفن فى البحر، ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾، يعنى بإذنه، ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ ما فى البحر، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾، يعنى الرزق، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾، يعنى ولكى، ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٢] الله فى هذه النعم فتوحدوه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾، يعنى من الله، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٣] فى صنع الله فيوحدونه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾، يعنى يتجاوزوا، نزلت فى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وذلك أن رجلاً من كفار مكة شتم عمر بمكة، فهم عمر أن يبطش به، فأمره الله بالعفو والتجاوز، فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى عمر، ﴿يَغْفِرُوا۟﴾، يعنى يتجاوزوا، ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، يعنى لا يخشون عقوبات الله مثل عذاب الأمم الخالية، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، يقول: فجزاؤه على الله، ثم نسخ العفو والتجاوز آية السيف فى براءة: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، قوله: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ بالمغفرة، ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى يعملون من الخير.

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ﴾ العمل ﴿فَعَلَيْهَا ۖ﴾، يقول: إساءته على نفسه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١٥] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾، يعنى أعطينا، ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى التوراة، ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾، يعنى الفهم الذى فى التوراة والعلم، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، وذلك أنه كان فيهم ألف نبى، أولهم موسى، وآخرهم عيسى، عليهم السلام، ﴿وَرَزَقْنَـٰهُم﴾، يعنى الحلال من الرزق، المن والسلوى، ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٦]، يعنى عالمى ذلك الزمان بما أعطاهم الله من التوراة فيها تفصيل كل شيء، والمن والسلوى، والحجر، والغمام، وعمودًا كان يضيء لهم إذا ساروا بالليل، وأنبت معهم ثيابهم لا تبلى، ولا

تخرق، وظللنا عليهم الغمام، وفضلناهم على العالمين فى ذلك الزمان.

ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾ آيات ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات، ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾، يعنى أبين لهم فى التوراة الحلال، والحرام، والسنة، وبيان مان كان قبلهم، ثم اختلفوا فى الدين بعد يوشع بن نون، فآمن بعضهم وكفر بعضهم، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، يعنى البيان، ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى فى الدين يختلفون.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾، يعنى بينات من الأمر، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: ارجع إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وسادة قومك، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾، يعنى بينة من الأمر، يعنى الإسلام، ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: اتبع هذه الشريعة، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨] توحيد الله، يعنى كفار قريش، فيستزلونك عن أمر الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يوم القيامة، يعنى مشركى مكة، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٩] الشرك.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾، يقول: هذا القرآن بصيرة للناس من الضلالة، ﴿وَ﴾ هو ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن به، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالقرآن أنه من الله تعالى.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وذلك أن الله أنزل أن للمتقين عند ربهم فى الآخرة جنات النعيم، فقال كفار مكة، بنو عبد شمس بن عبد مناف بمكة، لبنى هاشم

ولبنى عبد المطلب بن عبد مناف للمؤمنين منهم: إنا نعطى فى الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى الذين عملوا الشرك، يعنى كفار بنى عبد شمس، ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ من بنى هاشم، وبنى المطلب، منهم: حمزة، وعلى بن أبى طالب، وعبيدة بن الحارث، وعمر بن الخطاب، ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ﴾ فى نعيم الدنيا، ﴿وَ﴾ سواء ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾ فى نعيم الآخرة، ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٢١]، يقول: بئس ما يقضون من الجور حين يرون أن لهم فى الآخرة ما للمؤمنين، فى الآخرة الدرجات فى الجنة ونعيمها للمؤمنين، والكافرون فى النار يعذبون.

قوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم أخلقهما عبثًا لغير شىء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن، ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾، يقول: ولكى تجزى ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، يعنى بما عملت فى الدنيا من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٢] فى أعمالهم، يعنى لا ينقصون من حسناتهم، ولا يزاد فى سيئاتهم.

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، يعنى الحارث بن قيس السهمى اتخذ إلهه هوى، وكان من المستهزئين، وذلك أنه هوى الأوثان فعبدها، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه فيه، ﴿وَخَتَمَ﴾، يقول: وطبع، ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾، فلا يسمع الهدى، ﴿وَ﴾ على ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾، فلا يعقل الهدى، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾، يعنى الغطاء، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ إذ أضله الله، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٣] فتعتبروا فى صنع الله فتوحدونه.

﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، يعنى نموت نحن ويحيا آخرون، فيخرجون من أصلابنا، فنحن كذلك، فما نبعث أبدًا، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، يقول: وما يميتنا إلا طول العمر، وطول اختلاف الليل والنهار، ولا نبعث، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ بأنهم لا يبعثون، ﴿إِنْ هُمْ﴾، يقول: ما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [آية: ٢٤]، ما يستيقنون، وبالظن تكلموا على غيرهم أنهم لا يبعثون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾، يعنى واضحات من الحلال والحرام، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ حين خاصموا النبى ﷺ فى الرعد، حين قالوا: سير لنا الجبال، وسخر لنا الرياح، وابعث لنا رجلين أو ثلاثة من قريش من آبائنا، منهم قصى بن

كلاب، فإنه كان صدوقًا، وكان إمامهم، فنسألهم عما تخبرنا بـه أنـه كـائن بعـد المـوت، فذلك قوله تعـالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ للنبـى ﷺ: ﴿ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٥]، هذا قول أبى جهل للنبى ﷺ، قال: ابعث لنا رجلـين أو ثلاثـة إن كنت من الصادقين بأن البعث حق.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾

قـال الله تعـالى: ﴿قُلِ﴾ لهـم يـا محمـد: ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾، حـين كـانوا نطفـة، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عنـد أجـالكم، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أولكـم وآخركـم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يقول: لا شك فيه، يعنـى البعـث أنـه كـائن، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آيـة: ٢٦] أنهم يبعثون فى الآخرة.

ثم عظم الرب نفسه عما قالوا: أنه لا يقـدر علـى البعـث، فقـال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى المكذبين بالبعث.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ على الركب عند الحساب، يعنى كل نفـس، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذى عملت فـى الدنيـا مـن خير أو شـر، ثـم يجزون بأعمـالهم، فذلـك قولـه: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى فى ألآخرة، ﴿تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٨] فى الدنيا.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ مـن اللـوح المحفـوظ، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] قبل أن تعملونها.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيـل، عـن مقـاتل، قـال: قـال ابـن عباس: لا تكون نسخة إلا مـن كتـاب، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾، يعنى فى جنته، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدخول، ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٣٠].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا
نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾
ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فيقول لهم الرب تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾، يعنى القرآن، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، يقول: تقرأ عليكم، ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾، يعنى تكبرتم عن الإيمان بالقرآن، ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [**آية**: آية: ٣١]، يعنى مذنبين مشركين.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، قال لهم النبى ﷺ: «إن البعث حق»، ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾، يعنى القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، يعنى لا شك فيها أنها كائنة، ﴿قُلْتُم﴾ يا أهل مكة: ﴿مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ﴾، يعنى ما نظن ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ على غير يقين، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [**آية**: ٣٢] بالساعة أنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾، يقول: وظهر لهم فى الآخرة، ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾، يعنى الشرك، ﴿مَا عَمِلُوا۟﴾ فى الدنيا حين شهدت عليهم الجوارح، ﴿وَحَاقَ﴾، يقول: ووجب العذاب، ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾ بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [**آية**: ٣٣] أنه غير كائن.

وقال لهم الخزنة فى الآخرة: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾، يقول: نتركم فى العذاب، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، يقول: كما تركتم إيمانًا بهذا اليوم، يعنى البعث، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [**آية**: ٣٤]، يعنى مانعين من النار.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ﴾، يقول: إنما نزل بكم العذاب فى الآخرة بأنكم ﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى كلام الله، ﴿هُزُوًا﴾، يعنى استهزاء، حين قالوا: ساحر، وشاعر، وأساطير الأولين، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام، ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة، ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [**آية**: آية: ٣٥].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾، يقول: الشكر لله، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[آية: ٣٦]، يعنى القيامة.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى العظمة، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣٧]، فى أمره، ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى العظمة، والسلطان، والقوة، والقدرة فى السموات والأرض، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فى أمره الذى حكم.

* * *

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية عددها خمس وثلاثون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول قضاء نزول الكتاب يعنى القرآن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لم أخلقهما باطلاً لغير شىء خلقتهما لأمر هو كائن، ثم قال: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ يقول خلقتهم لأجل مسمى ينتهى إليه، يعنى يوم القيامة، فهو الأجل المسمى.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ فى القرآن من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣] فلا يتفكرون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، يعنى الملائكة ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الأرض كخلق الله إن كانوا آلهة، ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿شِرْكٌ﴾ مع الله ﴿فِى﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ﴾ كقوله: ﴿**ما لهم فيهما من شرك**﴾ [سبأ: ٢٢] ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يقول: أو رواية «تعلمونها» من الأنبياء قبل هذا القرآن بأن له شريكًا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤] يعنى اللات والعزى ومناة بأنهن له شركاء.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ﴾ يقول: فلا أحد أضل ممن يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ أبدًا إذا دعاء يقول: لا تجيبهم الآلهة يعنى الأصنام بشىء أبدًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

ثم قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى الآلهة غافلون عن من يعبدها، فأخبر الله عنها فى الدنيا.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾

ثم أخبر فى الآخرة، فقال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ فى الآخرة يقول: إذا جمع الناس فى الآخرة ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يقول كانت الآلهة أعداء لمن يعبدها ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٦] يقول: تبرأت الآلهة من عبادتهم إياها، فذلك قوله: ﴿**فكفى بالله شهيدًا**﴾ إلى قوله: ﴿**لغافلين**﴾ فى يونس [الآية: ٢٩].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ يقول: بيان الحلال والحرام ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧]. يقول: القرآن حين جاءهم قالوا: هذا سحر مبين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ: ما هذا القرآن إلا شىء ابتدعته من تلقاء نفسك؟ أيعجز الله أن يبعث نبيًا غيرك؟ وأنت أحقرنا وأصغرنا وأضعفنا ركنًا وأقلنا حيلة، أو يرسل ملكًا، إن هذا الذى جئت به لأمر عظيم، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم: يا محمد ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ من تلقاء نفسى ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يقول: لا تقدرون أن تردونى من عذابه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقول: الله أعلم بما تقولون فى القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا﴾ يقول: فلا شاهد أفضل من الله ﴿بَيْنِى

﴿وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ بأن القرآن جاء من الله ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ فى تأخير العذاب عنهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٨] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة. وأنزل فى قول كفار مكة أما وجد الله رسولاً غيرك.

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فقال لهم النبى ﷺ: ما أنا بأول رسول بعث، قد بعث قبلى رسل كثير ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[1] أيرحمنى وإياكم، أو يعذبنى وإياكم ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ﴾ يقول: ما أتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من القرآن، يقول: إذا أمرأت بأمر فعلته، ولا أبتدع ما لم أمر به ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٩]، يعنى نذير بين هى منسوخة نسختها: ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينًا**﴾ إلى آخر الآيات.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ وذلك أن خمسين رجلاً من اليهود أتوا النبى ﷺ وعنده عبد الله بن سلام، فقال النبى ﷺ لليهود: «ألستم تعلمون أن عبد الله بن سلام سيدكم وأعلمكم؟» قالوا: بلى ومنه نقتبس، وإنا لا نؤمن بك حتى يتبعك عبد الله بن سلام، وعبد الله بن سلام يسمع، فقال النبى ﷺ: «أرأيتم إن اتبعنى عبد الله بن سلام وآمن بى أفتؤمنون بى؟» فقال بعضهم: نعم، قال النبى ﷺ: «فمن أعلمكم بعد عبد الله بن سلام«، فأتاه، فقال: «أنت أعلم اليهود»، فقال عبد الله: أعلم منى، قال: «فمن أعلم اليهود بعد عبد الله؟» فسكت، فقال النبى ﷺ: «أنت أعلم اليهود بعد عبد

[1] قال الفراء: نزلت فى أصحاب النبى ﷺ، وذلك أنهم شكوا إليه ما يلقون من أهل مكة قبل أن يؤمر بقتالهم، فقال النبى ﷺ: «إنى قد رأيت فى منامى أنى أهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فاستبشروا بذلك»، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك؛ فقالوا للنبى ﷺ: ما نرى تأويل ما قلت، وقد اشتد علينا الأذى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ أخرج إلى الموضع الذى أريته فى منامى أم لا؟ ثم قال لهم: إنما هو شيء أريته فى منامى، وما أتبع إلا وحى إلى. يقول: لم يوح إلى ما أخبرتكم به، ولو كان وحيا لم يقل ﷺ: «وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم».

الله»، قال: كلك يزعمون، قال النبى ﷺ: «فإنى أدعوكم إلى الله وإلى عبادته ودينه»، قالوا: لن نتبعك وندع دين موسى، فخرج عبد الله بن سلام من الستر، فقال النبى ﷺ: «هذا عبد الله قد آمن بى»، فجادلهم عبد الله بن سلام مليا، فجعل يخبرهم ببعث النبى ﷺ وصفته فى التورة، فقال ابن صوريا: إن عبد الله بن سلام شيخ كبير قد ذهب عقله ما يتكلم إلا بما يجئ على لسانه، فذلك قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعنى عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ يعنى على مثل ما شهد عليه يامين بن يامين، كان أسلم قبل عبد الله بن سلام وكان يامين من بنى إسرائيل من أهل التوراة ﴿فَـَٔامَنَ﴾ بالنبى ﷺ يقول: فأمن ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول صدق ابن سلام بالنبى ﷺ واستكبرتم أنتم عن الهدى عن الإيمان يعنى اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠] يعنى اليهود إلى الحجة مثلها فى براءة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لخزاعة: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[1] وذلك أنهم قالوا لو كان الذى جاء به محمد حقًا: أن القرآن من الله ما سبقونا يقول ما سبقنا إلى الإيمان به أصحاب محمد ﷺ، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ هم ﴿بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ يعنى كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ [آية: ١١] من محمد ﷺ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ومن قبل هذا القرآن كذبوا بالتوراة لقولهم «إنا بكل كافرون» فى القصص [القصص: ٤٨]، ثم قال: ﴿إِمَامًا﴾ لمن اهتدى

---

[1] قال الفراء: لما أسلمت: مزينة، وجهينة، وأسلم، وغفار، قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان، وأشجع، وأسد: لو كان هذا خيرًا ما سبقنا إليه رعاة البهم، فهذا تأويل قوله: «ولو كان خيرا ما سبقونا إليه».

به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب لمن اهتدى به ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾[1] للكتب التى كانت قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيّٗا﴾ يقول أنزلناه فرآنا «عربيا» ليفقهوا ما فيه ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بوعيد القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من كفار مشركى مكة ﴿وَ﴾ هذا القرآن ﴿وَبُشۡرَىٰ﴾ لما فيه من الثواب لمن آمن به ﴿لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى الموحدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ فعرفوا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على المعرفة بالله و لم يرتدوا عنها ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ١٣] من الموت، ثم أخبر بثوابهم فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٤].

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾

قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾ يعنى برا بهم نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، ابن أبى قحافة، وأم أبى بكر بن أبى قحافة واسمها أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ يعنى حملته فى مشقة ووضعته فى مشقة ﴿وَحَمۡلُهُۥ﴾ فى البطن تسعة أشهر ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ من اللبن واحدًا وعشرين شهرًا فهذا ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ثمانى عشرة سنة ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾[2] فهو فى القوة والشدة من ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة فلما بلغ أبو

---

(١) قال الفراء: فى قراءة عبد الله: «مصدق لما بين يديه لسانا عربيا»، فنصبه فى قراءتنا على تأويل قراءة عبد الله، أى هذا القرآن يصدق التوراة عربيًا مبينًا، وهى فى قراءة عبد الله يكون نصبًا من مصدق. على ما فسرت لك، ويكون قطعًا من الهاء فى بين يديه.

(٢) قال الفراء: وفى قراءة عبد الله: «حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلغ أربعين سنة»، والمعنى فيه، كالمعنى فى قراءتنا؛ لأنه جائز فى العربية أن تقول: لما ولد لك وأدركت مدرك الرجال عققت وفعلت، وإدراك قبل الولادة، ويقال: إن الأشد هاهنا هو الأربعون. وسمعت بعض المشيخة=

بمر أربعين سنة، صدق بالنبى ﷺ، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ يقول ألهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالإسلام ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يعنى أبا قحافة بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو، ثم قال: ﴿وَ﴾ ألهمنى ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ يقول واجعل أولادى مؤمنين فأسلموا أجمعين نظيرها أجمعين نظيرها فى المؤمن قوله: ﴿**ومن صلح من آبائهم**﴾ [غافر: ٨] يقول: من آمن، ثم قال أبو بكر: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الشرك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٥] يعنى من المخلصين بالتوحيد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

ثم نعت المسلمين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ (١) يقول: نجزيهم بإحسانهم ولا نجزيهم بمساوئهم، والكفار يجزيهم بإساءتهم ويبطل إحسانهم لأنهم عملوا ما ليس بحسنة، ثم رجع إلى المؤمنين، فقال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ولا يفعل ذلك بالكافر ﴿فِيٓ﴾ يعنى مع ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ يعنى وعد الحق وهو الجنة ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ١٦] وعدهم الله، تعالى، الجنة فى الآخرة على ألسنة الرسل فى الدنيا.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ فهو عبد الرحمن بن أبى بكر، وأمه رومان بنت عمرو

=يذكر بإسناده له فى الأشد: ثلاث وثلاثون، وفى الاستواء: أربعون. وسمعت أن الأشد فى غير هذا الموضع: ثمانى عشر، والأول أشبه بالصواب؛ لأن الأربعين أقرب فى النسق إلى ثلاث وثلاثين ومنها إلى ثمانى عشرة؛ ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من أن تقول: أخذت أقل المال أو كله، ومثله قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾، فبعضُ ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب، والثانى يعنى ثمانى عشرة، ولو ضم إلى الأربعين كان وجهًا.

(١) قال الفراء: قرأ يحيى بن وثاب، وذكرت عن بعض أصحاب عبد الله: «نتقبَّلُ عنهم أحْسَنَ ما عَمِلوا ونتجاوز عن سيئاتهم» بالنون، وقراءة العوام: «يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم» بالياء، ولو قرئت: «يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتُتجاوز» كان صوابًا.

بن عامر الكندى دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، فقال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ يعنى قبحًا لكما الردئ من الكلام ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ من الأرض يعنى أن يبعثنى بعد الموت ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ يعنى الأمم الخالية فلم أرا أحدًا منهم يبعث، فأين عبد الله بن جدعان؟ وأين عثمان بن عمرو؟ وأين عامر بن عمرو؟ كلهم من قريش وهم أجداده، فلم أر أحدًا منهم أتانا، فقال أبواه: اللهم اهده، اللهم أقبل بقبلة إليك، اللهم تب عليه، فذلك قوله: ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يعنى يدعوان الله له بالهدى، أن يهديه ويقبل بقلبه، ثم يقولان: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ صدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ﴾ عبد الرحمن ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٧] ما هذا الذى تقولان إلا كأحاديث الأولين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨﴾

وكذبهم بقول الله، تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ النفر الثلاثة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ذكرهم عبد الرحمن ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ يقول: وجب عليهم العذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ يعنى مع أمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ﴾ من كفار ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [١٨].

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ يعنى فضائل بأعمالهم ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ مجازة ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٩] فى أعمالهم.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ حين كشف الغطاء عنها لهم فينظرون إليها يعنى كفار مكة فيقال لهم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ يعنى الرزق والنعمة التى كنتم فيها ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولم تؤدوا شكرها ﴿وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ يعنى بالطيبات فلا نعمة لكم ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ فى الآخرة بأعمالكم الخبيثة ﴿عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ يعنى عذاب الهوان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يعنى بما كنتم تتكبرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عن الإيمان فتعلمون فيها ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى تعصون.

﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾﴾

وقوله: ﴿۞وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَخَا عَادٍ﴾ فى النسب وليس بأخيهم فى الدين، يعنى هود النبى، عليه السلام، ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ والأحقاف الرمل عند دك الرمل باليمن فى حضر موت ﴿وَقَدۡ خَلَتِ﴾ يعنى مضت ﴿ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ يعنى الرسل من بين يديه ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ يقوله قد مضت الرسل إلى قومهم من قبل هود، كان منهم نوح، عليه السلام، وإدريس جد أبى نوح، ثم قال ومن بعد هود، يعنى قد مضت الرسل إلى قومهم: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول لم يبعث الله رسولا من قبل هود، ولا بعده إلا أمر بعبادة الله، جل وعز، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [آية: ٢١] فى الدنيا لشدته.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ اليهود: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ يعنى لتصدنا وتكذبنا ﴿عَنۡ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٢] بأن العذاب نازل بنا، فرد عليهم هود:

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعنى نزول العذاب بكم علمه عند الله إذا شاء أنزله ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ إليكم من نزول العذاب بكم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [آية: ٢٣] العذاب.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ : العذاب ﴿عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾ والعارض بعد السحابة التى لم تطبق السماء التى يرى ما فيها من المطر ﴿قَالُواْ﴾ لهود: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ لأن المطر كان حبس عنهم وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادى مطروا، قال هود: ليس هذا العارض ممطركم ﴿بَلۡ هُوَ﴾ ولكنه ﴿مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ﴾ لكم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٤] يعنى وجع.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

وكان استعجالهم حين قالوا: يا هود ﴿**فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**﴾ [الأعراف: ٧]، وكانوا أهل عمود سيارة فى الربيع فإذا هاج العمود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة آدم بن شيم بن سام بن نوح، وكانوا أصهاره، وكان طول أحدهم اثنى عشر ذراعًا، وكان فيهم الملك، فلما كذبوا هودًا حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين فلما دنا هلاكهم أوحى الله إلى الخزان، خزان الريح أن أرسلوا عليهم من الريح مثل منخر الثور.

فقالت الخزان: يا رب، إذا تنسف الريح الأرض ومن عليها، قال: أرسلوا عليهم مثل خرق الخاتم، يعنى على قدر حلقة الخاتم، ففعلوا فجاءت ريح باردة شديدة تسمى الدبور من وراء كاوك الرمل وكان المطر يأتيهم من تلك الناحية فيما مضى فمن ثم: قالوا هذا عارض ممطرنا، فعمد هو فخط على نفسه، وعلى المؤمنين خطا إلى اصل شجرة ينبع من ساقها عين فلم يدخل عليهم من الريح إلا النسيم الطيب، وجعلت الريح شدتها تجئ بالطعن بين السماء والأرض، فلما رأوا أنهار ريح قالوا: يا هود، إن ريحك هذا لا تزيل أقدامنا، وقالوا: من أشد منا قوة، يعنى بطشا فقاموا صفوفًا فاستقبلوها بصدورهم فأزالت الريح أقدامهم، فقالوا: يا هود، إن ريحك هذه تزيل اقدامنا فألقتهم الريح لوجوهم ونسفت عليهم الرمل حتى إنه يسمع أنينن احدهم من تحت الرمل، فذلك قوله: ﴿**أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ [فصلت: ١٥]، وقال لهم هود حين جاءتهم الريح إنها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعنى تهلك كل شىء من عاد بأمر ربهما من الناس والأموال والدواب، بإذن ربها يقول الله، تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[1] بالشجر و لم يبق لهم شىء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول هكذا

---

[1] قال الفراء: وقرأها على بن أبى طالب، رحمه الله. حدثنا محمد، قال: حدثنا الفراء، قال: حدثنى محمد بن الفضل الخرسانى عن عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن، عن على بن أبى طالب أنه قال: «لاتَرَى إلا مساكنَهم». حدثنا محمد قال: حدثنا الفراء قال: «وحدثنى الكسائى، عن قطر ابن خليفة، عن مجاهد أنه قرأ: «فأصبحوا لاتَرى إلا مساكنهم». قال: وقرأ الحسن: «فأصبحوا لاتُرى إلا مساكنُهم» وفيه قبح فى العربية؛ لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه، فقالوا: لم يقم إلا جاريتُك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا =

﴿نَجْزِي﴾ بالعذاب ﴿الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٢٥] بتكذيبهم وهاجت الريح غدوة وسكنت بالعشى اليوم الثامن عند غروب الشمس، فذلك قوله: ﴿**سخرها عليهم سبع ليال**﴾ [الحاقة: ٧] يعنى كامة دائمة متتابعة، قال النبى ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور، ثم بعث الله طيرًا سودا فالتقطتهم حتى ألقتهم فى البحر».

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ثم خوف كفار مكة فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ يعنى عادًا ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ يعنى فى الذى أعطيناكم فى الأرض من الخير والتمكن فى الدنيا، يعنى مكناكم فى الأرض يا أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ فى الخير والتمكين فى الأرض ﴿سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ يعنى القلوب كما جعلنا لكم أهل مكة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ من العذاب ﴿سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ يقول لم تغن عنهم ما جعلنا من العذاب ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى عذاب الله، تعالى، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى ووجب لهم سور العذاب بـ ﴿مَّا كَانُوا بِهِ﴾ يعنى العذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية: ٢٦] هذا مثل ضربه الله لقريش حين قالوا: إنه غير كائن.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ يعنى القرون قوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، فأما قوم لوط فهم بين المدينة والشام، وأما عاد فكانوا باليمن.

قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ فى أمور شتى يقول: نبعث مع كل نبى إلى أمته آية ليست لغيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يقول لكى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٢٧] من الكفر إلى الإيمان فلم يتوبوا فأهلكهم الله بالعذاب.

= جاريتك، وذلك أن المتروك أحد، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر. ألا ترى أنك تقول: إن قام أحد منهن فاضربه، ولاتقل: إن قامت إلا مستكرها، وهو على ذلك جائز. قال أنشدنى المفضل:

وَنارنـا لم تـُر نـارًا مِثْلُها   قـد علمت ذاكَ معدّ أكرمـا

فأنث فعل «مثل»؛ لأنه للنار، وأجود الكلام أن تقول: مارُئِى إلا مثلها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ يقول فهلا منعتهم آلهتم من العذاب الذى نزل بهم ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ﴾ يعنى بل ضلت عنهم الآلهة فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ (١) يعنى كذبهم بأنها آلهة ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢٨] فى قولهم من الشرك.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعنى وجهنا إليك يا محمد ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فقرأ من الجن تسعة نفر من أشراف الجن وساداتهم من أهل اليمن من قرية يقال لها: نصيبين، ورسول الله ﷺ يبطن نخلة يقرأ القرآن فى صلاة الفجر، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ فلما حضروا النبى ﷺ ﴿قَالُوٓاْ﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْۖ﴾ للقرآن، وكادوا أن يرتكبوه من الحرص، فذلك قوله: ﴿**كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ [الجن: ٩]، ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ يقول فلما فرغ النبى ﷺ من صلاته ﴿وَلَّوْاْ﴾ يعنى انصرفوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم﴾ يعنى الجن ﴿مُّنذِرِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى مؤمنين.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ محمدًا ﷺ يتلوه ﴿كِتَٰبًا﴾ يعنى يقرأ محمد ﷺ كتابا، يعنى شيئًا عجبا، يعنى قرآنا ﴿أُنزِلَ﴾ على محمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ عليه السلام، وكانوا مؤمنين بموسى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول يصدق كتاب محمد ﷺ الكتب التى كانت أنزلت على الأنبياء ﴿يَهْدِىٓ﴾ يعنى يدعو كتاب محمد ﷺ ﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يعنى إلى الهدى ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٣٠] يعنى يدعوا إلى الدين المستقيم وهو الإسلام فلما أتوا قومهم قالوا لهم:

---

(١) قال الفراء: ويقرأ إِفكُهُم، وأفكَهُم. فأما الإفك والأفك فبمنزلة قولك: الحِذرُ وَالحَذَر، والنِّجْس وَالنَّجَس. وأما من قال: أفكهم فإنه يجعل الهاء والميم فى موضع نصب يقول: ذلك صرفهم عن الأيمان وكذبهم، كما قال عز وجل: ﴿**يُؤفَكُ عنه من أُفِكَ**﴾ أى: يصرف عنه من صرف.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يقول أجيبوا محمدًا ﷺ إلى الإيمان وصدقوا به ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣١] يعنى ويؤمنكم من عذاب وجيع.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ يعنى محمدًا ﷺ إلى الإيمان ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول فليس بسابق الله فيقول هربا فى الأرض حتى يجزيه بعمله الخبيث ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ يعنى ليس له أقرباء يمنعونه من الله، عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يجيبون إلى الإيمان. ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٢] يعنى بين هذا قول الجن التسعة فأقبل إلى النبى ﷺ من الذين أنذروا مع التسعة تكلمه سبعين رجلا من الجن من العام المقبل فلقوا النبى ﷺ بالبطحاء، فقرأ النبى ﷺ القرآن وأمرهم ونهاهم، وقال النبى ﷺ تلك الليل قبل أن يلقاهم لأصحابه: «ليقم معى منكم رجل ليس فى قلبه مثقال حبة خردل من شك» فقام عبد الله بن مسعود ومعه إداوة فيها نبيذ، فقال النبى ﷺ لابن مسعود: «قم مكانك»، وخط النبى ﷺ خطًا، وقال: «لا تبرح حتى أرجع إليك إن شاء الله، ثم قال: إن سمعت صوتًا أو جلبة أو شيئًا يفزعك فلا تخرج من مكانك» فوقف عبد الله حتى أصبح، ودخل النبى ﷺ الشعب، وقال له: «لا تخرج من الخط فإن أنت خرجت اختطفت الليلة»، وأنطلق النبى ﷺ يقرأ عليهم القرآن ويعلمهم ويؤدبهم واختصم رجلا منهم فى دم إلى رسول الله ﷺ فرفعوا أصواتهم فسمع ابن مسعود الصوت فقال: والله، لآتينه فلعل كفار قريش أن يكونوا مكروا به فلما أراد الخروج من الخط ذكر وصية رسول الله ﷺ فلم يخرج ووقف عبد الله حت أصبح، والنبى ﷺ فى الشعب يعلمهم ويؤدبهم حتى أصبح فانصرف الجن وأتى النبى ﷺ ابن مسعود فقال عبد الله: يا نبى الله، ما زلت قائمًا حتى رجعت إلى، وقد سمعت أصواتًا مرتفعة حتى هممت بالخروج فذكرت قولك فأقمت.

فقال النبى ﷺ: «اختصموا فى قتلى لهم كانو أصابوها فى الجاهلية فقضيت بينهم، ثم قال: أمعك طهور؟» قال: نعم، نبيذ فى إداوة، فقال: «ثمرة طيبة وماء طهور عذب،

صب على» فصب عليه ابن مسعود، فتوضأ منه النبى ﷺ فلما أراد أن يصليا أقبل الرجالن اللذان اختصما فى الدم حتى وقفا عليه رآهما النبى ﷺ ظن أنهما رجعا يختصمان فى الدم، فقال: «مالكما ألم أقض بينكما؟» قالا: يا رسول الله، إنا جئنا نصلى معك ونقتدى بك فقام النبى ﷺ إلى الصلاة، وقام ابن مسعود والرجلان من الجن وراء النبى ﷺ فصلوا معه فذلك قوله: ﴿**أنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبد**﴾ [الجن: ١٩] من حبهم إياه، ثم انصرفوا من عنده مؤمنين فلم يبعث الله، عز وجل، نبيًا إلى الإنس والجن قبل محمد ﷺ. فقالوا: يا رسول الله، مر لنا برزق حتى نتزود فى سفرنا؟ فقال لهم النبى ﷺ فإن لكم أن يعود العظم لحما والبعر حبا هذا لكم إلى يوم القيامة فلا يحل للمسلم أن يستنجى بالعظم ولا بالبعر، ولا بالرجيع، يعنى رجيع الدواب، و لم يبعث الله نبيًا إلى الجن والأنس قبل محمد ﷺ.

وقال ابن مسعود: لقد رأيت رجالا مستنكرين طولا سودا كأنهم من أزد شنوءة لو خرجت من ذلك الخط لظننت أنى سأختطف.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يقول أو لم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ نزلت فى أبى خلف الجمحى عمد فأخذ عظما حائلا نخرا فأتى به النبى ﷺ فقال: يا محمد، أتعدنا إذا بليت عظامنا، وكنا رفاتا أن الله يبعثنا جديدًا، وجعل يفت العظم ويذريه فى الريح، ويقول: يا محمد، من يحيى هذا؟ قال النبى ﷺ: يحيى الله هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك فى الآخرة ويدخلك النار»، فأنزل الله، تعالى يعظه ليعتبر فى خلق الله فيوحده، أو لم يروا أن الله، أو لم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض، لأنهم مقرون أن الله الذى خلقهما وحده.

﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة، وهما أشد خلقا من خلق الإنسان بعد أن يموت و لم يعى بخلقهن إذ خلقهن، يعنى عن بعث الموتى نظيرها فى يس، ثم قال لنبيه، ﷺ ﴿بَلَىٰٓ﴾ يبعثهم ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾[1] [آية: ٣٣] فلما كفر أهل مكة بالعذاب أخبرهم الله بمنزلتهم فى الآخرة،

---

(1) قال الفراء: وقوله: ﴿**أوَ لَم يَرَوْا أنّ الله الذى خَلق السموات والأرضَ ولم يعىَ بخلقهن** =

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)﴾

فقال: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يعنى إذا كشف الغطاء عنها لهم فنظروا إليها.

فقال الله لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ (١) العذاب الذى ترون ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ أنه الحق.

﴿قَالَ﴾ الله، تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٣٤] بالعذاب بأنه غير كائن.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)﴾

قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على الأذى والتكذيب يعزى نبيه ﷺ ليصبر ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ يعنى أولو الصبر ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ يعنى إبراهيم، وأيوب، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، عليهم السلام.

نزلت هذه الآية يوم أحد فأمره أن يصبر على ما أصابه ولا يدعو على قومه مثل قوله: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزمًا**﴾ [طه: ١١٥]، ثم ذكر له صبر الأنبياء وأولى العزم من قبله من الرسل على البلاء منهم إبراهيم، خليل الرحمن عليه السلام، حين ألقى فى النار، ونوح، عليه السلام على تكذيب قومه وكان يضرب حتى

= **بقادر**﴾ دخلت الباء للم، والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها، ويدخلونها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك: ما أظنك بقائم وما كنت بقائم، فإذا خلقت الباء نصبت الذى كانت فيه بما يعمل فيه من الفعل، ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفعه لأنه خبر لأن. قال. وأنشدنى بعضهم:

فما رَجعت بخائبةٍ رِكابٌ حكيمُ بنُ المسيِّب مُنْهاها

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيتً منه نصب بالفعل لا بالباء يقاس على هذا وما أشبهه. وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ: «يَقدِر» مكان «بقادر»: كما قرأ حمزة: «وَما أنتَ تهدى العمى». وقراءة العوام: «بهادى العمى».

(١) قال الفراء: فيه قول مضمر، يقال: أليس هذا بالحق بلاغٌ، أى: هذا بلاغ رفع بالاستئناف.

يغشى عليه، فإذا أفاق، قال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون شيئًا، وإسحاق فى أمر الذبح، ويعقوب فى ذهاب بصره من حزنه على يوسف حين ألقى فى الجب والسجن، وأيوب، عليه السلام، فى صبره على البلاء.

ويونس بن متى، عليه السلام، فى بطن الحوت، وغيرهم صبروا على البلاء، ومنهم اثنا عشر نبيا ببيت المقدس، فأوحى الله تعالى إليهم أنى منتقم من بنى إسرائيل بما صنعوا بيحيى بن زكريا فإن شئتم ان تختاروا أن أنزل بكم النقمة وأنجى بقية بنى إسرائيل وإن كرهتم أنزلت النقمة والعقوبة بهم وأنجيتكم فاستقام رأيهم على أن ينزل بهم العقوبة، وهو اثنا عشر وينجى قومهم فدعوا ربهم أن ينزل بهم العقوبة وينجى بنى إسرائيل فسلط عليهم ملوك أهل الأرض فأهلكوهم فمنهم من نشر بالمنشار، ومنهم من سلخ رأسه ووجهه، ومنهم من رفع على الخشب، ومنهم من أحرق بالنار، ومنهم من شدخ رأسه وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء فإنه قد نزل بهم ما لم ينزل بك.

ثم قال: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ وذلك أن كفار مكة، حين أخبرهم النبى ﷺ بالعذاب سألوه متى هذا الوعد الذى تعدنا يقول الله تعالى، لنبيه ﷺ: ولا تستعجل لهم بالعذاب ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ فى الدنيا ولم يروها ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ يوم واحد من أيام الدنيا ﴿بَلَٰغٌ﴾ يعنى تبليغ فيها يقول هذا الأمر بلاغ لهم فيها ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى العاصون لله، عز وجل، فيما أمرهم من أمره ونهيه ويقال هذا الأمر هو بلاغ لهم بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، يعنى وجيع لقولهم لهود: ﴿**فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**﴾ [الأعراف: ٧٠].

قوله: ﴿**الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، يعنى صلاتك مع المصلين فى جماعة، الذى استخرجك من أصلاب الرجال وأرحام النساء وأخرجك من صلب عبد الله طيبًا.

* * *

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنية، عددها ثمان وثلاثون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ١﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، يعنى كفار مكة ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: منعوا الناس عن دين الله الإسلام ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [آية: ١] يقول: أبطل الله أعمالهم، يعنى نفقتهم فى غزوة بدر ومسيرهم ومكرهم أبطل الله ذلك كله فى الآخرة، أبطال أعمالهم التى عملوا فى الدنيا لأنها كانت فى غير إيمان نزلت فى اثنى عشر رجلاً من قريش، وهم المطعمون من كفار مكة فى مسيرهم إلى قتال النبى ﷺ ببدر منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وشيبة وعتيبة ابنا ربيعة، وأمية وأُبى ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البحترى بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ٢﴾

ثم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الصالحة ﴿وَءَامَنُواْ﴾ يعنى وصدقوا ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ ﷺ من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ يقول: محا عنهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يعنى ذنوبهم الشرك وغيرها بتصديقهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [آية: ٢] يقول: أصلح بالتوحيد حالهم فى سعة الرزق، نزلت بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ٣﴾

ثم رجع إلى الاثنى عشر المطعمين يوم بدر فيها تقديم ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الإبطال كان ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾ يعنى عبادة الشيطان.

ثم قال: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله ﴿ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعنى به القرآن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [آية: ٣] حين أضل أعمال الكفار، وكفر سيئات المؤمنين، ثم علم المؤمنين كيف يصنعون بالكفار؟

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من مشركى العرب بتوحيد الله تعالى ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ يعنى الأعناق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ يعنى قهرتموهم بالسيف وظهرتم عليهم ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ يعنى الأسر ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ يعنى عتقًا بعد الأسر فيمن عليهم ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ يقول: فيفتدى نفسه بما له ليقوى به المسلمون على المشركين، ثم نسختها آية السيف فى براءة، وهى قوله: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥]، يعنى مشركى العرب خاصة.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يعنى ترك الشرك، حتى لا يكون فى العرب مشرك، وأمر ألا يقبل منهم إلا الإسلام، ثم استأنف، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول هذا أمر الله فى المن والفداء. حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، قال: قال مقاتل: إذا أسلمت العرب وضعت الحرب أوزارها، وقال فى سورة الصف: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف: ١٤] بمحمد # حين أسلمت العرب.

فقال: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ يقول: لانتقم منهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟﴾ يعنى يبتلى بقتال الكفار ﴿بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى قتلى بدر ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [آية: ٤] يعنى لن يبطل أعمالهم الحسنة

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الهدى، يعنى التوحيد فى القبر ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [آية: ٥] يعنى حالهم فى الآخرة.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [آية: ٦] يعنى عرفوا منازلهم فى الجنة، كما عرفوا

منازلهم فى الآخرة، يذهب كل رجل إلى منزله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: إن تعينوا الله ورسوله حتى يوحد ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ يقول: يعينكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [آية: ٧] للنصر فلا تزول عند الثبات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ يعنى فنكسًا لهم وخيبة، يقال: وقحا لهم عند الهزيمة ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [آية: ٨]، يعنى أبطلها

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الإبطال ﴿بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ﴾ الإيمان بـ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن على النبى ﷺ يعنى الكفار الذين قتلوا من أهل مكة ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [آية: ٩] لأنها لم تكن فى إيمان، ثم عرف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ليعتبروا.

﴿۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠﴾

فقال: ﴿۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ من كفار الأمم الخالية عاد وثمود وقوم لوط ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بألوان العذاب، ثم قال: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ من هذه الأمة ﴿أَمۡثَٰلُهَا﴾ [آية: ١٠] يقول: مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يقول: هذا النصر ببدر فى القديم إنما كان بأن الله ﴿مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: ولى الذين صدقوا بتوحيد الله عز وجل حين نصرهم ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [آية: ١١] يقول: لا ولى لهم فى النصر، ثم ذكر مستقر المؤمنين والكافرين فى الآخرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ يعنى البساتين تجرى من تحتها الأنهار ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ﴾ لا يلتفتون إلى الآخرة ﴿كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ يقول: ليس لهم هم إلا الأكل والشرب فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [آية: ١٢] يقول: هى مأواهم، ثم خوفهم ليحذروا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾﴾

فقال: ﴿وَكَأَيِّن﴾ يقول: وكم ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ قد مضت فيما خلا كانت ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ﴾ يعنى أشد بطشًا وأكثر عددًا ﴿مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ يعنى مكة ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ يعنى أهل مكة حين أخرجوا النبى ﷺ، ثم رجع إلى الأمم الخالية فى التقديم.

فقال: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب حين كذبوا رسلهم ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [آية: ١٣] يقول: فلم يكن لهم مانع يمنعهم من العذاب الذى نزل بهم.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعنى على بيان من ربه وهو النبى ﷺ ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ الكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ [آية: ١٤] نزلت فى نفر من قريش، فى أبى جهل بن هشام، وأبى حذيفة بن المغيرة المخزوميين، فليسا بسواء، لأن النبى ﷺ مصيرة إلى الجنة، وأبو حذيفة، وأبو جهل مخلدان فى النار.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ الشرك، يقول: شبة الجنة فى الفضل، والخير كشبة النار فى الشدة وألوان العذاب، ثم ذكر ما أعد لأهل الجنة من الشراب، وما أعد لأهل النار فى الشدة وألوان العذاب، ثم ذكر ما أعد لأهل الجنة من الشراب، وما أعد لأهل النار من الشراب.

فقال: ﴿فِيهَآ﴾ يعنى فى الجنة ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ يقول: لا يتغير كما يتغير ماء أهل الدنيا فينتن ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ كما يتغير لبن أهل الدنيا عن حاله

الأولى فيمخض ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لا يصدون عنها، ولا يسكرون كخمر الدنيا تجرى لذة للشاربين ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ليس فيها عكر، ولا كدر كعسل أهل الدنيا، فهذه الأنهار الأربعة تفجر من الكوثر إلى سائر أهل الجنة.

قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهذا للمتقين الشرك فى الآخرة، ثم ذكر مستقر الكفار، فقال: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعنى أبا جهل بن هشام، وأبا حذيفة المخزوميين وأصحابهما فى النار ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ يعنى شديد الحر الذى قد انتهى حره تستعر عليهم جنهم، فهى تغلى منذ خلقت السماوات والأرض ﴿فَقَطَّعَ﴾ الماء ﴿أَمْعَآءَهُمْ﴾ [آية: ١٥] فى الخوف من شدة الحر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ يعنى من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعنى إلى حديثك بالقرآن يا محمد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ منهم رفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو، وحليف بنى زهرة، وذلك أن النبى ﷺ خطب يوم الجمعة، فعاب المنافقين وكانوا فى المسجد فكظموا عند النبى ﷺ فلما خرجوا، يعنى المنافقين، من الجمعة.

﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو الهدى، يعنى القرآن، يعنى عبد الله بن مسعود الهذلى ﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿ءَانِفًا﴾ وقد سمعوا قول النبى ﷺ فلم يفقهوه، يقول الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعنى ختم الله على قلوبهم بالكفر فلا يعقلون الإيمان ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [آية: ١٦] فى الكفر، ثم ذكر المؤمنين.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ من الضلالة ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ بالمحكم الذى نسخ الأمر الأول ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [آية: ١٧] يقول: وبين لهم التقوى، يعنى عملاً بالمحكم حتى علموا بالمحكم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

ثم خوف أهل مكة، فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعنى القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم

﴿بَغۡتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ يعنى أعلامها، يعنى انشقاق القمر وخروج الدجال وخروج النبى ﷺ فقد عاينوا هذا كله، يقول: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [آية: ١٨] فيها تقديم يقول: من أين لهم التذكرة والتوبة عند الساعة إذا جاءتهم وقد فرطوا فيها؟

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَ﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات، يعنى المصدقين بتوحيد الله والمصدقات ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ يعنى منتشركم بالنهار ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [آية: ١٩] يعنى مأواكم بالليل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا بالقرآن ﴿لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ وذلك أن المؤمنين اشتاقوا إلى الوحى، فقالوا: هلا نزلت سورة؟ يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ يعنى بالمحكمة ما فيها من الحلال والحرام ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ وطاعة الله والنبى ﷺ، وقول معروف حسن فرح بها المؤمنون، فيها تقديم.

ثم ذكر المنافقين، فذلك قوله: ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ يعنى الشك فى القرآن منهم عبد الله بن أُبى، ورفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ غما وكراهية لنزول القرآن يقول الله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [آية: ٢٠] فهذا وعيد.

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١﴾

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يعنى جد الأمر عند دقائق الأمور ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ فى النبى ﷺ وما جاء به ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [آية: ٢١] من الشرك.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢﴾

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ يعنى منافقى اليهود ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصى

﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [آية: ٢٢] قال: وكان بينهم وبين الأنصار قرابة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ﴾ فلم يسمعوا الهدى ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [آية: ٢٣] فلا يبصروا الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يقول: أفلا يسمعون القرآن ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [آية: ٢٤] يعنى الطبع على القلوب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾

ثم ذكر اليهود، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ﴾ عن إيمان بمحمد ﷺ بعد المعرفة ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ يعنى أعقابهم كفارًا ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ يعنى أمر النبى ﷺ يبين لهم فى التوراة أنه نبى ورسول ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ يعنى زين لهم ترك الهدى، يعنى إيمانًا بمحمد ﷺ ﴿وَأَمۡلَىٰ﴾ الله ﴿لَهُمۡ﴾ [آية: ٢٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِى بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ فيها تقديم وأمهل الله لهم حين قالوا: ليس محمد بنبى، فلم يعجل عليهم، ثم انتقم منهم حين قتل أهل قريظة، وأجل أهل النضير، يقول ذلك الذى أصابهم من القتل والجلاء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ﴾ يعنى تركوا الإيمان، يعنى المنافقين ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِى بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ قالت اليهود للمنافقين فى تكذيب محمد ﷺ، وهو بعض الأمر، قالوا ذلك سرًا فيما بينهم، فذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ [آية: ٢٦] يعنى اليهود والمنافقين.

﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعنى ملك الموت وحده ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [آية: ٢٧] عند الموت.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الضرب الذى أصابهم عند الموت ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من الكفر بالنبى محمد ﷺ ﴿وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ يقول: وتركوا رضوان الله فى إيمان بمحمد ﷺ ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [آية: ٢٨] التى عملوها فى غير إيمان، ثم رجع إلى عبد الله بن أبى، ورفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

فقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك بالقرآن، وهم المنافقون ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [آية: ٢٩] يعنى أن لن يظهر الله الغش الذى فى قلوبهم للمؤمنين.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ يعنى لأعلمناكم، كقوله: ﴿**بما أراك الله**﴾ [النساء: ١٠٥]، يعنى بما أعلمك الله ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ يعنى بعلامتهم الخبيثة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ يعنى فى كذبهم عند النبى ﷺ، فلم يخف على النبى ﷺ منافق بعد هذه الآية.

ثم رجع إلى المؤمنين أهل التوحيد، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [آية: ٣٠] من الخير والشر.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالقتال، يعنى لنبتلينكم، معشر المسلمين بالقتال ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ يعنى كى نرى من يجاهد منكم ﴿وَ﴾ من يصبر من ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [آية: ٣١] يعنى ونختبر أعمالكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

ثم استأنف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى اليهود ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن دين

الله الإسلام ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ يعنى وعادوا نبى الله ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ فى التوراة ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ بأنه نبى رسول، يعنى بالهدى أمر محمد ﷺ، فـ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: فلن ينقصوا الله من ملكه وقدرته ﴿شَيۡـٔٗا﴾ حين شاقوا الرسول ﷺ وصدوا الناس عن الإسلام إنما يضرون أنفسهم ﴿وَسَيُحۡبِطُ﴾ فى الآخرة ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [آية: ٣٢] التى عملوها فى الدنيا.

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وذلك أن أناسًا من أعراب بنى أسد بن خزيمة قدموا على النبى ﷺ بالمدينة، فقالوا للنبى ﷺ: أتيناك بأهلينا طائعين عفوًا بغير قتال وتركنا الأموال والعشائر، وكل قبيلة فى العرب قاتلوك حتى أسلموا كرهًا، فلنا عليك حق، فاعرف ذلك لنا، فأنزل الله تعالى فى الحجرات: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا**﴾ إلى آيتين [الحجرات: ١٧، ١٨]. وأنزل الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾. ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [**٣٣**] بالمن ولكن أخلصوها لله تعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن دين الإسلام ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [آية: ٣٤] وذلك أن المسلم كان يقتل ذا رحمه على الإسلام، فقالوا: يا رسول الله، أين آباؤنا وإخواننا الذين قاتلوا فقتلوا؟ فقال النبى ﷺ: «هم فى النار»، فقال رجل من القوم: أين ولده وهو عدى بن حاتم؟ فقال النبى ﷺ: «فى النار»، فولى الرجل وله بكاء فدعاه النبى ﷺ فقال: «ما لك»؟ فقال: يا نبى الله، أجدنى أرحمه وأرثى له، فقال النبى ﷺ: «فإن والدى ووالد إبراهيم وولدك فى النار، فليكن لك أسوة فىّ، وفى إبراهيم خليله»، فذهب بعض وجده. فقال: يا نبى الله، وأين المحاسن التى كان يعملها؟ قال: «يخفف الله عنه بها من العذاب، فأنزل الله فيهم»، «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم»[1].

---

[1] نص الآية: ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر لهم**﴾ [محمد: ٣٤].

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

ثم قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ يقول: فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا﴾ يعنى نبدؤهم بالدعاء ﴿إِلَى السَّلْمِ﴾ يقول: فلا تضعفوا وتدعوا العرب إلى الصلح والموادعة ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ يقول: وأنتم الغالبون عليهم، وكان هذا يوم أحد يقول: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فى النصر يا معشر المؤمنين لكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ يقول: ولن يبطلكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ [آية: ٣٥] الحسنة.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وإن تصدقوا بالله وحده لا شريك له، وتتقوا معاصى الله ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ فى الآخرة يعنى جزاءكم فى الآخرة أعمالكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [آية: ٣٦].

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

ثم نزلت بعد ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ يعنى الأموال فنسخت هذه الآية، ولا يسألكم أموالكم، ثم قال: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ ذلك يعنى كثرة المسألة ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [آية: ٣٧] يعنى ما فى قلوبكم من الحب للمال والغش والغل، ولكنه فرض عليكم يسيرًا.

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾

ثم قال: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ معشر المؤمنين ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا﴾ أموالكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بالنفقة فى سبيل الله ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالنفقة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ﴾ بالخير والفضل ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ فى الآخرة لأنه لو أنفق فى حق الله أعطاه الله الجنة فى الآخرة ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إلى ما عنده من الخير والرحمة والبركة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ يقول: تعرضوا عما افترضت عليكم من حقى ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعنى أمثل منكم وأطوع لله منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [آية: ٣٨] فى المعاصى بل يكونوا خيرًا منكم وأطوع.

قوله: «**إن تنصروا الله**» حتى يوحد «**ينصركم**» على عدوكم «**ويثبت أقدامكم**» فلا تزول عند اللقاء عن التوحيد.

قال: وقال النبى ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، فما ترك التوحيد قوم إلا سقطوا من عين الله، وسلط الله عليهم السبى، «**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم**» يعنى الأنصار.

* * *

سُورَةُ الفَتْحِ

مدنية عددها تسع وعشرون آية كوفى.

إِنَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ يوم الحديبية ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١] وذلك أن الله تعالى أنزل بمكة على نبيه ﷺ: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ [الأحقاف: ٩]، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا: واللات والعزى وما أمره وأمرنا عند إله الذى يعبده إلا واحد ولولا أنه ابتدع هذا الأمر من تلقاء نفسه لكان ربه الذى بعثه يخبره بما يفعل به، وبمن اتبعه كما فعل بسليمان بن داود، وبعيسى ابن مريم والحواريين، وكيف أخبرهم بمصيرهم؟ فأما محمد فلا علم له بما يفعل به، ولا بنا إن هذا لهو الضلال، فشق على المسلمين نزول هذه الآية، فقال أبو بكر، وعمر، رضى الله عنهما، للنبى ﷺ: ألا تخبرنا ما الله فاعل بك؟ فقال: «ما أحدث الله إلى أمر بعد»، فلما قدم المدينة، قال عبد الله بن أُبى رأس المنافقين: كيف تتبعون رجلاً لا يدرى ما يفعل الله به، ولا بمن تبعه؟ وضحكوا من المؤمنين، وعلم الله ما فى قلوب المؤمنين من الحزن، وعلم فرح المشركين من أهل مكة، وفرح المنافقين من أهل المدينة، فأنزل الله تعالى بالمدينة بعدما رجع النبى ﷺ من الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ يعنى قضينا لك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يعنى قضاء بينًا، يعنى الإسلام.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾

﴿لِّيَغْفِرَ﴾ يعنى لكى يغفر ﴿لَكَ اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ يعنى ما كان فى الجاهلية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يعنى وبعد النبوة ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية: ٢] يعنى دينًا مستقيمًا.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ﴾ يقول: ولكى ينصرك الله بالإسلام على عدوك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [آية: ٣] يعنى منيعًا فلا تذل الذى قضى الله له: المغفرة والغنيمة والإسلام والنصر فنسخت

هذه الآية، قوله: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ [الأحقاف: ٩] فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بما يفعل به، فنزلت هذه الآية على النبى ﷺ، فلما سمع عبد الله بن أُبى رأس المنافقين بنزول هذه الآية على النبى ﷺ، وأن الله قد غفر له ذنبه، وأنه يفتح له على عدوه، ويهديه صراطًا مستقيمًا، وينصره نصرًا عزيزًا، قال لأصحابه: يزعم محمد أن الله قد غفر له ذنبه، وينصره على عدوه، هيهات هيهات لقد بقى له من العدو أكثر وأكثر فأين فارس والروم، وهم أكثر عدوًا وأشد بأسًا وأعز عزيزًا؟ ولن يظهر عليهم محمد، أيظن محمد أنهم مثل هذه العصابة التى قد نزل بين أظهرهم، وقد غلبهم بكذبه وأباطيله، وقد جعل لنفسه مخرجًا، ولا علم له بما يفعل به، ولا بمن تبعه، إن هذا لهو الخلاف المبين.

فخرج النبى ﷺ على أصحابه، فقال: «لقد نزلت علىّ آية هى أحب إلىّ مما بين السماء والأرض»، فقرأ عليهم: ﴿**إن فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر الله لك**﴾ إلى آخر الآية، فقال أصحابه: هنيئًا مريئًا، يا رسول الله، قد علمنا الآن ما لك عند الله، وما يفعل بك، فما لنا عند الله، وما يفعل بنا، فنزلت فى سورة الأحزاب: ﴿**وبشر المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾ [الأحزاب: ٤٧].

﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾**﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى الطمأنينة ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾ يعنى لكى يزدادوا ﴿إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ﴾ يعنى تصديقًا مع تصديقهم الذى أمرهم الله به فى كتابه فيقروا أن يكتبوا باسمك اللهم، ويقروا بأن يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وذلك أنه لما نزل النبى ﷺ بالحديبية بعثت قريش منهم سهيل بن عمرو القرشى، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبى ﷺ أن يرجع من عامه ذلك، على أن تخلى قريش له مكة من العام المقبل ثلاثة أيام، ففعل ذلك النبى ﷺ وكتبوا بينهم وبينه كتابًا، فقال النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب، عليه السلام: «اكتب بيننا كتابًا: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل بن عمرو وأصحابه: ما نعرف هذا، ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم. فهم أصحاب النبى ﷺ ألا يقروا بذلك، فقال النبى ﷺ لعلى، عليه السلام: «اكتب ما يقولون»، فكتب باسمك اللهم.

ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة»، فقال سهيل بن عمرو وأصحابه: لقد ظلمناك إن علمنا أنك رسول الله، ونمنعك ونردك عن بيته، ولا نكتب هذا، ولكن اكتب الذى نعرف: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة. فقال النبى ﷺ: «يا على، اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وأنا أشهد أنى رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله»، فهم المسلمون ألا يقروا أن يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فأنزل الله السكينة، يعنى الطمأنينة عليهم. فذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أن يقروا لقريش حتى يكتبوا باسمك اللهم، إلى آخر القصة، وأنزل فى قول أهل مكة لا نعرف أنك رسول الله ولو علمنا ذلك لقد ظلمنك حين نمنعك عن بيته ﴿**وكفى بالله شهيدًا**﴾ [الفتح: ٢٨] أن محمدًا رسول الله، فلا شاهد أفضل منه.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ٤] عليمًا بخلقه، حكيمًا فى أمره.

﴿**لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾**﴾

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى لكى يدخل المؤمنين والمؤمنات بالإسلام ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من تحت البساتين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يعنى يمحو عنهم ذنوبهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الخير ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٥] فأخبر الله تعالى نبيه بما يفعل بالمؤمنين، فانطلق عبد الله بن أبى رأس المنافقين فى نفر معه إلى النبى ﷺ، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزلت ﴿**بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا**﴾ يعنى وجيعًا.

﴿**وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾**﴾

﴿وَيُعَذِّبَ﴾ يعنى ولكى يعذب ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ من أهل المدينة عبد الله بن أبى، وأصحابه ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ يعنى من أهل مكة ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وكان ظنهم حين قالوا: واللات والعزى ما نحن وهو عند الله إلا بمنزلة واحدة،

وأن محمدًا لا ينصر فبئس ما ظنوا.

يقول الله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [آية: ٦] يعنى: وبئس المصير، وأنزل الله تعالى فى قول عبد الله بن أُبى حين قال: فأين أهل فارس والروم؟

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ يعنى المؤمنين، فهؤلاء أكثر من فارس والروم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ فى ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٧] فى أمره، فحكم النصر للنبى ﷺ وأنزل فى قول عبد الله بن أُبى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ أى محمد ﷺ وحده ﴿إن الله قوى عزيز﴾ [المجادلة: ٢١] يقول: أقوى وأعز من أهل فارس والروم لقول عبد الله بن أُبى هم أشد بأسًا وأعز عزيزًا.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد إلى هذه الأمة ﴿شَٰهِدًا﴾ عليها بالرسالة ﴿وَ﴾ أرسلناك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [٨] من النار.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يعنى لتصدقوا بالله أنه واحد لا شريك له ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدًا ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ يعنى تنصروه وتعاونوه على أمره كله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعنى وتعظموا النبى ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٩] يعنى وتصلوا لله بالغداة والعشى، وتعزروه مثل قوله فى الأعراف: ﴿الذين آمنوا به وعزروه﴾. ولما قال المسلمون للنبى ﷺ: «إنا نخشى ألا يفى المشركون بشرطهم فعند ذلك تبايعوا على أن يقاتلوا، ولا يفروا يقول: الله رضى عنهم إبيعتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يوم الحديبية تحت الشجرة فى الحرم، وهى بيعة الرضوان، كان المسلمون يومئذ ألفًا وأربع مائة رجل، فبايعوا النبى ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا من العدو، فقال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ﴾ بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير ﴿فَوْقَ

﴿أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ حين قالوا للنبى ﷺ إنا نبايعك على ألا نفر ونقاتل فاعرف لنا ذلك ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ بالبيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾ فى الآخرة ﴿أَجۡرًا﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٗا﴾ [آية: ١٠] يعنى فى الجنة نصيبًا وافرًا.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ مخافة القتال وهم مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ فى التخلف وكانت منازلهم بين مكة والمدينة ﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾ يعنى يتكلمون بألسنتهم ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ من أمر الاستغفار لا يبالون استغفر لهم النبى ﷺ أم لا ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ﴾ يعنى فمن يقدر ﴿لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ نظيرها فى الأحزاب ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ يعنى الهزيمة ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ﴾ يعنى الفتح والنصر، يعنى حين يقول: فمن يملك دفع الضر عنكم، أو منع النفع غير الله، بل الله يملك ذلك كله.

ثم استأنف ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [آية: ١١] فى تخلفكم وقولكم إن محمدًا ﷺ وأصحابه كلفوا شيئًا لا يطيقونه، ولا يرجعون أبدًا، وذلك أن النبى ﷺ مر بهم فاستنفرهم، فقال بعضهم لبعض: إن محمدًا ﷺ ،اصحابه أكلة رأس لأهل مكة لا يرجع هو وأصحابه أبدًا فأين تذهبون؟ أتقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى تنظروا ما يكون من أمره، فأنزل الله عز وجل لقولهم له قالوا: ﴿**شغلتنا أموالنا وأهلونا**﴾:

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾﴾

﴿بَلۡ﴾ منعكم من السير أنكم ﴿ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ يقول: أن لن يرجع الرسول ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من الحديبية ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ فبئس ما ظنوا ظن السوء حين زين لهم فى قلوبهم وأيأسهم أن محمدًا وأصحابه لا يرجعون أبدًا.

نظيرها فى الأحزاب: ﴿**وتظنون بالله الظنون**﴾ [الأحزاب: ١٠]، يعنى الإياسة من

النصير، فقال الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [آية: ١٢] يعنى هلكى بلغة عمان، مثل قوله: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ [إبراهيم: ٢٨]، أى دار الهلاك، ومثل قوله: ﴿تجارة لن تبور﴾ [فاطر: ٢٩] يعنى لن تهلك.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعنى بصدق بتوحيد الله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ فى الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [آية: ١٣] يعنى وقودًا، فعظم نفسه وأخبر أنه غنى عن عباده.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٤] بهم.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية مخافة القتل ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر، وكان الله تعالى وعد نبيه ﷺ بالحديبية أن يفتح عليه خيبر، ونهاه عن أن يسير معه أحد من المتخلفين، فلما رجع النبى ﷺ من الحديبية يريد خيبر، قال المخلفون: ذرونا نتبعكم فنصيب معكم من الغنائم، فقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يعنى أن يغيروا كلام الله الذى أمر النبى ﷺ، وهو ألا يسير معه أحد منهم ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ﴾ يعنى هكذا ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ بالحديبية ﴿مِن قَبْلُ﴾ خيبر أن لا تتبعونا ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين إن الله لم ينهكم ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ بل منعكم الحسد أن نصيب معكم الغنائم. ثم قال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ النهى من الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٥] منهم.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

ثم قال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية مخافة القتل ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى أهل اليمامة يعنى بنى حنيفة، مسيلمة بن حبيب الكذاب الحنفى وقومه، دعاهم أبو بكر، رضى الله عنه، إلى قتال أهل اليمامة، يعنى هؤلاء الأحياء الخمسة جهينة، ومزينة، وأشجع، وغفار، وأسلم ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا﴾ أبا بكر إذا دعاكم إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فى الآخرة، يعنى جزاء كريمًا فى الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ يعنى تعرضوا عن قتال أهل اليمامة ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ يعنى كما أعرضتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ عن قتال الكفار يوم الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله فى الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٦] يعنى وجيعًا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل: خلافة أبى بكر، رضى الله عنه، فى هذه الآية مؤكدة.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)﴾

ثم عذر أهل الزمانة، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى تخلفهم عن الحديبية، يقول: من تخلف عن الحديبية من هؤلاء المعذورين، فمن شاء منهم أن يسير معكم فليسر ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى الغزو ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعنى يعرض عن طاعتهما فى التخلف من غير عذر ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٧] يعنى وجيعًا.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ بالحديبية يقول: رضى ببيعتهم إياك ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الكراهية للبيعة على أن يقاتلوا ولا يفروا فى أمر البيعة ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ﴾ يعنى وأعطاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [آية: ١٨] يعنى مغانم خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ يعنى منيعًا ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ١٩] فى أمره فحكم على أهل خيبر القتل والسبى.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مع النبى ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعنى غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعنى حلفاء أهل خيبر أسد، وغطفان جاءوا لينصروا أهل خيبر، وذلك أن مالك بن عوف النضرى، وعيينة بن حصن الفزارى، ومن معهما من أسد وغطفان جاءوا لينصروا أهل خيبر، فقذف الله فى قلوبهم الرعب، فانصرفوا عنهم، فذلك قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعنى أسد وغطفان.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ يعنى ولكى تكون هزيمتهم من غير قتال ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى تزدادون بالإسلام تصديقًا مما ترون من عدة الله فى القرآن من الفتح والغنيمة كما قال نظيرها فى المدثر: ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيمانًا**﴾ [المدثر: ٣١]، يعنى تصديقًا بمحمد ﷺ، وبما جاء به فى خزنة جهنم.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنى قوى فارس والروم وغيرها ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ﴾ علمه ﴿بِهَا﴾ أن يفتحها على يدى المؤمنين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من القرى ﴿قَدِيرًا﴾ [آية: ٢١] على فتحها.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

قال: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى ولا مانعًا يمنعهم من الهزيمة.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

يقول كذلك كان ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ كفار مكة حين هزموا ببدر فهؤلاء بمنزلتهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [آية: ٢٣] يعنى تحويلاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ يعنى كفار مكة يوم الحديبية ﴿بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ يوم الحديبية، يعنى ببطن أرض مكة كلها والحرم كله مكة ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وقد كانوا خرجوا يقاتلون النبى ﷺ فهزمهم النبى ﷺ بالطعن والنبل حتى أدخلهم بيوت مكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [آية: ٢٤].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡىَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَ﴾ صدوا ﴿وَٱلۡهَدۡىَ﴾ فى عمرتكم يوم الحديبية ﴿مَعۡكُوفًا﴾ يعنى محبوسًا، وكان النبى ﷺ أهدى عام الحديبية فى عمرته مائة بدنة، ويقال: ستين بدنة، فمنعوه ﴿أَن يَبۡلُغَ﴾ الهدى ﴿مَحِلَّهُۥۚ﴾ يعنى منحره.

ثم قال: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ أنهم مؤمنون ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ بالقتل بغير علم تعلمونه منهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ﴾ يعنى فينالكم من قتلهم عنت فيها تقديم، لأدخلكم من عامكم هذا مكة ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ لكى يدخل ﴿ٱللَّهُ فِى رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ منهم عياش بن أبى ربيعة، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام بن المغيرة، كلهم من قريش، وعبد الله بن أسد الثقفى.

يقول: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ يقول: لو اعتزل المؤمنون الذين بمكة من كفارهم ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى وجيعًا، وهو القتل بالسيف.

﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ قدم عام الحديبية فى ذى القعدة معتمرًا، ومعه الهدى،

فقال كفار مكة: قتل آباءنا وإخواننا، ثم أتانا يدخل علينا فى منازلنا ونساءنا، وتقول العرب: إنه دخل على رغم آنافنا، والله لا يدخلها أبدًا علينا، فتلك الحمية التى فى قلوبهم.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ﴾ يعنى أمة محمد ﷺ ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يعنى كلمة الإخلاص وهى لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ من كفار مكة ﴿وَ﴾ كانوا ﴿وَأَهْلَهَا﴾ فى علم الله عز وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [آية: ٢٦] بأنهم كانوا أهل التوحيد فى علم الله عز وجل.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ٢٧﴾

قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ وذلك أن الله عز وجل أرى النبى ﷺ فى المنام، وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر النبى ﷺ بذلك أصحابه ففرحوا واستبشروا وحبسوا أنهم داخلوه فى عامهم ذلك، وقالوا: إن رؤيا النبى ﷺ حق، فردهم الله عز وجل عن دخول المسجد الحرام إلى غنيمة خيبر، فقال المنافقون عبد الله بن أبى، وعبد الله بن رسل، ورفاعة بن التابوه: والله، ما حلقنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ يعنى العام المقبل ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يستثنى على نفسه مثل قوله: ﴿**سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله**﴾ ويكون ذلك تأديبًا للمؤمنين ألا يتركوا الاستثناء، فى رد المشيئة إلى الله تعالى ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العدو ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ من أشعاركم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ عدوكم ﴿فَعَلِمَ﴾ الله أنه يفتح عليهم خيبر قبل ذلك فعلم ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى قبل ذلك الحلق والتقصير ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [**٢٧**] يعنى غنيمة خيبر وفتحها، فلما كان فى العام المقبل بعدما رجع من خيبر أدخله الله هو وأصحابه المسجد الحرام، فأقاموا بمكة ثلاثة أيام فحلقوا وقصروا تصديق رؤيا النبى ﷺ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٢٨﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى دين الإسلام لأن كل دين باطل غير الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعنى على ملة أهل الأديان كلها، ففعل الله ذلك به حتى قتلوا وأقروا بالخراج، وظهر الإسلام على أهل كل دين ﴿ولو كره المشركون﴾ [الصف: ٩] يعنى العرب.

ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [آية: ٢٨] فلا شاهد أفضل من الله تعالى بأن محمدًا ﷺ رسول الله، فلما كتبوا الكتاب يوم الحديبية، وكان كتبه على بن أبى طالب، عليه السلام، فقال سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى: لا نعرف أنك رسول الله، ولو عرفنا ذلك لقد ظلمناك إذا حين نمنعك عن دخول بيته، فلما أكروا أنه رسول الله، أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ من الضلال ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ إلى آخر السورة.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

ثم قال تعالى للذين أنكروا أنه رسول الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَشِدَّآءُ﴾ يعنى غلظاء ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: متوادين بعضهم لبعض ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يقول: إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل ركوع وسجود فى الصلوات ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ يعنى رزقًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ يعنى يطلبون رضى ربهم ﴿سِيمَاهُمْ﴾ يعنى علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ الهدى والسمت الحسن ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يعنى من أثر الصلاة ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ يقول: ذلك الذى ذكر من نعت أمة محمد ﷺ فى التوراة.

ثم ذكر نعتهم فى الأنجيل، فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعنى الحلقة وهو النبت الواحد فى أول ما يخرج ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ يعنى فأعانه أصحابه، يعنى الوابلة التى تنبت حول الساق فآزره كما آزر الحلقة والوابلة بعضه بعضًا، فأما شطأه، فهو محمد ﷺ خرج وحده كما خرج النبت وحده، وأما الوابلة التى تنبت حول الشطأه، فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا فى قلة كما كان أول الزرع دقيقًا، ثم زاد نبت الزرع

فغلظ فآزره ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ كما آزر المؤمنون بعضهم بعضًا حتى إذا استغلظوا واستووا على أمرهم كما استغلظ هذا الزرع.

﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ فكما يعجب الزراع حسن زرعه حين استوى قائمًا على سوقه، فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال ﴿مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [آية: ٢٩] يعنى به الجنة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل، عن محمد بن إسحاق: قال: المعرة، الدية، ويقال: الشين.

* * *

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

مدنية عددها ثماني عشرة آية كوفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ نزلت فى ثلاثة نفر، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى ناحية أرض تهامة، وكانوا سبعة وعشرين رجلاً منهم عروة بن أسماء السلمى، والحكم بن كيسان المخزومى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وبشير الأنصارى، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى من النقباء، وكتب صحيفة ودفعها إلى حرام بن ملحان ليقرأها على العدو، فكان طريقهم على بنى سليم وبينهم وبين النبى ﷺ موادعة.

ودس المنافقون إلى بنى عامر بن صعصعة، وهم حرب على المسلمين، إن أصحاب محمد مغرورون يختلفون من بين ثلاثة وأربعة فأرصدوهم وهم على بئر معونة، وهو ماء لبنى عامر فسار القوم ليلاً، وأضل أربعة منهم بعيرًا لهم منهم بشير الأنصارى، فأقاموا حتى أصبحوا، وسار المسلمون حتى أتوا على بنى عامر، وهم حول الماء، وعليهم عامر بن الطفيل العامرى، فدعاهم المنذر بن عمرو إلى الإسلام، وقرأ عليهم حرام الصحيفة، فأبوا فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فلما عرفوا أنهم مقتولون، قالوا: اللهم، إنك تعلم أن رسولك أرسلنا، وإنا لا نجد من يبلغ عنا رسولك غيرك، فاقرئه منا السلام، فقد رضينا بحسن قضائك لنا.

وحمل عامر بن الطفيل على حرام فطعنه فقتله، وقتل بقيتهم غير المنذر بن عمرو، فإنه كان دارعًا مقنعًا، وعروة بن أسماء السلمى، فقتل المنذر بعد ذلك، فقالوا لعروة: لو شئنا لقتلناك، فأنت آمن فإن شئت فارجع إلينا، وإن شئت فاذهب إلى غيرنا، فأنت آمن، قال عروة: إنى عاهدت رسول الله ﷺ ألا أضع يدى فى يد مشرك ولا أتخذه وليًا، وجعل يحمل عليهم، ويضربونه يعرض رماحهم ويناشدونه، ويأبى عليهم فرموه بالنيل حتى

قتلوه، وأتى جبريل النبى ﷺ، فأخبره بحالهم، فنعاهم النبى ﷺ لأصحابه، وقال: أرسل إخوانكم يقرأونكم السلام فاستغفروا لهم. ووجد الأربعة بعيرهم حين أصبحوا، فساروا فلما دنوا من ماء بنى عامر لقيتهم وليدة لبنى عامر، فقالت: أمن أصحاب محمد أنتم؟ فقالوا: نعم، رجاء أن تسلم، فقالت: إن إخوانكم قد قتلوا حول الماء، النجاء النجاء، ألا ترون إلى النسور والعقبان قد تعلقن بلحومهم.

فقال بشير الأنصارى: دونكم بعيركم أنظر لكم، فسار نحوهم فرأى إخوانهم مقتلين كأمثال البدن حول الماء، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم، وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى النبى ﷺ فنخبره الخبر، فقال بشير: لكنى لا أرجع والله، حتى أتغدى من غداء القوم، فاقرءوا على النبى ﷺ منى السلام ورحمة الله، ثم أتاهم فحمل عليهم، فناشدوه أن أرجع فأبى، وحمل عليهم، فقتل منهم، ثم قُتل بعد، فرجع الثلاثة يسلون بغيرهم سلا، فأتوا المدينة عند جنوح الليل، فلقوا رجلين من ينى سليم جائين من عند رسول الله ﷺ، فقالوا: من أنتما؟ قالا: من بنى عامر، لأنهم كانوا قريبًا من بنى عامر بالمدينة، ولا يشعرن بصنيع بنى عامر.

فقالوا: هذين من الذين قتلوا إخواننا، فقتلوهما وسلبوهما، ثم دخلوا على النبى ﷺ ليخبروه فوجدوا الخبر قد سبق إليه، ثم قالوا: يا نبى الله، غشينا المدينة عند المساء فلقينا رجلين من بنى عامر فقتلناهم، وهذا سلبهما، فقال النبى ﷺ: «بل هما من بنى سليم من حلفائى بئسما صنعتما، هذان رجلان من بنى سليم كانا جاءا فى أمر الموادعة»، فنزلت فيهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ يقول: لا تعجلوا بقتل أحد، ولا بأمر حتى تستأمروا النبى ﷺ فوعظهم فى ذلك، وأقبل قوم السلمين، فقالوا للنبى ﷺ: إن صاحبينا قتلا عندك، فقال النبى ﷺ: «إن صاحبكم اعتزيا إلى عدونا فقتلا جميعًا»، وأخبرهم الخبر، ولكننا سنعقل عن صاحبيكم لكل واحد منهما مائة من الإبل، فجعل دية المشرك المعاهد، كدية الحر المسلم.

قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فى المعاصى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١] بخلقه.

﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢**﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ يعنى كلامكم ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ يعنى

فوق كلام النبى ﷺ يقول: احفظوا الكلام عنده، نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس، وشماس الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج، وكان فى أذنيه وقر، وكان إذا تكلم عند النبى ﷺ رفع صوته.

ثم قال: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ وفيه نزلت هذه الآية: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا**﴾ [النور: ٦٣] يقول: لا تدعوه باسمه يا محمد، ويا ابن عبد الله ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ يقول: كما يدعو الرجل منكم باسمه يا فلان، ويا ابن فلان، ولكن عظموه ووقروه وفخموه وقولوا له: يا رسول الله، ويا نبى الله، يؤدبهم ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ يعنى أن تبطل حسناتكم إن لم تخفظوا أصواتكم عند النبى ﷺ وتعظموه وتوقروه وتدعوه باسم النبوة، فإنه يحبط أعمالكم.

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٢] أن ذلك يحبطها، فلما نزلت هذه الآية أقام ثابت بن قيس فى منزله مهمومًا حزينًا مخافة أن يكون حبط عمله، وكان بدريًا، فانطلق جاره سعد بن عبادة الأنصارى إلى النبى ﷺ، فأخبره بقول ثابت بن قيس، بأنه قد حبط عمله، وهو فى الآخرة من الخاسرين، وهو فى النار. فقال النبى ﷺ لسعد: «اذهب فأخبره، أنك لم تعن بهذه الآية، ولست من أهل النار، بل أنت من أهل الجنة، وغيرك من أهل النار، يعنى عبد الله بن أبى المنافق، فاخرج إلينا» فرجع سعد إلى ثابت فأخبره بقول النبى ﷺ، ففرح وخرج إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ حين رآه: «مرحبًا برجل يزعم أنه من أهل النار، بل غيرك من أهل النار، يعنى عبد الله بن أبى، وكان جاره، وأنت من أهل الجنة». فكان ثابت بعد ذلك إذا كان عند النبى ﷺ خفض صوته فلا يسمع من يليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾

فنزلت فيه بعد الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ يعنى يخفضون كلامهم ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أخلص الله ﴿قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٌ﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٣] يعنى: الجنة، فقال ثابت بعد ذلك: ما يسرنى أنى لم أجهر بصوتى عند رسول الله ﷺ، وأنى لم أخفض صوتى إذا امتحن الله قلبى للتقوى، وجعل لى مغفرة لذنوبى، وجعل لى أجرًا عظيمًا يعنى الجنة، فلما كان على عهد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، غزا ثابت إلى اليمامة فرأى

المسلمين قد انهزموا، فقال لهم: أف لكم، ولما تصنعون، اللهم إنى اعتذر إليك من صنيع هؤلاء، ثم نظر إلى المشركين، فقال: أف لكم، ولما تعبدون من دون الله، اللهم إنى أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء، ثم قاتلهم حتى قُتل، رحمة الله عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤] نزلت فى تسعة رهط ثمانية منهم من بنى تميم، ورجل من قيس، فمنهم الأقرع بن حابس المجاشعى، وقيس بن عاصم المنقرى، والزبرقان بن بدر الهذلى، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام النهشليين، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع من بنى دارم، وعيينة بن حصن الفزارى، وذلك أن النبى ﷺ أصاب طائفة من ذرارى بنى العنبر، فقدموا المدينة فى الظهيرة لفداء ذراريهم، فتذكروا ما كان من أمرهم فبكت الذرارى إليهم، فنهضوا إلى المسجد والنبى ﷺ فى منزله فاستعجلوا الباب لما أبطأ عليهم النبى ﷺ فنادى أكثرهم من وراء الحجرات: يا محمد، مرتين ألا تخرج إلينا فقد جئنا فى الفداء.

فقال النبى ﷺ: «ويلك ما لك حداك المنادى»، فقال: أما والله إن حمدى لك زين، وإن ذمى لك شين، فقال النبى ﷺ: «ويلكم ذلكم الله»، فلم يصبروا حتى يخرج إليهم ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

فذلك قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعنى بالخير لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لأطلقتم من غير فداء. ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥] لقولهم: يا محمد ألا تخرج إلينا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ وذلك أن النبى ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى إلى بنى المصطلق، وهم حى من خزاعة، ليقبض صدقة أموالهم، فلما بلغهم ذلك فرحوا واجتمعوا ليتلقوه، فبلغ الوليد ذلك فخافهم على نفسه، وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية من أجل شىء كانوا أصابوه، فرجع إلى النبى ﷺ،

فقال: طردونى ومنعونى الصدقة، وكفروا بعد إسلامهم، فلما قال ذلك انتدب المسلمون لقتالهم.

فقال النبى ﷺ: «إلا حتى أعلم العلم»، فلما بلغهم أن الوليد رجع من عندهم، بعثوا وفدًا من وجوههم فقدموا على النبى ﷺ المدينة، فقالوا: يا رسول الله، إنك أرسلت إلينا من يأخذ صدقاتنا فسررنا بذلك، وأردنا أن نتلقاه، فذكر لنا أنه رجع من بعض الطريق فخفنا أنه إنما رده غضب علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، والله ما رأيناه ولا أتانا، ولكن حمله على ذلك شيء كان بيننا وبينه فى الجاهلية، فهو يطلب يدخل الجاهلية، فصدقهم النبى ﷺ.

فأنزل الله تعالى فى الوليد ثلاث آيات متواليات بفسقه وكذبه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ يقول: إن جاءكم كاذب بحديث كذب ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ قتل ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ وأنتم جهال بأمرهم، يعنى بنى المصطلق ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ يعنى الذين انتدبوا لقتال بنى المصطلق [آية: ٦].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ يقول: لو أطاعكم النبى ﷺ حين انتدبتم لقتالهم ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ يعنى لأثمتم فى دينكم.

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ يعنى التصديق ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ للثواب الذى وعدكم ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾ يعنى الإثم ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ يعنى بغض إليكم المعاصى للعقاب الذى وعد أهله فمن عمل بذلك منكم وترك ما نهاه عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [آية: ٧] يعنى المهتدين.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ يقول: الإيمان الذى حببه إليكم فضلاً من الله ونعمة، يعنى رحمة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ﴾ [آية: ٨] فى أمره.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ

فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾

قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وقف على حمار له يقال له: يعفور، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أُبي للنبي: خل للناس مسيل الريح من نتن هذا الحمار، ثم قال: أف وأمسك بأنفه، فشق على النبي ﷺ قوله، فانصرف النبي ﷺ، فقال عبد الله بن أبي رواحة: ألا أراك أمسكت على أنفك من بول حماره، والله لهو أطيب ريح عرض منك، فلجا في القول فاجتمع قوم ضرب النعال والأيدي والسعف، فرجع النبي ﷺ إليهم فأصلح بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ يعني الأوس والخزرج اقتتلوا. ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ بكتاب الله عز وجل، فإن كره بعضهم الصلح.

قال الله: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ ولم ترجع إلى الصلح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى﴾ بالسيف، يعني التي لم ترجع ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني حتى ترجع إلى الصلح الذي أمره ﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ يعني فإن رجعت إلى الصلح ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ يعني وأعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [آية: ٩] يعني الذين يعدلون بين الناس.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ يعني الأوس والخزرج ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، لما كان بينكم، قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية: ١٠] يعني لكي ترحموا فلا تعذبوا لما كان بينكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ يقول: لا يستهزئ الرجل من أخيه، فيقول: إنك رديء المعيشة، لئيم الحسب، وأشباه ذلك مما ينقصه به من أمر ديناه، ولعله خير منه عند الله تعالى، فأما الذين استهزءوا فهم الذين نادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات، وقد استهزءوا من الموالي عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وبلال المؤذن،

وخباب بن الأرت، وسالم مولى أبى حذيفة، وعامر بن فهيرة، وغيرهم من الفقراء، قال: وإن سالم مولى أبى حذيفة كان معه راية المسلمين يوم اليمامة، فقالوا له: إنا نخشى عليك، فقال سالم: بئس حامل القرآن أنا إذًا، فقاتل حتى قتل.

ثم قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ نزلت فى عائشة بنت أبى بكر، رضى الله عنهما، استهزأت من قصر أم سلمة بنت أبى أمية، ثم قال: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يقول: لا يطعن بعضكم على بعض، فإن ذلك معصية ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ وذلك أن كعب بن مالك الأنصارى كان يكون على المقسم فكان بينه وبين عبد الله بن الحدرد الأسلمى بعض الكلام، فقال له: يا أعرابى، فقال له عبد الله: يا يهودى، ثم انطلق عبد الله فأخبر النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ: «لعلك قلت له: يا يهودى»؟ قال: نعم قد قلت له ذلك إذ لقبنى أعرابيًا، وأنا معاجر، فقال له النبى ﷺ: «لا تدخلا علىّ حتى ينزل الله توبتكما»، فأوثقا أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر.

فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ يقول: لا يعير الرجل أخاه المسلم بالملة التى كان عليها قبل الإسلام، ولا يسميه بغير أهل دينه فإنه ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ يعنى بئس الاسم هذا، أن يسميه باسم الكفر بعد الإيمان، يعنى بعد ما تاب وآمن بالله تعالى ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ من قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ١١] فلما أنزل الله تعالى توبتهما وبين أمرهما تابا إلى الله تعالى من قولهما وحلا أنفسهما من الوثائق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يقول: لا تحققوا الظن، وذلك أن الرجل يسمع من أخيه كلامًا لا يريد به سوء، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم، أو يسمعه فيظن به سوءا، فلا بأس ما لم يتكلم به، فإن تكلم به أثم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ يعنى لا يبحث الرجل عن عيب أخيه المسلم، فإن ذلك معصية ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ نزلت فى فتير، ويقال:

فهير خادم النبى ﷺ، وذلك أنه قيل له: إنك وخيم ثقيل بخيل، والغيبة أن يقول الرجل المسلم لأخيه ما فيه من العيب، فإن قال ما ليس فيه فقد بهته.

ثم ضرب للغيبة مثلاً، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يقول: إذا غاب عنك المسلم، فهو حين تذكره بسوء بمنزلة الشيء الميت، لأنه لا يسمع بعيبك إياه، فكذلك الميت لا يسمع ما قلت له، فذلك قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يعنى كما كرهتم أكل لحم الميت، فأكرهوا الغيبة لإخوانكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى الغيبة فلا تغتابوا الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢] بهم بعد التوبة، والغيبة أن تقول لأخيك ما فيه من العيب، فإن قلت ما ليس فيه فقد بهته، وإن قلت ما بلغك فهذا الإفك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعنى آدم وحواء نزلت فى بلال المؤذن، وقالوا: فى سلمان الفارسى، وفى أربعة نفر من قريش، فى عتاب بن أسيد بن أبى العيص، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وأبى سفيان بن حرب، كلهم من قريش، وذلك أن النبى ﷺ لما فتح مكة أمر بلالاً فصعد ظهر الكعبة وأذن، وأراد أن يذل المشركين بذلك، فلما صعد بلال وأذن. قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذى قبض أسيد قبل هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: عجبت لهذا العبد الحبشى أما وجد رسول الله ﷺ إلا هذا الغراب الأسود، وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئًا يغيره، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول، فإنى لو قلت شيئًا لتشهدن علىّ السماء ولتخبرن عنى الأرض.

فنزل جبريل على النبى ﷺ فأخبره بقولهم، فدعاهم النبى ﷺ، فقال: «كيف قلت يا عتاب»؟ قال: قلت: الحمد الذى قبض أسيد قبل هذا اليوم، قال: «صدقت»، ثم قال للحارث بن هشام: «كيف قلت»؟ قال: عجبت لهذا العبد الحبشى، وأما وجد رسول الله ﷺ إلا هذا الغراب الأسود، قال: «صدقت»، ثم قال لسهيل بن عمرو: «كيف قلت»؟ قال: قلت: إن يكره الله شيئًا يغيره، قال: «صدقت»، ثم قال لأبى سفيان: «كيف قلت»؟ قال: قلت: أما أنا فلا أقول شيئًا، فإنى لو قلت شيئًا لتشهدن علىّ السماء

والأرض ولتخبرن عنى الأرض، قال: «صدقت»، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى بلالاً وهؤلاء الأربعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ وعنى آدم وحواء ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا﴾ يعنى رءوس القبائل ربيعة ومضر وبنو تميم والأزد ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ يعنى الأفخاذ بنو سعد، وبنو عامر، وبنو قيس، ونحوه ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ فى النسب، ثم قال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ﴾ يعنى بلالاً ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [آية: ١٣] يعنى أن أتقاكم بلال.

﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ نزلت فى أعراب جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا النبى ﷺ قالوا: آمنا ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، وكان يومئذ من قال: لا إله إلا الله يأمن على نفسه وماله، فمر بهم خالد بن الوليد فى سرية النبى ﷺ فقالوا: آمنا، فلم يعرض هم، ولا لأموالهم، فلما سار النبى ﷺ إلى الحديبية واستنفرهم معه، فقال بعضهم لبعض: إن محمدًا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة، وأنهم كلفوا شيئًا لا يرجعون عنه أبدًا فأين تذهبون تقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى ننظر ما يكون من أمره، فذلك قوله فى الفتح: ﴿**بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا**﴾ إلى آخر الآية [الفتح: ١٢].

فنزلت فيهم: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾ يعنى صدقنا، ﴿قُل لَّمۡ﴾ يا محمد: ﴿قُل لَّمۡ﴾ لم تصدقوا ﴿تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ يعنى قولوا أقررنا باللسان، واستسلمنا لتسلم لنا أموالنا ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ يعنى ولما يدخل التصديق ﴿فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى قتال أهل اليمامة حيث قال فى سورة الفتح: ﴿**ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد**﴾ [الفتح: ١٦] يعنى قتال مسليمة بن حبيب الكذاب، وقومه بنى حنيفة، ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إذا دعيتم إلى قتالهم ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ يعنى لا ينقصكم ﴿مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ﴾ الحسنة يعنى جهاد أهل اليمامة حين دعاهم أبو بكر، رضى الله عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ يعنى ذو تجاوز لما كان قبل ذلك يوم الحديبية ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤] بهم إذا فعلوا ذلك نظيرها فى الفتح.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

ثم أخبر عن المؤمنين فنعتهم لقول هؤلاء الأعراب آمنا، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المصدقون فى إيمانهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى صدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بأنه واحد لا شريك له ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ أنه نبى رسول وكتابه حقه ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ يعنى لم يشكوا فى دينهم بعد الإيمان ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ العدو مع النبى ﷺ ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ يعنى باشروا القتال بأنفسهم ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [آية: ١٥] فى إيمانهم.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد، لجهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ حين قالوا: آمنا بألسنتهم، وليس ذلك فى قلوبهم، فأخبرهم أنه يعلم ما فى قلوبهم، وما فى قلوب أهل السماوات، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ غيب ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى ما فى قلوب أهل السماوات من الملائكة ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى ويعلم غيب ما فى قلوب أهل الأرض من التصديق وغيره ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مما فى قلوبهم من التصديق وغيره ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٦].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ نزلت فى أناس من الأعراب بنى أسد بن خزيمة، قدموا على النبى ﷺ، فقالوا: جئناك وأتيناك بأهلنا طائعين عفوا على غير قتال، وتركنا الأموال والعشائر وكل قبيلة فى العرب قاتلوك حتى أسلموا، فلنا عليك حق، فاعرف لنا ذلك، فنزلت: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٧] فى إيمانكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى غيب ما فى قلوب أهل السماوات من الملائكة ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعنى يعلم ما فى قلوب أهل الأرضين من التصديق وغيره، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٨] من التصديق وغيره.

* * *

سُورَةُ قٓ

عددها خمس وأربعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [آية: ١] وقاف جبل من زمردة خضراء محيط بالعالم، فخضرة السماء منه ليس من الخلق شيء على خلقه وتنبت الجبال منه، وهو وراء الجبال وعروق الجبال كلها من قاف، فإذا أراد الله تعالى زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذى عنده أن يحرك عرقًا من الجبل، فتتحرك الأرض التى يريد وهو أول جبل خلق، ثم أبو قبيس بعده، وهو الجبل الذى الصفا تحته ودون قاف بمسيرة سنة، جبل تغرب فيه الشمس يقال له: الحجاب، فذلك قوله تعالى: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ [ص: ٣٢]، يعنى بالجبل، وهو من وراء الحجاب، وله وجه كوجه الإنسان وقلب كقلوب الملائكة فى الخشية لله تعالى، وهو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه، والحجاب دون قاف بمسيرة سنة، وما بينهما ظلمة، والشمس تغرب من وراء الحجاب فى أصل الجبل، فذلك قوله: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ يعنى بالجبل، وذلك قوله فى مريم: ﴿**فاتخذت من دونهم حجابًا**﴾ [مريم: ١٧]، يعنى جبلاً.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ يعنى والقرآن الكريم، فأقسم تعالى بهما.

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾

ثم استأنف ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [آية: ٢] يعنى هكذا الأمر عجيب أن يكون محمد رسولاً، وذلك أن كفار مكة كذبوا بمحمد ﷺ، فقالوا: ليس من الله.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾

وقالوا أيضًا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ﴾ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ [آية: ٣] بأن

البعث غير كائن، نزلت فى أُبى بن خلف الجمحى، وأبى الأشدين واسمه أسيدة بن كلدة، وهما من بنى جمح، ونبيه، ومنبه أخوين ابنى الحجاج السهميين، وكلهم من قريش، وقالوا: إن الله لا يحيينا، وكيف يقدر علينا إذا كنا ترابًا وضللنا فى الأرض؟.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ يقول: ما أكلت من الموتى من لحوم، وعروق، وعظام بنى آدم، ما خلا العصعص، وتأكل لحوم الأنبياء، والعروق، ما خلا عظامهم مع علمى فيهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [٤] يعنى محفوظ من الشياطين، يعنى اللوح المحفوظ، قل بل الله يبعثهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

ثم استأنف ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعنى حين جاءهم به محمد ﷺ ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [آية: ٥] يعنى مختلف ملتبس، ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [٦] يعنى من خلل.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ أو لم يروا إلى الأرض كيف ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ يعنى بسطناها مسيرة خمس مائة سنة من تحت الكعبة ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال وهى ستة أجبل، والجبال كلها من هذه الستة الأجبل ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ فى الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ يعنى من كل صنف من النبت ﴿بَهِيجٍ﴾ [آية: ٧] يعنى حسن.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى هذا الذى ذكر من خلقه جعله تبصرة وتفكرة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٨] يعنى مخلص القلب بالتوحيد.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعنى المطر فيه البركة حياة كل شىء

﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿جَنَّٰتٍ﴾ يعنى بساتين ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [آية: ٩] يعنى حين يخرج من سنبلة ﴿وَ﴾ أنبتنا بالماء ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ يعنى النخل الطوال ﴿لَّهَا طَلۡعٌ﴾ يعنى الثمر ﴿نَّضِيدٌ﴾ [آية: ١٠] يعنى منضود بعضه على بعض مثل قوله: ﴿وطلح منضود﴾ [الواقعة: ٩].

﴿رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

وجعلنا هذا كله ﴿رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِۖ﴾. ثم قال: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ﴾ لم يكن عليها نبت فنبتت الأرض، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [آية: ١١] يقول: وهكذا تخرجون من القبور بالماء، كما أخرجت النبت من الأرض بالماء، فهذا كله من صنيعه ليعرفوا توحيد الرب وقدرته على البعث.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوۡمُ نُوحٍ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ يعنى أصحاب البئر اسمها فلج، وهى البئر التى قتل فيها حبيب النجار صاحب ياسين ﴿وَثَمُودُ﴾ [آية: ١٢].

﴿وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ﴾ [آية: ١٣] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ يعنى غيضة الشجر أكثرها الدوم المقل، وهم قوم شعيب، عليه السلام، ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٍۚ﴾ ابن أبى شراح، ويقال: شراحيل الحميرى ﴿كُلٌّ﴾ كل هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [آية: ١٤] يعنى فوجب عليهم عذابى فعذبتهم فاحذروا يا أهل مكة مثل عذاب الأمم الخالية، فلا تكذبوا محمدًا ﷺ، لما قال كفار مكة: ﴿**ذلك رجع بعيد**﴾ [ق: ٢].

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِى لَبۡسٍ مِّنۡ خَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ فى أول هذه السورة، وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث، يقول الله تعالى: أعجزت عن الخلق حين خلقتهم، ولم يكونوا شيئًا، فكيف أعيى عن بعثهم، فلم يصدقوا، فقال الله تعالى بل يبعثهم الله.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِى لَبۡسٍ مِّنۡ خَلۡقٍ جَدِيدٍ﴾ [آية: ١٥] يقول فى شك من البعث بعد الموت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يعنى قلبه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [آية: ١٦] وهو عرق خالط القلب فعلم الرب تعالى أقرب إلى القلب من ذلك العرق.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

ثم قال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعنى الملكين يتلقيان عمل ابن آدم ومنطقه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ ملك يكتب الحسنات ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ ملك ﴿قَعِيدٌ﴾ [آية: ١٧] يكتب السيئات فلا يكتب صاحب الشمال إلا بإذن صاحب اليمين، فإن تكلم ابن آدم بأمر ليس له ولا عليه اختلفا فى الكتاب، فإذا اختلفا نوديا من السماء ما لم يكتبه صاحب السيئات فليكتبه صاحب الحسنات.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

فذلك قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: إلا عنده حافظ قعيد يعنى ملكيه.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ﴾ يعنى غمرة ﴿ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى أنه حق كائن ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [آية: ١٩] يعنى من الموت تحيد، يعنى يفر ابن آدم، يعنى بالفرار كراهيته للموت.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعنى النفخة الآخرة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [آية: ٢٠] يعنى بالوعيد العذاب فى الآخرة.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ﴾ فى الآخرة ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ كافرة ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ يعنى ملك يسوقها إلى محشرها ﴿وَشَهِيدٌ﴾ [٢١] يعنى ملكها هو شاهد عليها بعلمها.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ يا كافر ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ يعنى عن غطاء الآخرة ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى يشخص بصره، ويديم النظر فلا يطرف حتى يعاين فى الآخرة ما كان يكذب به فى الدنيا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ فى الآخرة يعنى صاحبه وملكه الذى كان يكتب عمله السيئ فى دار الدنيا ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [آية: ٢٣] يقول لربه: قد كنت وكلتنى فى الدنيا، فهذا عندى معد حاضر من عمله الخبي قد أتيتك به وبعمله، نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ يعنى الخازن، وهو فى كلام العرب خذاه يخاطب الواحد مخاطبة الاثنين للواحد ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [آية: ٢٤] يعنى المعرض عن توحيد الله تعالى، وهو الوليد بن المغيرة.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

ثم ذكر عمله، فقال: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يعنى منع ابن أخيه وأهله عن الإسلام، وكان لا يعطى فى حق الله، ويُسر الغشم والظلم، فهو ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى شاكا فى توحيد الله تعالى، يعنى الوليد، ثم نعته ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فى الدنيا ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ يعنى الخازن ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى عذاب جهنم.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعنى صاحبه وهو شيطانه الذى كان يزين له الباطل والشر ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ فيما يعتذر إلى ربه يقول: لم يكن لى قوة أن أضله بغير سلطانك ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٢٧] يعنى شيطانه ولكن كان فى الدنيا الوليد بن المغيرة المخزومى

فى ضلال بعيد فى خسران طويل ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لابن آدم وشيطانه الذى أغواه: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ يعنى عندى ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [آية: ٢٨] يقول: قد أخبرتكم فى الدنيا بعذابى فى الآخرة.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ يعنى عندى الذى قلت لكم فى الدنيا من الوعيد قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٢٩] يقول: لم أعذب على غير ذنب ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ يقول الرب ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [آية: ٣٠] فينتقض. قال مقاتل: قال ابن عباس: وتقول قط قط، وتقول قد امتلأت، فليس فى مزيد، تقول: ليس فى سعة، وفى الجنة سعة، فيخلق الله لها خلقًا فيسكنون فضاءها.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ يعنى قربت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٣١] فينظرون إليها قبل دخولها حين تنصب عن يمين العرش يقول: ﴿هَٰذَا﴾ الخير ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ مطيع ﴿حَفِيظٍ﴾ [**٣٢**] لأمر الله عز وجل، فقال: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فأطاعه ولم يراه ﴿وَجَآءَ﴾ فى الآخرة ﴿بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٣٣] يعنى بقلب مخلص ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ يعنى الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ يقول: فسلم الله لهم أمرهم وتجاوز عن سيئاتهم وشكر لهم اليسير من أعمالهم الصالحة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [آية: ٣٤] فى الجنة لا موت فيها، يعنى فى الجنة.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ من الخير ﴿فِيهَا﴾ وذلك أن أهل الجنة يزورون ربهم على مقدار كل يوم جمعة فى رمال المسك، فيقول: سلونى، فيسألونه الرضا؟ فيقول: رضاى أحلكم دارى، وأنيلكم كرامتى، ثم يقرب إليهم ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ثم يقول: سلونى ما شئتم، فيسألون حتى تنتهى مسألتهم فيعطون على ما سألوا وفوق ذلك. فذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوا، ولم يتمنوا، ولم يخطر على قلب بشر من جنة عدن، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [آية: ٣٥] يعنى وعندنا مزيد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿قَبْلَهُم﴾ يعنى قبل كفار مكة ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ يعنى أمة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾ من أهل مكة ﴿بَطْشًا﴾ يعنى قوة ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ يعنى هربوا ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ ويقال: حولوا فى البلاد ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٣٦] يقول: هل من فرار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى فى هلاكهم فى الدنيا ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ يعنى لتذكرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ يعنى حيا يعقل الخير ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ يقول: أن ألقى بأذنيه السمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٣٧] يعنى وهو شاهد القلب غير غائب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: إن الله حين فرغ من خلق السماوات والأرض، وما بينهما فى ستة أيام، استراح يوم السابع، وهو يوم السبت، فلذلك لا يعلمون يوم السبت شيئًا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ومقدار كل يوم ألف سنة من أيامكم هذه ﴿وَمَا مَسَّنَا﴾ يعنى وما أصابنا ﴿مِن لُّغُوبٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى يقول الله تعالى لنبيه ﷺ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لقولهم إن الله استراح يوم السابع ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصل بأمر ربك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: صلى بالغداة والعشى، يعنى صلاة الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يقول: فصل المغرب والعشاء ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [آية: ٤٠] يعنى الركعتين بعد صلاة المغرب وقتهما ما لم يغب الشفق ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ فهو إسرافيل وهى النفخة الآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [آية: ٤١] يعنى من الأرض نظيرها فى سبأ: ﴿**وأخذوا من**

مكان قريب﴾ [سبأ: ٥١]، يعنى من تحت أرجلهم، وهو إسرافيل، عليه السلام، قائم على صخرة بيت المقدس، وهى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، فيسمع الخلائق كلهم فيجتمعون ببيت المقدس، وهى وسط الأرض، وهو المكان القريب، وهو ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى نفخة إسرافيل الثانية بالحق، يعنى أنها كائنة، فذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [آية: ٤٢] من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ﴾ الموتى ﴿وَنُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٣] يعنى مصير الخلائق إلى الله فى الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

فقال: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ إلى الصوت نظيرها فى ﴿**سأل سائل**﴾ [المعارج: ١] ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [**٤٤**] يعنى جميع الخلائق علينا هين، وينادى فى القرن، ويقول لأهل القبور: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها الشعور المتفرقة، اخرجوا لتنفخ فيكم أرواحكم، وتجازون بأعمالكم ويديم الملك الصوت. فذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فى السر مما يكره النبى ﷺ، يعنى كفار مكة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم﴾ يا محمد ﴿بِجَبَّارٍ﴾ يعنى بمسلط فتقتلهم ﴿فَذَكِّرْ﴾ يعنى فعظ أهل مكة ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ يعنى بوعيد القرآن ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [آية: ٤٥] وعيدى عذابى فى الآخرة، فيحذر المعاصى.

* * *

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية عددها ستون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٦)﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ [آية: ١] يعنى الرياح ذرت ذروا ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [آية: ٢] يعنى السحاب موقرة من الماء ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ [آية: ٣] يعنى السفن مرت مرًا ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [آية: ٤] يعنى أربعة من الملائكة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، يقسمون الأمر بين الخلائق، وهم المدبرات أمرًا بأمره فى بلاده وعباده، فأقسم الله تعالى، بهؤلاء الآيات ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ يعنى إن الذى توعدون من أمر الساعة ﴿لَصَادِقٌ﴾ [آية: ٥] يعنى لحق ﴿وَ﴾ أقسم بهن أيضًا ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [آية: ٦] يعنى إن الحساب لكائن.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٢)﴾

﴿وَ﴾ أقسم بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [آية: ٧] يعنى مثل الطرائق التى تكون فى الرمل من الريح، ومثل تصبيه الريح، فيركب بعضه بعضًا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ الخلق الحسن ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَفِى قَوْلٍ﴾ يعنى القرآن ﴿مُّخْتَلِفٍ﴾ [آية: ٨] شك يؤمن به بعضكم ويكفر به بعضكم ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [آية: ٩] يعنى عن الإيمان بالقرآن، يعنى يصرف عن القرآن من كذب به، يعنى الخراصين، يقول: الكذابون الذين يخرصون الكذب.

﴿قُتِلَ﴾ يعنى لعن ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [آية: ١٠] نظيرها فى النحل، وكانوا سبعة عشر

رجلاً، فقال لهم الوليد بن المغيرة المخزومى: لينطلق كل أربعة منكم أيام الموسم، فليجلسوا على طريق ليصدوا الناس عن النبى ﷺ وتخرصهم، أنهم قالوا للناس، إنه ساحر، ومجنون، وشاعر، وكاهن، وكذاب، وبقى الوليد بمكة يصدقهم بما يقولون، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾ [آية: ١١] يعنى فى غفلة لاهون عن أمر الله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ النبى ﷺ ﴿أَيَّانَ﴾ يقول: متى ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٢] يعنى يوم الحساب، فقالوا: يا محمد، وهم الخراصون متى يكون الذى تعدنا به تكذيبًا به، من أمر الحساب.

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

فأخبر الله عز وجل عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ١٣] يعنى يعذبون، يحرقون، كقوله: ﴿**إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات**﴾ [البروج: ١٠]، وقال لهم خزنتها: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ يعنى عذابكم ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ١٤] فى الدنيا استهزاء به وتكذيبًا بأنه غير نازل بنا، لقولهم فى الدنيا للنبى ﷺ: متى هذا الوعد الذى تعدنا به.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ١٥] يعنى بساتين وأنهار جارية ﴿ءَاخِذِينَ﴾ فى الآخرة ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ يعنى ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة فى الجنة، ثم أثنى عليهم، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ الثواب فى الدنيا ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٦] فى أعمالهم.

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾

ثم قال: إنهم ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [آية: ١٧] ما ينامون ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ يعنى آخر الليل ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [آية: ١٨] يعنى يصلون ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ﴾ يعنى المسكين ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [آية: ١٩] الفقير الذى لا سهم له، ولم يجعل الله للفقراء سهمًا فى الفئ ولا فى الخمس، فمن سمى الفقير المحروم، لأن الله حرمهم نصيبهم، فلما

نزلت براءة بدأ الله بهم، فقال تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء**﴾ [التوبة: ٦٠]، فبدأ بهم، فنسخت هذه الآية المحروم.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [آية: ٢٠] يعني ما فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبت عامًا بعام، ففى هذا كله آيات يعنى عبرة للموقنين بالرب تعالى لتعرفوا صنعه، فتوحدوه ﴿وَفِىٓ﴾ خلق ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ حين كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح، ففى هذا كله آية ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢١] قدرة الرب تعالى أن الذى خلقكم قادر على أن يبعثكم كما خلقكم، ثم قال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعنى المطر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٢٢] فى أمر الساعة.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

ثم أقسم الرب تعالى بنفسه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ يعنى لكائن، يعنى أمر الساعة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [آية: ٢٣] يعنى تتكلمون.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يعنى قد أتاك يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [آية: ٢٤] يعنى جبريل وميكائيل، وملك آخر أكرمهم إبراهيم، وأحسن القيام، ورأى هيئتهم حسنة، وكان لا يقوم على رأس ضيف قبل هؤلاء، فقام هو وامرأته سارة لخدمتهم، فسلمت الملائكة على إبراهيم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ فرد عليهم إبراهيم فـ﴿قَالَ

سَلَٰمٌ﴾ ثم قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [آية: ٢٥] يقول: أنكرهم إبراهيم، صلى الله عليه، وظن أنهم من الإنس ﴿فَرَاغَ﴾ يعنى فمال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ﴾ إليهم ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [آية: ٢٦] ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ وهو مشوى و﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٢٧] فقالوا: يا إبراهيم، لا نأكل إلا بالثمن، قال إبراهيم: كانوا وأعطوا الثمن، فقالوا: وما ثمنه؟ قال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله، فعجبت الملائكة لقوله فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أيدى الملائكة لا تصل إلى العجل.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فخاف وأخذته الرعدة وضحكت امرأته سارة، وهى قائمة من رعدة إبراهيم، وقالت فى نفسها: إبراهيم معه أهله، وولده، وخدمه وهؤلاء ثلاثة نفر، فقال جبريل، صلى الله عليه، لسارة: أيتها الصالحة، إنك ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ يعنى إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٨] يعنى حليم ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ يعنى فى صيحة، وقالت: أوه يا عجباه ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فضربت بيدها جبينها، أو خدها تعجبًا ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ من الكبر ﴿عَقِيمٌ﴾ [آية: ٢٩] من الولد ﴿قَالُوا۟﴾ قال جبريل، صلى الله عليه: ﴿كَذَٰلِكِ﴾ يعنى هكذا ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ ستلدين غلامًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ حكم أمر الولد فى بطن سارة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٠] بخلقه، فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أنهم الملائكة ﴿۞ قَالَ﴾ لهم ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ يعنى ما أمركم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٣١] ﴿قَالُوٓا۟﴾ قال جبريل، صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى كفارًا ظلمة يعنون قوم لوطٍ ﴿لِنُرْسِلَ﴾ يعنى لكى نرسل ﴿عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [آية: ٣٣] خلطة الحجارة، الطين ملزق بالحجر.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ يعنى معلمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى المشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ يعنى فى قرية لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى المصدقين بتوحيد الله تعالى ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى المخلصين فهو لوط وابنتيه ريثا للكبرى زعونا الصغرى ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ يعنى عبرة لمن بعدهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى الوجيع.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

نظيرها في هود ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٣٨] يعنى بحجة بينةٍ واضحة وهى اليد والعصا ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ يعنى فأعرض فرعون عن الحق بميله، يعنى عن الإيمان حين، قال: ﴿ما أريكم ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر: ٢٩].

﴿وَقَالَ﴾ فرعون لموسى، عليه السلام، هو ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [آية: ٣٩] يقول الله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ يعنى فرعون ﴿وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ يعنى فى نهر مصر النيل، فأغرقوا أجمعين، ثم قال لفرعون: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [آية: ٤٠] يعنى مذنب يقول استلام إلى ربه.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ﴾ باليمن ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [آية: ٤١] التى تهلك ولا تلقح الشجر ولا تثير السحاب، وهى عذاب على من أرسلت عليه، يقول الله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ﴾ تلك الريح ﴿مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾ من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم ﴿إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [آية: ٤٢] يقول: إلا جعلته باليا كالتراب بعد ما كانوا مثل نخل منقعر صاروا رميمًا.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ﴾ قال لهم نبيهم صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [آية: ٤٣] يعنى إلى آجالكم ﴿فَعَتَوۡاْ﴾ يقول: فعصوا ﴿عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعنى العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل، صلى الله عليه ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٤٤] ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ﴾ يعنى أن يقوموا للعذاب حين غشيهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى ممتنعين من العذاب حين أهلكوا.

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَ﴾ فى ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ آية ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ هؤلاء الذين ذكر ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى عاصين.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ آية ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ يعنى بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد ﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ آية ﴿فَرَشۡنَٰهَا﴾ مسيرة خمس مائة عام فى خمس مائة عام من تحت الكعبة ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى الرب تعالى نفسه ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ يعنى صنفين يعنى الليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والبرد والحر، والسهل والجبل، والسبخة والعذبة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٩] فيما خلق أنه ليس له عدل ولا مثيل، فتوحدونه.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ فإن فعلتم فـ ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ يعنى من عذابه ﴿مُّبِينٞ﴾ [آية: ٥١] فردوا عليه إنك ساحر مجنون، يقول الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ لرسولهم هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [آية: ٥٢] كقول كفار مكة لمحمد ﷺ يقول الله: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ يقول: أوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك لرسلهم. ثم قال: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى عاصين.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ يعنى فأعرض عنهم، فقد بلغت وأعذرت ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمَلُومٖ﴾ [آية: ٥٤] يقول: فلا تلام، فحزن النبى ﷺ مخافة أن ينزل بهم العذاب، فأنزل الله تعالى ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٥٥].

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

فوعظ كفار مكة بوعيد القرآن، فقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى إلا ليوحدون، وقالوا: إلا ليعرفون يعنى ما أمرتهم إلا بالعبادة، ولو أنهم

خلقوا للعبادة، ما عصوا طرفة عين.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن أبى صالح، قال: إلا ليوحدون، قال أبو صالح: الأمر يعصى والخلق لا يعصى.

قال أبو العباس الزيات: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب، سئل عن هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ليعبدنى من عبدنى منهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ يقول: لم أسأهم أن يرزقوا أحدًا ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [آية: ٥٧] يعنى أن يرزقون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ يعنى البطش فى هلاكهم ببدر ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ [آية: ٥٨] يعنى الشديد ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ يعنى نصيبًا من العذاب فى الدنيا، مثل نصيب أصحابهم فى الشرك، يعنى الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [آية: ٥٩] العذاب تذذيبًا به ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى﴾ فيه ﴿يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٦٠] العذاب.

* * *

سُورَةُ الطُّورِ

مكية وعددها تسع وأربعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾

قال: لما كذب كفار مكة أقسم الله تعالى، فقال: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [آية: ١] يعنى الجبل بلغة النبط، الذى كلم الله عليه موسى، عليه السلام، بالأرض المقدسة ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ [آية: ٢] يعنى أعمال بنى آدم مكتوبة يقول: أعمالهم تخرج إليهم يومئذ، يعنى يوم القيامة ﴿فِي رَقّٖ﴾ يعنى أديم الصحف ﴿مَّنشُورٖ﴾ [آية: ٣] ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [آية: ٤] واسمه الصراح، وهو فى السماء الخامسة، ويقال: فى سماء الدنيا حيال الكعبة فى العرض والموضع غير أن طوله كما بين السماء والأرض وعمارته أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه يقال لهم: الجن، ومنهم كان إبليس، وهم حى من الملائكة، لم يدخلوه قط، ولا يعودون فيه إلى يوم القيامة، ثم ينزلون إلى البيت الحرام، فيطوفون به ويصلون فيه، ثم يصعدون إلى السماء، فلا يهبطون إليه أبدًا ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ [آية: ٥] يعنى السماء رفع من الأرض مسير خمس مائة عام، يعنى السماوات ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [آية: ٦] تحت العرش الممتلئ من الماء يسمى بحر الحيوان يحيى الله به الموتى فيما بين النفختين.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل: سمعت المبارك بن فضالة، عن الحسن فى قوله: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ قال: المملوء مثل قوله: ﴿**ثم فى النار يسجرون**﴾ [غافر: ٧٢]، قال: و لم أسمع مقاتل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾

فأقسم الله تعالى بهؤلاء الآيات، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [آية: ٧] بالكفار

﴿مَا لَهُۥ﴾ يعنى العذاب ﴿مِن دَافِعٍ﴾ [آية: ٨] فى الآخرة يدفع عنهم، ثم أخبر متى يقع بهم العذاب؟ فقال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [آية: ٩] يعنى استدارتها وتحريكها بعضها فى بعض من الخوف ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [آية: ١٠] من أمكنتها حتى تستوى بالأرض كالأديم الممدود.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١١] بالعذاب، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى فى باطل لاهون، ثم قال: والويل لهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [آية: ١٣] وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب يغلون بأيدى الكفار إلى أعناقهم، ثم يجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم فى جهنم دفعًا على وجوههم، إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٤] فى الدنيا.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذى ترون، فإنكم زعمتم فى الدنيا أن الرسل سحرة ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٥] فلما ألقوا فى النار، قالت لهم الخزنة: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٦] من الكفر والتكذيب فى الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعنى الذين يتقون الشرك ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَنَعِيمٍ﴾ [آية: ١٧] ﴿فَٰكِهِينَ﴾ يعنى معجبين ومن قرأها فاكهين، يعنى ناعمين محبورين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ يعنى بما أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ فى الجنة من الخير والكرامة ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ١٨] ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ يعنى الذى ليس عليهم مشقة، ولا تبعة حلالاً لا يحاسبون عليه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٩] فى الدنيا ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ

مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ يعنى مصففة فى الخيام ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [آية: ٢٠] يعنى البيضاء المنعمة «عين» يعنى العيناء الحسنة العين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾

ثم قال فى التقديم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ يعنى من أدرك العمل من أولاد بنى آدم المؤمنين فعمل خيرًا فهم مع آبائهم فى الجنة، ثم قال: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يعنى الصغار الذين لم يبلغوا العمل من أولاد المؤمنين فهم معهم وأوزاجهم فى الدرجة لتقر أعينهم ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ يقول: وما نقصنا الآباء إذا كانوا مع الأبناء من عملهم شيئًا، ثم قال: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ﴾ كافر ﴿بِمَا كَسَبَ﴾ يعنى بما عمل من الشرك ﴿رَهِينٞ﴾ [آية: ٢١] يعنى مرتهن بعمله فى النار.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾

ثم رجع إلى الذين آمنوا، فقال: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ﴾ لحم طير ﴿مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى مما يتخيرون من ألوان الفاكهة، ومن لحوم الطير ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يعنى يتعاطون فى الجنة تعطيهم الخدم بأيديهم رى المخدوم من الأشربة، فهذا التعاطى ﴿كَأۡسٗا﴾ يعنى الخمر ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ [آية: ٢٣] يعنى لا حلف فى شربهم، ولا مأثم يعنى ولا كذب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمير نظيرها فى الواقعة[1].

﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾

﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ لا يكبرون أبدًا ﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [آية: ٢٤]

---

(١) يشير إلى هذه الآية: ﴿**بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون**﴾ [الواقعة: ١٨، ١٩].

يقول: كأنهم فى الحسن والبياض مثل اللؤلؤ المكنون فى الصدف لم تمسسه الأيدى، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] يقول: إذا زار بعضهم بعضًا فى الجنة فيتساءلون بينهم عما كانوا فيه من الشفقة فى الدنيا، فذلك قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [آية: ٢٦] من العذاب ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [آية: ٢٧] يعنى الريح الحارة فى جهنم، وما فيها من أنواع العذاب ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ فى الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ ندعو الرب ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ الصادق فى قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٢٨] بالمؤمنين ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد أهل مكة ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعنى برحمة ربك، وهو القرآن ﴿بِكَاهِنٍ﴾ يبتدع العلم من غير وحى ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢٩] كما يقول كفار مكة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾ نزلت فى عقبة بن أبى معيط، والحارث بن قيس، وأبى جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد المناف، قالوا: إن محمدًا شاعر فنتربص به ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى حوادث الموت، قالوا: توفى أبو النبى ﷺ عبد الله بن عبد المطلب وهو شاب، ونحن نرجو من اللات والعزى أن تميت محمدًا شابًا كما مات أبوه، يعنى بريب المنون حوادث الموت، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ بمحمد الموت ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [آية: ٣١] بكم العذاب فقتلهم الله ببدر.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ يقول: أتأمرهم أحلامهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ والميم هاهنا صلة بأنه شاعر مجنون كاهن يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: فاستفتهم هل تدلهم أحلامهم وعقولهم على هذا القول أنه شاعر مجنون كاهن. ﴿أَمْ هُمْ﴾ بل هم ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى عاصين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعنى أيقولون إن محمدًا ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ تقول هذا القرآن من تلقاء نفسه اختلقه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى لا يصدقون بالقرآن ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ يعنى من تلقاء أنفسهم مثل هذا القرآن كما جاء به محمد ﷺ لقولهم إن محمدً تقوله ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٤] بأن محمدًا تقوله ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ يقول: أكانوا خلقوا من غير شيء ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى أم هم خلقوا الخلق ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعنى أخلقوا السماوات والأرض؟ ثم قال: ﴿بَل﴾ ذلك خلقهم فى الإضمار بل ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٣٦] بتوحيد الله الذى خلقهما أنه واحد لا شريك له.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ يعنى أعندهم خزائن ﴿رَبِّكَ﴾ يعنى أعندهم خزائن ربك يقول بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا، يقول: ولكن الله يختار لها من يشاء من عباده، لقولهم: ﴿**أأنزل عليه الذكر من بيننا**﴾ [ص: ٨]، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى أم هم المسيطرون على الناس فيجبرونهم على ما شاءوا ويمنعونهم عما شاءوا.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعنى ألهم سلم إلى السماء يصعدون فيه، يعنى عليه، مثل قوله: ﴿**لأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾ يعنى على جذوع النخل، فيستمعون الوحى من الله تعالى إلى النبى ﷺ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ يعنى صاحبهم الذى يستمع الوحى ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى بحجة بينة بأنه يقدر على أن يسمع الوحى من الله تعالى.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [آية: ٣٩] وذلك أنهم قالوا: الملائكة بنات الله، فقال الله تعال لنبيه ﷺ فى الصافات: ﴿**فاستفتهم**﴾ يعنى سلهم ﴿**ألربك البنات ولهم البنون**﴾ [الصافات: ١٤٩].

فسألهم النبى ﷺ فى هذه السورة: ﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾ [الطور: ٣٩]،

وفى النجم قال: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإيمان يعنى جزاء، يعنى خراجًا ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [آية: ٤٠] يقول: أنقلهم الغرم فلا يستطيعون الإيمان من أجل الغرم ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ يقول: أعندهم علم ﴿ٱلْغَيْبُ﴾ بأن الله لا يبعثهم، وأن ما يقول محمد غير كائن، ومعهم بذلك كتاب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [آية: ٤١] ما شاءوا ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾ يقول: أيريدون فى دار الندوة ﴿كَيْدًا﴾ يعنى مكرًا بمحمد ﷺ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [آية: ٤٢] يقول: هم الممكور بهم، فقتلهم الله عز وجل ببدر.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يمنعهم من دوننا من مكرنا بهم، يعنى القتل ببدر فنزه الرب نفسه تعالى من أن يكون معه شريك، فذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٣] معه، ثم ذكر قسوة قلوبهم، فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: جانبًا من السماء ﴿سَاقِطًا﴾ عليهم لهلاكهم ﴿يَقُولُوا۟﴾ من تكذيبهم هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [آية: ٤٤] بعضه على بعض ﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخل عنهم يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى يعذبون.

ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ يعنى مكرهم بمحمد ﷺ شيئًا من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى ولا هم يمنعون من العذاب، ثم أوعدهم أيضًا العذاب فى الدنيا.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

فقال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى دون عذاب الآخرة عذابًا فى الدنيا القتل ببدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٧] بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

فقال يعزى نبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى لقضاء ربك على تكذيبهم إياك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: إنك بعين الله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصلى بأمر ربك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ [آية: ٤٨] إلى الصلاة المكتوبة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعنى فصل المغرب والعشاء ﴿وَ﴾ صل ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [**٤٩**] يعنى الركعتين قبل صلاة الغداة وقتهما بعد طلوع الفجر.

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: اذكره بأمره، مثل قوله: ﴿**وإن من شىء إلا يسبح بحمده**﴾ [الإسراء: ٤٤]، ومثل قوله: ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**﴾ [الإسراء: ٥٢].

* * *

سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكية، عددها اثنتان وستون آية كوفى

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾

أقسم الله عز وجل بـ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ يقول: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى**﴾، وهى أول سورة أعلنها النبى ﷺ بمكة، فلما بلغ آخرها سجد، وسجد من بحضرته من مؤمنى الإنس والجن والشجر، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدًا يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، فأقسم الله بالقرآن، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [آية: ١] يعنى من السماء إلى محمد ﷺ مثل قوله: ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم**﴾ [الواقعة: ٧٥]، وكان القرآن إذا نزل إنما ينزل نجومًا ثلاث آيات وأربع ونحو ذلك، والسورة والسورتان، فأقسم الله بالقرآن، فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [آية: ٢] وما تكلم بالباطل.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ محمد هذا القرآن ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [آية: ٣] من تلقاء نفسه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [آية: ٤] إليه يقول: ما هذا القرآن إلا وحى من الله تعالى يأتيه به جبريل، ﷺ، فذلك قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [آية: ٥] يعنى القوة فى كل شىء، يعنى جبريل، ثم قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ يعنى جبريل، عليه السلام، يقول: ذو قوة ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ [آية: ٦] يعنى سويًا حسن الخلق ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [آية: ٧] يعنى من قبل المطلع ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الرب تعالى من محمد ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [آية: ٨] وذلك ليلة أسرى بالنبى ﷺ إلى السماء السابعة ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ يعنى قدر ما بين طرفى القوس من قسى العرب ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [آية: ٩] يعنى أدنى أو أقرب من ذلك.

حدثنا عبد الله، قال: سمعت أبا العباس يقول: ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ**﴾، يعنى قدر طول قوسين من قسى العرب.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ [آية: ١٠] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [آية: ١١] يعنى ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بصره من أمر ربه تلك الليلة ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [آية: ١٢] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [آية: ١٣] يقول: رأى محمد ﷺ ربه بقلبه مرة أخرى، رآه ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [آية: ١٤] أغصانها اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وهى شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة العليا.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [آية: ١٥] تأوى إليها أرواح الشهداء أحياء يرزقون، وإنما سميت المنتهى لأنها ينتهى إليها علم كل مخلوق، ولا يعلم ما وراءها أحد إلا الله عز وجل كل ورقة منها تظل أمة من الأمم على كل ورقة منها ملك يذكر الله عز وجل، ولو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض نورًا تحمل لهم الحلل والثمار من جميع الألوان، ولو أن رجلاً ركب حقة فطاف على ساقها، ما بلغ المكان الذى ركب منه حتى يقتله الهرم، وهى طوبى التى ذكر الله تعالى فى كتابه: **طوبى لهم وحسن مآب**﴾ [الرعد: ٢٩] ينبع من ساق السدرة عينان أحدهم السلسبيل، والأخرى الكوثر، فينفجر من الكوثر أربعة أنهار التى ذكر الله تعالى فى سورة محمد ﷺ، الماء واللبن والعسل والخمر.

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾

ثم قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [آية: ١٦] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ يعنى بصر محمد ﷺ يعنى ما مال ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [آية: ١٧] يعنى وما ظلم، لقد صدق محمد ﷺ بما رأى تلك الليلة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [آية: ١٨] وذلك أن النبى ﷺ رأى رفرفًا أخضر قد غطى الأفق، فذلك من آيات ربه الكبرى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [آية: ١٩] ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [آية: ٢٠] وإنما سميت اللات والعزى لأنهم أرادوا أن يسموا الله، فمنعهم الله فصارت اللات وأرادوا أن يسموا العزيز، فمنعهم

فصارت العزى ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٢١] حين قالوا: إن الملائكة بنات الله ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [آية: ٢٢] يعنى جائزة عوجاء أن يكون لهم الذكر وله الأنثى.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾

ثم ذكر آلهتهم، فقال: ﴿إِنْ هِىَ﴾ يقول: ما هى ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ بأنها آلهة من قوله: ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ [الصافات: ١٥٦] يعنى كتاب فيه حجة، مثل قوله: ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطانًا**﴾ [الروم: ٣٥]، يعنى كتابًا لهم فيه حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: ما هم من علم بأنها آلهة إلا ظنًا ما يستيقنون بأن اللات والعزى ومناة آلهة ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ يعنى القلوب ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ٢٣] يعنى القرآن ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [آية: ٢٤] بأن الملائكة تشفع لهم، وذلك أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم، والليل إذا يغشى، أعلنهما بمكة، فلما بلغ ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة**﴾ نعس فألقى الشيطان على لسانه تلك «الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا» عندها الشفاعة ترتجى، يعنى الملائكة ففرح كفار مكة ورجوا أن يكون للملائكة شفاعة، فلما بلغ آخرها سجد، وسجد المؤمنون تصديقًا لله تعالى وسجد كفار مكة عند ذكر الآلهة غير أن الوليد بن المغيرة، وكان شيخًا كبيرًا، فرفع التراب إلى جبهته فسجد عليه، فقال: يحيا كما تحيا أم أيمن وصواحبتها، وكانت أم أيمن خادم النبى ﷺ وأيمن خادم النبى ﷺ قتل يوم خيبر.

وقال فى الأنعام: ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ [الأنعام: ١٢]، لا شك فيه ﴿**ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى**﴾ [النجم: ٣١]، فلما رجوا أن للملائكة شفاعة، أنزل الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٢٥] يعنى الدنيا والآخرة.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)﴾

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى﴾ يقول: لا تنفع ﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من بنى آدم فيشفع له، ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ [آية: ٢٦] الله له بالتوحيد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٢٧] حين زعموا أن الملائكة أناث، وأنها تشفع لهم، يقول الله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بذلك ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أنها أناث ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: ما يتبعون إلا الظن وما يستيقنون أنها أناث ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٢٨] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعنى عن من أعرض عن الإيمان بالقرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ٢٩] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يعنى من مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة أناث وأنها تشفع لهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ يعنى عن الهدى من غيره ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ من غيره ﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [آية: ٣٠] منكم، ثم عظم نفسه بأنه غنى عن عبادتهم والملائكة وغيرهم عبيده وفى ملكه.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾

فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك فى الدنيا، أنه قال فى الأنعام، والنساء: ﴿ **ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ [الأنعام: ١٢، النساء: ٨٧] يعنى لا شك فى البعث أنه كائن ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك فى الدنيا ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ التوحيد فى الدنيا ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ [**٣١**] وهى الجنة، ثم نعت المتقين.

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ يعنى كل ذنب يختم بالنار ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ يعنى كل ذنب فيه حد ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يعنى ما بين الحدين.

نزلت فى نبهان التمار، وذلك أنه كان له حانوت يبيع فيه التمر، فأتته امرأة تريد

تمرًا، فقالت لها: ادخلى الحانوت، فإن فيه تمرًا جيدًا، فلما دخلت رادوها عن نفسها، فأبت عليه، فلما رأت الشر خرجت فوثب إليها، فضرب عجزها بيده، فقال: والله، ما نلت منى حاجتك، ولا حفظت غيبة أخيك المسلم.

فذهبت المرأة وندم الرجل، فأتى النبى ﷺ فأخبره بصنيعه، فقال له النبى ﷺ: «ويحك يا نبهان، فلعل زوجها غاز فى سبيل الله»، فقال: الله ورسوله أعلم، فقال: «أما علمت أن الله يغار للغازى ما لا يغار للمقيم»، فلقى أبا بكر، رضى الله عنه، فأعلمه، فقال: ويحك فلعل زوجها غاز فى سبيل الله، فقال: الله أعلم، ثم رجع فلقى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأخبره، فقال: ويحك لعل زوجها غاز فى سبيل الله، قال: الله أعلم، فصرعه عمر فوطئه، ثم انطلق به إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إخواننا غزاة فى سبيل الله تكسر الرماح فى صدورهم يخلف هذا ونحوه أهليهم بسوء، فاضرب عنقه، فضحك النبى ﷺ، فقال: «أرسله يا عمر»، فنزلت فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يعنى ضربه عجزيتها بيده ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لمن تاب.

ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من غيره ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى خلقكم من تراب ﴿وَ﴾ هو أعلم بكم ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ يعنى جنين الذى يوكن فى بطن أمه ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: وقال ناس من المسلمين: صلينا وفعلنا فزكوا أنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [آية: ٣٢].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٣٣] عن الحق يعنى الوليد بن المغيرة ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من الخير بلسانه ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [آية: ٣٤] يعنى قطع ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بأن الله لا يبعثه ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [آية: ٣٥] الإقامة على الكفر نظيرها فى الطور، وفى ن: ﴿**أم عندهم الغيب فهم يكتبون**﴾ [الطور: ٤١، القلم: ٤٧].

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ يعنى يحدث ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [آية: ٣٦] يعنى التوراة كتاب موسى ﴿وَ﴾ صحف ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [آية: ٣٧] لله بالبلاغ، وبلغ قومه ما

أمره الله تعالى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [آية: ٣٨] يقول: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [آية: ٣٩] يعنى إلا ما عمل فى الدنيا ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ﴾ يعنى عمله فى الدنيا ﴿سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [آية: ٤٠] فى الآخرة حين ينظر إليه ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [آية: ٤١] يوفيه جزاء عمله فى الدنيا كاملاً، ثم أخبر عن هذا الإنسان الذى قال له، فقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [آية: ٤٢] ينتهى إليه بعمله.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)﴾

ثم أخبره عن صنعه، فقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [آية: ٤٣] يقول: أضحك واحدًا وأبكى آخر، وأيضًا أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ الأحياء ﴿وَأَحْيَا﴾ [آية: ٤٤] الموتى ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الرجل والمرأة كل واحد منهما زوج الآخر ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٤٥] خلقهما ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [آية: ٤٦] يعنى إذا تدفق المنى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [آية: ٤٧] يعنى الخلق الآخر يعنى البعث فى الآخرة بعد الموت ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [آية: ٤٨] يقول: موَّل وأرضى هذا الإنسان بما أعطى.

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [آية: ٤٩] قال مقاتل: الشعرى اليمانية النيرة الجنوبية كوكب مضىء، وهى التى تتبع الجوزاء، ويقال: لها المزن والعبور، كان أناس من الأعراب من خزاعة، وغسان، وغطفان، يعبدونها، وهى الكوكب الذى يطلع بعد الجوزاء، قال الله تعالى أنا ربها فاعبدونى ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [آية: ٥٠] بالعذاب، وذلك أن أهل عاد وثمود، وأهل السواد، وأهل الموصل، وأهل العال كلها من ولد إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، فمن ثم قال: ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ يعنى قوم هود بالعذاب.

﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَثَمُودَا﴾ بالعذاب ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [آية: ٥١] منهم أحد ﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالغرق ﴿مِّن قَبْلُ﴾ هلاك عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [آية: ٥٢] من عاد وثمود، وذلك أن نوحًا دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فلم

يجيبوه، حتى إن الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق به إلى نوح، عليه السلام، فيقول له: احذر هذا، فإنه كذاب فإن أبى قد مشى بى إلى هذا وأنا مثلك، فحذرنى منه، فأحذره، فيموت الكبير على الكفر، وينشؤ الصغير على وصية أبيه، فنشأ قرن بعد قرن على الكفر، هم كانوا أظلم وأطغى، فبقى من نسلهم، بعد عاد أهل السواد، وأهل الجزيرة، وأهل العال، فمن ثم قال: ﴿عَادًا الأُولَى﴾.

ثم قال: ﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ يعنى الكذبة ﴿أَهْوَىٰ﴾ [آية: ٥٣] يعنى قرى قوم لوط، وذلك أن جبريل، عليه السلام، أدخل جناحه فرفعها إلى السماء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصوات الديكة، ونباح الكلاب، ثم قلبها فهوت من السماء إلى الأرض مقلوبة، قال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الحجارة التى غشاها من كان خارجًا من القرية، أو كان فى زرعه، أو فى ضرعه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ يعنى بأى نعمة ربك ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ [آية: ٥٥] يعنى يشك فيها ابن آدم ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [آية: ٥٦] فيها تقديم، يقول: هذا الذى أخبر عن هلاك الأمم الخالية، يعنى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، يخوف كفار مكة ليحذروا معصيته.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [آية: ٥٧] يعنى اقتربت الساعة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [آية: ٥٨] يقول: لا يكشفها أحد إلا الله، يعنى الساعة لا يكشفها أحد من الآلهة إلا الله تعالى الذى يكشفها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [آية: ٥٩] تكذيبًا به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى كفار مكة مما فيه من الوعيد ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [آية: ٦١] يعنى لاهون عن القرآن، بلغة اليمن ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعنى صلوا الصلوات الخمس ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [آية: ٦٢] يعنى وحدوا الرب تعالى.

* * *

سُورَةُ الْقَمَرِ

سورة القمر مكية، عددها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ
۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ
ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ
يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى القيامة، ومن علامة ذلك، خروج النبى ﷺ، والدخان، وانشقاق القمر، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية فانشق القمر نصفين، فقالوا: هذا عمل السحرة. يقول الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ١] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ يعنى انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [آية: ٢] يعنى سحر ذاهب، فاستمر، ثم التأم القمر بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ بالآية يعنى بالقمر أنه ليس من الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ هذا وعيد ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ [آية: ٣] يعنى لكل حديث منتهى وحقيقة، يعنى العذاب فى الدنيا القتل ببدر، ومنه فى الآخرة عذاب النار ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ يعنى جاء أهل مكة من حديث القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [آية: ٤] يعنى موعظة لهم، وهو النهى عن المعاصى جاءهم ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ يعنى القرآن نظيرها فى يونس: ﴿**وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ [يونس: ١٠١]، يقول: أرسلت إليهم وأنذرتهم فكفروا بما جاءهم من البيان ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [آية: ٥] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ يعنى فأعرض عن كفار مكة إلى ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ وهو إسرافيل ينفخ الثانية قائمًا على صخرة بيت المقدس ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [آية: ٦] يعنى إلى أمر فظيع.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ
يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ
وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

﴿خُشَّعًا﴾ يعنى ذليلة خافضة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ عند معاينة النار ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعنى القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [آية: ٧] حين انتشر من معدنه فشبه الناس بالجراد إذا خرجوا من قبورهم ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ يعنى مقبلين سراعًا إذا خرجوا من القبور إلى صوت إسرافيل القائم على الصخرة التى ببيت المقدس، فيهون على المؤمنين الحشر، كأدنى صلاتهم، والكفار يكبون على وجوههم، فلا يقومون مقامًا، ولا يخرجون مخرجًا إلا عسر عليهم فى كل موطن شدة ومشقة، فذلك قوله: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [آية: ٨] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا۟﴾ لنوح: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [آية: ٩] يعنى استطار القلب من وأوعدوه بالقتل وضربوه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [آية: ١٠] بعدما كان يضرب فى كل يوم مرتين حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. قال أبو محمد: قال أبو العباس: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ دفع عما أراد منهم.

فأجابه الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أربعين يومًا ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [آية: ١١] يعنى منصب كثير ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أربعين يومًا ﴿عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [آية: ١٢] وذلك أن ماء السماء وماء الأرض قدر الله تعالى كليهما، فكانا سواء لم يزاد ماء السماء على ماء الأرض، وكان ماء السماء باردًا مثل الثلج، وماء الأرض حارًا مثل الحميم، فذلك قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ لأن الماء ارتفع فوق كل جبل ثلاثين يومًا، ويقال: أربعين ذراعًا، فكان الماء الذى على الأرض، والذى على رءوس الجبال فابتلعت الأرض ماءها، وبقى ماء السماء أربعين يومًا، لم تشربه الأرض، فهذه البحور التى على الأرض منها.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ نوحًا ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ يعنى ألواح السفينة، وهى من ساج، ثم قال: ﴿وَدُسُرٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى مسامير من حديد تشد به السفينة، كان بابها فى عرضها ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: تجرى السفينة فى الماء بعين الله تعال، فأغرق الله قوم نوح، فذلك الغرق ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [آية: ١٤] يعنى نوحًا المكفور به.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ يعنى السفينة كانت عبرة وآية لمن بعدهم من الناس، نظيرها فى الحاقة، وفى الصافات، وفى العنكبوت.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ١٥] يقول: هل من يتذكر؟ فيعلم أن ذلك الحق فيعتبر ويخاف عقوبة الله تعالى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ١٦] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ يقول: هونا ﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ يعنى ليتذكروا فيه ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ١٧] يعنى فيتذكر فيه ولو أن الله تعالى يسر القرآن للذكر ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله تعالى، ولكن الله تعالى يسره على خلقه فيقرءونه على كل حال ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هودًا بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ١٨] يقول: الذى أنذر قومه ألم يجدوه حقًا؟.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾

ثم أخبر عن عذابهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ يعنى باردة شديدة ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ يعنى شديد ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [آية: ١٩] يقول: استمرت عليهم الريح لا تفتر عنهم سبع ليال، وثمانية أيام حسومًا دائمة ﴿تَنزِعُ﴾ الريح أرواح ﴿ٱلنَّاسَ﴾ من أجسادهم فتصرعهم، ثم شبههم، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ يعنى أصول النخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: انعقرت النخلة من أصلها، فوقعت وهو المنقطع.

فشبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخيل الساقطة التى ليست لها رءوس وشبههم بالنخيل لطولهم، كان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعًا.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى بالرسل ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ يعنون صالحًا ﴿إِنَّآ إِذًا

﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [آية: ٢٤] يعنى لفى شفاء وعناء إن تبعنا صالحًا ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ يعنى أنزل عليه الوحى ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ يعنون صالحًا، صلى الله عليه، ونحن أفضل منه عند الله منزلة، فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [آية: ٢٥] يعنى بطر مرح، قال صالح: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [آية: ٢٦] فهذا وعيد أنا أم أنتم ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ لنبتليهم بها ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يعنى انتظروهم، فإن العذاب نازل بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ [آية: ٢٧] على الأذى.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾ يوم للناقة ويوم لأهل القرية ﴿بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [آية: ٢٨] يعنى اليوم والناقة، يقول: إذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ بعدما كانوا منعوا الماء وكان القوم على شراب لهم ففنى الماء، فبعثوا رجلاً ليأتيهم بالماء ليمزجوا به الخمر، فوجدوا الناقة على الماء، فرجع، وأخبر أصحابه، فقالوا لقدار بن سالف: اعقروها، وكانوا ثمانية فأخذ قدار السيف فعقرها، وهو عاقر الناقة.

فذلك قوله: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [آية: ٢٩] فتناول الناقة بالسيف فعقرها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى الذى أنذر قومه ألم يجدوه؟ حقًا، فلما أيقن بالهلاك تكفنوا بالأنطاع وتطيبوا بالمر، ثم دخلوا حفرهم صبيحة يوم الرابع، ثم أخبر عن عذابهم.

فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من جبريل، عليه السلام، وذلك أنه قام فى ناحية القرية فصاح صيحة فخمدوا أجمعين ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [آية: ٣١] شبههم فى الهلاك بالهشيم البالى، يعنى الحظيرة من القصب ونحوها تحظر على الغنم، أصابها ماء السماء، وحر الشمس، حتى بليت من طول الزمان، قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: الهشيم النبت الذى أتى عليه حر الشمس، وطول المدة، فإذا مسسته لم تجده شيئًا.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٣٣] يعنى بالرسل.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم أخبر عن عذبهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ يعنى الحجارة من فوقهم، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ ابنته ريثا وزعونا ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم﴾ من العذاب ﴿بِسَحَرٖ﴾ [آية: ٣٤] يعنى بقطع من آخر الليل، وكان ذلك ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ على آل لوط حين أنجى الله تعالى آل لوط ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿نَجۡزِي﴾ بالنجاة ﴿مَن شَكَرَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى من وحد الله تعالى، وصدق بما جاءت به الرسل لم يعذب مع المشركين فى الدنيا، كقوله: ﴿وسيجزى الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤] يعنى الموحدين.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ يعنى العذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٣٦] يقول: شكوا فى العذاب بأنه غير نازل بهم الدنيا ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ جبريل ﷺ ومعه ملكان ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ يقول: فحولنا أبصارهم إلى العمى، وذلك أنهم كسروا الباب، ودخلوا على الرسل يريدون منهم ما كانوا يعملون بغيرهم، فلطمهم جبريل بجناحه فذهبت أبصارهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٧] يقول: هذا الذى أنذروا ألم يجدوه حقًا؟ ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ [آية: ٣٨] يقول: استقر بهم العذاب بكرة ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: هذا الذى أنذروا ألم يجدوه حقًا؟

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [آية: ٤١] يعنى الرسل موسى وهارون، عليهما السلام، يعنى بآل فرعون القبط، وكان فرعون قبطيًا يقول: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعنى بالآيات التسع، اليد، والعصا، والطمس، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ فى انتقامه ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ [آية: ٤٢] على هلاكهم.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

ثم خوف مفار مكة، فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يعنى أكفار أمة محمد ﷺ خير من كفار الأمم الخاليه الذين ذكرهم فى هذه السورة، يقول: أليس أهلكتهم بالعذاب بتكذيبهم الرسل، فلستم خيرًا منهم إن كذبتم محمدًا ﷺ أن يهلككم بالعذاب ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [آية: ٤٣] يعنى فى الكتاب يقول: ألكم براءة من العذاب فى الكتاب أنه لن يصيبكم من العذاب ما أصاب الأمم الخالية؟ فعذبهم الله ببدر بالقتل ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [آية: ٤٤] من عدونا يعنى محمدًا ﷺ، وأصحابه يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يعنى جمع أهل بدر ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى الأدبار لا يلوون على شيء، وقتل عبد الله بن مسعود أبا جهل بن هشام بسيف أبى جهل، وأخبر النبى ﷺ أنه رأى فى جسده مثل لهب النار، قال: «ذلك ضرب الملائكة»، وأجهز على أبى جهل عوف ومعاذ ابنا عفراء.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾

ثم أوعدهم، فقال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ بعد القتل ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى والقيامة ﴿أَدْهَىٰ﴾ يعنى أفظع ﴿وَأَمَرُّ﴾ [آية: ٤٦] من القتل يقول: القتل يسير ببدر، ولكن عذاب جهنم أدهى وأمرُّ عليهم من قتل بدر، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فى الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ يعنى فى شقاء ﴿وَسُعُرٍ﴾ [آية: ٤٧] يعنى وعناء، ثم أخبر بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ بعد العرض تسحبهم الملائكة، وتقول الخزنة: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى عذاب سقر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [آية: ٤٩] يقول: قدر الله لهم العذاب ودخول سقر ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ فى الساعة ﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ يعنى إلا مرة واحدة لا مثنوية لها ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [آية: ٥٠] يعنى مجنوح الطرف ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ﴾ بالعذاب ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعنى عذبنا إخواتكم أهل ملتكم، يا أهل مكة، يعنى الأمم الخالية حين كذبوا رسلهم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ٥١] يقول: فهل من متذكر فيعلم أن ذلك حق فيعتبر ويخاف، فلا يكذب محمدًا ﷺ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى الأمم الخالية، قال: كل شىء عملوه مكتوب فى اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [آية: ٥٣] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الأنهار الجارية، ويقال: السعة مثل قوله فى الكهف: ﴿**وفجرنا خلالهما نهرًا**﴾ [الكهف: ٣٣]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [آية: ٥٥] على ما يشاء، وذلك أن أهل الجنة يدخلون على ربهم تعالى على مقدار كل يوم جمعة، فيجلسون إليه على قدر أعمالهم فى الدنيا، وبقدر ثوابهم فى الآخرة، فيعطون فى ذلك المجلس ما يحبون من شىء، ثم يعطيهم الرب تعالى، ما لم يسألوه من الخير من جنة عدن ما لم تراه عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

* * *

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

مكية، عددها ثمان وسبعون آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾

قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [آية: ١] وذلك أنه لما نزل: ﴿**اسجدوا للرحمن**﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفار مكة: ﴿**وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا**﴾ [الفرقان: ٦٠]، فأنكروا الرحمن، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأخبر الله تعال عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف فيوحد، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذى أنكروه هو الذى ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [آية: ٤] يعنى بيان كل شىء.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١﴾

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ﴾ [آية: ٥] مطالعهما ومغاربهما ثمانين ومائة مطلع، وثمانين ومائة مغرب، لتعلموا بها عدد السنين والحساب.

ثم قال: ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ يعنى كل نبت ليس له ساق ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ كل نبت له ساق ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ [آية: ٦] يعنى سجودهما ظلهما طرفى النهار حين نزول الشمس، وعند طلوعها إذا تحول ظل الشجرة فهو سجودها، ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ من الأرض مسيرة خمس مائة عام ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [آية: ٧] الذى يزن به الناس وضعه الله عدلاً بين الناس ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ [آية: ٨] يعنى ألا تظلموا فى الميزان ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ يعنى اللسان بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ﴾ يعنى ولا تنقصوا ﴿ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [آية: ١٠] يعنى للخليقة من أهل الأرض ﴿فِيهَا﴾

يعنى فى الأرض ﴿فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ [آية: ١١] يعنى ذات الأجواف، مثل قوله: ﴿**وما تخرج من ثمرات من أكمامها**﴾ [فصلت: ٤٧]، يعنى البر والشعير.

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ فيها يعنى فى الأرض أيضًا، الحب: يعنى البر والشعير ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ يعنى ورق الزرع الذى يكون فيه الحب ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [آية: ١٢] يعنى الرزق نظيرها فى الواقعة ﴿**فروح وريحان**﴾ [الواقعة: ٨٩] يعنى الرزق بلسان حمير الذى يخرج من الحب من دقيق أو سوابق، أو غيره.

فذكر ما خلق من النعم، فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٣] يعنى الجن والإنس، يعنى فبأى نعماء ربكما تكذبان بأنها ليست من الله تعالى.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾

ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ يعنى من تراب الرمل، ومعه الطين الحر، قال ابن عباس: الصلصال: الطين الجيد إذا ذهب عنه الماء، فتشقق، فإذا تحرك تقعقع، وأما قوله: ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [آية: ١٤] يعنى هو بمنزلة الفخار من قبل أن يطبخ، يقول: كان ابن آدم من قبل أن ينفخ فيه الروح بمنزلة الفخار أجوف ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ يعنى إبليس ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [آية: ١٥] يعنى من لهب النار صاف ليس له دخان، وإنما سمى الجان لأنه من حى من الملائكة، يقال لهم: الجن، فالجن الجماعة، والجان الواحد، وكان حسن خلقهما من النعم. فمن ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٦].

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨﴾

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ مشرق أطول يوم فى السنة، وهو خمس عشرة ساعة، ومشرق أقصر يوم فى السنة، وهو تسع ساعات ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [آية: ١٧] يعنى مغاربهما يعنى مغرب أطول ليلة ويوم فى السنة، وأقصر ليلة ويوم فى السنة فهما يومان فى السنة، ثم جمعها، فقال: ﴿**رب المشارق والمغارب**﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٨] أنها ليست من الله تعالى.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يعنى خلع البحرين ماء المالح، وماء العذب خلع أحدهما على الآخر ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ [آية: ١٩].

قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: مرج يعنى خلق. وقال الفراء: مرج البحرين يعنى أرسلهما. وقال أبو عبيدة: مجازه مرجت الدابة، أى خلعت عنقها.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ يعنى حاجزًا حجز الله أحدهما عن الآخر بقدرته فـ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [آية: ٢٠] يعنى لا يبغى أحدهما على الآخر، فلا يختلطان ولا يتغير طعمهما، وكان هذا من النعم، فلذلك قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ يعنى فبأى نعماء ربكما ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢١] أنها ليست من الله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ من الماءين جميعًا، ماء الملح، وماء العذب، ومن ماء السماء ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ الصغار ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [آية: ٢٢] يعنى الدر العظام ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٣] فهذا من النعم.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ يعنى السفن ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ يعنى المخلوقات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [آية: ٢٤] يعنى كالجبال يشبه السفن فى البحر كالجبال فى البر، فكانت السفن من النعم، ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى نعماء ربكما تكذبان، قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [آية: ٢٦] يعنى من على الأرض من الحيوان، فإن يعنى هالك ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٨] فلما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة الذين فى السماء: هلك أهل الأرض العجب لهم كيف تنفعهم المعيشة حتى أنزل الله تعالى فى القصص: ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص: ٨٨]، يعنى كل شىء من الحيوان فى السماوات والأرض يموت إلا وجهه يقول: إلا الله، فأيقنوا عند ذلك كلهم بالهلاك.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى يسأل أهل الأرض الله الرزق، وتسأل الملائكة أيضًا لهم الرزق والمغفرة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [آية: ٢٩] وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئًا، فأنزل الله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ يوم السبت وغيره، وشأنه أنه يحدث فى خلقه ما يشاء من خلق، أو عذاب، أو شدة، أو رحمة، أو رخاء، أو رزق، أو حياة، أو موت، فمن مات محى اسمه من اللوح المحفوظ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى نعماء ربكما تكذبان أنها ليست من الله تعالى. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [آية: ٣١] يعنى سنفرغ لحساب الإنس والجن، ولم يعن به الشياطين، لأنهم هم أغووا الإنس والجن، وهذا من كلام العرب يقول: سأفرغ لك، وإنه لفارغ قبل ذلك، وهذا تهديد والله تعالى لا يشغله شيء يقول: سيفرغ الله فى الآخرة لحسابكم أيها الثقلان يعنى الجن والإنس.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: قال سعيد بن جبير: فى قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ يقول: سأقصد لحسابكم ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٢].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قد جاء آجالكم، فهذا وعيد من الله تعالى، يقول: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ [الأنعام: ١٣٠]، لأن الشياطين أضلوهما، فبعث فيهم رسلاً منهم، قال: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ﴾ يعنى من قطرى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أن تنفذوا من أطراف السماوات والأرض هربًا من الموت ﴿فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ﴾ يعنى لا تنفذوا ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [آية: ٣٣] يعنى إلا بملكى حيثما توجهتم فثم ملكى، فأنا آخذكم بالموت ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ يعنى نعماء ربكما ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٤] أن أحدًا يقدر على هذا غير الله تعالى.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ يعنى كفار الجن والإنس فى الآخرة شواظ من نار، يعنى لهب النار ليس له دخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾ يعنى الصفر الذائب وهى خمسة أنهار تجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على

مقدار أنهار الدنيا ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [آية: ٣٥] يعنى فلا تمتنعان من ذلك، فذلك قوله فى سورة النحل: ﴿زدناهم عذابًا فوق العذاب﴾ [النحل: ٨٨]، يعنى الأنهار الخمس بما كانوا يفسدون ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٦].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعنى انفرجت من المجرة، وهو البياض الذى يرى فى وسط السماء، وهو شرج السماء لنزول من فيها، يعنى الرب تعالى والملائكة ﴿فَكَانَتْ﴾ يعنى فصارت من الخوف ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [آية: ٣٧] شبه لونها فى التغير والتلون بدهان الورد الصافى.

قال أبو صالح: شبه لونها بلون دهن الورد، ويقال: بلون الفرس الورد يكون فى الربيع كميتًا أشقر، وفى الشتاء أحمر، فإذا اشتد البرد كان أغبر فشبه لون السماء فى اختلاف أحوالها بلون الفرس فى الأزمنة المختلفة.

وقال الفراء: فى قوله: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أراد بالوردة الفرس الورد، يكون فى الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن لاختلاف ألوانه، ويقال: كدهان الأديم يعنى لونه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ يعنى عن عمله ﴿إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [آية: ٣٩] لأن الرب تعالى قد أحصى عليه عمله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٠].

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعد الحساب يعنى بسواد الوجوه وزرقة الأعين ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [آية: ٤١] وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ثم يجمعون بين نواصيهم إلى أقدامهم من ظهورهم، ثم يدفعونهم فى النار على وجوههم، فإذا دنوا منها قالت لهم الخزنة: ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾

[الطور: ١٤] فى الدنيا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٢].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يعنى الكافرين فى الدنيا ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ يعنى جهنم شواظًا ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [آية: ٤٤] شواظًا يعنى بالحميم الماء الحار الذى قد انتهى غليانه يعنى الذى غلى حتى حره لا يستروحون ساعة من غم يطاف عليهم فى ألوان عذابهم، فذلك قوله: ﴿**ثم أن مرجعهم**﴾ من الزقوم والحميم، يعنى الشراب، ﴿**لإلى الجحيم**﴾ [الصافات: ٦٨]، فيذهب به مرة إلى الزقوم، ثم إلى الجحيم، ثم إلى منازلهم فى جهنم، فذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ يوم القيامة فى الآخرة ﴿جَنَّتَانِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى جنة عدن، وجنة النعيم، وهما للصديقين، والشهداء، والمقربين، والسابقين، وهو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر مقامه بين يدى الله عز وجل، فيخاف فيتركها، فله جنتان.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح، عن مقاتل، عن عطاء، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، أنه قال: «هل تدرون ما الجنتان»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هما بستانان فى ريض الجنة كل واحد منهما مسير خمس مائة عام، فى وسط كل بستان دار فى دار من نور على نور، ليس منهما بستان إلا يعتز بنعمة وخضرة قرارها ثابت، وفرعها ثابت وشجرها نابت. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٧].

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

ثم نعت الجنتين، فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [آية: ٤٨] يعنى ذواتا أغصان يتماس أطراف شجرها بعضه بعضًا كالمعروشات ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [آية:

٥٠] فى عين أخدود من ماء غير آسن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ من كل ألوان الفاكهة ﴿زَوْجَانِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى صنفان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ يعنى ظاهرها من الديباج الأخضر فوق الفرش الديباج، وهى بلغة فارس، نظيرها فى آخر السورة: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، يعنى المحابس الخضر على الفرش.

ثم قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى ثمره، وجنى الشجر فى الجنتين دان، يقول: ما يجتنى فى الجنتين دان يقول: طول الشجر لهذا المجتنى قريب يتناوله الرجل إن شاء جالسًا، وإن شاء أو متكئًا، أو قائمًا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٥].

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ يعنى فى هذه الجنان الأربع فى التقديم: جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الفردوس، وجنة المأوى، ففى هذه الجنان الأربع جنان كثيرة فى الكثرة مثل ورق الشجر، ونجوم السماء، يقول: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ يعنى النساء يقول: حافظات النظر عن الرجال، لا ينظرن إلى أحد غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [آية: ٥٦] لأنهن خلقن فى الجنة مع شجر الجنة يعنى لم يطمثهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان يعنى جن.

حدثنا عبد الله، قال: قال أبى: قال أبو صالح: قال مقاتل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ لم يدميهن. قال أبو محمد: وقال الفراء: الطمث الدم، يقال: طمثتها أدميتها. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٧]، ثم نعتهن، فقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ فى الشبه فى صفاء ﴿ٱلْيَاقُوتُ﴾ الأحمر ﴿وَ﴾ فى بياض ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [آية: ٥٨] يعنى الدر العظام، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٩].

ثم قال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [آية: ٦٠] فى الآخرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦١] ثم ذكر جنات أصحاب اليمين، فقال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ يعنى ومن دون جنتى المقربين والصديقين، والشهداء فى الفضل ﴿جَنَّتَانِ﴾ [آية: ٦٢] وهما جنة الفردوس، وجنة المأوى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦٣]، ثم نعتهما فقال: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [آية: ٦٤] سوداوان من الرى والخضرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [آية: ٦٦] مملؤتان من كل خير لا ينتقصان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦٩].

﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾

ثم قال: و ﴿فِيهِنَّ﴾ يعنى فى الجنان الأربع ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [آية: ٧٠] يعنى خيرات الأخلاق حسان الوجوه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٧١] ثم نعتهن، فقال: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [آية: ٧٢] يعنى بالحوار البيضاء، وبالمقصورات المحبوسات على أزواجهن فى الخيام، يعنى الدر المجوف الدرة الواحدة مثل القصر العظيم جوفاء على قدر ميل فى السماء طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فذلك قوله تعالى: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾ [الرعد: ٢٣]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٧٣].

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

ثم قال: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [آية: ٧٤] لأنهن خلقن فى الجنة، يعنى لم يطأهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان، يعنى ولا جنى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ﴾ يعنى المحابس فوق الفرش ﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ [آية: ٧٦] يعنى لزرابى، وهى الطنافس المخملة، وهى الحسان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ﴾ يعنى بالجلال العظيم ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [آية: ٧٨] يعنى الكريم، فلا أكرم منه، يمدح الرب نفسه تبارك وتعالى.

* * *

سورة الواقعة

مكية، عددها ست وتسعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [آية: ١] يعنى إذا وقعت الصيحة، وهى النفخة الأولى ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ يعنى ليس لصيحتها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [آية: ٢] أنها كائنة ليس لها مثنوية ولا ارتداد ﴿خَافِضَةٌ﴾ يقول: أسمعت القريب، ثم قال: ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [آية: ٣] يقول: أسمعت البعيد، فكانت صيحة، يعنى فصارت صيحة واحدة، أسمعت القريب والبعيد.

قال أبو محمد: قال الفراء عن الكلبى: ﴿خَافِضَةٌ﴾ قومًا إلى النار، و﴿رَّافِعَةٌ﴾ قومًا إلى الجنة. وقال غيره: ﴿خَافِضَةٌ﴾ أسمعت أهل الأرض، و﴿رَّافِعَةٌ﴾ أسمعت أهل السماء.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾

ثم قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [آية: ٤] يعنى إذا زلزلت الأرض زلزلها، يعنى رجا شدة الزلزلة لا تسكن حتى تلقى كل شىء فى بطنها على ظهرها، يقول: إنها تضطرب وترتج لأن زلزلة الدنيا لا تلبث حتى تسكن، وزلزلة الآخرة لا تسكن، وترتج كرج الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شىء عليها من جبل، أو مدينة، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شىء خرج منها من شجر، أو نبات، وتلقى ما فيها من الموتى، والكنوز على ظهرها.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [آية: ٥] يعنى فتت الجبال فتا ﴿فَكَانَتْ﴾ يقول فصارت بعد القوة والشدة، عروقها فى الأرض السابعة السفلى، ورأسها فوق الأرض العليا من الخوف ﴿هَبَاءً مُّنۢبَثًّا﴾ [آية: ٦] يعنى الغبار الذى تراه فى الشمس إذا دخل من

الكوة فى البيت، والمنبث الذى ليس بشىء، والهباء المنثور الذى يسطع من حوافر الخيل من الغبار، قال عبد الله بذلك، حدثنى أبى، عن أبى صالح، عن مقاتل، عن الحارث، عن على، عليه السلام.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَكُنتُمْ﴾ فى الآخرة ﴿أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ [٧] يعنى أصنافًا ثلاثة، صنفان فى الجنة، وصنف فى النار، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [آية: ٨] يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير والكرامة فى الجنة ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [آية: ٩] يقول: ما لأصحاب المشأمة من الشر فى جهنم، ثم قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الأنبياء منهم أبو بكر، وعلى، رضى الله عنهما، هم ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [آية: ١٠] إلى الإيمان بالله ورسوله من كل أمة، هم السابقون إلى الجنة.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ١١] عند الله تعالى فى الدرجات والفضائل ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ١٢]، ثم قال يعنى السابقين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [**١٣**] يعنى جمعًا من الأولين، يعنى سابق الأمم الخالية، وهم الذين عاينوا الأنبياء، عليهم السلام، فلم يشكوا فيهم طرفة عين، فهم السابقون، فلما نزلت: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ١٤] يعنى أمة محمد ﷺ، فهم أقل من سابق الأمم الخالية، ثم ذكر ما أعد الله للسابقين من الخير فى جنات النعيم، فقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [آية: ١٥] كوضن الخرز فى السلك، يعنى بالموضون السرر وتشبكها مشبكة أوساطها بقضبان الدر والياقوت والزبرجد ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ يعنى على السرر عليها الفرش ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [آية: ١٦] إذا زار بعضهم بعضًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾ يعنى غلمان لا يكبرون ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ [آية: ١٧] لا يموتون ﴿بِـ﴾ أيدى الغلمان ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ يعنى الأكواب العظام من فضة المدورة الرءوس ليس لها عرى ولا خراطيم ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ من فضة فى

صفاء القوارير. فذلك قوله فى ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ [الإنسان: ١] ﴿**كانت قواريرا قوارير من فضة**﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

ثم قال: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [آية: ١٨] يعنى من خمر جار، وكل معين فى القرآن، فهو جار غير الذى فى ﴿**تبارك الذى بيده الملك**﴾ [الملك: ١] يعنى به زمزم، ﴿**إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**﴾ [الملك: ٣]، يعنى ظاهرًا تناله الدلاء، وكل شىء فى القرآن كأس، فهو الخمر ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فتوجع رءوسهم ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [آية: ١٩] بها ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى يختارون من ألوان الفاكهة ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ يعنى من لحم الطير ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [آية: ٢١] إن شاءوا شواء، وإن شاءوا قديدًا كل طير ينعت نفسه لولى الله تعالى ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى البيضاء العيناء حسان الأعين ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [آية: ٢٣] فشبههم فى الكن كأمثال اللؤلؤ المكنون فى الصدف المطبق عليه، لم تمسه الأيدى، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر، كأحسن ما يكون.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

هذا الذى ذكر لهم فى الآخرة ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ يعنى الجنة ﴿لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [آية: ٢٥] يقول: لا يسمع فى الجنة بعضهم من بعض لغوًا يعنى الحلف، ولا تأثيمًا يعنى كذبًا عند الشراب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى كثرة السلام من الملائكة نظيرها فى الرعد: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم**﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٢٧] يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير، ثم ذكر ما أعد الله لهم من الخير فى الآخرة، فقال: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [آية: ٢٨]

يعنى الذى لا شوك له كسدر أهل الدنيا ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [آية: ٢٩] يعنى المتراكب بعضه فوق بعض، نظيرها: ﴿لها طلع نضيد﴾ [ق: ١٠]، يعنى المنضود ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [آية: ٣٠] دائم لا يزول لا شمس فيه كمثل ما يزول الظل فى الدنيا ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [**٣١**] يعنى منصبًا كثيرًا ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ عنهم أبدًا هى لهم أبدًا فى كل حين وساعة ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [آية: ٣٣] يقول: ولا يمنعونها ليست لها خشونة ألين من الزبد وأحلى من العسل.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [آية: ٣٤] فوق السرر بعضها فوق بعض على قدر سبعين غرفة من غرف الدنيا ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [آية: ٣٥] يعنى ما ذكر من الحور العين قبل ذلك، فنعتهن فى التقديم يعنى نشأ أهل الدنيا العجز الشمط، يقول: خلقهن فى الآخرة خلقًا بعد الخلق الأول فى الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى شوابًا كلهن على ميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [آية: ٣٧] يقول: هذا الذى ذكر ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٣٨].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٩] يعنى جمع من الأولين، يعنى الأمم الخالية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى أمة محمد ﷺ، فإن أمة محمد أكثر أهل الجنة، وهم سابقو الأمم الخالية ومقربوها.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، حدثنا أبو صالح، عن مقاتل، عن محمد بن على، عن ابن عباس، قال: إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا فأمة محمد ﷺ ثمانون صفا، وسائر الأمم أربعون صفًا، وسابقوا الأمم ومقربوها أكثر من سابقى هذه الأمة ومقربيها.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [آية: ٤١] يقول: ما لأصحاب الشمال من الشر، ثم ذكر ما أعد لهم فى الآخرة من الشر، فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ يعنى ريحًا حارة تخرج من الصخرة التى فى جهنم فتقطع الوجوه وسائر اللحوم.

ثم قال: ﴿وَحَمِيمٍ﴾ [آية: ٤٢] يعنى ظلا أسود كهيئة الدخان يخرج من جهنم، فيكون فوق رءوسهم وهم فى السرادق ثلاث فرق، فذلك قوله: ﴿**انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب**﴾ وهى فى السرادق، وذلك قوله فى الكهف أيضًا: ﴿**أحاط بهم**

سرادقها﴾ فيقليون تحتها من حر السرادق، فيأخذهم فيها الغيشان، وتقطع الأمعاء فى أجوافهم والسرادق عنق يخرج من لهب النار فيدور حول الكفار، ثم يخرج عنق آخر من الجانب الآخر فيصل إلى الآخر، فيحيط بهم السرادق، فذلك قوله: ﴿**أحاط بهم سرادقها**﴾، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [آية: ٤٣] رءوسهم ثلاث فرق فيقيلون فيها قبل دخولهم جهنم، فذلك قوله فى الفرقان: ﴿**أصحاب الجنة يومئذ**﴾ فى الجنة مع الأزواج ﴿**خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾ [الفرقان: ٢٤] من مقيل الكفار فى السرادق، تحت ظل من يحموم.

ثم نعت الظل، فقال: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ المقيل ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [آية: ٤٤] يعنى ولا حسن المنزل، ثم نعت أعمالهم التى أوجب الله عز وجل لهم بها ما ذكر من النار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ فى الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى منعمين فى ترك أمر الله، تعالى، ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى يقيمون على الذنب الكبير وهو الشرك، نظيرها فى آل عمران: ﴿**ولم يصروا على ما فعلوا**﴾ [الآية: ١٣٥] يعنى ولم يقيموا، وقال فى سورة نوح: ﴿**وأصروا**﴾ [الآية: ٧] يعنى وأقاموا، وفى سورة الجاثية: ﴿**ثم يصر مستكبرًا**﴾ [الآية: ٨] يعنى ثم يقيم منكبرا، يقيمون على الذنب العظيم وهو الشرك، ﴿وَكَانُوا۟﴾ مع شركهم ﴿يَقُولُونَ﴾ فى الدنيا ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ٤٧] ﴿أَوَ﴾ يبعث ﴿ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٤٨] تعجبًا.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿وَٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى أمة محمد ﷺ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ يعنى إلى وقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٥٠] فى الآخرة، ثم ذكر طعامهم وشرابهم فى الآخرة، فقال: ﴿ثُمَّ

﴿إِنَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى يعنى المشركين، ثم قال: ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٥١] بالبعث لقولهم أو يبعث آباؤنا الأولين؟ ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ [آية: ٥٢] ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا﴾ يعنى من طلعها وثمرها ﴿ٱلۡبُطُونَ﴾ [آية: ٥٣] ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ يعنى على الأكل ﴿مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الشراب الحار الذى قد انتهى حره ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بالهيم الإبل يأخذها، يقال له: الهيم، فلا تروى من الشراب، وذلك أنه يلقى على أهل النار العطش كل يوم مرتين حتى يشربوا الشراب الهيم ﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر من الزقوم والشراب ﴿نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى يم الحساب ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ ولم تكونوا شيئًا وأنتم تعلمون فـ﴿فَلَوۡلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ [آية: ٥٧] بالبعث.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا فقال ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾ [آية: ٥٨] يعنى النطفة الماء الدافق ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ بشرًا ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [آية: ٥٩] له، بل نحن نخلقه ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ فمنكم من يموت صغيرًا، ومنكم من يموت كبيرًا، أو يموت شابًا، أو شيخًا، أو يبلغ أرذل العمر، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى بمعجزين إن أردنا ذلك ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ على أن نخلق مثلكم أو أمثل منكم ﴿وَنُنشِئَكُمۡ﴾ يعنى ونخلقكم سور خلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦١] من الصورة ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ يعنى الخلق الأول حين خلقتم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوۡلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٢] فى البعث أنه قادر على أن يبعثكم، كما خلقكم أول مرة ولم تكوتوا شيئًا.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴾ [آية: ٦٣] ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [آية: ٦٤] يعنى نحن الحافظون يقول أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له و﴿لَوۡ نَشَآءُ﴾ إذا أدرك وبلغ ﴿لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ يعنى هالكًا ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ [آية: ٦٥] يعنى تعجبون وقلتم

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى إنا لمولع بنا الغرم، ولقلتم بل حرمنا خيرها ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [آية: ٦٧].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ [آية: ٦٨] ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ يعنى من السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [آية: ٦٩] ﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ بعد العذوبة ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ يعنى مالحًا مرًا من شدة الملوحة ﴿فَلَوْلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٠] رب هذه النعم فتوحدونه حين سقاكم ماء عذبًا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [آية: ٧١] يعنى توقدون من الشجر والحجارة والقصب إلا العناب ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ﴾ يعنى خلقتم ﴿شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى الخالقون ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ هذه النار التى فى الدنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم الكبرى ﴿وَ﴾ هى ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى متاعًا للمسافرين لمن كان بأرض فلاة وللأعراب.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ يقول اذكر التوحيد ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٤] يعنى الكبير فلا أكبر منه ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [آية: ٧٥] يعنى بمساقط النجوم من القرآن كله أوله وآخره فى ليلة القدر نزل من اللوح المحفوظ من السماء السابعة إلى السماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة نظيرها فى عبس وتولى: ﴿**بأيدى سفرة كرام بررة**﴾ [الآية: ١٥ - ١٦] ثم عظم القسم فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٧٦] ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٧٧] أقسم بأنه قرآن كريم.

ثم قال فى حم السجدة: ﴿**وإنه لكتاب عزيز**﴾ [فصلت: ٤١] كرمه الله وأعزه، فقال هذا القرآن ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [آية: ٧٨] يعنى مستور من خلقه، عند الله فى

اللوح المحفوظ عن يمين العرش ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [آية: ٧٩] لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب، وهم الملائكة السفرة فى سماء الدنيا، ينظر إليه الرب، جل وعز، كل يوم، ثم قال هذا القرآن: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٠] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ [آية: ٨١] يعنى تكفرون، مثل قوله: ﴿**ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ [القلم: ٩] ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٨٢] وذلك أن النبى ﷺ غزا أحياء من العرب فى حر شديد، ففنى ما كان عند الناس من الماء، فظمئوا ظمأ شديدًا، ونزلوا على غير ماء، فقالوا: يا رسول الله، استسق لنا، قال: فلعل إذا استسقيت فسقيتم تقولون هذا نوء كذا وكذا قالوا: يا رسول الله، قد ذهب وخبر الأنواه، فتوضأ النبى ﷺ وصلى ثم دعا ربه فهاجت الريح وثارت سحابة فلم يلبثوا حتى غشيهم السحاب ركامًا فمطروا مطرًا جوادًا حتى سألت الأودية فشربوا وسقوا وغسلوا ركابهم وملاوا أسقيتهم، فخرج النبى ﷺ فمر على رجل وهو يغرف بقدح من الوادى وهو يقول: هذا نوء كذا وكذا، فكان المطر رزقا من الله فجعلوه للأنواء و لم يشكروا نعمة الله، تعالى، وتجعلون رزقكم يعنى المطر بالأنواء أنكم تكذبون، يقول أنا رزقنكم فلا تكذبون وتجعلونه للأنواء.

﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾

ثم وعظهم فقال: ﴿فَلَوۡلَآ﴾ يعنى فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ هذه النفس ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى التراقى ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ٨٤] إلى أمرى وسلطانى ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ يعنى ملك الموت وحده إذ أتاه ليقبض روحه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ٨٥] ثم قال: ﴿فَلَوۡلَآ﴾ يعنى فهلا ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى غير محاسبين، نظيرها فى فاتحة الكتاب ﴿**مالك يوم الدين**﴾ [الفاتحة: ١] يعنى يوم الحساب، وقال فى: ﴿**أرأيت الذين يكذب بالدين**﴾ [الماعون: ١] يعنى بالحساب، وقال فى الذاريات: ﴿**إن الدين لواقع**﴾ [الآية: ٦] يعنى الحساب لكائن، وقال أيضًا فى الصافات: ﴿**أإنا لمدينون**﴾ [الآية: ٣] يعنى إنا لمحاسبون ﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٨٧].

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آية: ٨٨] عند الله فى الدرجات

والتفضيل، يعنى ما كان فيه لشدة الموت وكربه ﴿فَرَوْحٌ﴾ يعنى فراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يعنى الرزق فى الجنة بلسان خير ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [آية: ٨٩].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٩٠] ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٩١] يقول سلم الله ذنوبهم وغفرها فتجاوز عن سيئاتهم وتقبل حسناتهم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٩٢] عن الهدى ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [آية: ٩٣] يعنى الحار الشديد الذى قد انتهى حره ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [آية: ٩٤] يقول ما عظم من النار ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى ذكر للمقربين وأصحاب اليمين، وللمكذبين الضالين ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٩٥] لا شك ﴿فَسَبِّحْ﴾ يقول فاذكر ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد، ثم قال: ربك يا محمد ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٩٦] فلا شىء أكبر منه، فعظم الرب، جل جلاله، نفسه.

* * *

سُورَةُ الحَدِيد

عددها تسع وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى ذكر الله الملائكة وغيرهم والشمس والقمر والنجوم ﴿وَ﴾ ما فى ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من الجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، والدواب، والطير، والنبات، وما بينهما يعنى الرياح، والسحاب، وكل خلق فيهما، ولكن لا تفقهون تسبيحهن ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿لَهُۥ مُلْكُ﴾ يعنى له ما فى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من حياة وموت ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شىء ﴿وَ﴾ هو ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد الخلق ﴿وَ﴾ هو ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فوق كل شىء، يعنى السماوات ﴿وَ﴾ وهو ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ دون كل شىء يعلم ما تحت الأرضين ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قبل خلقهما ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يعنى وما يصعد ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى السماوات من الملائكة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعنى علمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٥] يعنى أمور الخلائق فى الآخرة ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعنى زيادة كل منهما ونقصانه، فذلك قوله: ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ [الزمر: ٥]، يعنى يسلط كل

واحد منهما على صاحبه فى وقته حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات. ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٦] يعنى بما فيها من خير أو شر.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨﴾

قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقوا بالله، يعنى بتوحيد الله تعالى ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ فى سبيل الله، يعنى فى طاعة الله تعالى ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ من أموالكم التى غيركم الله فيها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [آية: ٧] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة، ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ حين ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾ يعنى يوم أخرجكم من صلب آدم، عليه السلام، وأقروا له بالمعرفة والربوبية ﴿إِن كُنتُم﴾ يعنى إذ كنتم ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ يعنى القرآن بين ما فيه من أمره ونهيه ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٩] حين هداكم لدينه وبعث فيكم محمدًا ﷺ، وأنزل عليكم كتابه.

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١٠﴾

ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله إن كنتم مؤمنين، فأنفقوا فى سبيل الله، فإن بخلتم، فإن الله يرثكم ويرث أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يفنون كلهم، ويبقى الرب تعالى وحده، فالعباد يرث بعضهم بعضًا، والرب يبقى فيرثهم، قوله: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم﴾ فى الفضل والسابقة ﴿مَّنۡ أَنفَقَ مِن﴾ ماله ﴿قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ فتح مكة ﴿وَقَٰتَلَۚ﴾ العدو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ﴾ يعنى جزاء ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد فتح مكة ﴿وَقَٰتَلُواْۚ﴾ العدو ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يعنى الجنة، يعنى كلا الفريقين وعد الله الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آية: ١٠] بما أنفقتم من أموالكم، وهو مولاكم يعنى وليكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعنى طيبة به نفسه على أهل الفاقة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ١١] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة، نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على الصراط ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ دليل إلى الجنة ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يعنى بتصديقهم فى الدنيا، أعطوا النور فى الآخرة على الصراط، يعنى بتوحيد الله تعالى، تقول الحفظة لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٢] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم على الصراط ﴿ٱنظُرُونَا﴾ يعنى ارقبونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فنمضى معكم ﴿قِيلَ﴾ يعنى قالت الملائكة: ﴿ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا﴾ من حيث جئتم فالتمسوا نورًا من الظلمة، فرجعوا فلم يجدوا شيئًا ﴿فَضُرِبَ﴾ الله ﴿بَيْنَهُم﴾ يعنى بين أصحاب الأعراف وبين المنافقين ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾ يعنى بالسور حائط بين أهل الجنة، وبين أهل النار ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ يعنى باطن السور ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهو مما يلى الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من قبل النار، وهو الحجاب ضرب بين أهل الجنة والنار، وهو السور، والأعراف ما ارتفع من السور، ﴿ٱلرَّحْمَةُ﴾ يعنى الجنة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [آية: ١٣].

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ يعنى يناديهم المنافقون من وراء السور. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فى دنياكم ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ كنتم معنا فى ظاهر الأمر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ يعنى أكفرتم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بنعم وسَوْفَ عن دينكم ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ يعنى بمحمد الموت، وقلتم يوشك محمد أن يموت فنستريح منه ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ يعنى شككتم فى محمد أنه نبى ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ عن دينكم، وقلتم يوشك محمد أن يموت فيذهب الإسلام فنستريح ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾

الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [آية: ١٤] يعنى الشياطين ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ﴾ معشر المنافقين ﴿فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ بتوحيد الله تعالى يعنى مشركى العرب ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعنى مأوى المنافقين والمشركين فى النار ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ يعنى وليكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٥] وذلك أنه يعطى كل مؤمن كافر، فيقال: هذا فداؤك من النار، فذلك قوله: ﴿**لا يؤخذ منكم فدية**﴾ يعنى من المنافقين، ولا من الذين كفروا، إنما تؤخذ الفدية من المؤمنين.

﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ﴾ نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بستة أشهر، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم، فقالوا: حدثنا عما فى التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿**آلر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلنا قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ [يوسف: ١ - ٣]. يخبرهم أن القرآن أحسن من غيره، يعنى أنفع لهم فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾ يعنى القرآن ﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ [الزمر: ٢٣]، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله.

ثم عادوا أيضًا فسألوا: فقالوا: حدثنا عما فى التوراة، فإن فيها العجائب، فأنزل الله تعالى: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى المنافقين يقول: ألم ينل، ويقال: لم يحن، للذين أقروا باللسان وأقروا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، يقول: أن ترق قلوبهم لذكر الله عز وجل، وهو القرآن يعنى إذا ذكر الله ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن، يعنى وعظهم، فقال: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فى القساوة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل أن يبعث النبى ﷺ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ يعنى طول الأجل، وخروج النبى ﷺ كان المنافقون لا ترق قلوبهم لذكر الله ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ١٦].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾

قوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعنى بالآيات النبت ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ١٧] يقول: لكى تعقلوا وتتفكروا فى أمر البعث.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ من أموالهم ﴿وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالصدقة ورغبهم فى ثوابها، فقال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله، فإنى قد جعلت حديقتى صدقة لله ولرسوله، ثم جاء إلى الحديقة، وأم الدحداح فى الحديقة، فقال: يا أم الدحداح، إنى قد جعلت حديقتى صدقة لله ولرسوله، فخذى بيد صبيتاه فأخرجيهم من الحائط، فلما أصابهم حر الشمس بكوا، فقالت أمهم: لا تبكوا فإن أباكم قد باع حائطه من ربه، فقال رسول الله ﷺ: «كم من نخلة مذلا عذوقها قد رأيتها لأبى الدحداح فى الجنة»، فنزلت فيه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ يعنى محتسبًا طيبة بها نفسه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ١٨] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة.

فقال الفقراء: ليس لنا أموال نجاهد بها، أو نتصدق بها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله تعالى ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾ كلهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ بالله وبالرسل و لم يشكوا فيهم ساعة، ثم استأنف، فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ يعنى من استشهد منهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ يعنى جزاؤهم وفضلهم ﴿وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى بالقرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ١٩] يعنى ما عظم من النار.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ زهدهم فى الدنيا لكى لا يرغبوا فيها، فقال: ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ

﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ والمنازل والمراكب فمثلها ومثل من يؤثرها على الآخرة ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ﴾ يعنى المطر ينبت منه المراعى ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ فينما هو أخضر إذ تراه مصفرًا ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ هالكًا لا ينبت فيه، فكذلك من يؤثر الدنيا على الآخرة، ثم يكون له: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آية: ٢٠] الفانى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾

قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ بالأعمال الصالحة وهى الصلوات الخمس ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لذنوبكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى السماوات السبع والأرضين السبع لو ألصقت السماوات السبع بعضها إلى بعض، ثم ألصقت السماوات بالأرضين لكانت الجنان فى عرضها جميعًا، و لم يذكر طولها ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿وَرُسُلِهِۦۚ﴾ محمد ﷺ أنه نبى يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده فيخصهم بذلك ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [آية: ٢١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يقول: ما أصاب هذه النفس من البلاء وإقامة الحدود عليها ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ مكتوب يعنى اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ يعنى من قبل أن يخلق هذه النفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذى أصابها فى كتاب يعنى اللوح المحفوظ أن ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [آية: ٢٢] يقول: هين على الله تعالى.

وبإسناده مقاتل، قال: حدثنى عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: خلق الله تعال اللوح المحفوظ مسيرة خمس مائة عام فى خمس مائة عام، وهو من درة بيضاء صفحتاه من ياقوت أحمر كلامه نور، وكتابه النور والقلم من نور طوله خمس مائة عام.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾

قوله: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الخير والغنيمة ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ من الخير فتختالوا وتفخروا، فذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [آية: ٢٣] يعنى متكبر عن عبادة الله عز وجل فخور فى نعم الله تعالى لا يشكر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ يعنى رؤوس اليهود يبخلون بخلوا بأمر محمد ﷺ وكتموه ليصيبوا الفضل من اليهود من سفلتهم ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ يقول: ويأمرون الناس بالكتمان والناس فى هذه الآية اليهود أمروهم بكتمان أمر محمد ﷺ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعنى ومن أعرض عن النبى ﷺ فبخل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٤] غنى عما عندكم حميد عند خلقه.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى بالآيات ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ يعنى العدل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ يعنى لكى يقوم الناس ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ يقول: من أمرى كان الحديد فيه بأس شديد للحرب ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فى معايشهم ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ يعنى ولكى يرى الله ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ على عدوه ﴿وَ﴾ ينصر ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ يعنى النبى ﷺ وحده فيعينه على أمره حتى يظهر ولم يره ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ فى أمره ﴿عَزِيزٞ﴾ [آية: ٢٥] فى ملكه ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فهم خمسة وعشرون نبيًا ﴿وَٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ يعنى الكتب الأربعة منهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وأيوب، وهو من ولد العيص، والأسباط وهم اثنا عشر منهم روبيل، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ونفتولن، وزبولن، وحاد، ودان، وأشر، واستاخر، ويوسف، وبينامين، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ﷺ، التوراة، والإنجيل،

والزبور، والفرقان، فهذه الكتب ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعني عاصين.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ يعني اتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ من بعدهم يعني من بعد نوح وإبراهيم وذريتهما ﴿بِرُسُلِنَا﴾ في الأمم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ يقول: واتبعنا بعيسى ابن مريم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ يعني وأعطيناه ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾ في بطن أمه ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني اتبعوا عيسى ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يعني المودة، كقوله: ﴿**رحماء بينهم**﴾ [الفتح: ٢٩]، يقول: متوادين بعضهم لبعض جعل الله ذلك في قلوب المؤمنين بعضهم لبعض.

ثم استأنف الكلام، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ وذلك أنه لما كثر المشركون وهزموا المؤمنين وأذلوهم بعد عيسى ابن مريم، واعتزلوا واتخذوا الصوامع فطال عليهم ذلك، فرجع بعضهم عن دين عيسى، عليه السلام، وابتدعوا النصرانية، فقال الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ تبتلوا فيها للعبادة في التقديم ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ ولم نأمرهم بها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ يقول: لم يرعوا ما أمروا به يقول: فما أطاعوني فيها، ولا أحسنوا حين تهودوا وتنصروا، وأقام أناس منهم على دين عيسى، عليه السلام، حتى أدركوا محمدًا ﷺ فآمنوا به وهم أربعون رجلاً اثنان وثلاثون رجلاً من أرض الحبشة، وثمانية من أرض الشام، فهم الذين كنى الله عنهم، فقال: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول: أعطينا الذين آمنوا ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ﴾ يعني صدقوا يعني جزاءهم وهو الجنة.

قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٢٧] يعني الذين تهودوا، وتنصروا فجعل الله تعالى لمن آمن بمحمد ﷺ من أهل الإنجيل أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول، وكتاب محمد ﷺ، فافتخروا على أصحاب النبي ﷺ بذلك، فقالوا: نحن أفضل منكم في الأجر

لنا أجران بإيماننا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر الذى جاء به محمد ﷺ فشق على المسلمين، فقالوا: ما بالنا قد هاجرنا مع النبى ﷺ وآمنا به قبلكم، وغزونا معه، وأنتم لم تغزو، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ يقول: صدقوا بمحمد ﷺ أنه نبى رسول ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ يعنى أجرين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعنى تمرون به على الصراط إلى الجنة نورًا تهتدون به ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٨] بهم.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ يعنى لكيلا يعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعنى مؤمنى أهل الإنجيل هؤلاء الأربعون رجلاً ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام إلا برحمته ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٩] فأشرك المؤمنين فى الكفلين مع أهل الإنجيل.

قوله: ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٨] يقول: ما أمرناهم بها، كقوله: ﴿**ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم**﴾ [المائدة: ٢١] يعنى التى أمركم الله تعالى.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن المسيب، عن أبى روق فى قوله: ﴿**فما رعوها حق رعايتها**﴾ يقول: ما وحدونى فيها.

* * *

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

مدنية، عددها اثنتان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (١)﴾

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ يعنى تكلمك ﴿فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ﴾ يعنى وتضرع ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ يعنى خولة، امرأة أوس بن الصامت، والنبى ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ تحاوركما ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ١] وذلك أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف بن الخزرج، كانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة فى صلاتها، فلما انصرفت أرادها زوجها فأبت عليه، فغضب، فقال: أنت علىّ كظهر أمى، واسمه أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الأنصارى، فأتت خولة النبى ﷺ، فقالت: إن زوجى، يا رسول الله، تزوجنى وأنا شابة، ذات مال، وأهل، حتى إذا أكل مالى، وأفنى شبابى، وكبرت سنى، ووهى عظمى، جعلنى عليه كظهر أمه، ثم ندم، فهل من شىء يجمعنى وإياه، فسكت النبى ﷺ عنها، وكان الظهار، والإيلاء، وعدد النجوم من طلاق الجاهلية، فوّقت الله تعالى فى الإيلاء أربعة أشهر، وجعل فى الظهار الكفارة، ووقت من عدد النجوم ثلاث تطليقات.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)﴾

فأنزل الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعنى الظهار والمنكر من القول الذى لا يعرف ﴿وَزُورًا﴾ يعنى كذبا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يحبن لم يعاقبه ﴿غَفُورٌ﴾ [آية: ٢] له لتحريمه الحلال.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعنى يعودون للجماع الذى حرموه على أنفسهم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ﴾ يعنى الجماع ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ﴾ فوعظهم الله فى ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفارة ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٣] به.

قال أبو محمد: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعنى لنقض ما عقدوا من الحلف ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ﴾ يعنى الجماع ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ﴾ لكل مسكين نصف صاع حنطة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى ذكر من الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يقول: لكى تصدقوا بالله ﴿وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾ إن الله قريب إذا دعوتموه فى أمر الظهار، وتصدقوا محمدًا ﷺ، فيما قال لكم من الكفارة حين جعل لكم مخرجًا، ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾، يعنى تصدقوا بالله ورسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ﴾ يعنى سنة الله وأمره فى كفارة الظهار، فلما نزلت هذه الآية دعا النبى ﷺ زوجها، فقال: «ما حملك على ما قلت»؟ قال: الشيطان، فهل لى من رجعة تجمعنى وإياها؟ قال النبى ﷺ: «نعم، هل عندك تحرير رقبة»؟ قال: لا، إلا أن تحيط بمالى كله، قال: «فتستطيع صومًا، فتصوم شهرين متتابعين»؟ قال: يا رسول الله، إنى إذا لم آكل فى اليوم مرتين، أو ثلاث مرات اشتد علىّ وكل بصرى، وكان ضرير البصر، قال: «فهل عندك إطعام ستين مسكينًا»؟ قال: لا، إلا بصلة منك وعون، فأعانه النبى ﷺ، بخمسة عشر صاعًا، وجاء هو بمثل ذلك فتلك ثلاثون صاعًا من تمر لكل مسكين نصف صاع، ذلكم يعنى أمر الكفارة توعظون به، فوعظهم الله تعالى فى أمر الكفارة والله بما تعملون خبير، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ﴾، يعنى سنة الله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ يعنى يعادون الله ﴿وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ﴾ يعنى أخزوا كما أخزى ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ من الأمم الخالية ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى القرآن

فيه البيان أمره ونهيه ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٥] نزلت في اليهود والمنافقين ﴿مُّهِينٌ﴾ يعني الهوان.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ الأولين والآخرين نزلت في المنافقين في أمر المناجاة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ يقول: حفظ الله أعمالهم الخبيثة، ونسوا هم أعمالهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ٦] يعني شاهده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أحاط علمه بذلك كله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ يعني نفر ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني علمه معهم إذا تناجوا ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يعني علمه معهم ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعني ولا أقل من ثلاث نفر وهما اثنان ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من خمسة نفر ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني إلا وعلمه ﴿مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ من الأرض ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني بما يتناجون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ يعني اليهود كان بينهم وبين محمد ﷺ موادعة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده يتناجون بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا﴾ للذى ﴿نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ﴾ يعني بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يعني الظلم ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعني حين نهاهم النبي ﷺ عن النجوى فعصوه.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ﴾ يعنى كعب بن الأشرف، وحيى بن أخطب، وكعب بن أسيد، وأبو ياسر، وغيرهم ﴿حَيَّوۡكَ لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعنى اليهود، قالوا: انطلقوا بنا إلى محمد، فنشتمه علانية كما نشتمه فى السر، فقالوا: السام، يعنون بالسام السآمة والفترة، ويقولون: تسأمون يعنى تتركون دينكم، فقالت عائشة، رضى الله عنها: عليكم السام، والذام، والفان، يا إخوان القردة والخنازير، فكره النبى ﷺ قول عائشة، وقال النبى ﷺ: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، فإنه ما وضع فى شىء إلا زانه، ولا نزع من شىء إلا شانه»، فقال جبريل، عليه السلام: إنه لا يسلمون عليك ولكنهم يشتمونك، فلما خرجت اليهود من عند النبى ﷺ، قال بعضهم لبعض: إن كان محمد لا يعلم ما نقول له، فالله يعلمه، ولو كان نبيًا لأعلمه الله ما نقول، فذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ لنبيه وأصحابه يقول الله ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ شدة عذابها ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٨] يعنى بئس المرجع إلى النار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ﴾ يعنى الذين أقروا باللسان، وهم المنافقون منهم عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وغيرهم، كان نجواهم أنهم كانوا يخبرون عن سرايا النبى ﷺ ما يشق على من أقام من المؤمنين، وبلغنا أن ذلك كان فى سرية جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، قتلوا يوم مؤتة، ولعل حميم أحدهم فى السرية، فإذا رأوه تناجوا بينهم فيظن المسلم أن حميمه قد قتل فيحزن، لذلك، فنهاهم النبى ﷺ عن النجوى ﴿فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ يعنى المعصية والظلم ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأن النبى ﷺ كان نهاهم عن ذلك، ثم قال ﴿وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ يعنى الطاعة، وترك المعصية، ثم خوفهم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آية: ٩] بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ يعنى نجوى المنافقين ﴿مِنَ﴾ تزيين ﴿ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى إلا أن يأذن الله فى ضره ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٠] يعنى بالله فليثق المصدقون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ وذلك أن النبى ﷺ جلس فى صفة ضيقة، ومعه أصحابه فجاء نفر من أهل بدر، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، فسلموا على النبى ﷺ، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، وجعلوا ينتظرون ليوسع لهم فلم يفعلوا، فشق قيامهم على النبى ﷺ وكان يكرم أهل بدر وذلك يوم الجمعة، فقال رسول الله ﷺ قم يا فلان، وقم يا فلان، لمن لم يكن من أهل بدر، جدد القيام من أهل بدر، فعرف النبى ﷺ الكراهية فى وجه من أقيم منهم، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله رجلا تفسح الأخيه، فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك، فقال المنافقون للمسلمين: أتزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قومًا سبقوا فأخذوا مجلسهم وأحبوا قربه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عن الخير، فوالله إن أمر صاحبكم كله فيه اختلاف، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ يعنى أوسعوا فى المجالس ﴿ فَٱفۡسَحُواْ ﴾ يقول أوسعوا ﴿ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ يقول: وإذا قال لكم نبيكم: ارتفعوا عن المجلس فارتفعوا فإن الله يأجركم إذا أطعتم النبى ﷺ، ثم قال: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ يعنى أهل بدر ﴿ وَ ﴾ يرفع الله ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ منكم فيها تقديم يعنى بالقرآن ﴿ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ يعنى الفضائل إلى الجنة على من سواهم ممن لا يقرأ القرآن من المهاجرين والتابعين ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [آية: ١١] فى أمر المجلس وغيره.

حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا الهذيل، قال مقاتل بن سليمان: إذا انتهى المؤمنون إلى باب الجنة، يقال للمؤمن الذى ليس بعالم: أدخل الجنة بعملك الصالح، ويقال للعالم قم على باب الجنة، فاشفع للناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ يعنى الصدقة ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من إمساكه ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم؛ نزلت فى الأغنياء ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ الصدقة على الفقراء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢] لمن لا يجد الصدقة، وذلك أن الأغنياء كانوا يكثرون مناجأة النبى ﷺ ويغلبون الفقراء على مجالس النبى ﷺ، وكان النبى ﷺ يكره طول مجالستهم وكثرة نجواهم، فلما أمرهم بالصدقة عند المناجاة انتهو عند ذلك، وقدرت الفقراء على كلام النبى ﷺ ومجالسته و لم يقدم أحد من أهل الميسرة بصدقة غير على بن أبى طالب، رضى الله عنه، قدم دينارا، وكلم النبى ﷺ عشر كلمات فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أنزل الله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ يقول أشق عليكم ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖۚ﴾ يعنى أهل الميسرة ولو فعلتم لكان خيرا لكم ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ يقول وتجاوز الله عنكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمواقيتها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لحينها ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ فنسخت الزكاة الصدقة التى كانت عند المناجاة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٣].

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ١٧﴾

قوله: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ يقول ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولايتهم فهو عبد الله بن نتيل المنافق، يقول الله تعالى: ﴿مَّا هُم﴾ يعنى المنافقين عند الله ﴿مِّنكُمۡ﴾ يا معشر المسلمين ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ يعنى من اليهود فى الدين والولاية فقال النبى ﷺ لعبد الله بن نتيل: «إنك تواد اليهود» فحلف عبد الله بالله إنه لم يفعل وأنه ناصح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٤] أنهم كذبة ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ﴾ يعنى بئس ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٥] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ﴾ يعنى حلفهم ﴿جُنَّةٗ﴾ من القتل ﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الله الإسلام ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آية: ١٦] فقال رجل من المنافقين: إن محمد يزعم أنا لا ننصر يوم القيامة، لقد شقينا إذًا، إنا لأذل من البعوض، والله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة، فأما اليوم فلا نبهذلها، وكلن نبذلها يؤمئذ لكى ننصر، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ

﴿أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يوم القيامة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٧] يعنى مقيمين فى النار لا يموتون.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعنى المنافقين ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا إذ قالوا شيئًا أو عملوا شيئًا وأرادوه، سألهم المؤمنون عن ذلك، فيقولون: والله لقد أردنا الخير فيصدقهم المؤمنون بذلك، فإذا كان يوم القيامة سئلوا عن اعمالهم الخبيثة فاستعانوا بالكذب كعادتهم فى الدنيا فذلك قوله يحلفون لله فى الآخرة كما يحلفون لكم فى الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين فلن يغنى عنهم ذلك من الله شيئًا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٨] فى قولهم ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يقول غلب عليهم الشيطان ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ﴾ يعنى شيعة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ﴾ يعنى شيعة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ يعنى يعادون الله ﴿وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [٢٠] يعنى فى الهالكين ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ يعنى قضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ يعنى النبى ﷺ، وذلك أن المؤمنين قالوا للنبى ﷺ: لئن فتح الله علينا مكة، وخيبر وما حولها فنحن نرجو أن يظهرنا الله ما عاش النبى ﷺ على أهل الشام وفارس والروم. فقال عبد الله بن ابى المسلمين: أتظنون بالله أن أهل الروم وفارس كبعض أهل هذه القوى التى غلبتموهم عليها، كلا والله لهم أكثر جمعا، وعددا، فأنزل الله تعالى فى قول عبد الله بن أبى: ﴿**ولله جنود السموات والأرض**﴾ [الفتح: ٤] وأنزل: «كتب الله كتابًا وأمضاه» «لأغلبن أنا ورسلى» يعنى النبى ﷺ وحده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٢١] يقول أقوى، وأعز من اهل الشام والروم وفارس.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ

ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ يعنى يصدقون بالله أنه واحد لا شريك له، ويصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعنى يناصحون من عادى الله ورسوله، نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة العلمى حين كتب إلى أهل مكة، ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يفعلوا ذلك ﴿كَتَبَ﴾ يقول جعل ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ يعنى التصديق نظيرها فى آل عمران: ﴿**فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ [الآية ٥٣] يعنى فاجعلنا مع الشاهدين، وقال أيضًا فى الأعراف: ﴿**فسأكتبها للذين يتقون**﴾ [الآية: ١٥٦] يعنى فسأجعلها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ يقول قوّاهم برحمة من الله عجلت لهم فى الدنيا ﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ﴾ يعنى بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مطردة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعنى مقيمن فى الجنة لا يموتون ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ يعنى عن الله بالثواب والفوز ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين ذكر ﴿حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يعنى شيعة الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ يعنى الا أن شيعة الله ﴿**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آية: ٢٢] يعنى الفائزين.

* * *

سُورَةُ الحَشْرِ

مدنية عددها أربع وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول ذكر الله ما فى السموات من الملائكة، وما فى الأرض من الخلق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى يهود بنى النضير ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بعد قتال أحد أخرجهم ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ يعنى القتال والحشر الثانى للقيامة، وهو الجلاء من المدينة إلى الشام وأذرعات ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ يقول للمؤمنين ما حسبتم ﴿أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ﴾ يعنى وحسبوا ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾. يعنى من قبل قتل كعب بن الأشرف، ثم قال: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بقتل كعب بن الأشرف أرعبهم الله بقتله لأنه كان رأسهم وسيدهم قتله محمد بن مسلمة الأنصارى، وكان أخاه من الرضاعة وغيره، وكان محمد ليلة قتل كعب بن الأشرف أخو محمد بن سلمة، وأبو ليل، وعتبة كلهم من الأنصار.

قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أن المنافقين دسوا وكتبوا إلى اليهود ألا يخرجوا من الحصن، وأن يدبروا على الأزقة وحصونها، فإن قاتلتم محمدًا فنحن معكم لا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم، فلما سار النبى ﷺ إليهم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، قالوا: يا محمد، واعية على أثر واعية، وباكية على أثر باكية، ونائحة أعلى نائحة، قال: نعم، قالوا: فذرنا نبكى شجونا، ثم نأتمر لأمرك، فقال النبى ﷺ: أخرجوا من المدينة، قالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، فنادوا الحرب،

واقتتلوا وكان المؤمنون إذا ظهروا على درب من دروبهم تأخروا إلى الذى يليه فتقبوه من دبره، ثم حصنوها ويخرب المسلمون ما ظهروا عليه من نقض بيوتهم، فيبتون دوربا، على أفواه الأزقة، فذلك قوله: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آية: ٢] يعنى المؤمنين أهل البصيرة فى أمر الله، وأمر النضير.

﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ يعنى قضى الله، نظيرها فى المجادلة قوله: ﴿**كتب الله لأغلبن**﴾ [الآية: ٢١] يعنى قضى الله ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ من المدينة ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالقتل بأيديكم ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم من الجلاء ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ﴾ يعنى عادوا الله ورسوله ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ ورسوله يعنى ومن يعادى الله ورسوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آية: ٤] إذا عاقب، نظيرها فى هود: ﴿**لا يجرمنكم شقاقى**﴾ [الآية: ٨٩] يعنى عداوتى ﴿**وليخزى الفاسقين**﴾ [الحشر: ٥] يعنى وليهن اليهود، وذلك أن النبى ﷺ أمر بقطع ضرب من النخيل من أجود التمر يقال له اللين شديد الصفرة ترى النواة من اللحى من أجود التمر بغيب فيه الضرس، والنخلة أحب إلى أحدهم من وضيف، فجزع أعداء الله لما رأوا ذلك الضرب من النخيل يقطع، فقالوا: يا محمد، أوجدت فيما أنزل الله عليك الفساد فى الأرض أو الإصلاح فى الأرض، فأكثروا القول ووجد المسلمون ذمامة من قطعهم النخيل خشية أن يكون فسادًا.

فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ وكانو قطعوا أربع نخلات كرام عن أمر النبى ﷺ غير العجوة ﴿أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ هو كله ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ يعنى بأمر الله ﴿وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥] لكى يخزى الفاسقين وهم اليهود بقطع النخل، فكان قطع النخل ذلا لهم وهوانا.

قال أبو محمد: قال الفراء: كل شيء من النخيل سوى العجوة فهو اللين.

قال أبو محمد: قال الفراء: حدثنى حسان، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن

عباس، قال: أمر النبى ﷺ بقطع النخل كله إلا العجوة ذلك اليوم فكل شىء سوى العجوة فهو اللين.

وقال أبو محمد: وقال أبو عبيدة: اللين ألوان النخل سوى العجوة والبرنى، واحدتها لينة.

فلما يأس اليهود أعداء الله من عون المنافقين رعبوا رعبًا شديدًا بعد قتال إحد وعشرين ليلة، فسألوا الصلح فصالحهم النبى ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم وذرايهم وعلى أن لكل ثلاثة منهم بعيرًا يجعلون عليه ما شاءوا من عيال أو متاع وتعيد أموالهم فيئا للمسلمين، فساروا قبل الشام إلى أذرعات وأريحا، وكان ما تركوا من الأموال فيئا للمسلمين، فسأل الناس النبى ﷺ الخمس كما خمس يوم بدر، ووقع فى أنفسهم حين لم يخمسا.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ يعنى أموال بنى النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الفىء ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعنى الإبل يقول لم تركبوا فرسًا، ولا بعيرًا، ولكن مشيتم مشيا حتى فتحتموها، غير أن النبى ﷺ ركب حمارًا له، فذلك قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يعنى النبى ﷺ، يعنيهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النصر وفتحها ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٦].

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعنى قريظة والنضير، وخيبر، وفدك، وقريتى عرينة ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى قرابة النبى ﷺ ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ يعنى يكون المال دولة ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ يعنى لئلا يغلب الأغنياء الفقراء على الفىء، فيقسمونه بينهم، فأعطى النبى ﷺ الفىء للمهاجرين، و لم يعط الأنصار غير رجلين، منهم سهل بن حنيف، وسماك بن خرشة، أعطاهما النبى ﷺ أرضًا من أرض النضير، وإنما سموا المهاجرين لأنهم هجروا المشركين وفارقوهم، قوله:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ يقول: ما أعطاكم الرسول محمد ﷺ من الفىء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴿ يخوفهم الله من المعاصى. ثم خوفهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٧] إذا عاقب أهل المعاصى.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

ثم ذكر الفئ فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ أخرجهم كفار مكة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يعنى يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى رزقًا من الله فى الجنة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ يعنى رضى ربهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ محمدًا ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [آية: ٨] فى إيمانهم وليسوا بكاذبين فى إيمانهم كالمنافقين، ثم ذكر الأنصار فأثنى عليهم حين طابت أنفسهم عن الفىء، إذ جعل المهاجرين دونهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعنى أوطنوا دار المدينة من قبل هجرة المؤمنين، إليهم بسنين.

ثم قال: ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرة المهاجرين، ثم قال: للأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ يعنى قلوبهم ﴿حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعنى مما أعطى إخوانهم المهاجرين من الفىء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقول: لا تضيق ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعنى الفاقة فآثروا المهاجرين بالفىء على أنفسهم، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ يعنى ومن يقيه الله حرص نفسه، سعنى الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفىء لإخوانهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٩] فقد ذهب صنفان المهاجرون والأنصار بقى صنف واحد، وهم التابعون الذين دخلوا فى الإسلام إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد المهاجرين والأنصار، فدخلوا فى الإسلام إلى يوم القيامة، وهم التابعون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الماضين من المهاجرين، والأنصار فهذا استغفار، ثم قال التابعون: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

وأنزل فى دس المنافقين إلى اليهود أنا معكم فى النصر والخروج، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ نزلت فى عبد الله بن نتيل، وعبد الله بن أبى رافع بن يزيد، كلهم من الأنصار ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود منهم حيى بن أخطب، وجدى، وأبو ياسر، ومالك بن الضيف، وأهل قريظة ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ لئن أخرجتكم محمد من المدينة كما أخرج أهل النضير ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ يقول: لا نطيع فى خذلانكم أحدًا ﴿أَبَدًا﴾ يعنى بأحد النبى ﷺ وحده ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ يعنى لنقاتلن معكم.

فكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ كم أخرج أهل النضير من المدينة ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا﴾ يعنى لئن قاتلهم المسلمون ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ يعنى لا يعانوهم يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ يعنى ولئن عاونوهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آية: ١٢] فغرهم المنافقون، فلزموا الحصن، حتى قتلوا وأسروا، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فقتل منهم أربع مائة وخمسين رجلاً، وسبى سبع مائة وخمسين رجلاً، فذلك قوله فى الأحزاب: ﴿**فريقًا يقتلون**﴾ يعنى المقاتلة الأربع مائة وخمسين ﴿**وتأسرون فريقًا**﴾ [الأحزاب: ٢٦]، يعنى السبع مائة.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿لَأَنتُمْ﴾ معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ يعنى قلوب المنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ١٣] فيعتبرون ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿جَمِيعًا﴾ المنافقين واليهود ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ يعنى متفرقة مختلفة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٤] عن الله فيوحدونه ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى من قبل أهل بدر، كان قبل ذلك بسنتين، فذلك قوله: ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعنى جزاء ذنبهم، ذاقوا القتل ببدر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٥].

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

ثم ضرب مثلاً حين غروا اليهود فتبرؤا منهم عند الشدة وأسلموهم، فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ وذلك أنه كان راهبًا فى بنى إسرائيل اسمه برصيصا، وكان فى صومعته أربعين عامًا، يعبد الله، ولا يكلم أحدًا، ولا يشرف على أحد، وكان لا يكل من ذكر الله عز وجل، وكان الشيطان لا يقدر عليه مع ذكره الله تعالى.

فقال الشيطان لإبليس: قد غلبنى برصيصا، ولست أقدر عليه، فقال إبليس: اذهب، فانصب له ما نصبت لأبيه من قبل، وكانت جارية ثلاثة من بنى إسرائيل عظيمة الشرف جميلة من أهل بيت صدق، ولها إخوة فجاء الشيطان إليها، فدخل فى جوفها فخنقها حتى ازبدت، فالتمس إخواتها لها الأطباء، وضربوا لها ظهرًا وبطنًا ويمينًا وشمالاً، فأتاهم الشيطان فى منامهم، فقال: عليكم ببرصيصا الراهب، فليدع لها، فإنه مستجاب الدعاء، فلما أصبحوا، قال بعضهم لبعض: انطلقوا بأختنا إلى برصيصا الراهب، فليدع لها، فإنا نرجوا البركة فى دعائه، فانطلقوا بها إليه، فقالوا: يا برصيصا أشرف علينا، وكلمنا فإنا بنو فلان، وإنما جئنا لباب حسنة، وأجر، فأشرف فكلمهم وكلموه، فلما رد عليها وجد الشيطان خللا فدخل فى جوفه، ووسوس إليه، فقال: يا برصيصا هذا باب حسنة وأجر، تدعو الله لها فيشفيها، فأمرهم أن يدخلوها الحربة وينطلقوا هم، فأدخلوها الحربة ومضوا، وكان برصيصا لا يتهم فى بنى إسرائيل، فقال له الشيطان: يا برصيصا انزل فضع يدك على بطنها، وناصيتها، وادع لها، فما زال به حتى أنزله من صومعته، فلما نزل خرج منه، فدخل فى جوف الجارية فاضطربت، وانكشفت، فلما رأى ذلك، ولم يكن له عهد بالنساء وقه بها.

قال الشيطان: يا برصيصا يا أعبد بنى إسرائيل ما صنعت؟ الزنا بعد العبادة يا برصيصا؟ إن هذه تخبر أخواتها بما أتيت لها فتفتضح فى بنى إسرائيل فاعمد إليها، فاقتلها وادفنها فى التراب، ثم اصعد إلى صومعتك، وتب إلى الله، وتعبد فإذا جاء أخوتها، فسألوا عنها، فأخبرهم أنك دعوت لها، وأن الجنى طار عنها، وأنهم طاروا بها، فمن هذا الذى يتهمك فى بنى إسرائيل، فقتلها ودفنها فى الحربة، فلما جاء إخواتها، قالوا: أين أختنا؟ فقال: أختكم طارت بها الجن، فرجعوا وهم لا يتهمونه، فأتاهم الشيطان فى المنام، فقال: إن برصيصا قد فضح أختكم، فلما أصبحوا جعل كل واحد منهم يكلم صاحبه بما رأى، فتكلم بما رأى.

فقال الآخر: لقد رأيت مثل ما رأيت، فقال الثالث: مثل ذلك، فلم يرفعوا بذلك رأسا حتى رأوا ثلاث ليال، فانطلقوا إلى برصيصا؛ فقالوا: أين أختنا؟ فقال: لا أدرى طارت بها الجن، فدخلوا الخربة، فإذا هم بالتراب ناتئ فى الخربة فضربوه بأرجلهم فإذا هم بأختهم فأتوه، فقالوا: يا عدو الله، قتلت أختنا، فانطلقوا إلى ذلك فأخبروه، فبعث إليه فاستنزله من صومعته، ونحتوا له خشبه، فأوثقوه عليها فأتاه الشيطان، فقال: أتعرفنى يا برصيصا، قال: ى، قال: أنا الذى أنزلتك هذه المنزلة، فإن فعلت ما آمرك به استنقذتك مما أنت فيه، وأطلعتك إلى صومعتك؟ قال: وبماذا؟ قال: أتمثل لك فى صورتى، فتسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما هنا؟ قال: نعم، فتمثل له الشيطان فى صورته فسجد له وكفر بالله فانطلق الشيطان، وتركه، وقتل برصيصا، فذلك قوله: كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٦] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعنى الشطان والإنسان ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ الشسطان والراهب ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٧] يقول: هكذا ثواب المنافقين واليهود والنار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

ثم حذر الممنين ولاية اليهود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ يعنى ولتعلم نفس ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ يعنى ما عملت لغد، يعنى ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ يحذرهم ولاية اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٨] من الخير والشر، ومن معاونة اليهود، ثم وعظ المؤمنين ألا يتركوا أمره، ولا يكونوا بمنزلة أهل الكتال.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى تركوا أمر الله ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ١٩] يعنى العاصين.

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

ثم ذكر مستقر الفريقين، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ يوم القيامة فى الثواب والمنزلة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى هم الناجون من النار، وأصحاب النار هم فى النار خالدون فيها أبدا.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

ثم وعظهم، فقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذى فيه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحرامه وحلاله ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وحملته إياه ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ يا محمد ﴿خَٰشِعًا﴾ يعنى خاضعا ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ فكيف لا يرق هذا الإنسان ولا يخشى الله فأمر الله الناس الذين هم أضعف من الجبل الأصم الذى عروقه فى الأرض السالعة ورأسه فى السماء أن يأخذوا القرآن بالخشية والشدة، والتخشع، فضرب الله لذلك مثلا، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢١] فى أمثال الله فيعتبروا فى الربوبية.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

فوحد الرب نفسه، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعنى غيب ما كان وما يكون ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى شهادته بالحق فى كل شىء ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٢٢] اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، فلما ذكر ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، قال مشركون العرب: ما نعرف الرحمن الرحيم إنما اسمه الله.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فأراد الله تعالى أن يخبرهم أن له أسماء كثيرة، فقال: ﴿**هو الذى لا إله إلا هو عالم**

الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ اسم الرب، تعالى، هو الله وتفسير الله: اسم الربوبية القاهر لخلقه وسائر أسمائه على فعاله ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فوحد نفسه، فقال لنفسه: ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ يعنى يملك كل شىء دونه ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ يعنى الطاهر ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ يسلم عباده من ظلمه ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ يؤمن أولياءه من عذابه ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ يعنى الشهيد على عباده بأعمالهم من خير أو شر، كقوله: ﴿ومهينما عليه﴾ [المائدة: ٤٨] كقوله: ﴿شاهدا عليكم﴾ [المزمل: ١٥] على عباده بأعملهم من خير أو شر المصدق بكتابه الذى أنزله على محمد ﷺ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع بقدرته فى ملكه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ يعنى القاهر على ما أراد بخلقه ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ يعنى المتعظم على كل شىء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزه الرب نفسه عن قولهم البهتان ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٢٣] معه فنزه الرب نفسه أن يكون له شريك، فقال: «سبحان الله عما يشركون» معه غيره أن يكون له شريك.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال عن نفسه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ يعنى خالق كل شىء خلق النطفة والمضغة، ثم قال: ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الأنفس حين يراها بعد مضغة إنسانا فجعل له العينين، والأذنين، واليدين، والرجلين، ثم قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ فى الأرحام، كيف يشاء ذكر وأنثى، أبيض وأسود، سوى وغير سوى، ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعنى الرحمن الرحيم العزيز الجبار المتكبر، ونحوها من الأسماء يعنى هذه الأسماء التى ذكرها فى هذه السورة، ثم قال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى يذكره ويوحده ما فى السموات والأرض وما فيها من الخلق وغيره ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٤] فى أمره.

قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ الرحيم أرق من الرحمن يعنى المترحم يعنى المتعطف بالرحمة على خلقه.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، وحدثنا الهذيل عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن ابن سيرين، عن النبى ﷺ، وبإسناده عن مقاتل، عن قتادة، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما فى القرآن فمن أحصاها دخل الجنة».

حدثنا عبد اله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن المسيب، قال سبحان الله: انصاف لله من السوء.

وقال على بن أبى طالب، رضى الله عنه: سبحان الله كلمة رضيها الله لنفسه.

وقال الهذيل: قال مقاتل: سبحان الله فى القرآن تنزيه نزه نفسه، من السوء إلا أول بنى إسرائيل ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده**﴾ [الإسراء: ١] يقول عجب و ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج**﴾ [يس: ٣٦] يعنى عجب الذى خلق الأزواج، وقوله: ﴿**سبحان الله حين تمسون**﴾ يقول صلوا لله.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن هشيم، عن داود بن أبى هند، عن مطرف بن الشخير، قال: إن الله تعالى لم يكلنا فى القرآن على القدر.

* * *

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

سورة الامتحان مدنية عددها ثلاث عشرة آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وذلك أن النبي ﷺ أمر الناس بالجهاد وعسكر، وكعب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة، إن محمدًا قد عسكر، وما أراه ألا يريدكم فخذوا حذركم وأرسل بالكتاب مع سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم وكانت قد جاءت من مكة إلى المدينة فأعطاها حاطب بن أبى بلتعة عشرة دنانير على أن تبلغ كتابه أهل مكة وجاء جبريل، فأخبر النبى ﷺ بأمر الكتاب، وأمر حاطب فبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، عليه السلام، والزبير بن العوام، وقال لهما: إن أعطتكما الكتاب غفوا خليا سبيلها، وإن أبت فاضربا عنقها، فسارا حتى أدركا بالجحفة وسألاها عن الكتاب فخلقت، مامعها كاب، وقالت: لأنا إلى خيركم أفقر منى إلى غير ذلك، فاتبحثاها، فلم يجدا معها شيئًا، فقا الزبير لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنهما أرجع بنا، فإنا لا ترى معها شيئًا.

فقال على: والله لأضربن عنقها، والله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، فقال الزبير: ثدقت اضرب عنقها، فسل على سيفه، فلما عرفت الجد منهما أخذت عليهما المواثيق، لئن أعطيتكما الكتاب لا تقتلانى، ولا تسبيانى، ولا تردانى إلى محمد ﷺ، ولتخليان سبيلى فأعطياها المواثيق، فاستخرجت الصحيفة من ذؤايتها ودفعتها فخليا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعاها فى يدى رسول الله فقرأها، فأرسل إلى حاطب بن أبى بلتعة، فقال له: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟.

قال حاطب: اعف عنى عفا الله عنك، فوالذى أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ أسلمت ولا كذبتك منذ صدقتك، ولا أبغضتك منذ أحببتك، ولا واليتهم منذ هاديتهم، وقد علمت أن كتابى لا ينفعهم ولا يضرك فاعذرنى، جعلنى الله فداك فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع ماله وعشيرته غيرى وكنت حليفا ولست من أنفس القوم، وكان حلفائى قد هاجروا كلهم، وكنت كثير المال والضيعة بمكة فخفت المشركين على مالى فكتبت إليهم لأتوسل بها وأتخذها عندهم مودة لأدفع عن مالى، وقد علمت أن الله منزل بهم خزيه ونقمته وليس كتابى يغنى عنهم شيئًا، فعرف رسول الله ﷺ أنه قد ثدق فيما قال، فأنزل الله تعالى عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبى بلتعة، فقال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يعنى الصحيفة ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ من مكة ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ قد أخرجوا من دياركم يعنى من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ يعنى بأن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ فلا تلقوا إليهم بالمودة ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يعنى بالصحيفة فيها النصيحة ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾ يعنى بما أسررتم فى أنفسكم من المودة والولاية ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ لهم من الولاية ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يعنى ومن يسر بالمودة إلى الكفار ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ١] يقول فقد أخطأ قصد طريق الهدى، وفى حاطب نزلت هذه الآية: ﴿**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى آخر الآية.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى قال: حدثنا الهذيل عن المسيب، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: أقبلت سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف من مكة إلى المدينة المنورة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فلما رآها رسول الله ﷺ، قال: مالك، يا سارة؟ أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما حاجتك؟ قالت: كنتم الأصل والموالى والعشيرة وقد ذهب موالى، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتكسونى وتنفقوا على وتحملونى، فقال النبى ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة»، وكانت امرأة مغنية ناتحة، فقالت: يا محمد، ما كلب أحد منهم شيئًا منذ كانتوقعة بدر، قال فحث عليها رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وبنى هاشم فكسوها وأعطوها نفقة وحملوها، فلما أرادت الخروج إلى مكة أتاها

حاطب بن أبي بلتعة من أهل اليمن حليف للزبير بن العوام فجعل لها جعلا على أن تبلغ كتابه إلى آخر الحديث.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

ثم أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم، فقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ يقول إن يظهروا عليكم وأنتم على دينكم الإسلام مفارقين لهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ يعني الشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٢] إن ظهروا عليكم يعني إن ترجعوا إلى دينهم فإن فعلتم ذلك ﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾ يعني لا تغني عنكم ﴿أَرْحَامُكُمْ﴾ يعني أقرباءكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ بالعدل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣] به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يقول تبرأنا منكم ﴿وَبَدَا﴾ يعني وظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ يعني تصدقوا بالله وحده ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ يقول الله تبرءوا من كفار قومكم فقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه من المؤمنين في البراءة من قومهم وليس لكم أسوة حسنة في الاستغفار للمشركين، يقول إبراهيم: لأستغفرن لك، وإنما كانت موعده وعدها أبو إبراهيم إياه أنه يؤمن فلما تبين له عند موته أنه عبد الله تبرأ منه حين مات على الشرك، وحجب عنه الاستغفار.

ثم قال إبراهيم: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تقتر علينا بالرزق، تبسط لهم فى الرزق، فنحتاج إليهم فيكون ذلك فتنة لنا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٥] وفى قراءة ابن مسعود: «إنك أنت الغفور الرحيم» نظيرها فى آخر المائدة [الآية: ١١٨].

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾

وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ﴾ يعنى فى إبراهيم والذين معه ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ فى الاقتداء بهم ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ يقول لمن كلن يخشى الله، ويخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يقول ومن يعرض عن الحق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٦] فى سلطانه عنه خلقه.

﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

قوله: ﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم﴾ من كفار مكة ﴿مَّوَدَّةٗۚ﴾ وذلك أن الله تعالى حين أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة والبراءة منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والذين معه فى البراءة من قومهم، فلما أخبر ذلك عادوا أقرباءهم وأرحامهم لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ فلم أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان فهذه المودة التى ذكر الله تعالى، بقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ على المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لذنوب كفار مكة لمن تاب منهم وأسلم ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٧] بهم بعد الإسلام، ثم رخص فى صلة الذين لم يناصبوا الحرب للمسلمين، ولم يظاهروا عليهم المشركين.

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

فذلك قوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم﴾ من مكة ﴿مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ يقول: أن تصلوهم ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ بالعدل يعنى توفوا

إليهم بعهدهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [آية: ٨] الذين يعدلون بين الناس، نزلت فى خزاعة منهم هلال بن عويمر، وبنى خزيمة وبنى مدلج منهم مسراقة بن مالك، وعبد يزيد بن عبد مناة، والحارث بن عبد مناة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ يعنى كفار مكة أخرجوا النبى ﷺ وأصحابه من مكة كرهية الإسلام ﴿وَظَٰهَرُوا۟﴾ يقول: وعاونوا المشركين ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بأن توالوهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ منكم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٩] ثم نسخت براءة هاتين الأيتين: ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ وذلك أن النبى ﷺ صالح أهل مكة يوم الحديبية، وكتب بينه وبينهم كتابًا فكان فى الكتاب أن من لحق أهل مكة من المسلمين، فهم لهم، ومن لحق منهم بالنبى ﷺ رده عليهم، وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ اسمها سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فى الموادعة، وكانت تحت صيفى بن الراهب من كفار مكة فجاء زوجها يطلبها، فقال النبى ﷺ: «ردها علينا فإن بيننا وبينك شرطًا»، فقال النبى ﷺ: «إنما كان الشرط فى الرجال، ولم يكن فى النساء».

فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ يعنى سبيعة فامتحنها النبى ﷺ فقال: بالله، ما أخرجك من قومك حدثًا، ولا كراهية لزوجك، ولا بغضا له، ولا خرجت إلا حرصًا على الإسلام ورغبة فيه، ولا تريدين غير ذلك؟ فهذه المحنة يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ من قبل المحنة يعنى سبيعة ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ يعنى فلا تردهن ﴿إِلَى﴾ أزواجهن ﴿ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يقول لا تحل مؤمنة لكافر، ولا كافر لمؤمنة، قال: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يقول أعطوا أزواجهم الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر يعنى يرد المهر يتزوجها من المسلمين فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيئًا ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى

ولا حرج عليكم ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ يقول: إذا أعطيتموهن ﴿أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ يعنى بعقد الكوافر يقول: لا تعتد بامرأتك الكافرة، فإنها ليست لك بامرأة يقول: هذا الذى يتزوج هذه المهاجرة، وذلك أن المرأة الكافرة تكون فى موضع من قومها، ولها أهل كثير فيمسكها إرادة أن يتعزز بأهلها وقومها من الناس، فتزوجها عمر بن الخطاب.

ويقال: تزوجها أبو السنابل بن بعكك بن السباق بن عبد الدار بن قصى، وفيه نزلت هذه الآية وفى أصحابه، وكانت امرأة عمر بن الخطاب، رضى الله عنها، بمكة واسمها قريبة بنت أبى أمية، وهشام بن العاص بن وائل، وامرأته هند بنت أبى جهل، وعياض بن شداد الفهرى وامرأته أم الحكم بنت أبى سفيان، وشماس بن عثمان المخزومى، وامرأته يربوع بنت عاتكة، وعمرو بن عبد عمرو، وهو ذو اليدين، وامرأته هند بنت عبد العزى، فتزوج امرأة عمر بن الخطاب أبو سفيان بن حرب، فقال الله تعالى فى المخاطبة: ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ إلى آخر الآية، هذا محكم لم ينسخ، ونسخت براءة النفقة.

﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ يقول: إن ذهبت امرأة أحدكم إلى الكفار، فاسألوا الذى يتزوجها أن يرد مهرها على زوجها المسلم والنفقة، ثم قال: ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ من المهر يقول: إن جاءت امرأة من أهل مكة مهاجرة إليهم فليرد الذى يتزوجها مهرها على زوجها الأول، فإن تزوجت إحدى المرأتين اللتان جاءتا مسلمة ولحقت بكم، ولم تتزوج الأخرى، فليرد الذى تزوجها مهرها على زوجها، وليس لزوج المرأة الأخرى مهر، حتى تتزوج امرأته، فإن لم يعط كفار مكة المهر طائعين، فإذا ظهرتم عليهم، فخذوا منهم المهر، وإن كرهوا، كان هذا لأهل مكة خاصة موادعة، فذلك قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ يعنى بين المسلمين والكافرين فى أمر النفقة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠] فى أمره حين حكم النفقة.

ثم نسخ هذا كله آية السيف فى براءة، غير هذين الحرفين ﴿**لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن**﴾ [التوبة: ٥].

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾

ثم قال: فى النفقة: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ وهى أم الحكم بنت أبى

سفيان تركت زوجها عياض بن غنم بن شداد القرشي، ثم الفهري من بني عامر بن لؤي، ثم أتت الطائف، فتزوجت رجلاً من ثقيف.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يعني أحد أزواجكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ يعني إن لحقت امرأة مؤمنة إلى الكفار، يعني كفار الحرب الذين ليس بينكم وبينهم عهد وزوجها مسلم ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ يقول: فإن غنمتم، وأعقبكم الله مالاً ﴿فَآتُوا﴾ وأعطوا ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ يعني المهر ما أصبتم من الغنيمة قبل أن تخمس الخمس، ثم يرفع الخمس، ثم تقسم الغنيمة بعد الخمس بين المسلمين، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعصوه فيما أمركم به ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١١] يعن بالله مصدقين، وكل هؤلاء الآيات نسختها فى براءة آية السيف [الآية: ٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ وذلك يوم فتح مكة، لما فرغ النبى ﷺ من بيعة الرجال، وهو جالس على الصفا، وعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أسفل منه، فقال النبى ﷺ: «أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا»، وكانت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان منتقبه مع النساء، فرفعت رأسها، فقالت: والله، إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيتك أخذته على الرجال، فقد أعطيناكه، فقال النبى ﷺ: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾، فقالت: والله إنى لأصيب من مال أبى سفيان هنات، فما أدرى أتحلهن لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: نعم، ما أصبت من شىء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال، فقال النبى ﷺ: «وإنك لهند بنت عتبة»، فقالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، ثم قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ قالت: وهل تزنى الحرة؟ ثم قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى، ويقال: إن النبى ﷺ ضحك من قولها.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ والبهتان أن تقذف المرأة ولدًا من غير زوجها على زوجها، فتقول لزوجها هو منك وليس منه، قالت: والله إن البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل، وما تأمر إلا بالرشد ومكارم الأخلاقن ثم قال:

﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ يعنى فى طاعة الله تعالى فيما نهى عنه النبى ﷺ عن النوح وشد شعر وتمزيق الثياب، أو تخلو غريب فى حضر، ولا تسافر فوق ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ونحو ذلك، قالت هند: ما جلسنا فى مجلسنا هذا، وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء فأقر النسوة بما أخذ عليهن النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما كان فى الشرك ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ١٢] فيما بقى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنى اليهود نزلت فى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم كانت اليهود زينوا لهم ترك الإسلام، فكان أناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود عن أخبار المسلمين ليتواصلوا بذلك فيصيبون من ثمارهم وطعامهم، فنهى الله عز وجل عن ذلك.

ثم قال: ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنى اليهود ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [آية: ١٣] وذلك أن الكافر إذا دخل قبره أتاه ملك شديد الانتهار، فأجلسه، ثم يسأله: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: لا أدرى، فيقول الملك: أبعدك الله، انظر يا عدو الله إلى منزلك من النار، فينظر إليها، ويدعو بالويل، ويقول له الملك: هذا لك، يا عدو الله، فلو كنت آمنت بربك لدخلت الجنة، ثم فينظر إليها، فيقول: لمن هذا؟ فيقول له الملك: هذا لمن آمن بالله، فيكون حسرة عليه، وينقطع رجاءه منها ويعلم عند ذلك أنه لا حظ له فيها، وييأس من خير الجنة، فذلك قوله لكفار أهل الدنيا الأحياء منهم ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ﴾ نعيم ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ كما أيس هذا الكفار من أصحاب القبور عاينوا منازلهم فى النار فى الآخرة.

* * *

سُورَةُ الصَّفِّ

مكية، عددها أربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ يعنى ذكر الله ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من شيء من الخلق غير كفار الجن والإنس ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٢]، ثم قال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ يعنى عظم بغضًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣] يعظهم بذلك، وذلك أن المؤمنين قالوا: لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ يعنى فى طاعته ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [آية: ٤] يعنى ملتصق بعضه فى بعض فى الصف، فأخبرهم الله بأحب الأعمال إليه بعد الإيمان فكرهوا القتال، فوعظهم الله وأدبهم، فقال: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ نزلت هذه الآية فى الأنصار فى الأوس والخزرج منهم عبد الله بن رواحة وغيره.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ وهم مؤمنون، وهم الأسباط اثنا عشر سبطًا ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ قالوا: إنه آدر نظيرها فى الأحزاب قوله: ﴿**لا تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ثم رجع إلى مخاطبة موسى، فقال: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ يقول: ما لوا عن الحق وعدلوا عنه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾ يعنى

أمال الله ﴿قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى﴾ إلى دينه من الضلالة ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥] يعنى العاصين.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَىَّ﴾ يعنى الذى قبلى ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ بالسريانية فارقليطا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسى ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى بالعجائب التى كان يصنعها ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦] الذى يصنع عيسى سحر مبين.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم منه يعنى اليهود ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ حين زعموا أنه ساحر ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾ يعنى اليهود ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى﴾ من الضلالة إلى دينه ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧] يعنى فى علمه، قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الله ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يعنى بألسنتهم، وهم اليهود والنصارى، حين كتموا أمر محمد ﷺ ودينه فى التوراة والإنجيل ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ يعنى مظهر دينه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨] يعنى اليهود والنصارى.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعنى الإسلام، يعنى دين محمد ﷺ ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعنى الأديان كلها، ففعل الله تعالى ذلك، وأظهر دين محمد ﷺ على أهل كل دين، حين قتلهم فأدوا إليه الجزية مثل قوله: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف: ١٤]. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٩] من العرب يعنى كفار قريش، لما نزلت هذه الآية: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: ٣]، قال بعضهم: يا رسول الله، فما لنا من الأجر إذا جاهدنا فى سبيل الله، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ١٠] يعنى وجيع، فقال المسلمون: والله،

لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأولاد والأهلين. فبين الله لهم ما هذه التجارة؟ يعنى التوحيد.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يعنى تصدقون بتوحيد الله ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ أنه نبى ورسول ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ﴾ يعنى الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من غيره ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١١] فإذا فعلتم ذلك ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ يعنى حسنة فى منازل الجنة ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وجنة عدن قصبة الجنان، وهى أشرف الجنان ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم سوى الجنة أيضًا عدة الدنيا ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على عدوكم إذا جاهدتم ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يعنى ونصر عاجل فى الدنيا ﴿وَبَشِّرِ﴾ بالنصر يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣] فى الدنيا، وبالجنة فى الآخرة، فحمد القوم ربهم حين بشرهم النبى ﷺ بهذا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ يعنى صيروا أنصارًا لله، يقول: من قاتل فى سبيل الله، يريد بقتاله أن تعلو كلمة الله، وهى لا إله إلا الله، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، فقد نصر الله تعالى، يقول: انصروا محمدًا ﷺ كما نصر الحواريون عيسى ابن مريم، عليه السلام، وكانوا أقل منكم، وذلك أن عيسى، عليه السلام، مر بهم وهم ببيت المقدس، وهم يقصرون الثياب، والحواريون بالنبطية مبيضو الثياب، فدعاهم إلى الله، فأجابوه، فذلك قوله: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: مع الله، يقول: من يمنعنى من الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ وهم الذين أجابوا عيسى، عليه السلام.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى، عليه السلام، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ ثم انقطع

الكلام ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول: قوينا الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [آية: ١٤] بمحمد ﷺ على أهل الأديان.

قوله: ﴿**فلما جاءهم**﴾ عيسى ﴿**بالبينات**﴾ [الصف: ٦] يعنى ما كان يخلق من الطين، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، قالت اليهود: هذا الذى يصنع عيسى سحر مبين، يعنى بيِّن.

* * *

سُورَةُ الجُمُعَةِ

مدنية، عددها إحدى عشرة آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يعنى يذكر الله ﴿مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من شىء غير كفار الجن والإنس، ثم نعت الرب نفسه، فقال: ﴿الْمَلِكِ﴾ الذى يملك كل شىء ﴿الْقُدُّوسِ﴾ الطاهر ﴿الْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعنى العرب الذين لا يقرءون الكتاب ولا يكتبون بأيديهم ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ فهو النبى ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ يعنى يقرأ عليهم ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعنى ويصلحهم فيوحدونه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ﴾ يعنى ولكى يعلمهم ما يتلو من القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وموعظ القرآن الحلال والحرام ﴿وَإِن﴾ يعنى وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ أن يبعث محمدًا ﷺ ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢] يعنى بين وهو الشرك ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ الباقين من هذه الأمة ممن بقى منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ يعنى بأوائلهم من أصحاب النبى ﷺ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣] فى أمره.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ يعنى الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول: فضل الله الإسلام يعطيه من يشاء ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾ الإسلام ﴿الْعَظِيمِ﴾ [آية: ٤] يعنى الفوز بالنجاة والإسلام.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ﴾ يعنى اليهود تحملوا العمل بما فى التوراة فقرءوها ﴿ثُمَّ

﴿لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ يقول: لم يعلموا بما فيها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل كتابًا لا يدرى ما فيه، كذلك اليهود حين لم يعملوا بما فى التوراة، فضرب الله تعالى لهم مثلاً، فقال: ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى القرآن ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ إلى دينه من الضلالة ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥] فى علمه.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ وذلك أن النبى ﷺ كتب إلى يهود المدينة يدعوهم إلى الإسلام، فكتب يهود المدينة إلى يهود خيبر أن محمدًا يزعم أنه نبى، وأنه يدعونا وإياكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون متابعته فاكتبوا إلينا ببيان ذلك، وإلا فأنتم ونحن على أمر واحد لا نؤمن بمحمد، ولا نتبعه، فغضبت يهود خيبر، فكتبوا إلى يهود المدينة كتابًا قبيحًا، وكتبوا أن إبراهيم كان صديقًا نبيًا، وكان من بعد إبراهيم إسحاق صديقًا نبيًا، وكان من بعد إسحاق يعقوب صديقًا نبيًا، وولد يعقوب اثنا عشر، فولد لكل رجل منهم أمة من الناس، ثم كان من بعدهم موسى، ومن بعد موسى عزيز، فكان موسى يقرأ التوراة من الألواح.

وكان عزيز يقرؤها ظاهرًا، ولولا أنه كان ولدًا لله ونبيه وصفيه لم يعطه ذلك، فنحن وأنتم سبطه، وسبط من اتخذه الله خليلاً، ومن سبط من كلمه الله تكليمًا، فنحن أحق بالنبوة والرسالة من محمد ﷺ، ومتى كان الأنبياء من جزائر العرب؟ ما سمعنا بنبى قط كان من العرب إلا هذا الرجل الذى تزعمون، على أنا نجد ذكره فى التوراة فإن تبعتموه صغركم ووضعكمن فنحن أبناء الله وأحباؤه.

فقال الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ لليهود ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ﴾ يعنى إذ زعمتم ﴿أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ فى الآخرة ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ وأحباؤه ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٦] بأنكم أولياؤه وأحباؤه، وأن الله ليس بمعذبكم، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ من ذنوبهم وتكذيبهم بالله ورسوله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧] يعنى اليهود.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ يعنى تكرهونه ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى عالم كل غيب وشاهد كل نجوى ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ يقول: إذا نودى إلى الصلاة والمن هاهنا صلة ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ يعنى إذا جلس الإمام على المنبر ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فامضوا إلى الصلاة المكتوبة ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ﴾ يعنى الصلاة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ من يوم الجمعة ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهذه رخصة بعد النبى وأحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة، فمن شاء خرج إلى تجارة، ومن شاء لم يفعل، فذلك قوله: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الرزق ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠].

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق، فخرج الناس من المسجد غير اثنى عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: «انظروا كم فى المسجد»؟ فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، ثم جاءت غير أخرى، فخرجوا غير اثنى عشر رجلاً وامرأة، ثم أن دحيه بن خليفة الكلبى من بنى عامر بن عوف أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم، وكان يحمل معه أنواع التجارة، وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والتصفيق، ووافق قدومه يوم الجمعة، والنبى ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس، فقال النبى ﷺ: «انظروا كم بقى فى المسجد»، فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: «لولا هؤلاء لقد سوّمت لهم الحجارة».

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ على المنبر ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ يعنى من الطبل والتصفيق ﴿وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ التى جاء بها

دحية ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ١١] من غيره.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا هشيم، قال: كان فى الاثنى عشر أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما.

* * *

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

مدنية عددها إحدى عشرة آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ﴾ يعنى نحلف ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعنى يقسم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١] فى حلفهم ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ يعنى حلفهم الذى حلفوا أنك لرسول الله ﴿جُنَّةً﴾ من القتل ﴿فَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا﴾ يعنى بئس ما ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢] يعنى النفاق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى أقروا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ﴾ يعنى عبد الله بن أبى، وكان رجلاً جسيمًا صبيحًا ذاق اللسان، فإذا قال، سمع النبى ﷺ لقوله: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾ فيها تقديم يقول: كأن أجسامهم خشب بعضها على بعض قيامًا، لا نسمع، ولا نعقل، لأنها خشب ليست فيها أرواح، فكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلون، ليس فى أجوافهم إيمان فشب أجسامهم بالخشب ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ أنها ﴿عَلَيْهِمْ ۚ﴾ يقول: إذا نادى مناد فى العسكر أو أفلتت دابة، أو أنشدت ضالة يعنى طلبت، ظنوا أنما يرادون بذلك مما فى قلوبهم من الرعب.

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ يعنى لعنهم الله ﴿أَنَّىٰ﴾ يعنى من أين ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى يكذبون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ يعنى عطفوا رءوسهم رغبة عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى عطف رأسه معرضًا، فقال عبد الله بن أبى للذى دعاه إلى استغفار النبى ﷺ ما قلت؟ كأنه لم يسمع حين دعاه إلى الاستغفار، يقول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ من الضلالة إلى دينه ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى العاصين، يعنى عبد الله بن أبى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ لما رجع غانمًا من غزاة بنى لحيان، وهم حى من هذيل، هاجت ريح شديدة ليلاً، وضلت ناقة رسول الله ﷺ، فلما أصبحوا، قالوا للنبى ﷺ: ما هذه الريح؟ قال: «موت رجل من رءوس المنافقين توفى بالمدينة»، قالوا: من هو؟ قال: «رفاعة بن التابوه»، فقال رجال منافق: كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب، ولا يعلم مكان ناقته أفلا يخبره الذى يأتيه بالغيب بمكان ناقته؟ فقال له رجل: اسكت، فوالله لو أن محمدًا يعلم بهذا الزعم لأنزل عليه فينا، ثم قام المنافق، فأتى النبى ﷺ فوجده يحدث أصحابه أن رجلاً من المنافقين شمت بى، بأن ضالت ناقتى، قال: كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب، أفلا يخبره الذى يأتيه بالغيب بمكان ناقته؟ «لعمرى، لقد كذب، ما أزعم أنى أعلم الغيب، ولا أعلمه، ولكن الله تعالى أخبرنى بقوله، وبمكان ناقتى، وهى فى الشعب، وقد تعلق زمامها بشجرة».

فخرجوا من عنده يسعون قبل الشعب، فإذا هى كما قال النبى ﷺ، فجاءوا بها، والمنافق ينظر، فصدق مكانه، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أذكركم الله، هل قام أحد منكم من مجلسه؟ أو ذكر حديثى هذا إلى أحد؟ قالوا: لا، قال: أشهد أن محمدًا رسول

الله، والله لكأنى لم أسلم إلا يومى هذا، قالوا: وما ذاك؟ قال: وجدت النبى ﷺ يحدث الناس بحديثى الذى كرت لكم، وأنا أشهد أن الله أطلعه، وأنه لصادق، فسار حتى دنا من المدينة فتحاور رجلان أحدهم عامرى، والآخر جهنى، فأعان عبد الله بن أُبى المنافق الجهنى، وأعان جعال بن عبد الله بن سعيد العامرى، وكان جعال فقيرًا، فقال عبد الله لجعال: وإنك لهناك، فقال: وما يمنعنى أن أفعل ذلك فاشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: مثلى ومثلك كما قال الأول ممن كلبك يأكلك، والذى يحلف به عبد الله لأذرنك، ولهمك غير هذا.

قال جعال: ليس بيدك، وإنما الرزق بيد الله تعالى، فرجع عبد الله غضبان؟ فقال لأصحابه: والله، ولو كنتم تمنعون جعالاً، وأصحاب جعال الطعام الذى من أجله ركبوا رقابكم لأوشكوا أن يذروا محمدًا ﷺ ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم، لا تنفقوا عليهم ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ يعنى حتى يتفرقوا من حول محمد ﷺ، ثم قال: لو أن جعالاً أتى محمدًا ﷺ فأخبره لصدقه، وزعم أنى ظالم، ولعمرى، إنى ظالم إذ جئنا بمحمد من مكة، وقد طرده قومه فواسيناه بأنفسنا، وجعلناه على رقابنا، أما والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولنجعلن علينا رجلاً منا، يعنى نفسه، يعنى بالأعز نفسه وأصحابه، ويعنى بالأذل النبى ﷺ وأصحابه، فقال زيد بن أرقم الأنصارى، وهو غلام شاب: أنت والله الذليل القصير المبغض فى قومك، ومحمد ﷺ فى عز من الرحمن، ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد هذا الكلام أبدًا.

فقال عبد الله: إنما كنت ألعب معك، فقام زيد فأخبر النبى ﷺ فشق عليه قول عبد الله بن أُبى، وفشا فى الناس أن النبى ﷺ غضب على عبد الله لخبر زيد، فأرسل النبى ﷺ إلى عبد الله، فأتاه ومعه رجال من الأنصار يرفدونه ويكذبون عنه، فقال له النبى ﷺ: «أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك»، قال عبد الله: والذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك قط، وإن زيدًا لكاذب وما عملت عملاً قط أرجى فى نفسى أن يدخلنى الله به الجنة من غزاتى هذه معك، وصدقه الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، شيخنا وسيدنا لا يصدق عليه قول غلام من غلمان الأنصار مشى بكذب ونميمة فعذره النبى ﷺ، وفشت الملامة لزيد فى الأنصار، وقالوا: كذب زيد، وكذبه النبى ﷺ، وكان زيد يساير النبى ﷺ فى المسير قبل ذلك، فاستحى بعد ذلك أن يدنو من النبى ﷺ فأنزل الله تعالى تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فقال: ﴿هُمُ﴾ يعنى عبد الله

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى مفاتيح الرزق والمطر والنبات ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [آية: ٧] الخير.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

ثم قال: يعنى عبد الله ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ يعنى الأمنع منها الأذل ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فهؤلاء أعز من المنافقين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨] ذلك، فانطلق النبى ﷺ يسير ويتخلل على ناقته حتى أدرك زيدًا فأخذ بأذنه ففركها حتى أحمر وجهه، فقال لزيد: أبشر فإن الله تعال قد عذرك، ووقى سمعك، وصدقك، وقرأ عليه الآيتين، وعلى الناس فعرفوا صدق زيد، وكذب عبد الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى أقروا يعنى المنافقين ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الصلاة المكتوبة ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يعنى ترك الصلاة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ من الأموال ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ يعنى المنافق، فيسأل الرجعة عند الموت إلى الدنيا، ليزكى ماله، ويعمل فيها بأمر الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ﴾ يعنى هلا ﴿أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ لأن الخروج من الدنيا إلى قريب ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ يعنى فأزكى مالى ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [١٠] يعنى المؤمنين، مثل قوله: ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين**﴾ [التوبة: ٧٥]، يعنى المؤمنين ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١١] من الخير والشر، يعنى المنافقين.

* * *

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنية، وفيها مكى، عددها ثمانى عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يعنى يذكر الله ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من شىء من الخلق غير كفار الجن والإنس ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ لا يملك أحد غيره ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ فى سلطانه عند خلقه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ من آدم وحواء وكان بدء خلقهما من تراب ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ يعنى مصدق بتوحيد الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: لم يخلقهما باطلاً خلقهما لأمر هو كائن ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ يعنى خلقكم فى الأرحام ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ولم يخلقكم على صورة الدواب، والطير، فأحسن صوركم يعنى فأحسن خلقكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٣] فى الآخرة ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فى قلوبكم من أعمالكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ منها بألسنتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٤] يعنى القلوب من الخير والشر.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَبَؤُا۟﴾ يعنى حديث ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أهل مكة حديث الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم رسلهم ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يقول:

ذاقوا العذاب جواء ثواب أعمالهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ﴾ يعني ذلك بأن العذاب الذى نزل بهم فى الدنيا ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى البيان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن عبادتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عباده خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ٦] فى سلطانه عند خلقه.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ بعد الموت فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعنى البعث والحساب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَآمِنُوا﴾ يعنى صدقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَالنُّورِ﴾ يعنى القرآن ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٨].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يعنى جمع أهل السماوات وجمع أهل الأرض ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يعنى أهل الهدى تغبن أهل الضلالة، فلا غبن أعظم منه فريق فى الجنة، وفريق فى السعير، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يموتون و ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب الذى ذكر الله تعالى هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ٩].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعنى القرآن ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٠].

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾

﴿مَا أَصَابَ﴾ ابن آدم ﴿مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعنى

ومن يصدق بالله فى المصيبة، ويعلم أن المصيبة من الله ويسلم لأمر الله يهده الله تعالى للاسترجاع، فذلك قوله: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للاسترجاع، يقول: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ [البقرة: ١٥٦]، وفى سورة البقرة يقول: ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ [البقرة: ١٥٧] للاسترجاع ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من هذا ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ يعنى أعرضتم عن طاعتهما ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١٢] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٣] يقول: به فليثق الواثقون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزلت فى الأشجع ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ يعنى إذا أمروكم بالإثم، وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة، قال له أهله وولده: ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وولدك ومالك، نضيع بعدك، ونصير عيالاً بالمدينة، لا معاش لنا فيثبطونه، فمنهم من يقيم، ومنهم من يهاجر، ولا يطيع أهله، فيقول: تثبطونا عن الهجرة، لئن جمعنا الله وإياكم لنعاقبنكم، ولا نصلكم، ولا تصيبون منا خيرًا.

يقول الله: ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أن تطيعوهم فى ترك الهجرة، ثم أمرهم بالعفو والصفح والتجاوز، فقال: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عنهم يعنى وإن تتركوهم، وتعرضوا، وتتجاوزا عنهم ﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾ خير لكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤] بخلقه، ثم وعظهم.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ يعنى بلاء وشغل عن الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٞ﴾ [آية: ١٥] يعنى الجنة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فى أمره ونهيه ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ يعنى ما أطعتم ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ له مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أمره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ من أموالكم فى حق الله ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾.

ثم رغبهم فى النفقة، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آية: ١٦] أى يعطى حق الله من ماله.

﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [١٧].

ثم قال: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى التطوع ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ يعنى طيبة بها أنفسكم تحتسبها ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ يعنى القرض ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ بالصدقة ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ لصدقاتكم حين يضاعفها لكم ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧] عن عقوبة ذنوبكم حين غفرها لكم، وعن من يمن بصدقته، و لم يحتسبها.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾

﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى عالم كل غيب، يعنى غيب ما فى قلبه من المن، وقلة الخشية، وشاهد كل نجوى ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع فى ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ١٨] فى أمره.

* * *

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية، عددها اثنتا عشر آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا (١) فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (٢) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (٣)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نزلت فى عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعتبة بن عمرو المازنى، وطفيل بن الحارث، وعمرو بن سعيد بن العاص ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ يعنى طاهرًا من غير جماع ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ فلا تعصوه فيما أمركم به ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ من قبل أنفسهن ما دمن فى العدة وعليهن الرجعة ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ يعنى العصيان البين وهو النشوز ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى سنة الله وأمره أن تطلق المرأة للعدة طاهرة من غير حيض ولا جماع ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يعنى سنة الله وأمره فيطلق لغير العدة ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [آية: ١] يعنى بعد التطليقة والتطليقتين أمرًا يعنى الرجعة ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعنى به انقضاء العدة قبل أن تغتسل ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ إذا راجعتموهن ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ يعنى طاعة الله ﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ يعنى طاعة الله فى غير إضرار فهذا هو الإحسان ﴿وَأَشۡهِدُواْ﴾ على الطلاق والمراجعة ﴿ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ ثم قال للشهود ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ على وجهها ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الذى ذكر الله تعالى من الطلاق والمراجعة ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له، وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، فليفعل ما أمره الله.

ثم قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [آية: ٢] نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى، جاء إلى النبى ﷺن فشكا إليه الحاجة والفاقة، فأمره النبى ﷺ بالصبر، وكان ابن له أسير، فى أيدى مشركى العرب فهرب منهم فأصاب منهم إبلاً ومتاعًا، ثم إنه رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبى ﷺ، فأخبره بالخبر، وسأله: أيحل له أن يأكل من الذى أتاه ابنه؟ فقال له النبى ﷺ: «نعم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيصبر ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ من الشدة ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ يعنى من حيث لا يأمل، ولا يرجو فرزقه الله تعالى من حيث لا يأمل ولا يرجو.

ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فى الرزق فيثق به ﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ فيما نزل به من الشدة والبلاء ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ﴾ من الشدة والرخاء ﴿قَدۡرٗا﴾ [آية: ٣] يعنى متى يكون هذا الغنى فقيرًا؟ ومتى يكون هذا الفقير غنيًا؟ فقدر الله ذلك كله، لا يقدم ولا يؤخر. فقال رجل للنبى ﷺ حين نزلت: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فما عدة المرأة التى لا تحيض؟ وقال خلاد الأنصارى: ماعدة من لم تحض من صغر؟ وماعدة الحبلى؟

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾

فأنزل الله عز وجل فى اللاتى قعدن عن المحيض: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ يعنى القواعد من النساء اللاتى قعدن عن المحيض ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ يعنى شككتم، فلم يدر كم عدتها ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ إذا طلقن، ثم قال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ فكذلك أيضًا يعنى عدة الجوارى اللاتى لم يبلغن الحيض، وقد نكحن، ثم طلقن، فعدتهن ثلاثة أشهر.

ثم قال: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ يعنى الحبلى فعدتهن ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ يقول فإن كانت هذه الملطلقة حبلى فأجلها إلى أن تضع حملها، ثم رجع إلى الطلاق، فقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فى أمر الطلاق ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [آية: ٤] يقول: ومن يتق الله فيطلق كما أمره الله تعالى، ويطيع الله فى النفقة، والمسكن، ييسر الله أمره، ويوفقه للعمل الصالح.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الطلاق والنفقة والمسكن، ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فى أمره ما ذكر ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ يعنى يغفر له ذنوبه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [آية: ٥] يعنى الجزاء، يعنى يضاعفه له.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ يعنى المطلقة الواحدة والثنتين ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ يعنى من سعتكم فى النفقة، والمسكن، ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ يعنى المطلقة وهى حبلى ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم إذا وضعن حملهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعنى فأعطوهن أجورهن ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ يعنى الرجل والمرأة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول: حتى تنفقوا من النفقة على امر بمعروف ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ يعنى الرجل والمرأة وإذا أراد الرجل أقل مما طلبت المرأة من النفقة فلم يتفقوا على أمر ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ يعنى للرجل امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول: ليلتمس غيرها من المراضع.

ثم قال: ﴿لِيُنفِقْ﴾ فى المراضع ﴿ذُو سَعَةٍ﴾ فى المال ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الذى أوسع الله له على قدره ﴿وَمَن قُدِرَ﴾ يعنى فتر ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ مثل قوله: ﴿**إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه**﴾ [الأنبياء: ٨٧] يعنى نضيق عليه فى بطن الحوت، ﴿فَلْيُنفِقْ﴾ فى المراضع قدر فقره ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعنى مما أعطاه الله من الرزق على قدر طاقته، فذلك قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾ فى النفقة ﴿نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ يعنى إلا ما أعطاها من الرزق ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [آية: ٧] يعنى من بعد الفقر سعة فى الرزق.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ يعنى وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعنى فيما خلا ﴿عَتَتْ﴾ يقول: خالفت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ﴾ خالفت ﴿وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ يعنى فحاسبها الله بعملها فى الدنيا فجزاها العذاب ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [آية: ٨] يعنى فظيعًا، فذلك قوله: ﴿فَذَاقَتْ﴾ العذاب فى الدنيا ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ يعنى جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [آية: ٩] يقول: كان عاقبهم الخسران فى الدنيا وفى الآخرة حين كذبوا فأخبر الله، عنهم بما أعد لهم فى الدنيا وما أعد لهم فى الآخرة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

فقال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يحذرهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعنى من كان له لب أو عقل فليعتبر فيما يسمع مسع الوعيد فينتفع بمواعظ الله تعالى، يخوف كفار مكة، لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم ما نزل بالأمم الخالية حين كذبوا رسلهم بالعذاب فى الدنيا والآخرة.

ثم قال للذين آمنوا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [آية: ١٠] يعنى قرنا ﴿رَّسُولًا﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى يقرأ عليكم آيات القرآن ﴿مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فى عمله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له ﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فى إيمانه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: تجرى من تحت البساتين الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يعنى مقيمين فيها ﴿أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [آية: ١١] يعنى به الجنة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَ﴾ خلق ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يعنى الوحى من السماء العليا إلى الأرض السفلى ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [آية: ١٢].

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: سمعت أبا يوسف، و لم أسمع مقاتلا يحدث عن حبيب بن حسان، عن أبى الضحى، فى قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال: آدم كآدم، ونوح كنوح، ونبى ومثل نبى، وبه الهذيل، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبرهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾، قال: لو حدثتكم تفسيرها لكفرتم وكفركم بها تكذيبكم، قال الهذيل: و لم اسمع مقاتلا.

* * *

سورة التحريم

مدنية عددها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ يعنى مارية القبطية وهى أم إبراهيم بن محمد ﷺ، وذلك أن حفصة بنت عمر بن الخطاب زارت أباها، وكانت يومها عنده فلما رجعت أبصرت النبى ﷺ مع مارية القبطية فى بيتها، فلم تدخل حتى خرجت مارية، فقالت للنبى ﷺ: إنى قد رأيت من كان معك فى البيت يومى وعلى فراشى، فلما رأى النبى ﷺ فى وجه حفصة الغيرة والكآبة، قال لها: «يا حفصة، اكتمى على، ولا تخبرى عائشة ولك على ألا أقربها أبدًا».

وبإسناده، قال مقاتل: قال النبى ﷺ لحفصة: «اكتمى على حتى أبشرك أنه يلى الأمر من بعدى أبو بكر، وبعد أبو بكر أبوك» فأمرها النبى ﷺ ألا تخبر أحدًا فعمدت حفصة، فأخبرت عائشة وكانتا متصافيتين، فغضبت عائشة فلم تزل بالنبى ﷺ حتى حلف ألا يقرب مارية القبطية، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ يعنى حفصة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١] لهذه اليمين التى حلفت عليها.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ (٢)﴾

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يعنى قد بين الله لكم نظيرها فى سورة النور ﴿تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ مثلها فى المائدة: ﴿**إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم**﴾ [الآية: ٨٩] فأعتق النبى ﷺ رقبة فى تحريم مارية ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٢] فى أمره حكم الكفارة.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ

وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعنى حفصة ﴿حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ حفصة ﴿بِهِۦ﴾ عائشة يقول: أخبرت به عائشة يعنى الحديث الذى أسر إليها النبى ﷺ من أمر مارية ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعنى أظهر الله النبى ﷺ على قول حفصة لعائشة فدعاها النبى ﷺ فأخبرها ببعض ما قالت لعائشة، و لم يخبرها بعملها أجمع، فذلك قوله: ﴿عَرَّفَ﴾ النبى ﷺ ﴿بَعْضَهُۥ﴾ بعض الحديث ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ الحديث أن أبا بكر وعمر يملكان بعده ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾ النبى ﷺ ﴿بِهِۦ﴾ بما أفشت عليه ﴿قَالَتْ﴾ حفصة للنبى ﷺ ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ الحديث ﴿قَالَ﴾ النبى ﷺ ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ يعنى أخبرنى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالسر ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ٣] به.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى حفصة وعائشة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ يعنى مالت قلوبكما ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ يعنى تعاونتما على معصية النبى ﷺ وأذاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ يعنى وليه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ ﷺ ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [آية: ٤] للنبى ﷺ يعنى أعوانا للنبى ﷺ عليكما إن تظاهرتما عليه فلما نزلت هذه الآية هم النبى ﷺ بطلاق حفصة حين أبدأت عليه. قال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: لو علم الله فى آل عمر خيرًا ما طلقت حفصة، فنزل جبريل على النبى، صلى الله عليهما، فقال لا تطلقها: فإنها صوامة قوامة وهى من نسائك فى الجنة، فأمسكها النبى ﷺ بعد ذلك.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ يعنى رب محمد ﷺ ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ النبى ﷺ فطلقها النبى ﷺ واحدة وراجعها ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، ثم نعتهن، فقال: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ يعنى مخلصات ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ يعنى مصدقات بتوحيد الله تعالى ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ يعنى مطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ يعنى موحدات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ يعنى صائمات ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ يعنى أيمات لا أزواج لهن ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [آية: ٥] عذارى لم يمسسن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالأدب الصالح النار فى الاخرة ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى أهلها ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ تتعلق فى عنق الكافر مثل جبل الكبريت تشتعل عليه النار بحرها على وجهه ﴿عَلَيْهَا﴾ يعنى على النار ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعنى خزنتها التسعة عشر ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعنى أقوياء وذلك أن ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وقوة أحدهم أن يضرب بالمقمعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفا عظم كل إنسان مسيرة أيام فيهوى فى قعر جهنم أربعين سنة، فيقع أحدهم لا حيا ولا ميتا. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى خزنة جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ يعنى القيامة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧] فى الدنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ يعنى صادقا فى توبته، ولا يحدث نفسه أن يعود إلى بالذنب الذى تاب منه أبدًا ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إن تبتم والعمى من الله واجب ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يعنى يغفر لكم ذنوبكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت البساتين ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ يعنى لا يعذب الله النبى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ كما يخزى الظلمة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ولهم على الصراط دليل إلى الجنة، ثم قال: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ يقول: وبتصديقهم بالتوحيد فى الدنيا أعطوا الفوز فى الآخرة إلى الجنة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ فهولاء أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فصارت سواء ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الفوز والمغفرة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالقول ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى فى الشدة بالقول عليهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٩].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى امرأة الكافر التى يتزوجها المسلم وهى ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ فى الدين يقول: كانتا مخالفتين لدينهما ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى نوح ولوط، عليهما السلام، من كفرهما ﴿شَيْـًٔا﴾ يعنى أمرأتيهما ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [آية: ١٠] حين عصيا يخوف عائشة وحفصة بتظاهرهما على النبى ﷺ فكذلك عائشة وحفصة إن عصيا ربهما لم يغن محمد ﷺ عنهما من الله شيئًا.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

ثم قال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى المرأة المسلمة التى يتزوجها الكافر، فإن كفر زوجها لم يضرها مع إسلامها شيئًا يقول لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة لوط فى المعصية، وكونا بمنزلة ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ ومريم فى الطاعة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ الشرك ﴿وَنَجِّنِى مِنَ﴾ أهل مصر ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١١] يعنى المشركين فنظرت إلى منازلها فى الجنة قبل موتها.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عن الفواحش وإنما ذكرت بأنها أحصنت فرجها لأنها قذفت بالزنا ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وهى مريم بنت عمران بن ماثان بن عازور بن صاروى بن الردى بن آسال بن عازور بن النعمان بن أيبون بن روبائيل بن سليتا بن أوباخش وهو ابن لو بانية بن بوشنا بن أيمن بن سلتا بن حزقيل بن يونس ين متى بن إيحان بن بانومر بن عوريا بن معققا بن أمصيا بن نواسر بن حزالى بن

يهورم بن يوسقط بن أسا بن راخيم بن سليمان بن داود بن أتسى بن عويد بن عمى ناذب بن رام بن حضرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، روحنا يعنى جبريل، وذلك أن جبريل ﷺ مد مدرعتها بأصبعيه، ثم نفخ فى جيبها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾ يعنى بعيسى أنه نبى الله ﴿وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ﴾ يعنى الإنجيل وكانت مريم ﴿مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى من المطيعين لربها، قالت عائشة، رضى الله عنها، كيف لم يسمهما الله تعالى؟ قال النبى ﷺ: لبغضهما يعنى امرأة نوح وامرأة لوط، قالت عائشة: فما اسمهما؟ فأتاه جبريل ﷺ فقال: أخبر عائشة، رضى الله عنها، أن اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة.

* * *

سورة الملك

مكية عددها ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ يعنى افتعل البركة ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ١] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ فيميت الأحياء ويحيى الموتى من نطفة، ثم علقة، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير حيا، قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يعنى ليختبركم بها ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: أخبرنى مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس، قال: أيكم أتم للفريضة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، فى نقمته لمن عصاه، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [آية: ٢] للذنوب المؤمنين.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

ثم أخبر عن خلقه ليعرف بتوحيد فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ فى يومين ﴿طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة سنة وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ يقول ما ترى ابن آدم فى خلق السموات من عيب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ يعنى أعد البصر ثانية إلى السموات ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ ابن آدم فى السموات ﴿مِن فُطُورٍ﴾ [٣] يعنى من فروج ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ يقول: أعد البصر الثانية ﴿يَنقَلِبْ﴾ يعنى يرجع ﴿إِلَيْكَ﴾ ابن آدم ﴿ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يعنى إذا اشتد البصر يقع فيه الماء، خاسئا: يعنى صاغرًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [آية: ٤] يعنى كالا منقطعا لا يرى فيها عيبا ولا فطورا.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ لأنها أدنى السموات وأقربها من الأرض من غيرها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وحفظا يعنى الكواكب ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ يعنى الكواكب ﴿رُجُومًا﴾ يعنى رميا ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ يعنى إذا ارتقوا إلى السماء ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ يعنى للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٥] يعنى الوقود.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ واعتدنا للذين كفروا بتوحيد الله، هم فى الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٦] حيث يصيروان إليها، قوله: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ يعنى فى جهنم اختطفتهم الخزنة بالكلاليب ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ يعنى مثل نهيق الحمار ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [آية: ٧] يعنى تغلى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تفرق جهنم عليهم ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار تأخذهم.

ثم قال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ يعنى زمرة اختطفتهم الخزنة بالكلاليب، يعنى مشركى العرب واليهود والنصارى والمجوس، وغيرهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ خزان جهنم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [آية: ٨] يعنى رسول وهو محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟﴾ للخزنة: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ بالنذير يعنى النبى ﷺ ﴿وَقُلْنَا﴾ للنبى ﷺ: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ يعنى ما أرسل الله من أحد يعنى من نبى، وقالوا للرسول، محمد ﷺ، ما بعث الله من رسوله ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ يعنى إلا فى شقاق ﴿كَبِيرٍ﴾ [آية: ٩].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ المواعظ ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ١٠] يقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ يعنى بتكذيبهم الرسل ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [١١] يعنى الوقود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ

ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين، وما أعد لهم فى الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يروه، فأمنوا ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ١٢] يعنى جزاء كبيرًا فى الجنة ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ فى النبى ﷺ فى القلوب ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ يعنى أو تكلموا به علانية، يعنى به كفار مكة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١٣] يعنى بما فى القلوب.

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ يقول: أنا خلقت السر فى القلوب، ألا أكون عالمًا بما أخلق من السر فى القلوب ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١٤] يعنى لطف علمه بما فى القلوب، خبير بما فيها من السر والوسوسة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ يقول: أثبتها بالجبال لئلا تزول بأهلها ﴿فَٱمْشُواْ﴾ يعنى فمروا ﴿فِى مَنَاكِبِهَا﴾ يعنى فى نواحيها وجوانبها آمنين كيف شئتم ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ الحلال ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [آية: ١٥] يقول: إلى الله تبعثون من قبوركم أحياء بعد الموت.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ عقوبة ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى الرب تبارك وتعالى، نفسه لأنه فى السماء العليا ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [آية: ١٦] يعنى فإذا هى تدوربكم إلى الأرض السفلى، مثل قوله: ﴿**يوم تمور السماء مورا**﴾ [الطور: ٩].

ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم﴾ عقوبة ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى الرب عز وجل ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يعنى الحجارة من السماء كما فعل بمن كان قبلكم من كفار العرب الخالية قوم لوط وغيره ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يا أهل مكة عند نزول العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [آية: ١٧] يقول: كيف عذابى.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ
صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ
جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ
إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن
يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية رسلهم فعذبناهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ١٨] يعنى تغييرى وإنكارى ألم يجدوا العذاب حقًا، يخوف كفار مكة، ثم وعظهم ليعتبروا فى صنع الله فيوحدونه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ يعنى الأجنحة ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ الأجنحة حين يردن أن يعن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند القبض والبسط ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ﴾ من خلقه ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ١٩].

ثم خوفهم، فقال: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ﴾ يعنى حزب ﴿لَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، يعنى فهابوه ﴿يَنصُرُكُم﴾ يقول: يمنعكم ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿إِنِ﴾ يعنى ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: فى باطل، الذى ليس بشىء، ثم قال يخوفهم ليعتبروا: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ من المطر من الآلهة غيرى ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ عنكم فهاتوا المطر يقول الله تعالى: أنا الرزاق، قال: ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ يعنى تمادوا فى الكفر ﴿وَنُفُورٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى تباعد من الإيمان قوله: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ يعنى الكافر يمشى ضالاً فى الكفر أعمى القلب، يعنى أبا جهل بن هشام، ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ يعنى النبى ﷺ مؤمنًا مهتديًا، نقى القلب ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى طريق الإسلام.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾
قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ يعنى خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعنى القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٢٣] يعنى بالقليل، أنهم قوم لا يعلقون، فيشكروا رب هذه النعم البينة فى حسن خلقهم، فيوحدنه ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى خلقكم فى الأرض ﴿وَإِلَيْهِ﴾ يعنى إلى الله ﴿تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يقول: متى هذا الذى توعدنا به، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٥] بأن العذاب نازل بنا فى الدنيا، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ يعنى علم نزول العذاب بكم ببدر ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وليس بيدى ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢٦]. قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يعنى النار والعذاب فى الآخرة قريبًا ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى سيء لذلك وجوهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم، يعنى قالت لهم الخزنة: ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى تمترون فى الدنيا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة يا محمد: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ يقول: إن عذبنى الله ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا، وأنعم علينا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: فمن يؤمنكم أنتم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٨] يعنى وجيع ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذى يفعل ذلك ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يقول: صدقنا بتوحيده إن شاء أهلكنا أو عذبنا ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يعنى بالله وثقنا حين قالوا للنبى ﷺ: ﴿**إن أنتم إلا فى ضلال مبين**﴾، فرد النبى ﷺ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٩] يعنى باطل ليس بشيء أنحن أم أنتم، نظيرها فى طه [الآية: ١٣٥].

ثم قال لأهل مكة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يعنى ماء زمزم وغيره ﴿غَوْرًا﴾ يعنى غار فى الأرض، فذهب فلم تقدروا عليه ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [آية: ٣٠] يعنى ظاهرًا تناله الدلاء.

* * *

سُورَةُ القَلَمِ

سورة ن، مكية عددها اثنتان وخمسون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾

قوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ يعنى بنون الحوت وهو بحر تحت الأرض السفلى والقلم قلم من نور يكتب به كما بين السماء والأرض كتب به اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [آية: ١] يقول: وما تكتب الملائكة من أعمال بنى آدم، وذلك حين قال كفار مكة، أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وغيرهم: إن محمدًا مجنون، فأقسم الله تعال بالحوت والقلم وما يسطرون الملائكة من أعمال بنى آدم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾

فقال: ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعنى برحمة ربك ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٣] يقول: غير منقوص لا يمن به عليك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٤] يعنى دين الإسلام ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [آية: ٦] يعنى سترى يا محمد ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببدر بأيكم المفتون يعنى المجنون فهذا وعيد، العذاب ببدر، القتل وضرب الملائكة الوجوه والأدبار.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الهدى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٧] من غيره قوله ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٨] حين دعى إلى دين آبائه وملتهم، نظيرها فى سورة الفرقان [الآية: ٥٢]، نزلت هذه الآية فى بنى المغيرة بن عبد الله بن

عمرو بن مخزوم، منهم الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وعبد الله بن أبى أمية، وعبد الله بن مخزوم، وعثمان، ونوفل ابنى عبد الله بن المغيرة، والعاص، وقيس، وعبد شمس، وبنى الوليد سبعة: الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، بنو الوليد بن المغيرة، ﴿وَدُّواْ﴾ حين دعى إلى دين آبائه ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [آية: ٩] يقول: ودوا لو تكفر يا محمد، فيكفرون فلا يؤمنون ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ١٠] يعنى الوليد بن المغيرة المخزومى، يقول: كان تاجرًا ضعيف القلب، وذلك أنه كان عرض على النبى ﷺ المال على أن يرجع عن دينه، وذلك قوله تعالى: ﴿**ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا**﴾ [الإنسان: ٢٤]، يعنى الوليد وعتبة ﴿هَمَّازٍ﴾ يعنى معتاب ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [آية: ١١] كان يمشى بالنميمة ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يعنى الإسلام منع ابن أخيه وأهله الإسلام ﴿مُعْتَدٍ﴾ يعنى فى الغشم والظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ [آية: ١٢] يعنى أثيم بربه لغشمه وظلمه. نظيرها فى ﴿**ويل للمطففين**﴾ [المطففين: ١].

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: مع ذلك النعت ﴿زَنِيمٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى بالعتل رحيب الجوف موثق الحلق، أكول شروب غشوم ظلوم، ومعنى ﴿زَنِيمٍ﴾ أنه كان فى أصل أذنه مثل زنمة الشاة مثل الزنمة التى تكون معلقة فى لحى الشاة زيادة فى خلقه ﴿أَن كَانَ﴾ يعنى إذا كان ﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ١٤] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعنى الوليد ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٥] يقول: أحاديث الأولين وكذبهم وهو حديث رستم واسفندباز يقول الله عز وجل: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالسواد ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [آية: ١٦] يعنى على الأنف، وهو الوليد، وذلك أنه يسود وجهه وتزوق عيناه ويصير منكوس الوجه مغلولاً فى الحديد قبل دخول النار.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

ثم رجع فى التقديم، فقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يقول: إنا ابتليناهم يعنى أهل مكة بالجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ يقول: كما ابتلينا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ بالجوع حين هلكت جنتهم، كان فيها نخل وزرع وأعناب، ورثوها عن آبائهم، واسم الجنة الصريم، وهذا مثل ضربه الله تعالى لأهل مكة ليعتبروا عن دينهم، وكانت جنتهم دون صنعاء اليمن بفرسخين، وكانوا مسلمين، وهذا بعد عيسى ابن مريم، عليه السلام، وكان آباؤهم صالحين، يجعلون للمساكين من الثمار والزرع والنخل ما أخطأ الرجل، فلم يره حين يصرمه، وما أخطأ المنجل، وما ذرته الريح، وما بقى فى الأرض من الطعام حين يرفع، وكان هذا شيئًا كثيرًا، فقال القوم: كثرت العيال، وهذا طعام كثير، أغدوا سراجنتكم فاصرموها، ولا تؤذنوا المساكين، كان آباؤهم يخبرون المساكين فيجتمعون عند صرام جنتهم، وعند الحصاد.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ١٧] ليصرمنها إذا أصبحوا ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [آية: ١٨] فيقولون: إن شاء الله، فسمع الله تعالى قولهم فبعث نارًا من السماء فى الليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت سوداء، فذلك قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ يعنى على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ يعنى عذاب ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ يا محمد ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [آية: ١٩] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [آية: ٢٠] أصبحت يعنى الجنة سوداء مثل الليل ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ٢١] يقول: لما أصبحوا قال بعضهم لبعض: ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [آية: ٢٢] الجنة، يقول: الحرث والثمار والزرع، ولا يعلمون أنها احترقت ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [آية: ٢٣] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [آية: ٢٥] على حدة فى أنفسهم قادرين على جنتهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ ليس فيها شىء ظنوا أنهم أخطأوا الطريق ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [آية: ٢٦] عنها. ثم أنهم عرفوا الأعلام فعلموا أنهم عقوبة. فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ يعنى ولكن نحن ﴿مَحْرُومُونَ﴾ [آية: ٢٧] يقول: حرمنا خير هذه الجنة.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يعنى أعدلهم قولاً، نظيرها فى سورة البقرة: ﴿**أمة وسطاً**﴾ يعنى عدلاً ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [آية: ٢٨] فتقولون: إن شاء الله تعالى ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ

إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: يلوم بعضهم بعضًا فى متع حقوق المساكين ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لقد طغينا فى نعمة الله تعالى، قالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ يعنى خيرًا من جنتنا التى هلكت ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [آية: ٣٢] فى الدعاء إليه يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ هلاك جنتهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يعنى أعظم مما أصابهم إن لم يتوبوا فى الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٣].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ولما أنزل الله تعالى، هذه الآية ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٣٤] قال كفار مكة للمسلمين: إنا نعطى فى الآخرة من الخير أفضل مما تعطون يقول الله عز جل: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فى الآخرة ﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٥] فى الخير يقول عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى تقضون إن هذا الحكم لجور أن تعطوا من الخير فى الآخرة ما يعطى للمسلمين ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يعنى يا أهل مكة ﴿كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى تقرأون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ أن تعطوا هذا الذى قلتم بأن لكم فى الآخرة: ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [آية: ٣٨] قل لهم: يا محمد، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ يعنى ألكم عهود علينا ﴿بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: حلفنا لكم على يمين فهى لكم علينا بالغة لا تنقطع إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٣٩] يعنى ما تقضون لأنفسكم فى الآخرة من الخير ﴿سَلْهُمْ﴾ يا محمد، ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] يقول: أيهم بذلك كفيل بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين من الخير ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ يعنى شهداء من غيرهم بالذى يقولون: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ يعنى بشدائهم فيشهدوا لهم بالذى يقولون ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤١] بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين من الخير.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى قوله: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ يعنى عن شدة الآخرة ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٤٢] وذلك أنه تجمد أصلاب الكفار فتكون كالصياصى عظمًا واحدًا مثل صياصى البقر لأنهم لم يسجدوا فى الدنيا ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ عند معاينة النار ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يعنى تغشاهم مذلة ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ يعنى يؤمرون بالصلاة الخمس ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول: كانوا معافون فى الدنيا فتصير أصلابهم مثل سفافيد الحديد.

قال مقاتل: قال ابن مسعود فى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى فيضئ نور ساقه الأرض، فذلك قوله: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ يعنى نور ساقه اليمين هذا قول عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه.

قال مقاتل: وقال ابن عباس، رضى الله عنه، فى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى عند شدة الآخرة، كقوله: قامت الحرب على ساق، قال: يكشف عن غطاء الآخرة وأهوالها.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله: ﴿فَذَرْنِي﴾ هذا تهديد ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يقول: خل بينى وبين من يكذب بهذا القرآن، فأنا أنفرد بهلاكهم ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٤] سنأخذهم بالعذاب من حيث يجهلون ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ يقول: لا أعجل عليهم بالعذاب ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [آية: ٤٥] يقول: إم أخذى بالعذاب شديد نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش قتلهم الله تعالى فى ليلة واحدة.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ يعنى خراجًا على الإيمان ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [آية: ٤٦] يقول: أثقلهم الغرم فلا يستطيعون الإكثار من اجل الغرم ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ يقول:

أعندهم علم ﴿ٱلۡغَيۡبُ﴾ بأن الله لا يبعثهم وأن الذى يقول محمد غير كائن، أم عندهم بذلك كتاب ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [آية: ٤٧] ما شاءوا، ثم قال النبى ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على الأذى ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ يعنى لقضاء ربك الذى هو آت عليك ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ يعنى يونس بن متى من أهل نينوى، عليه السلام، يقول لا تضجر كما ضجر يونس فإنه لم يصبر، يقول: لا تعجل كما عجل يونس، ولا تغاضب كما غاضب يونس بن متى فتعاقب كما عوقب يونس ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ ربه فى بطن الحوت وكان نداؤه فى سورة الأنبياء: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾ [الآية: ٨٧].

ثم قال: ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٌ﴾ [آية: ٤٨] يعنى مكروب فى بطن الحوت يعنى السمكة ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٌ﴾ [آية: ٤٩] ولكن تداركه نعمة يعنى رحمة من ربه فنبذناه بالعراء وهو سقيم والعسراء البراز يعنى لألقى بالبراز وهو مذموم.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَإِن يَكَادُ﴾ يقول: قد كاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى المستهزئين من قريش ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ يعنى يبعدونك ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ يقول: حين سمعوا القرآن كراهية له ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ﴾ إن محمد ﴿لَمَجۡنُونٌ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعنى أن هو ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى ما القرآن إلا تذكرة للعالمين.

* * *

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكية عددها اثنتان وخمسون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [آية: ٢] ثم بين ما الحاقة يعنى الساعة التى فيها حقائق الأعمال، يقول يحق للمؤمنين عملهم، ويحق للكافرين عملهم، ثم قال النبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [آية: ٣] تعظيمًا لها لشدتها، ثم قال: هى القارعة، والساعة التى ﴿كَذَّبَتْ﴾ بها ﴿ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [آية: ٤] نظيرها فى سورة القارعة، وإنما سميت القارعة لأن الله عز وجل يقرع أعداءه بالعذاب.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾

ثم أخبر الله تعالى عن عاد وثمود، فقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [آية: ٥] يقول: عذبوا بطغيانهم، والطغيان حملهم على تكذيب صالح النبى ﷺ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟﴾ يعنى عذبوا ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ يعنى باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [آية: ٦] شديدة عتت على خزانها بغير رأفة ولا رحمة ﴿سَخَّرَهَا﴾ يعنى سلطها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الرب تبارك وتعالى ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ فهى كاملة دائمة لا تفتر عنهم فيهن، يعذبهم بالريح كل يوم حتى أفنت أرواحهم يوم الثامن ﴿فَتَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ يعنى فى ذلك الأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ يعنى موتى، يعنى أمواتًا، وكان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعًا.

ثم شبههم بالنخل، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ فذكر النخل لطولهم ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [آية: ٧] يعنى أصول نخل بالية التى ليست لها رءوس، وبقيت أصولها وذهبت أعناقها ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [آية: ٨] يقول: لم تبق منهم أحدًا ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يعنى ومن معه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ يعنى والمكذبات ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [آية: ٩] يعنى قريات لوط الأربعة، واسمها سدوم وعامورا وصابورا ودامورا، ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعنى لوطًا ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾ الله ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [آية: ١٠] يعنى شديدة ربت عليهم فى الشدة أشد من معاصيهم التى عملوها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ وارتفع فوق كل شىء أربعين ذراعًا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [آية: ١١]، يعنى السفينة يقول: حملنا الآباء وأنتم فى أصلابهم فى السفينة ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ يعنى لكى نجعلها لكم، يعنى فى هلاك قوم نوح لكم يا معشر الأبناء ﴿تَذْكِرَةً﴾ يعنى عظة وتذكرة، يعنى وعبرة لكم ولمن بعدكم من الناس ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [آية: ١٢] يعنى حافظة لما سمعت فانتفعت بما سمعت من الموعظة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [آية: ١٣] لا تثنى يعنى نفخة الآخرة. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ يقول: حمل ما على الأرض من ماء، أو شجر أو شىء ﴿وَ﴾ حملت ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ من أماكنها فضربت على الأرض ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [آية: ١٤] يعنى فكسرتا كسرة واحدة، فاستوت بما عليها مثل الأديم الممدود ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [آية: ١٥] وقعت الصيحة الآخرة، يعنى النفخة الآخرة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [آية: ١٦]، ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يقول: انفجرت السماء لنزول الرب تبارك وتعالى وما فيها من الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ يعنى نواحيها وأطرافها وهى السماء الدنيا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ على رؤسهم ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [آية: ١٧] أجزاء من الكروبين لا يعلم كثرتهم أحد إلا الله عز وجل ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله فيحاسبكم بأعمالكم ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: لا يخفى الصالح منكم، ولا الطالح إذا عرضتم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ يقول: يعطيه ملكه الذى كان يكتب عمله فى صحيفة بيضاء منشورة، نزلت هذه الآية فى أبى سلمة بن عبد الأسود المخزومى، وكان اسم أم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ يعنى هاكم ﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [آية: ١٩].

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [آية: ٢٠] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [آية: ٢١] يقول: فى عيش يرضاه فى الجنة فهو ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى رفيعة فى الغرف ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ثمرتها قريبة بعضها من بعض يأخذ منها إن شاء جالسًا، وإن شاء متكئًا ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بما عملتم ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ يقول: يعطيه ملكه الذى كان يكتب عمله فى الدنيا نزلت هذه الآية فى الأسود بن عبد الأسود المخزومى قتله حمزة بن عبد المطلب على الحوض ببدر ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي﴾ فيتمنى فى الآخرة ﴿لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [آية: ٢٥] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [آية: ٢٦] ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [آية: ٢٧] فيتمنى الموت ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [آية: ٢٨] من النار ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [آية: ٢٩] يقول: ضلت عنى يومئذ حجتى شهدت عليه الجوارح بالشرك، يقول الله لخزنة جهنم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [آية: ٣٠] يعنى غلوا يديه إلى عنقه ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [آية: ٣١] يعنى الباب السادس من جهنم فصلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بالذراع الأول ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ [آية: ٣٢] فأدخلوه فيه. قال: قال النبى ﷺ: «كل ذراع منها بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول، ولو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بابن آدم وهى عليك وحدك». ا.هـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يعنى لا يصدق بالله ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٣٣] بأنه واحد لا شريك له ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [آية: ٣٤] يقول: كان لا

يطعم المسكين فى الدنيا، وفى قوله، فى قولة ابن مسعود ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [آية: ٣٥] يعنى قريب يشفع له ﴿وَلَا﴾ وليس له ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [آية: ٣٦] يعنى الذى يسيل من القيح والدم من أهل النار، يعنى فليس له شراب إلا من حميم من عين من أصل الجحيم ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى المجرمين.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣٨] من الخلق ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣٩] من الخلق، وذلك أن الوليد بن المغيرة، قال: إن محمدًا ساحر، فقال أبو جهل بن هشام: بل هو مجنون، فقال عقبة بن أبى معيط: بل هو شاعر، وقال النضر: كاهن، وقال أبى: كذب، فبرأه الله من قولهم فأقسم الله تعالى بالخلق ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٤٠] على الله يعنى جبريل، عليه السلام، عن قول الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لقول: عتبة، وقول أبى جهل ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤١] يعنى قليلا ما تصدقون بالقرآن، يعنى بالقليل أنهم لا يؤمنون.

ثم قال: ﴿وَلَا﴾ هو يعنى القرآن ﴿بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٢] فتعتبرون.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

فأكذبهم الله فقال: بل القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٣] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ محمد شيئًا منه ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى من تلقاء نفسه ما لم نقل ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٤٥] يقول: لانتقمنا منه بالحق كقوله: ﴿**تأتوننا عن اليمين**﴾ [الصافات: ٢٨] يعنى من قبل الحق بأنكم على الحق ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى عرق يكون فى القلب وهو نياط القلب، وإذا انقطع مات صاحبه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [آية: ٤٧] ليس أحد منكم يحجز الرب عز وجل عن ذلك ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن هذا القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٨] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ يا اهل مكة ﴿أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٩] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٠] يوم القيامة ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن

هذا القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٥١] أنه من الله تعالى ﴿فَسَبِّحْ﴾ يا محمد، يعنى التوحيد ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [آية: ٥٢] يقول: اذكر اسم ربك، يعنى التوحيد، ثم قال: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ يعنى الرب العظيم فلا أكبر منه.

* * *

سُورَةُ المعَارج

مكية عددها أربع وأربعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [آية: ١] نزلت فى النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة القرشى من بنى عبد الدار بن قصى، وذلك أنه قالك اللهم إن مان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فقتل يوم بدر، فقال الله عز وجل: هذا العذاب الذى سأل النضر بن الحارث فى الدنيا هو ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ فى الآخرة ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [آية: ٢] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا يدفع عنهم أحد حين يقع بهم العذاب.

ثم عظم الرب تبارك وتعالى نفسه فقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [آية: ٣] يعنى ذا الدرجات يعنى السموات والعرش فوقهم والله تعالى على العرش، كقوله: ﴿**ومعارج عليها يظهرون**﴾ [الزخرف: ٣٤] ﴿تَعۡرُجُ﴾ يعنى تصعد ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من سماء إلى سماء العرش ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿إِلَيۡهِ﴾ فى الدنيا برزق السموات السبع، ثم أخبر الله عز وجل عن ذلك العذاب متى يقع بها فقال: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [آية: ٤] فيها تقديم، وطول ذلك اليوم كأدنى صلاتهم، يقول: لوولى حساب الخلائق وعرضهم غيرى لم يفرغ منه إلا فى مقدرار خمسين ألف سنة فإذا أخذ الله تعالى فى عرضهم يفرغ الله منه على مقدار نصف يوم من أيام الدنيا فلا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار، وهذه الآية نزلت فيهم: ﴿**أصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾ [الفرقان: ٢٤]، يقول: ليس مقبلهم كمقبل أهل النار ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [آية: ٥] يعزى نبيه

ﷺ صبرًا لا جزع فيه تكذبهم إياك بأن العذاب غير كائن.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ يعنى كفار مكة ﴿بَعِيدًا﴾ [آية: ٦] يعنى العذاب أنه غير كائن ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [آية: ٧] أنه كائن.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

ثم أخبر متى يقع بهم العذاب؟ فقال: يقع بهم العذاب ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [آية: ٨] من الخوف، يعنى أسود غليظًا كدردى الزيت بعد الشدة والقوة ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [آية: ٩] فشبهها فى اللين والوهن بالصوف المنفوش بعد القوة وذلك أوهن ما يكون من الصوف ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [آية: ١٠] يعنى قريب قريبًا، يقول: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقول: يعرفونهم ولا يكلمونهم، وذلك قوله: فهم لا يتساءلون ﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ [القلم: ٤٣] خافضة أبصارهم ذليلة عند معاينة النار ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يعنى الكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ يوم القيامة ﴿بِبَنِيهِ﴾ [آية: ١١] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يعنى امرأته ﴿وَأَخِيهِ﴾ [آية: ١٢] ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [آية: ١٣] يعنى رهطه وفخذه الأدنى الذى يساوى إليهم ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من شىء ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [آية: ١٤] يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه ذلك لو افتدى بهذا كله، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [آية: ١٥] يعنى بلظى استطالتها وقدرتها عليهم يعنى النار ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [آية: ١٦] يقول: تنزع النار الهامة، والأطراف فلا تبقى ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ﴾ يعنى تدعو النار يوم القيامة، تقول: إلى أهلى فهذا دعاؤها لمن أدبر عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ١٧] يقول وأعرض عنه إلى الكفر قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [آية: ١٨] يعنى فأكثر من المال وأمسك فلم يؤد حق الله فيه.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ

هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [آية: ١٩] يعنى ضجرًا فهو أمية بن خلف الجمحى، ثم نعته فقال: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يقول: إذا أصابه ﴿جَزُوعًا﴾ [آية: ٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ يعنى المال ﴿مَنُوعًا﴾ [آية: ٢١] فمنع وبخل بحق الله تعالى، ثم استأنف فقال: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [آية: ٢٢] فليسوا كذلك، ثم نعتهم الله تعالى فقال ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ يعنى الصلوات الخمس ﴿دَائِمُونَ﴾ [آية: ٢٣] بالليل والنهار لا يدعونها ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ٢٤] يعنى مفروض ﴿لِّلسَّائِلِ﴾ يعنى المسكين ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى الفقير الذى لا سهم له فى الخمس ولا الفىء ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى به الحساب يأنه كائن ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى وجلين أن يصيبهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [آية: ٢٨] يقول: لا يأمنون للعذاب من الشفقة والخوف ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [آية: ٢٩] عن الفواحش، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعنى به الولائد ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [آية: ٣٠] يعنى لا يلامون على الحلال ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ بعد أزواجه وولائده مالا يحل له وهو الزنا ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [آية: ٣١] يعنى المعتدين فى دينهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد، ثم قال: ﴿رَاعُونَ﴾ ويتعاهدونه كما يرعى الراعى الشفيق غنمه عن مواقع الهلكه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى يقومون بها بالحق لا يمنعونها ولا يكتمونها إذا دعوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ الخمس ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [آية: ٣٤] عليها فى مواقيتها ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين هذه أعمالهم ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى يكرمون فيها.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ يعنى مقبلين، نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش، والمطعمين فى غزوة بدر مقبلين، ينظرون عن يمين النبى ﷺ [آية: ٣٦] ﴿عَنِ

﴿ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى حلقًا حلقًا جلوسًا لا يدنون من النبى ﷺ فينتفعون بمجلسه.

ثم قال: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ يعنى قريشًا ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [آية: ٣٨] كل واحد منهم يقول: إن لى فى الجنة حقًا، يقول: ذلك استهزاء، يقول: أعطى منها ما يعطى المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلها، ثم استأنف فقال: لما كذبوا بالغيب ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩] خلقوا من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ يقول أقسم ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ وهو مائة وثمانون مشرقًا، ومائة وثمانون مغربًا فيها، فأقسم الله تعالى بالمشارق والمغارب، فقال: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [آية: ٤٠] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى على أن نأتى بخلق أمثل منهم، وأطوع لله منهم، وأرضى منهم، ثم قال ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [آية: ٤١] يعنى وما نحن بمعجزين إن أرد ذلك.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ خل عنهم يا محمد ﴿يَخُوضُوا۟﴾ فى الباطل ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ يعنى ويلهوا فى دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٤٢] العذاب، ثم أخبر عن ذلك اليوم الذى يعذب فيه كفار مكة فقال تبارك اسمه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعنى القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى الصوت ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول كأنهم إلى علم يسعون إليه قد نصب لهم ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعنى خافضة أبصارهم ذليلة عند معاينة النار ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يعنى تغشاهم مذلة، يقول: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من أمر القيامة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٤٤] فيه فى الدنيا العذاب، وذلك أن الله أوعدهم فى الدنيا على ألسنة الرسل أن العذاب كائن لما كذب كفار مكة النبى ﷺ، فقال الله عز وجل: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعنى قريشًا يعنى فخل عنهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون العذاب فيه.

* * *

سورة نوح

مكية عددها ثمان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ ونوح بالسريانية الساكن الذى سكنت إليه الأرض، وهو نوح بن لمك ﷺ ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ العذاب ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١] يعنى وجيعًا فى الدنيا وهو الغرق فـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ من العذاب ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢] يعنى بين ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يقول: أن وحدوا الله ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أن تشركوا به شيئًا ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ٣] فما آمركم به من النصيحة بأنه ليس له شريك، فإذا فعلتم ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ والمن هاهنا صلة، يقول: يغفر لكم ذنوبكم ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعنى إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم بالسنين ولا بغيره ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فى العذاب فى الدنيا وهو الغرق ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] ولكنكم لا تعلمون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [آية: ٥] ليسمعوا دعائى ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا

﴿فِرَارًا﴾ [آية: ٦] يعنى تباعدًا من الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان، يعنى إلى الاستغفار ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ لئلا يسمعوا دعائى ﴿وَأَصَرُّوا﴾ وأقاموا على الكذب ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ يعنى وتكبروا عن الإيمان ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ [آية: ٧] يعنى وتكبرًا ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [آية: ٨] يعنى مجاهرة وعلانية ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ يعنى صحت إليهم علانية ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ فى بيوتهم ﴿إِسْرَارًا﴾ [آية: ٩].

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [آية: ١٠] للذنوب ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [آية: ١١] يعنى المطر عليكم يجئ به متتابعًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ وذلك أن قوم نوح كذبوا نوحًا زمانا طويلا، ثم حبس الله عليهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت جناتهم ومواشيهم، فصاحوا إلى نوح فقال لهم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ للذنوب، كان ولم يزل غفارًا للذنوب ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى المطر يجئ به ﴿مِدْرَارًا﴾ يعنى متتابعًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [آية: ١٢] فدعاهم نوح إلى توحيد الله تعالى، قال: إنكم إذا وحدتم تصيبون الدنيا والآخرة جميعًا، ثم قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [آية: ١٣] يقول: ما لكم لا تخشون لله عظمة، وقال ما لكم لا تخافون يعنى تفرقون لله عظمة فى التوحيد، فتوحيدونه فإنه لم توحدوه لم تعظموه.

ثم قال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [آية: ١٤] يعنى من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم لحما، ثم عظمًا، وهى الأطوار.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم وعظهم ليعتبروا فى صنعه، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [آية: ١٥] بعضها فوق بعض ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وعظمها مسيرة خمسمائة عام ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يعنى معهن نورًا يعنى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والأرض فجعلهن نورًا لأهل الأرض فجعل القمر نوره بالليل ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [آية: ١٦] مضيئة بالنهار لأهل الأرض فينتشرون فيه ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [آية: ١٧] أول خلقكم من تراب الأرض، نباتا يعنى خلقًا ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾

فِيهَا﴾ إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها عند النفخة الآخرة ﴿إِخْرَاجًا﴾ [آية: ١٨] أحياء وإليه ترجعون ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [آية: ١٩] مسيرة خمسمائة سنة من تحت الكعبة ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى طرقًا فجاجًا بي الجبال والرمال.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [آية: ٢١] يقول: إن قوى وفقراءهم اتبعوا كبراءهم وأشرافهم لكثرة أموالهم وأولادهم فسلم يزدهم كثرة المال والولد إلا خسارة ﴿وَمَكَرُواْ﴾ مكر الكبراء والقادة ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [آية: ٢٢] يقول قالوا قولا عظيمًا ﴿وَقَالُواْ﴾ وقولهم العظيم أنهم قالوا للضعفاء: ﴿لَا تَذَرُنَّ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا﴾ تذرن عبادة ﴿يَغُوثَ وَ﴾ لاتذرن عبادة ﴿وَيَعُوقَ وَ﴾ لا تذرن عبادة ﴿وَنَسْرًا﴾ [آية: ٢٣] فهذه أسماء الآلهة ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى إلا خسارًا ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ يعنى فبخطيئاتهم وكفرهم أغرقوا فى الماء ﴿فَأُدْخِلُواْ﴾ فى الآخرة ﴿نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى فلم يجدوا لهم مانعًا يمنعهم من الغرق ودخول النار فى الآخرة.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى أحدًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى ﴿**وأوحى إلى نوح**﴾ عليه السلام ﴿**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ [هود: ٣٦] وذلك أن الله تعالى كان أخرج كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، فلما أخبر بذلك دعا عليهم، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ على الحال التى أخبرت عنهم، أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [آية: ٢٧] وكان الرجل منهم ينطلق بولده إلى نوح،

عليه السلام، فيقول لولده: احذر هذا فإنه كذاب وإن والدى قد حذرنيه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه، فذلك قوله: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فعم الدعاء بعد دعائه على الكفار، فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكان مسلمين وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ، واسم أمه هيجل بنت لا موش بن متشلوخ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [آية: ٢٨] يعنى العذاب مثل قوله: ﴿**وكلا تبرنا تتبيرًا**﴾ [الفرقان: ٣٩] يعنى دمرنا تدميرًا فأغرقهم الله تعالى وحمل معه فى السفينة ثمانين نفسًا أربعين رجلا وأربعين امرأة، وفيهم ثلاثة أولاد لنوح منهم سام، وحام، ويافث، فولد سام العرب، وأهل السود، وأهل فارس،وأهل الأهواز، وأهل الحيرة، وأهل الموصل، وأهل العال، وولد حام السودان كلها، والقبط، والأندلس، وبربر، والسند، والهند وولد يافث الترك، والروم، ويأجوج، ومأجوج، والصين وأهل خراسان إلى حلوان.

وأما أسماء الآلهة فأما ود: فلكب بدومة الجندل، وأما سواع: فلهذيل بساحل البحر، وأما يغوث: فلبنى غطيف وهم حى من مراد، وأما يعوق: فلهمذان، وأما نسر: فلحمير لذى كلاع من حمير، فكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح حتى عبدتها العرب بعد ذلك، وأما اللات: فلثقيف، وأما العزى: فلسليم وغطفان وغشم ونصر بن معوبة وسعد بن بكر، وأما مناة: فكانت لقديد منزل بين مكة والمدينة، وأما يساف ونائلة وهبل: فلأهل مكة، فكان يساف حيال الحجر الأسود، ونائلة حيال الركن اليمانى، وهبل فى جوف الكعبة وكان طوله ثمانية عشر ذراعًا.

* * *

سُورَةُ الجِنِّ

مكية عددها ثمان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أن السماء لم تكن تحرس فى الفترة ما بين عيسى إلى محمد ﷺ فلما بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ حرست السماء، ورميت الشياطين بالشهب، فقال: إبليس لقد حدث فى الأرض حدثًا فاجتمعت الشياطين، فقال لهم إبليس: ائتونى بما حدث فى الأرض من خبر، قالوا: نبى بعث فى أرض تهامة.

وكان فى أول ما بعث تسعة نفر جاءوا من اليمن، ركب من الجت، ثم من أهل نصيبين من أشراف الجن وساداتهم إلى أرض تهامة فساروا حتى بلغوا بطن نخلة ليلا فوجدوا النبى ﷺ قائمًا يصلى مع نفر من أصحابه وهو يقرأ القرآن فى صلاة الفجر ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ فذلك قول الجن يعنى أولئك التسعة النفر يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يعنى عزيزًا لا يوجد مثله [آية: ١].

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يقول: يدعو إلى الهدى ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن أنه من الله تعالى ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِهِۦ﴾ عبادة ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [آية: ٢] من خلقه ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ارتفع ذكره وعظمته ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾ يعنى امرأة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ [آية: ٣] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ يعنى جاهلنا يعنى كفارهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [آية: ٤] يعنى جورا بأن مع اله شريكًا، كقوله عز وجل فى ص: ﴿**ولا تشطط واهدنا**﴾ [الآية: ٢٢] يقول: لا تجر فى الحكم ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ يعنى حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [آية: ٥] بأن معه شريكًا ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ من دون الله عز وجل، فأول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بنى حنيفة، ثم فشا ذلك فى سائر العرب،

وذلك أن الرجل كان يسافر فى الجاهلية فإذا أدركه المساء فى الأرض القفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت آمنا فى جوارهم حتى يصبح، يقول: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [آية: ٦] يقول: إن افنس زادت الجن رهقًا يعنى غيا لتعوذهم بهم، فزادوا الجن فخرًا فى قومهم ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يعنى حسب كفار الإنس الذين تعوذوا برجال من الجن فى الجاهلية كما حسبتم يا معشر كفار الجن ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [آية: ٧] يعنى رسولا بعد عيسى بن مريم.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾

وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾ [آية: ٨] من الكواكب فهى تجرح وتخيل ولا تقتل ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ يعنى من السماء قبل أن يبعث محمد ﷺ وتحرس السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ إلى السماء إذ بعث محمد ﷺ ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا﴾ يعنى رسيا من الكواكب و ﴿رَّصَدًا﴾ [آية: ٩] من الملائكة، وقالت الجن مؤمنوهم ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسال محمد ﷺ فيكذبونه فيهلكم ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [آية: ١٠] يقول: أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى دون المسلمين كافرين، فلذلك قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [آية: ١١] يقول: أهل ملل شتى، مؤمنين وكافرين ويهود ونصارى ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ يقول: علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى أن لن نسبق الله فى الأرض فنفوته ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ﴾ يعنى ولن نسبقه ﴿هَرَبًا﴾ [آية: ١٢] فنفوته.

ثم قال: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعنى القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ يقول: صدقنا به أنه من الله تعالى ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ﴾ فمن يصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فى الآخرة ﴿بَخْسًا﴾ يقول: لن ينقص من حسناته شيئًا، ثم قال: ﴿وَلَا﴾ يخاف ﴿رَهَقًا﴾ [آية: ١٣] يقول: لا يخاف أن يظلم حسناته كلها حتى يجازى بعمله السيء كله، مثل

قوله تعالى: ﴿**فَلا يَخَافُ ظُلْماً**﴾ [طه: ١١٢] أن ينقص من حسناته كلها، ولا هضما أن يظلم من حسناته ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يعنى المخلصين، هذا قول التسعة ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ يعنى العادلين بالله وهم المردة ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ يقول: فمن أخلص لله عز وجل من كفار الجن ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [آية: ١٤] يعنى أخلصوا بالرشد.

﴿**وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾**﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ يعنى العادلين بالله ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [آية: ١٥] يعنى وقودًا فهذا كله قول مؤمنى الجن التسعة، ثم رجع فى التقديم إلى كفار مكة فقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعنى طريقة الهدى ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [آية: ١٦] يعنى كثيرًا من السماء، وهو المطر، بعد ما كان رفع عنهم المطر سبع سنين، فيكثر خيرهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول لكى نبتليهم فيه بالخطب، والخير، كقوله فى سورة الأعراف: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنو**﴾ يقول: صدقوا ﴿**واتقوا لفتحنا عليهم بركات السماء**﴾ [الآية: ٩٦] يعنى المطر والأرض، يعنى به النبات.

ثم قال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [آية: ١٧] يعنى شدة العذاب الذى لا راحة له فيه ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعنى الكنائس والبيع والمساجد لله ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [آية: ١٨] وذلك أن اليهود والنصارى يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنائس، فأمر الله المؤمنين أن يوحدوه.

ثم رجع إلى مؤمنى الجن التسعة فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعنى يعبده فى بطن نخلة بين مكة والطائف، ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [آية: ١٩] يقول: كادوا أن يرتكبوه حرصًا على حفظ ما سمعوا من القرآن، تعجبًا، وهم الجن التسعة، ثم انقطع الكلام، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ بمكة: إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط، وقد عاديت الناس كلهم، فأرجع عن هذا الأمر فنحن نجيرك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٠] معه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [آية: ٢١] يقول: لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرًا ولا أسوق إليكم رشدًا، والله يملك ذلك كله ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمنعنى من الله ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾

[آية: ٢٢] يعنى ملجًا ولا حرزًا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فذلك الذى يجيرنى من عذابه، التبليغ لاستعجالهم بالعذاب، فقال النبى ﷺ: «إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدا» ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى التوحيد فلا يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [آية: ٢٣] يدخله نارًا خالدًا فيها، يعنى معمروا فيها لا يموتون، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، وما يوعدون من العذاب فى الدنيا يعنى القتل يبدو ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ يعنى كفار مكة عند نزول العذاب ببدر، نظيرها فى سورة مريم: ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا﴾ كفار مكة أو المؤمنون ﴿وَ﴾ من ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى جندًا أيقرب الله العذاب أم يؤخره، لما سمعوا الذكر يعنى قول النبى ﷺ فى العذاب يوم بدر، قام النصر بن الحارث وغيره فقالوا: يا محمد، متى هذا الذى تعدنا؟ تكذيبا به واستهزًا، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ فى سورة الأنبياء، وفى هذه سورة ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ يعنى ما أدرى ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب فى الدنيا يعنى القتل ببدر ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى أجلا بعيدًا، يقول: ما أدرى أيقرب الله العذاب أو يؤخره، يعنى بالأمد الأجل، القتل ببدر ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ يعنى غيب نزول العذاب ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٦] من الناس، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ يعنى رسل ربى فإنه يظهرهم على العذاب متى يكون، ومع جبريل ﷺ أعوانا من الملائكة يحفظون الأنبياء حتى يفرغ جبريل من الوحى، قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ﴾ يعنى يجعل ﴿**مِن بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا**﴾ [آية: ٢٧] قال: كان إذا بعث الله عز وجل نبيا أتاه إبليس على صورة جبريل وبعث الله تعالى من بين يدى النبى ﷺ ومن خلفه رصدًا من الملائكة فا يسمع الشيطان حتى يفرغ جبريل، عليه السلام، من الوحى إلى ﷺ فإذا جاء إبليس أخبرته به الملائكة وقالوا: هذا إبليس، وإذا أتاه جبريل ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الرسول ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ يقول ليعلم محمد ﷺ أن الأنبياء قبله قد حفظت،وبلغت قومهم الرسالة، كما حفظ محمد ﷺ وبلغ الرسالة، ثم قال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ يعنى بما عندهم ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [آية: ٢٨] يعنى نزول العذاب بهم والله أعلم.

* * *

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مكية عددها عشرون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ
عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ
وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [آية: ١] يعنى الذى ضم عليه ثيابه، يعنى النبى ﷺ، وذلك أن النبى ﷺ خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل، عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، الذى قد تزمل بالثياب، وقد ضمها عليه ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [آية: ٢] ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ [آية: ٣] يقول: انقص إلى ثلث الليل ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ يعنى على النصف إلى الثلثين، فخيره هذه الساعات، وكان هذا بمكة قبل صلوات الخمس، ثم قال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [آية: ٤] يقول: ترسل به ترسلاً على هينتك رويدًا يعنى عز وجل بينه تبينًا ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [آية: ٥] يعنى القرآن شديدًا، لما فى القرآن من الأمر والنهى والحدود والفرائض ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ يعنى الليل كله والقراءة فيه ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ يعنى مواطأة بعضًا لبعض ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [آية: ٦] بالليل وأثبت، لأنه فارغ القلب بالليل، وهو أفرغ منه بالنهار.

﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [آية: ٧] يعنى فراغًا طويلاً لنومك ولحاجتك، وكانوا لا يصلون إلا بالليل، حتى أنه كان الرجل يعلق نفسه بالليل، فشق القيام عليه بالليل ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ يعنى بالتوحيد والإخلاص ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [آية: ٨] يعنى وأخلص إليه إخلاصًا فى الدعاء والعبادة، ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ ﴾ يعنى حيث تطلع الشمس ﴿ وَ ﴾ رب ﴿ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ حيث تغرب الشمس، قال ابن

عباس: تطلع الشمس عند مدينة يقال لها: جابلقا لها ألف باب على كل باب منها ألف حارس، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه، فقال: ﴿**تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا**﴾ [الكهف: ٩٠]، وتغرب عند مدينة يقال لها: جابرسا لها ألف ألف باب على كل باب ألف حارس، فيتصايحون فرقًا منها، فلولا صياحهم لسمعتم وجبتها إذا هى سقطت.

ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [آية: ٩] هو رب المشرق المغرب، يعنى يوم يستوى فيه الليل والنهار، فذلك اليوم اثنتا عشرة ساعة، وتلك الليلة اثنتا عشرة ساعة، فمشرق ذلك اليوم فى برج الميزان ومغربه لا إله إلا هو، فوحد الرب نفسه ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ يقول: اتخذ الرب وليًا ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إياه بالعذاب ومن الأذى ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [آية: ١٠] يعنى اعتزلهم اعتزالاً جميلاً حسنًا، نسختها آية السيف فى براءة ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: خل بينى وبين بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فإن لى فيهم نقمة ببدر ﴿أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ فى الغنى والخير ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ هذا وعيد ﴿قَلِيلًا﴾ [آية: ١١] حتى أهلكهم ببدر.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [آية: ١٢] فالأنكال عقوبة من ألوان العذاب، ثك ذكر العقوبة، فقال: وجحيمًا، يعنى ما عظم من النار ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يعنى بالغصة الزقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٣] يعنى وجيمًا موجعًا ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ يعنى تحرك الأرض ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ من الخوف ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ يعنى وصارت الجبال بعد القوة والشدة ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [آية: ١٤] والمهيل الرمل الذى إذا حرك تبع بضعه بعضًا ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ يعنى النبى ﷺ لأنه ولد فيهم فاودروه ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه بلغكم الرسالة، وقد استخفوا به، وازدروه لأنه ولد فيها ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [آية: ١٥] يعنى موسى، عليه السلام، أى أنه كان ولد فيها فازدروه.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [آية: ١٦] يعنى شديدًا، وهو الغرق يخوف كفار مكة بالعذاب، أن لا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم العذاب كما نزل بفرعون وقومه حين كذبوا موسى، عليه السلام، نظيرها فى الدخان [الآية: ٧، ٢٤]. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ يعنى وكيف لا يتقون عذاب يوم يجعل فيه الولدان شيبًا، ويسكر الكبير من غير شراب، ويشيب الصغير من غير كبر من أهوال يوم القيامة ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ فى الدنيا ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [آية: ١٧] وذلك يوم يقول الله لآدم: قم، فابعث بعث النار، من كل ألف تسع مائة، وتسع وتسعين، وواحد إلى الجنة فيساقون إلى النار سود الوجوه زرق العيون مقرنين فى الحديد، فعند ذلك يسكر الكبير من الخوف، ويشيب الصغير من الفزع، وتضع الحوامل ما فى بطونها من الفزع تمامًا وغير تمام.

ثم قال عز وجل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ السقف به يعنى الرحمن لنزول الرحمن تبارك وتعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [آية: ١٨] أن وعده مفعولاً فى البعث، يقول: إنه كائن لابد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يعنى آيات القرآن تذكرة يعنى تفكرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٩] يعنى بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة ﴿أَدْنَىٰ﴾ يعنى أقل ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ والمؤمنين كانوا يقومون فى أول الإسلام من الليل نصفه وثلثه، وهذا من قبل أن تفرض الصلوات الخمس، فقاموا سنة فشق ذلك عليهم، فنزلت الرخصة بعد ذلك عند السنة، فذلك قوله: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ من المؤمنين يقومون نصفه وثلثه، ويقومون وينامون ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ يعنى قيام ثلثى الليل الأول، ولا نصف الليل، ولا ثلث الليل، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى فتجاوز عنكم فى التخفيف بعد قوله: ﴿**قم الليل إلا قليلاً**﴾ ﴿**وطائفة من الذين معك**﴾ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ عليكم فى الصلاة ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الله ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تجارًا ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

يعنى يطلبون من فضل الله الرزق ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولا يطيقون قيام الليل، فهذه رخصة من الله عز وجل لهم بعد التشديد.

ثم قال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنْهُ﴾ يعنى من القرآن فلم يوقت شيئًا، فى صلواتكم الخمس منه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى وأتموا الصلوات الخمس، وأعطوا الزكاة المفروضة من أموالكم، فنسخ قيام الليل على المؤمنين، وثبت قيام الليل على النبى ﷺ، وكان بين أول هذه السورة وآخرها سنة حتى فرضت الصلوات الخمس، والزكاة، فهما واجبتان، فذلك قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة من أموالكم ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى التطوع ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعنى بالحسن طيبة بها نفسه يحتسبها تطوعًا بعد الفريضة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ يعنى من صدقة فريضة كانت أو تطوعًا، يقول: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ ثوابًا عند الله فى التقديم، هو خيرًا، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يقول: أفضل مما أعطيتم من أموالكم وأعظم أجرًا يعنى وأكثر خيرًا، وأفضل خيرًا فى الآخرة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من الذنوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لكم عند الاستغفار إذا استغفرتموه ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٠] حين رخص لكم بالتوبة.

* * *

سُورَةُ المُدَّثِّر

مكية، عددها ست وخمسون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [آية: ١] يعنى النبى ﷺ، وذلك أن كفار مكة آذوه، فانطلق إلى جبل حراء ليتوارى عنهم، فبينما هو يمشى، إذ سمع مناديًا يقول: يا محمد، فنظر يمينًا وشمالاً وإلى السماء، فلم ير شيئًا، فمضى على وجهه، فنودى الثانية: يا محمد، فنظر يمينًا وشمالاً، ومن خلفه، فلم ير شيئًا إلا السماء، ففزع، وقال: لعل هذا شيطان يدعونى، فمضى على وجهه، فنودى فى قفاه: يا محمد، يا محمد، فنظر خلفه، وعن يمينه، ثم نظر إلى السماء، فرأى مثل السرير بين السماء والأرض، وعليه دربوكة قد غلطت الأفق، وعليه جبريل، عليه السلام، مثل النور المتوقد يتلألأ حتى كاد أن يغشى البصر، ففزع فزعًا شديدًا، ثم وقع مغشيًا عليه ولبث ساعة.

ثم أفاق يمشى ربه رعدة شديدة، ورجلاه تصطلكان راجعًا حتى دخل على خديجة، فدعا بماء فصبه عليه، فقال: دقرونى، فدثروه بقطيفة حتى استدفأ، فلما أفاق، قال: لقد أشفقت على نفسى، قالت له خديجة: أبشر فوالله لا يسوؤك الله أبدًا لأنك تصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الخير.

فأتاه جبريل، عليه السلام، وهو متقنع بالقطيفة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ بقطيفة، المتقنع فيها ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [آية: ٢] كفار مكة العذاب أن لم يوحدوا الله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [آية: ٣] يعنى فعظم، ولا تعظمن كفار مكة فى نفسك، فقام من مضجعه ذلك، فقال: الله أكبر كبيرًا، فكبرت خديجة، وخرجت وعلمت أنه قد أوحى إليه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [آية: ٤] يقول: طهر بالتوبة من المعاصى، وكانت العرب تقول للرجل: إذا أذنب أنه دنس الثياب، وإذا توفى، قالوا: إنه لطاهر الثياب ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [آية: ٥]

يعنى الأوثان، يساف ونائلة وهما صنمان عند البيت يمسح وجوههما من مر بهما من كفار مكة، فأمر الله تبارك وتعالى النبى ﷺ أن يجتنبهما، يعنى بالرجز أوثان لا تتحرك بمنزلة الإبل، يعنى داء يأخذها ذلك الداء، فلا تتحرك من وجع الرجز فشبه الآلهة بها.

ثم قال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [آية: ٦] يقول: ولا تعط عطية لتعطى أكثر من عطيتك ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [آية: ٧] يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى والتكذيب من كفار مكة.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [آية: ٨] يعنى نفخ فى الصور، والناقور القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل، وهو الصور ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [آية: ٩] يعنى مشقته وشدته، ثم أخبر على من عسره، فقال: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [آية: ١٠] غير هين، ويهون ذلك على المؤمن كأدنى صلاته ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [آية: ١١] يعنى الوليد بن المغيرة المخزومى، كان يسمى الوحيد فى قومه، وذلك أن الله عز وجل أنزل على النبى ﷺ ﴿**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير**﴾ [غافر: ١- ٣].

فلما نزلت هذه الآية قام النبى ﷺ فى المسجد الحرام فقرأها والوليد ابن المغيرة قريبًا منه يستمع إلى قراءته، فلما فطن ﷺ أن الوليد بن المغيرة يستمع إلى قراءته أعاد النبى ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز**﴾ فى ملكه ﴿**العليم**﴾ بخلقه ﴿**غافر الذنب**﴾ لمن تاب من الشرك، ﴿**وقابل التوب**﴾ لمن تاب من الشرك، ﴿**شديد العقاب**﴾ لمن لم يتب من الشرك ﴿**ذى الطول**﴾ يعنى ذى الغنى عمن لم يوحد، ثم وحد الرب نفسه حين لم يوحده كفار مكة، فقال: ﴿**لا إله إلا هو إليه المصير**﴾ يعنى مصير الخلائق فى الآخرة إليه، فلما سمعها الوليد انطلق حتى أتى مجلس بنى مخزوم، فقال: والله، لقد سمعت من محمد كلامًا آنفًا ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وأن أسفله لمعرق، وأن أعلاه لموفق، وأن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه ليعلو وما يعلى.

ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: لقد سبأ الوليد، والله لئن صبأ لتصبون قريش كلها، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق أبو جهل حتى دخل على الوليد، فقعد إليه كشبه الحزين، فقال له الوليد: ما لى أراك يا ابن أخى حزينًا؟ فقال أبو جهل: ما يمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة ليعينوك على كبرك، ويزعمون أنك إنما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه، فغضب الوليد عند ذلك، وقال: أو ليس قد علمت قريش أنى من أكثرهم مالاً وولدًا، وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام، فيكون لهم فضل؟ فقال أبو جهل: فإنهم يزعمون أنك إنما زينت قول محمد من أجل ذلك.

فقام الوليد فانطلق مع أبى جهل، حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم، فقال: تزعمون أن محمدًا كاهن، فهل سمعتموه يخبر بما يكون فى غد؟ قالوا: اللهم لا، قال: ويزعمون أن محمدًا شاعر، فهل رأيتموه ينطق فيكم بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: وتزعمون أن محمدً كذاب، فهل رأيتموه يكذب فيكم قط؟ قالوا: اللهم لا، وكان يسمى محمد ﷺ قبل النبوة الأمين، فبرأه من هذه المغالة كلها.

فقالت قريش: وما هو أبا المغيرة؟ فتفكر فى نفسه ما يقول عن محمد ﷺ، ثم نظر فيما يقول عنه، ثم عبس وجهه، ويسر يعنى وكلح، فذلك قوله عز وجل: ﴿**أنه فكر وقدر**﴾، وما يقول لمحمد، فقدر له السحر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فقتل**﴾ يعنى لعن ﴿**كيف قدر**﴾ لمحمد ﷺ السحر، ثم نظر، ثم عبس، يقول: كلح وبسر، يعنى وتغير لونه يعنى أعرض عن الإيمان ﴿**واستكبر عنه فقال**﴾ الوليد لقومه: ﴿**إن هذا**﴾ الذى يقول محمد ﴿**إلا سحر يؤثر**﴾ فقال له قومه وما السحر يا أبا المغيرة؟ وفرحوا، فقال: شىء يكون ببابل إذا تعلمه الإنسان يفرق بين الاثنين ومحمد يأثره، ولما يحذفه بعد وأيم الله، لقد أصاب فيه حاجته أما رأيتموه فرق بين فلان وبين أهله، وبين فلان وبين أبيه، وبين فلان وبين أخيه، وبين فلان وبين مولاه، فهذا الذى يقول محمد سحر يؤثر عن مسليمة بن حبيب الحنفى الكذاب يقول: يرويه عنه، فذلك قوله: ﴿**إن هذا إلا سحر يؤثر**﴾ يقول: إن هذا الذى يقول محمد إلا قول بشر.

قال الوليد بن المغيرة: عن يسار أبى فكيهة هو الذى يأتيه به من مسليمة الكذاب، فجعل الله له سقر، وهو الباب الخامس من جهنم، فلما قال ذلك الوليد شقى ذلك على النبى ﷺ ما لم يشق عليه، فيما قذف بغيره من الكذب، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ

يعزيه ليصبر على تكذيبهم، فقال: يا محمد ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**﴾ [الذاريات: ٥٢]، وأنزل فى الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ يقول: خل بينى يا محمد وبين من خلقت وحيدًا، يقول: حين لم يكن له مال ولا بنون، يعنى خل بينى وبينه، فأنا أتفرد بهلاكه، وأما الوليد، يعنى خلقته ليس له شىء، يقول عز وجل فأعطيته المال والولد.

فذلك قوله: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ [آية: ١٢] يعنى بالمال بستانه الذى له بالطائف، والممدود الذى لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفًا، كقوله: ﴿**وظل ممدو**﴾ يعنى لا ينقطع ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾ [آية: ١٣] يعنى حضورًا لا يغيبون أبدًا عنه فى تجارة ولا غيرها لكثرة أموالهم بمكة، وكلهم رجال منهم الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، وهو سيف الله أسلم بعد ذلك، وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد.

ثم قال: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ [آية: ١٤] يقول: بسطت له فى المال والولد والخير بسطًا ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ [آية: ١٥] لا أزيده بل أقطع ذلك عنه وأهلكه، ثم منعه الله المال، فلم يعطه شيئًا حتى افتقر وسأل الناس، فأهلكه الله تعالى، ومات فقيرًا فى المستهزئين، ثم نعت عمله الخبيث، فقال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ [آية: ١٦] يعنى كان عن آيات القرآن معرضًا مجانبًا له لا يؤمن بالقرآن.

ثم أخبر الله تعالى ما يصنع به فى الآخرة، فقال: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [آية: ١٧] يعنى سأكلفه أن يصعد على صخرة من النار ملساء فى الباب الخامس، واسم ذلك الباب سقر، فى تلك الصخرة كوى تخرج منها ريح، وهى ريح حارة، وهى تناثر لحمه يقول الله جل وعز: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ يقول: سأغشى وجهه تلك الصخرة، وهى جبل من نار طوله مسيرة سبعين سنة، ويصعد به فيها على وجهه، فإذا بلغ الكافر أعلاها انحط إلى أسفلها، ثم يكلف أيضًا صعودها، ويخرج إليه من كوى تلك الصخرة ريح باردة من فوقها ومن تحتها تقطع تلك الريح لحمه، وجلدة وجهه، فكلما أصعد أصابته تلك الريح وإذا انحط، حتى ينتثر اللحم من العظم، ثم يشرب من عية آنية، التى قد انتهى حرها، فهذا دأبه أبدًا.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ

﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾

ثم قال، يعنى الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فى أمر محمد ﷺ فزعم أنه ساحر، وقال مثل ما قال فى التقديم ﴿وَقَدَّرَ﴾ [آية: ١٨] فى قوله: إن محمدًا يفرق بين الاثنين ﴿فَقُتِلَ﴾ يقول: فلعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [آية: ١٩] السحر ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى ثم لعن كيف قدر ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [آية: ٢١] فيما يقول لمحمد ﷺ من السحر ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ وجهه يعنى كلح كقوله: ﴿**عبس وتولى**﴾ [عبس: ١]، يعنى كلح وجوه ابن أم مكتوم ﴿وَبَسَرَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى وتغير لون وجهه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى الباب الخامس من جهنم.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [آية: ٢٧] ثم أخبر الله عنها تعظيمًا لها، لشدتها ليعذبه بها، فقال: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [آية: ٢٨] يعنى لا تبقى النار إذا رأتهم حتى تأكلهم ولا تذرهم إذا حلفوا لها حتى تواقعهم ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [آية: ٢٩] محرقة للخلق ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: فى النار من الملائكة تسعة عشر خزنتها، يعنى مالكًا، ومن ومعه ثمانية عشر ملكًا، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصى، يعنى مثل قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبى أحدهم مسيرة سبعين سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، قد نزعت منهم الرأفة والرحمة غضابًا يدفع أحدهم سبعين ألفا، فليقيهم حيث أراد من جهنم، فيهوى أحدهم فى جهنم مسيرة أربعين سنة، لا تضرهم النار لأن نورهم أشد من حر النار، ولولا ذلك لم يطيقوا دخول النار طرفة عين، فلما قال الله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش، ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، ويزعم أنهم خزنة جهنم يخوفكم بتسعة عشر، وأنتم ألدهم أيعجز كل مائة منكم أن تبطش بواحد منهم، فيخرجوا منها.

وقال أبو الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى: أنا أكفيكم سبعة عشر، أحمل منهم عشرة على ظهرى، وسبعة على صدرى، واكفونى منهم اثنين، وكان شديدًا، فسمى أبا الأشدين لشدته بذلك سمى، وكنيته أبو الأعور.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعنى خزن النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ يعنى قلتهم ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين، قال أبو الأشدين، وأبو جهل ما قالا، فأنزل الله تعالى فى قول أبى جهل: ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ يقول: ما يعلم كثرتهم أحد إلا الله.

وأنزل الله فى قول أبى الأشدين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: ﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾ [التحريم: ٦] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعنى خزان النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ يعنى قلتهم ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. يعنى أبا جهل، وأبا الأشدين، والمستهزئين من قريش، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ لكى يستيقين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يقول: ليعلم مؤمنو أهل التوراة أن الذى قال محمد ﷺ حق، لأن عدة خزان جهنم فى التوارة تسعة عشر.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ يعنى تصديقًا ولا يشكوا فى محمد ﷺ بما جاء به ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ يقول: ولكى لا يرتاب يعنى لكى لا يشك يقول: لئلا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى أهل التوراة ﴿وَ﴾ لا يشك ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن خزنة جهنم تسعة عشر ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك، وهم اليهود من أهل المدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، يعنى مشركى العرب ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يعنى ذكره عدة خزنة جهنم، يستقلونهم.

يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ بهذا المثل ﴿مَن يَشَآءُ﴾ عن دينه ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إلى دينه وأنزل فى قول أبى جهل، وأبى الأشدين ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ من الكثرة حين استقلوهم، فقال أبو جهل لقريش: أيعجز ... مثل ما قال فى التقديم، وقالوا ما قالوا.

ثم رجع إلى سقر، فقال: ﴿وَمَا هِىَ﴾ يعنى سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [آية: ٣١] يعنى سقر تذكر وتفكر للعالم.

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ
﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا
سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ
مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً
﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ
﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

ثم أقسم الرب من أجل سقر، فقال: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى إذا ذهبت ظلمته ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى ضوءه عن ظلمة الليل ﴿إِنَّهَا﴾ إن سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [آية: ٣٥] من أبواب جهنم السبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية ﴿نَذِيرًا﴾ يعنى تذكرة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ [آية: ٣٦] يعنى للعالمين ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ فى الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [آية: ٣٧] منه إلى المعصية هذا تهديد، كقوله: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ [الكهف: ٢٩]، وكقوله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [آية: ٣٨] يقول: كل كافر مرتهن بذنوبه فى النار، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٣٩] الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم ولا يرتهنون بذنوبهم فى النار، ثم هم: ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٤١] فلما أخرج الله أهل التوحيد من النار، قال المؤمنون لمن بقى فى النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى ما جعلكم فى سقر، يعنى ما حبسكم فى النار.

فأجابهم أهل النار عن أنفسهم: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [آية: ٤٣] فى الدنيا لله ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [آية: ٤٤] فى الدنيا ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [آية: ٤٥] فى الدنيا فى الباطل والتكذيب كما يخوض كفار مكة ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى يوم الحساب أنه غير كائن ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [آية: ٤٧] يعنى الموت.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى لا ينالهم يومئذ شفاعة

الملائكة والنبيين، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٤٩] عن التذكرة يعنى عن القرآن معرضين، نزلت هذه الآية فى كفار قريش حين أعرضوا، ولم يؤمنوا بالحمر الوحشية المذعورة.

فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [آية: ٥٠] بتركهم القرآن إذا سمعوا منه مثل الحمر ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [آية: ٥١] يعنى الرماة وقالوا الأسد ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ﴾ يقول: يعطى ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [آية: ٥٢] فيها كتاب من الله تعالى، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ، كان الرجل من بنى إسرائيل ذنبه وكفارة ذنبه يصبح مكتوبًا عند رأسه، فهلا ترينا مثل هؤلاء الآيات إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال جبريل: إن شئت فعلنا بهم كفعلنا ببنى إسرائيل، وأخذناهم بما أخذنا به بنى إسرائيل، فكره النبى ﷺ، وقالوا: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله بأن آلهتنا باطل، وأن الإله الذى فى السماء حق، وأنك رسول، وأن الذى جئت به حق، وتجئ معك بملائكة يشهدون بذلك كقوله ابن أبى أمية فى سورة بنى إسرائيل يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمنون بالصحف التى أرادوها.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَل﴾ لكن ﴿لَّا يَخَافُونَ﴾ عذاب ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾ [آية: ٥٣] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [آية: ٥٤] يعنى القرآن ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [آية: ٥٥] يعنى فهمه، يعنى القرآن، ثم قال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ يعنى وما يشهدون ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى الرب تبارك وتعالى نفسه، يقول: هو أهل أن يتقى ولا يعصى، وهو أهل المغفرة لمن يتوب عن المعاصى.

* * *

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكية، عددها أربعون آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ (٧)﴾

ما أقسم الله بالكافرين فى القرآن فى غير هذه السورة قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آية: ١] نظيرها ﴿**واليوم الموعود**﴾ [البروج: ٢]، قال: وكان أهل الجاهلية، إذا أراد الرجل أن يقسم قال: لا أقسم ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [آية: ٢] يقول: أقسم بالنفس الكافرة التى تلوم نفسها فى الآخرة، فتقول: ﴿**يالتينى قدمت لحياتى**﴾ [الفجر: ٢٤] ﴿**يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله**﴾ [الزمر: ٥٦]، يعنى فى أمر الله فى الدنيا.

﴿أَيَحۡسَبُ﴾ هذا ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى عدى بن ربيعة بن أبى سلمة ختن الأخنس بن شريق، وكان حليفًا لبنى زهرة، فكفر بالبعث، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، حدثنى عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبى ﷺ بذلك. فقال: لو عاينت ذلك اليوم سأؤمن بك، ثم قال: يا محمد، أو يجمع الله العظام يوم القيامة؟ قال: «نعم»، فاستهزأ منه، فأنزل الله جل وعز ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [آية: ٣] يقول: أن لن نبعثه من بعد الموت، فأقسم الله تعال أن يبعثه كما كان.

ثم قال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ يعنى كنا قادرين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [آية: ٤] يعنى أصابعه، يعنى على أن نلحق الأصابع بالراحة ونسويه حتى نجعله مثل خف البعير، فلا ينتفع بها كما لا ينتفع البعير بها ما كان حيًا، نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة والأخنس بن شريق، ثم قال: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى عدى بن ربيعة ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [آية: ٥] يعنى

تقديم المعصية وتأخير التوبة يومًا بيوم يقول: سأتوب، حتى يموت على شر عمله، وقد أهلك أمامه ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آية: ٦] يعنى يسأل عدى متى يوم القيامة؟ تكذيبًا بها، فأخبر الله تعالى عن ذلك اليوم، فقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [آية: ٧] يقول: إذا شخص البصر، فلا يطوف مما يرى من العجائب التى يراها مما كان يكفر بها فى الدنيا أنه غير كائن مثلها فى سورة ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ [ق: ١].

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ٨] فذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ﴾ بين ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ٩] كالبقرتين المقرونتين يوم القيامة قيامًا بين يدى الخلائق، ثم ذكر فقال: ﴿يَقُولُ﴾ هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المكذب بيوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [آية: ١٠] يعنى أين المهرب حتى أحرز نفسى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [آية: ١١] يعنى لا جبل يحرزك، ويسمى حمير الجبل وزر، ثم استأنف ، فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [آية: ١٢] يعنى المنتهى يومئذ إلى الله عز وجل لا تجد عنه مرحلا ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ﴾ لآخرته، ثم قال: ﴿وَ﴾ ما ﴿وَأَخَّرَ﴾ [آية: ١٣] من خير أو شر بعد موته فى دنياه، فاستن بها قوم بعده.

يقول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [آية: ١٤] وذلك حين كتمت الألسن فى سورة الأنعام وختم الله عليها فى سورة ﴿**يس والقرآن الحكيم**﴾، فقال ﴿**اليوم نختم على أفواههم**﴾ [يس: ٦٥]، فنطقت الجوارح على الألسن بالشرك فى هذه السورة، فلا شاهد أفضل من نفسك، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ يعنى جسده وجوارحه شاهدة عليه بعمله، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ يعنى شاهدًا، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [آية: ١٥] ولو أدلى بحجته لم تنفعه، وكان جسده عليه شاهدًا ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فى قلبك يا محمد ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [آية: ١٧] حتى نقريكه حتى تعلمه وتحفظه فى قلبك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول: فإذا تلوناه عليك يقول: إذا تلا عليك

جبريل ﷺ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ [آية: ١٨] يقول: فاتبع ما فيه، وذلك أن جبريل كان يأتى النبى ﷺ بالوحى، فإذا قرأه عليه تلاه النبى ﷺ قبل أن يفرغ جبريل من الوحى مخافة أن لا يحفظه، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل ﷺ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فى قلبك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ عليك، يعنى نقريكه حتى تحفظه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [آية: ١٩] يعنى أن نبين لك حلاله وحرامه، كما قال الله تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] يقول الله تعالى فى هذه السورة ﴿كَلَّا بَلْ﴾ لا تزكون، ولا تصلون، و ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى كفار مكة، تحبون الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عمل ﴿ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آية: ٢١] يقول: تختارون الحياة الدنيا على الآخرة، فلا تطلبونها، نظيرها فى ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ ﴿**تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

ثم قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى الحين والبياض، ويعلوه النور ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ينظرون إلى الله تعالى معاينة، ثم قال جل وعز: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [آية: ٢٤] يعنى متغيرة اللون ﴿تَظُنُّ﴾ يقول: تعلم ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [آية: ٢٥] يقول: يفعل بها شر ﴿كَلَّآ﴾ لا يؤمن بما ذكر فى أمر القيامة.

ثم قال: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الأنفس ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [آية: ٢٨] يعنى وعلم أنه قد يفارق الدنيا ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [آية: ٢٩] يعنى التف أمر الدنيا بالآخرة، فصار واحدًا كلاهما، ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [آية: ٣٠] يعنى النهاية إلى الله فى الآخرة ليس عنها مرحل، ثم قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [آية: ٣١] يقول: فلا صدق أبو جهل بالقرآن ولا صلى لله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٣٢] يقول: ولكن كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان يقول: أعرض عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [آية: ٣٣] يقول: يتبختر، وكذلك بنو المغيرة بن عبد

الله بن عمر المخزومى إذا مشى أحدهم يختال فى المشى.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [آية: ٣٥] يعنى وعيدًا على أثر وعيد، وذلك أن أبا جهل تهدد النبى ﷺ بالقتل، وأن النبى ﷺ أخذ تلابيب أبى جهل بالبطحاء، فدفع فى صدره، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ يعنى أبا جهل حين تهدد النبى ﷺ بالقتل، فقال أبو جهل: إليك عنى، فإنك لا تسطتيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئًا، لقد علمت قريش أنى أعز أهل البطحاء وأكرمها، فبأى ذلك تخوفنى يا ابن أبى كبشة، ثم انسل ذاهبًا إلى منزله، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ فى التقديم.

ثم قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [آية: ٣٦] يعنى مهملاً لا يحاسب بعمله، يعنى أبا جهل إلى آخر السورة، ثم قال: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ هذا الإنسان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [آية: ٣٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ بعد النطفة ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [آية: ٣٨] الله خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [آية: ٣٩] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى أما ذلك ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ الذى بدأ خلق هذا الإنسان ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [آية: ٤٠] يعنى بقادر على البعث بعد الموت.

* * *

سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية، عددها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعنى قد أتـى على الإنسـان ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [آية: ١] يعنى به آدم لا يذكر، وذلك أن الله حلق السماوات وأهلها، والأرض وما فيها من الجن قبل أن يخلق آدم، عليه السلام، بواحد وعشرين ألف سنة، وهى ثلاثـة أسباع، فكـانوا لا يعرفـون آدم، ولا يذكرونـه، وكـان سكان الأرض مـن الجـن زمانًـا ودهرًا، ثم إنهم عصوا الله تعالى وضر بعضهم بعضًا، فأرسل الله عليهم قبيلة من الملائكة، يقال لهم: الجـن وإبليـس فيـهم، وكـان اسـم إبليـس الحـارث، أرسـلهم الله علـى الجـن، فطردوهم حتى أخرجوهـم مـن الأرض إلى الظلمـة خلـف الحجـاب، وهـو جبـل تغيـب الشمس خلفه، وفى أصله، وفيما بين ذلك الجبل وبين جبل قاف مسيرة سنة كلها ظلمـة وماءٔ قائم، ثم إن إبليس وجنده طهروا الأرض وعبدوه زمانًا، فما أراد الله تعالى أن يخلق آدم، صلى الله عليه، أوحى إليـهم أنـى جـاعل فـى الأرض خليفـة يعبدوننـى، ويطـهرون الأرض، فردوا إلى الله قوله، وإبليس منهم: فقالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيـها، يعنى من يعصى فيها، ويسفك الدماء، كفعل الجـن، لا أنـهم علمـوا الغيـب، ولكـن قـالوا مـا عرفوا عن الجن الذين عصوا ربهم، وقالوا: نحن نسبح بحمدك ونقدس لك، يعنى ونطـهر لك الأرض، فأوحى الله إليهم أنى أعلم ما لا تعملون، ثم إن الله تبارك وتعـالى، قـال: يـا جبريل ائتنى بطينن فهبط جبريل، عليه السلام، إلى الأرض فأخذ ترابًـا مـن تحـت الكعبـة وهو أديم الأرض وصب عليه الماء، فتركه زمانًا، حتى أنتن الطين فصار فوقها طين حـر، وأسفلها حمأة.

حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «ما كان من الحر منها فهم أصحاب اليمين، وما كان من الحمأة فهم من أصحاب الشمال»، وذلك أن امرأ القيس بن عابس الكتمى، ومالك بن الضيف اليهودى اختصما بين يدى رسول الله ﷺ فى أمر آدم، عليه السلام، وخلقه، فقال مالك بن الضيف: إنما نجد فى التوارة أن الله خلق آدم حين خلق السماوات والأرض، فأنزل الله عز وجل يكذب مالك بن الضيف اليهودى:

فقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ يعنى واحدًا وعشرين ألف سنة، وهى ثلاثة أسباع، بعد خلق السموات والأرض ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ يذكر، ثم خلق ذريته، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ يعنى ماء مختلطًا، وهو ماء الرجل، وماء المرأة، فإذا اختلطا، فذلك المشج، فماء الرجل غليظ أبيض، فمنه العصب، والعظم، والقوة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فمنها اللحم، والدم، والشعر، والظفر، فيختلطان فذلك الأمشاج، فيها تقديم، يقول: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه.

ثم قال: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ﴾ بعد النطفة ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [آية: ٢] لنبتليه، أى جعلناه نطفة، علقة، مضغة، ثم صار إنسانًا بعد ماء ودم ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ من بعد ما كان نطفة ميتة، ثم قال: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعنى سبيل الضلالة والهدى ﴿إِمَّا شَاكِرٗا﴾ أن يكون ﴿شَاكِرٗا﴾ يعنى موحدًا فى حسن خلقه لله تعالى ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [آية: ٣] فلا يوحده، وأيضًا إما شاكرًا لله فى حسن خلقه وإما كفورًا، يجعل هذه النعم لغير الله، ثم ذكر مستقر من أحسن من خلقه، ثم كفر به وعبد غيره.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآخرة يعني يسرنا للكافرين يعني لمن كفر بنعم الله تعالى ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ يعني سلسلة طولها سبعون ذراعًا بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول.

حدثني أبي، رحمه الله، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم الخراساني، عن علي بن أبي طالب، عليه السلام، أن رسول الله ﷺ، قال: «لو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، فكيف يا ابن آدم، وهي عليك وحدك».

ثم قال: ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ فأما السلاسل ففي أعناقهم، وأما الأغلال ففي أيديهم، ثم قال: ﴿وَسَعِيرًا﴾ [آية: ٤] يعني وقودًا لا يطفأ، ثم ذكر ما أعد للشاكرين من نعمة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ يعني الشاكرين المطيعين لله تعالى، يعني أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبا عبيدة بن الجراح، وأبا الدرداء، وابن عباس ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ يعني الخمر، وأيضًا إن الأبرار، يعني علي بن أبي طالب وأصحابه الأبرار الشاكرين لله تعالى يشربون من كأس، سعني من خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [آية: ٥].

ثم ذكر الكافور، فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ يعني الخمر ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [آية: ٦] يعني أولياء الله يمزجون ذلك الخمر، ثم جاء بذلك الماء، فهو على برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك لا بمسك أهل الدنيا، ولا زنجبليهم، ولا كافورهم، ولكن الله تعالى وصف ما عنده بما عندهم لتهتدي إليه القلوب، ثم ذكر محاسنهم، فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ يعني من نذر لله نذرًا، فقضى الله حاجته فيوفي لله بما قد نذره، قال: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ يعني يوم القيامة ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [آية: ٧] يعني كان شرًا فاشيًا في أهل السماوات والأرض، فانشقت السماء، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكورت الشمس، والقمر، فذهب ضوءهما وبدلت الأرض ونسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل، أو بناء، أو شجر، ففشى شر يوم القيامة فيها.

وأما قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أى على حبهم الطعام ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [آية: ٨] نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى، ويقال: فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وذلك أنه صام يومًا، فلما أراد أن يفطر دعا سائل، فقال: عشونى بما عندكم، فإنى لم أطعم اليوم شيئًا، قال أبو الدحداح، أو على: قومى فاثردى رغيفًا وصبى عليه مرقة، وأطعميه، ففعلت ذلك فما لبثوا أن جاءت جارية يتيمة، فقالت: أطعمونى، فإنى ضعيفة لم أطعم اليوم شيئًا، قال: يا أم الدحداح قومى فاثردى رغيفًا وأطعمها، فإن هذه والله أحق من ذلك المسكين، فبينما هم كذلك إذ جاء على الباب سائل أسير ينادى: عشوا الغريب فى بلادكم، فإنى أسير فى أيديكم وقد أجهدنى الجوع، فبالذى أعزكم وأذلنى لما أطعمتمونى، فقال أبو الدحداح: يا أم الدحداح، قومى ويحك فاثردى رغيفًا وأطعمى الغريب الأسير، فإن هذا أحق من أولئك فأطعموا ثلاث أرغفة، وبقى لهم رغيف واحد، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم يمدحهم بما فعلوا، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يعنى باليتيم من لا أب له ولا أم، ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أسارى المشركين ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ يعنى لمرضات الله تعالى ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [آية: ٩] يعنى أن تثنوا به علينا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ يعنى يوم الشدة.

قال الفراء، وأبو عبيدة: هو المنتهى فى الشدة ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [آية: ١٠] يعنى إذا عرق الجبين فسال العرق بين عينيه من شدة الهول، فذلك قوله: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ فشكر الله أمرهم، فقال: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ يعنى يوم القيامة شر جهنم ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [آية: ١١] نضرة فى الوجوه وسرورًا فى القلوب، وذلك أن المسلم إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر أمامه، فإذا هو بإنسان وجهه مثل الشمس يضحك طيب النفس، وعليه ثياب بيض، وعلى رأس تاج، فينظر إليه حتى يدنو منه، فيقول: سلام عليك، يا ولى الله، فيقول: وعليك السلام من أنت يا عبد الله أنت ملك من الملائكة؟ فيقول: لا، والله، فيقول: أنت نبى من الأنبياء؟ فيقول: لا والله، فيقول: أنت من المقربين؟ فيقول: لا والله، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح أبشرك بالجنة، والنجاة من النار، فيقول له: يا عبد الله، الله أبعلم تبشرنى؟ فيقول: نعم، فيقول: ما تريد منى؟ فيقول له: اركبنى، فيقول: يا سبحان الله، ما ينبغى لمثلك أن يركب عليه، فيقول: بلى فإنى طال ما ركبتك فى دار الدنيا، فإنى أسألك بوجه الله، إلا ما ركبتنى، فيقول: لا تخف أنا دليلك إلى الجنة فيعم ذلك الفرح فى وجهه حتى يتلألأ، ويرى النور والسرور فى قلبه، فذلك قلبه:

ولقاهم نضرة وسرورًا، وأما الكافر، فإنه إذا خرج من قبره نظر أمامه، فإذا هو برجل قبيح، الوجه أزرق العينين أسود الوجه اشد سوادًا من القبر فى ليلة مظلمة، وثيابه سود يجر أنيابه فى الأرض تدهده دهدهة الرعد، ريحه أنتن من الجيفة، فيقول: من أنت يا عدو الله؟ ويريد أن يعرض بوجهه عنه، فيقول: يا عدو الله إلى إلى، وأنا لك اليوم، فيقول: ويحك أشيطان أنت؟ فيقول: لا والله، ولكنى عملك، فيقول: ويحك، ما تريد منى؟ فيقول: أريد أن أركبك، فيقول: أنشدك الله، مهلاً فإنك تفضحنى على رءوس الخلائق، فيقول: والله ما منك بد فطال ما ركبتنى فأنا اليوم أركبك، قال فتركبه، فذلك قوله: ﴿**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**﴾ [الأنعام: ٣١].

ثم ذكر أولياءه، فقال: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ بعد البشارة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على البلاء ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [آية: ١٢]، فأما الجنة فيتنعمون فيها، وأما الحرير فليبسونه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ يعنى على السرر عليها الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ لا يصيبهم حر الشمس ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [آية: ١٣] يعنى ولا يصيبهم برد الزمهرير لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف، فأما قوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ يعنى ظلال الشجر، وذلك أن أهل الجنة يأكلون من الفواكه إن شاءوا نيامًا، وإن شاءوا قعودًا، وإن شاءوا قيامًا، إذا أرادوا دنت منهم حتى يأخذوا منها، ثم تقوم قيامًا، فذلك قوله: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [آية: ١٤] يعنى أغصانها تذليلاً.

قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ فهى الأكواز مدورة الرءوس التى ليس لها عرى، قال: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [آية: ١٥] ولكنها من فضة، وذلك أن قوارير الدنيا من ترابها وقوارير الجنة من فضة، فذلك قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ ثم قطعها، ثم استأنف فقال: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [آية: ١٦] يعنى فدرت الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كف الخادم ورى القوم، فذلك قوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾. قال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ يعنى خمرًا، وكل شراب فى الإناء ليس بخمر، وليس هو بكأس، فقال: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [آية: ١٧] يعنى كأنما قد مزج فيه الزنجبيل، قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [آية: ١٨] تسيل عليهم من جنة عدن، فتمر على كل جنة، ثم ترجع لهم الجنة كلها.

وأما قوله: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فأما الولدان فهم الغلمان الذين لا يشيبون أبدًا مخلدون، يعنى لا يحتلمون، ولا يشيبون أبدًا هم على تلك الحال لا يختلفون ولا يكبرون، قال: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [آية: ١٩] فى الحسن والبياض، يعنى فى

الكثرة، مثل اللؤلؤ المنثور الذى لا يتناهى عدده، قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ يعنى هنالك فى الجنة رأيت ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٢٠] وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر، فى ذلك القصر سبعون قصرًا، فى كل قصر سبعون بيتًا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها فى السماء فرسخ، وعرضها فرسخ، عليها أربعة ألف مصراع من ذهب، فى ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت، عن يمين السرير، وعن يساره أربعون ألف كرسى من ذهب قوائمها باقوت أحمر، على ذلك السرير سبعون فراشًا، كل فراش على لون، وهو جالس فوقها، وهو متكئ على يساره عليه سبعون حلة من ديباج، الذى بلى جسده حريرة بيضاء، وعلى جبهته إكليل مكلل بالزبرجد، والياقوت، وألوان الجواهر كل جوهرة على لون.

وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون ذؤابة، فى كل ذؤابة درة، تساوى مال المشرق والمغرب، وفى يديه ثلاث أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفى أصابع يديه ورجليه خواتيم من ذهب وفضة فيه ألوان الفصوص، وبين يديه عشرة آلاف غلا لا يكبرون ولا يشيبون أبدًا، ويوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء، طولها ميل فى ميل، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة فى كل إناء سبعون لونًا من الطعام، يأخذ اللقمة بيديه، فما يخطر على باله حتى تتحول اللقمة عن حالها التى يشتهيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من ذهب، وإناء من فضة معهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها، كلما شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهى من الأشربة فيتجشى.

فيفتح الله تعالى عليه ألف باب من الشهوة من الشراب، فيدخل عليه الطير من الأبواب، كأمثال النجائب فيقومون بين يديه صفًا، فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذ من كل غناء فى الدنيا، يقول: يا ولى الله، كلنى إنى كنت أرعى فى روضة كذا وكذا، من رياض الجنة، فيحلون عليه أصواتها، فيرفع بصره فينظر إليهم، فينظر إلى أزهاها صوتًا، وأجودها نعتًا، فيشتهيها، فيعلم الله ما وراء شهوته فى قلبه من حبه، فيجئ الطير فيقع على المائدة بعضه قديد، وبعضه شواء، أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها، واكتفى طارت طيرًا كما كانت، فتخرج من الباب الذى كانت دخلت منه.

فهو على الأرائك وزوجته مستقبلة، يبصر وجهه فى وجهها من الصفاء والبياض،

كلما أراد أن يجامعها ينظر إليها، فيستحى أن يدعوها، فتعلم ما يريد منها زوجها، فتدنو إليه، فتقول: بأبى وأمى، ارفع رأسك فانظر إلى فإنك اليوم لى، وأنا لـك فيجامعها على قوة مائة رجل من الآولين، وعلى شهوة أربعين رجلاً كلما أتاها وجدها عذراء، لا يغفل عنها مقدار أربعين يومًا، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها، فيزداد حبًا لها، فيها أربعة آلاف وثمان مائة زوجة مثلها لك زوجة سبعون خادمًا وجارية.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك بن مزاحم، عن على بن أبى طالب، عليه السلام، قال: لو أن جارية أو خادمًا خرجت إلى الدنيا لا قتتل عليها أهل الأرض كلهم، حتى يتفانوا.

ولو أن الحور العين أرخت ذؤابتها فى الأرض لأطفأت الشمس من نورها، قيل: يا رسول الله، وكم بين الخادم والمخدوم؟ قال: والذى نفسى بيده، إن بين الخادم والمخدوم كالكوكب المضئ إلى جنب القمر فى النصف، قال: فبينما هو جالس على سريره إذ يبعث الله عز وجل إليه مالكًا معه سبعون حلة كل حلة على لون واحد، ومعه التسليم، والرضا، فيجئ الملك حتى يقوم على بابه، فيقول لحاجبه: ائذن لى على ولى الله، فإنى رسول رب العالمين إليه، فيقول الحاجب: والله، ما أملك منه المناجاة، ولكن سأذكرك إلى من يلينى من الحجبة، فلا يزالون يذكرون بعضهم إلى بعض حتى يأتيه الخبر بعد سبعين بابًا، يقول: يا ولى الله، إن رسول رب العزة على الباب، فيأذن له بالدخول عليه، فيقول: السلام عليك، يا ولى الله، إن الله يقرئك السلام، وهو عنك راض، فلولا أن الله تعالى لم يقض عليه الموت لمات من الفرح، فذلك قوله: ﴿**وإذا رأيت ثم رأيت**﴾ يا محمد، ثم يعنى هناك رأيت نعيمًا، يعنى بالنعيم الذى هو فيه وملكًا كبيرًا حين لا يدخل عليه رسول رب العزة إلا بإذن.

ثم قال: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾ يعنى الديباج، وإنما قال: عاليهم لأن الذى يلى جسده حريرة بيضاء، قال: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ وقال فى آية أخرى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا، فهى ثلاث أسورة، قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [آية: ٢١] وذلك أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، فإذا جاز الرجل الصراط إلى العين، يدخل فى عين منها فيغتسل فيها، فيخرج وريحه أطيب من المسك طوله سبعون ذراعًا فى السماء على طول آدم، عليه السلام، وميلاد عيسى ابن مريم، أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد يكبر الصغير

حتى يكون ابن ثلاث وثلاثين سنة، وينحط الشيخ عن حاله إلى ثلاث وثلاثين سنة، كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد فى حسن يوسف بن يعقوب، عليهما السلام، ويشرب من العين الأخرى فينقى ما فى صدره من غل، أو هم، أو حد، أو حزن، فيظهر الله قلبه بذلك الماء، فيخرج وقلبه على قلب أيوب، عليه السلام، ولسان محمد ﷺ عربى، ثم ينطلقون حتى يأتوا الباب، فتقول لهم الخزنة: طبتم، يقولون: نعم، فتقول: ادخلوها خالدين يبشرونهم بالخلود قبل الدخول، بأنهم لا يخرجون منها أبدًا، فأول ما يدخل من باب الجنة، ومعه الملكان اللذان كانا معه فى دار الدنيا الكرام الكاتبين، فإذا هو بملك معه بختية من ياقوتة حمراء زمامها ياقوتة خضراء، فإذا كانت البختية من ياقوتة خضراء كان زمامها من ياقوتة حمراء، عليها راحلة مقدمها ومؤخرها در وياقوت، صفحتها الذهب والفضة، ومعه سبعون حلة فيلبسه ويضع على رأسه التاج، ومعه عشرة آلاف غلام كاللؤلؤ المكنون، فيقول: يا ولى الله، اركب فإن هذا لك، ولك مثلها فيركبها، ولها جناحان، خطوة منها منتهى البصر فيسير على بختيته وبين يديه عشرة آلاف غلام، ومعه الملكان اللذان كانا معه فى دار الدنيا حتى يأتى إلى قصوره فينزلها، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى قضيت لكم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ يعنى عملكم ﴿مَّشْكُورًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى شكر الله أعمالهم فأثابهم بها الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى حتى يحكم الله بينك وبين أهل مكة، ولا تشتم إذا شتمت، ولا تغتظ إذا ضربت ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [آية: ٢٤] وهو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومى، قال: أو كفورًا، أو هاهنا صلة، والكفور: هو عتبة بن ربيعة، وذلك أنهم خلوا به فى دار الندوة، وفيهم عمرو بن عمير بن مسعود الثقفى، فقالوا: يا محمد، أخبرنا لم تركت دين آبائك وأجدادك؟ فقال الوليد بن المغيرة: إن طلبت ما لا أعطيتك نصف مالى على أن تدع مقالتك هذه، وقال

أبو البختري بن هشام: واللات والعزى إن ارتد عن دينه لأزوجنه ابنتى، فإنها أحسن النساء، وأجملهن جمالاً، وأفصحهن قولاً، وأبلغهن علمًا، وقد علمت العزى بذلك، فسكت النبى ﷺ عن ذلك فلم يجبهم شيئًا، فقال ابن مسعود الثقفى: ما لك لا تجيبنا إن كنت تخاف عذاب ربك وذمه أجرتك فضحك النبى ﷺ عند ذلك، وقبض ثوبه وقام عنهم، وقال: أقوال وأضعف أعمال، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ فيها تقديم، وتأخير ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ يعنى الوليد بن المغيرة، وابا البحترى بن هشام.

وقال فى قول عمرو بن عمير بن مسعود الثقفى: ﴿**قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾ [الجن: ٢٢]، يعنى لا يؤمننى من عذابه أحد، ولن أجد من دونه مهربًا، ﴿**إلا بلاغا من الله ورسالا له**﴾ [الجن: ٢٣].

وأما قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى إذا صليت صلاة الغداة وهو بكرة، فكبر واشهد أن لا إله إلا هو، وأصيلا إذا أمسيت وصليت صلاة المغرب، فكبره واشهد أن لا إله إلا هو، فهو براءة من الشرك، فذلك قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ بشهادة أن لا إله إلا هو، قال: كان رسول الله ﷺ يصلى الغداة، ثم يكبر ثلاثا، وإذا صلى المغرب كبر ثلاثا ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعنى صلاة العشاء والآخرة يقول: صل له قبل أن تنام ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى وصل له بالليل، وكان قيام الليل فريضة على النبى ﷺ، فتهجد به نافلة لك.

ثم رجع إلى قوله عز وجل الأول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين يأمرونك بالكفر ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعنى الدنيا، لا يهمهم شىء إلا أمر الدنيا الذهب والفضة والبناء والثياب والدواب ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ يعنى أمامهم وكل شىء فى القرآن وراءهم، يعنى أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [آية: ٢٧] لأنها تثقل على الكافرين إذا حشروا وإذا وقفوا وإذا حاسبوهم، وإذا جازوا الصراط فهى مقدار ثلاث مائة سنة وأربعين سنة، فأما المؤمن، فإنه ييسر الله خروجه من قبره، وإذا حشره، وإذا حاسبه، وإذا جاز الصراط، فذلك قوله: ﴿**يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

وأما قوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ فى بطون أمهاتهم وهم نطفة ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ حين

صاروا شبانًا يعنى أسرة الشباب، وما خلق الله شيئًا أحسن من الشباب، منور الوجه أسود الشعر واللحية قوى البدن، وقال: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ذلك السواد والنور بالبياض والضعف ﴿تَبْدِيلًا﴾ [آية: ٢٨] من السواد حتى لا يبقى شيء منه إلا البياض، فعلم الله عز وجل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ إن هذا السواد والحسن والقبح ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يعنى عبرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى فمن شاء اتخذ فى هذه التذكرة فيعتبر، فيشكر الله ويوحده، ويتخذ طريقًا إلى الجنة، ثم رد المشيئة إليه، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أنتم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فهو عليكم عمل الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ يعنى بأهل الجنة ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٣٠] إذ حكم على أهل الشقاء النار.

ثم ذكر العلم والقضاء بأنه إليه، فقال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ يعنى فى جنته ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٣١] يعنى وجيعًا.

* * *

سُورَةُ المُرسَلات

مكية، عددها خمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾

قوله: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ [آية: ١] يقول الملائكة وأرسلوا المعروف، ثم قال: ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ [آية: ٢] وهي الرياح، وأما قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ [آية: ٣] وهي أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة، أما قوله: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ [آية: ٤] فهو القرآن فرق بين الحق والباطل، وأما قوله: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [آية: ٥] فهو جبريل ﷺ وحده يلقي الذكر على ألسنة الأنبياء والرسل، وهو التاليات ذكرًا، قوله: ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ [آية: ٦] يقول: عذرًا من الله، ونذرًا إلى خلقه قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من امر الساعة ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ [آية: ٧] يعني لكائن، ثم ما يكون في ذلك اليوم أنه لكائن، ﴿**وإن الدين لواقع**﴾ [الصافات: ٣] يقول: وأن الحساب لكائن.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾

قوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [آية: ٨] بعد الضوء والبياض إلى السواد، وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ [آية: ٩] يقول: انفرجت عن نزول من فيها من الملائكة،ورب العزة لحساب الخلائق ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ [آية: ١٠] يقول: من أصلها حتى استوت بالأرض، كما كانت أول مرة، وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ [آية: ١١] يقول: جمعت، ثم رجع إلى الساعة في التقديم، فقال: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾ [آية: ١٢] يقول: لأي يوم أجلها يعني الساعة يوم القيامة، وجمع الملائكة.

قال تعالى: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [آية: ١٣] يعني يوم القضاء ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾

[آية: ١٤] ما هو؟ تعظيمًا لشدتها فكذبوا بذلك اليوم، يقول الله تعالى فأوعدهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٥] بالبعث، فقال: يا محمد ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٦] الذين كذبوا بيوم القيامة أهلكتهم بالصيحة والخسف والمسخ والفرق والعدو ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٧] بالأولين بالهلاك يعنى العذاب يعنى كفار مكة لما كذبوا بمحمد ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٨] يقول: هكذا نفعل بالمجرمين يعنى الكفار الظلمة، يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ أى فاحذروا، أيا أهل مكة، أن نفعل بكم كما فعلنا بالقرون الأولى، ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٩] بالبعث، ثم بين لهم بدء خلق أنفسهم لئلا يكذبوا بالبعث، وليعتبروا فقال: يا معشر المكذبين ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: ماء ضعيف وهو النطفة ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى الماء يمكن فى الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى تسعة أشهر ﴿فَقَدَرْنَا﴾ الصبى فى رحم أمه تسعة أشهر، ودون ذلك أو فوق ذلك فقال الله عز وجل: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [آية: ٢٣].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٤] قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [آية: ٢٥]

﴿أَحۡيَآءً وَأَمۡوَٰتًا﴾ [آية: ٢٦] يقول: أليس قد جعل لكم الأرض كفاتا لكم، تدفنون فيها، أمواتكم وتبثون عليها أحياءكم، وتسكنون عليها فقد كفت الموتى والأحياء، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ وهى جبال راسخة فى الأرض وأتادا، ثم قال: ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [آية: ٢٧] يقول: ماء حلوا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٨] بالبعث وقد علموا أن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء كلها، قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢٩] فى الدنيا أنه غير كائن وهى النار وذلك أنه إذا انطلق أهل النار وهى تهمهم، زفرت جهنم زفرة واحدة فيخرج عنق فيحيط بأهلها، ثم تزفر زفرة أخرى فيخرج عتق لها من نار وتحيط بهم، ثم تزفر الثالثة فيخرج عنق فيحيط بالآخرين فتصير حولهم سرادق من نار فيخرج دخان من جهنم فيقوم فوقهم، فيظن أهلها أنه ظل وأنه سينفعهم من هذه النار، فينطلقون كلهم بأجمعهم فيستظلون تحتها، فيجدونها أشد حرًا من السرادق، فذلك قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ وهو شعب بجهنم، أنهم كذبوا الرسل فى الدنيا بأن العذاب فى الآخرة ليس كائن، فتقول لهم الملائكة الخزان ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [آية: ٣٠] لأنها تنقطع ثلاث قطع.

قوله: ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ يقول: لا بارد ﴿وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [آية: ٣١] يقول: من ذلك السرادق الذى قد أحاط حولهم، ثم ذكر الظل فقال: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ [آية: ٣٢] وهو أصول الشجر يكون فى البرية، فإذا جاء الشتاء قطعت أغصانها فتبقى أصولها، فيحرقها البرد فتسود فتراها فى البرية كأمثال الجمال إذا أنيخب فى البرية، فذلك قوله: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [آية: ٣٣] يقول: كأنها جمال سوداء غذا رأيتها من مكان بعيد ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٤] بالبعث، ثم ذكر الويل متى يكون؟ فقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ﴾ فى الكلام ﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [آية: ٣٦] فقال أن تعتذروا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٧] بالبعث، ثم قال إن: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ وهو يوم القيامة وهو يوم الدين ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ يا معشر أهل مكة، وسائر الناس ممن بعدكم ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٨] الذين كذبوا بالبعث من قبلكم من الأمم الخالية ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: إن كان لكم مكرنا مكروا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٠] بالبعث.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعنى به الموحدين ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [آية: ٤١] يعنى فى جنات، يقول: فى البساتين ونعيم فهو اللباس الذى يلبسون من سندس واستبرق والحرير

والنساء ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [آية: ٤٢] ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٤٣] من الحسنات فى دار الدنيا، ثم يا محمد ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٤٤] يقول: هكذا تجزى المحسنين من أمتك بأعمالهم فى الجنة، ثم قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٥] بالبعث ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٤٦] فيحل بكم ما أحل بالذين من قبلكم من العذاب ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٧] قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى الصلوات الخمس، قالوا: لانصلى إلا أن يكون بين أيدينا أوثانا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٩] بالبعث ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٠] يعنى بالقرآن.

* * *

سُورَةُ النَّبَإِ

مكية عددها أربعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ١] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢] استفهما للنبى ﷺ عن أى شىء يتساءلون نزلت فى أبى لبابة وأصحابه، وذلك أن كفار مكة كانوا يجتمعون عند رسول الله ﷺ ويسمعون حديثه إذا حدثهم خالفوا قوله، واستهزءوا منه وسخروا، فأنزل الله تعالى: ﴿**أن إذا سمعتم**﴾ يا محمد ﴿**آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾ [النساء: ١٤٠].

فكان رسول الله ﷺ يحدث المؤمنين فإذا رأى رجلا من المشركين كف عن الحديث حتى يذهب، ثم أقبلوا بجماعتهم فقالوا: يا محمد، أبخلت بما كنت تحدثنا؟ لو أنك حدثتنا عن القرون الأولى فإن حديثك عجب، قال: لا، والله لا أحدثكم بعد يومى هذا وربى قد نهانى عنه فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعنى القرآن كقوله: ﴿**قل هو نبأ عظيم**﴾ [ص: ٦٧] لأنه كلام الله تعالى، قال ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٣] يقول: لم يسألون عن القرآن وهم يخالفونه، ولا يؤمنون به؟ فصدق بعضهم به، وكفر بعضهم به، فاختلفوا فيه، ثم خوفهم الوعيد، فقال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] إذا قتلوا ببدر وتوفتهم الملائكة ظالمى أنفسهم، يضربون وجوههم وأدبارهم، ثم قال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥] وعيد على أثر وعيد نزلت فى حيين من أحياء العرب

يعنى عبد مناف بن قصى، وبنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، نظيرها فى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر: ١] ثم ذكر صنعه ليعتبروا إذا بعثوا يوم القيامة وقد كذبوا بالقيامة والبعث فعظم الرب نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [آية: ٦] يعنى فراشًا وأيضًا بساطًا مسيرة خمسمائة عام ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [آية: ٧] على الأرض لئلا تزول بأهلها فاستقرت وخلق الجبال بعد خلق الأرض.

ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [آية: ٨] يعنى أصنافًا ذكورًا وإناثًا، سودًا وبيضًا وحمرًا وأدمًا، ولغات شتى، فذلك قوله: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فهذا كله عظمته، ثك ذكر نعمته فقال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [آية: ٩] يقول: إذا دخل الليل أدر ككم النوم فتستريحون، ولولا النوم ما استرحتم أبدًا من الحرص وطلب المعيشة، فذلك قوله: ﴿سُبَاتًا﴾ لأنه يسبت والنائم مسبوت كأنه ميت لا يعقل ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [آية: ١٠] يعنى سكنا، كقوله: ﴿هن لباس لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] يعنى سكنا لكم فألبسكم ظلمته على خير وشر كثير، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [آية: ١١] لكى تنتشروا لمعيشتكم فهذان نعمتان من نعم الله عليكم، ثم ذكر ملكه وجبروته وارتفاعه فقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [آية: ١٢] يعنى بالسبع السموات وغلظ كل سماء مسيرة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك نظير فى المؤمنين: ﴿خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ [الآية: ١٧] فذلك قوله: ﴿شِدَادًا﴾ قال: وهى فوقكم يا بنى آدم فاحذروا، لا تخر عليكم إن عصيتم.

ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [آية: ١٣] يعنى الشمس وحرها مضيئا، يقول: جعل فيها نورًا وحرًا، ثم ذكر نعمه فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [آية: ١٤] يعنى مطرًا كثيرًا منصبا يتبع بعضه بعضا، وذلك أن الله عز وجل يرسل الياح فتأخذ الماء من سماء الدنيا من بحر الأرزاق، ولا تقوم الساعة ما دام به قطرة ماء، فذلك قوله: ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] قال تجئ الريح فتثير سحابا فتلحقه، ثم تمطر وتخرج الريح والمطر جميعًا من خلل السحاب، قال: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ يعنى بالمطر ﴿حَبًّا﴾ يعنى بالحبوب كل شىء يزرع ويحصد من البر والشعير والسمسم ونحوها من الحبوب، قال: ﴿وَنَبَاتًا﴾ [آية: ١٥] يعنى كل شىء ينبت فى الجهال واصحارى من الشجر والكلا فذلك النبات، وهى تنبت عامًا بعام من قبل نفسها ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [آية: ١٦] يعنى وبساتين ملتفة بعضها إلى بعض من كثرة الشجر.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ

ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا
﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا
﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن
نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يعنى يوم القضاء هو يوم القيامة بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتٗا﴾ [آية: ١٧] يعنى كان ميقات الكافر، وذلك أنهم كانوا يقولون: ﴿**متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾ [يس: ٤٨] فأنزل الله عز وجل يخبرهم بأن ميقات ذلك اليوم كائن يوم الفصل يا معشر الكفار، فتجازون ما وعدكم على ألسنة الرسل، ثم أخبرهم أيضًا فقال: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وذلك أن إسرافيل، عليه السلام، ينفخ فيها فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المتقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها الأشعار الساقطة، اجتمعن لننفخ فيكم أرواحكم، واجازكم بأعمالكم ويديم الملك الصوت، فتجتمع الأرواح كلها فى القرن، والقرن طوله طول السموات والأرض، فتخرج أرواحهم مثل النحل سود وبيض شقى وسعيد، أرواح المؤمنين، بيض كأمثال النحل من السماء إلى واد بدمشق يقال له: الجابية، وتخرج أروح الكفار من الأرض السفلى سود إلى ود بحضرموت يقال له: برهوت، وكل روح أعرف بجسد صاحبه من أحدكم إلى منزله ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [آية: ١٨] ثم ينزل إسرافيل من فوق السماء السابعة، فيجلس على صخرة بيت المقدس،فيأخذ أرواح الكفار والمؤمنين ويجعلهم فى القرن، ودائرة القرن مسيرة خمسمائة عام، ثم تنفخ فى القرن فتطير الأرواح حتى تطبق ما بين السماء والأرض، فتذهب كل روح فتقع فى جسد صاحبها، فيخرج الناس من قبورهم فوجا، فذلك قوله: ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ يعنى زمرًا زمرًا، وفرقًا فرقًا، وأممًا أممًا، ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعنى وفرجت السماء، يعنى وفتقت السماء فتقطعت ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [آية: ١٩] يعنى خللا خللا فشبها الله بالغيم إذا انكشفت بعد المطر، ثم تهيج به الريح الشمال الباردة فينقطع فيصير كالأبواب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ يعنى ونقلعت الجبال من أماكنها، فطارت بين السماء والأرض من خشية الله، فضرب الله لها مثلا، فقال: ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى مثل السراب يكون بالقاع يحسبه الظمآن ماء، فإذا أتاه لم يجده شيئًا، فذلك قوله: ﴿**تحسبها جامدة**﴾ [النمل: ٨٨] يعنى من بعيد يحسبها جبلا قائمًا، فإذا انتهى

إليه ومسه لم يجده شيئًا، فتصير الجبال أول مرة كالمهل، ثم تصير الثانية كالعهن المنفوش، ثم تذهب فتصير لا شيء فتراها تحسبها جبالا، فإذا مسستها لم تجدها شيئًا، فذلك قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ يعنى انقطعت الجبال من خشية الله عز وجل يوم القيامة فكانت سرابًا فما حالك يا بن آدم.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [آية: ٢١] ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ يعنى الكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى المشركين مرجعًا إليها نزلت فى الوليد بن المغيرة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ ثم ذكركم يلبثون فى النار فلم يوقت لهم فقال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ يعنى فى جهنم ﴿أَحْقَابًا﴾ [آية: ٢٣] يعنى فى جهنم أحقابا وهى سبعة عشر حقبًا، يعنى الأزمنة والأحقاب لا يدرى عدها، ولا يعلم منتهاه إلا الله عز وجل، الحقب الواحد ثمانون سنة، السنة فيها ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم فيها مقدار ألف سنة، وكان هذا بمكة، وأنزل الله عز وجل ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ فى تلك الأحقاب ﴿بَرْدًا﴾ يعنى برد الكافور ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى الخمر كفعل أهل الجنة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [آية: ٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ يعنى حارًا، وأيضًا لا يذقون فى جهنم بردًا ولا شرابًا، يعنى لا يذقون فيها روحا طيبًا، ولا شرابًا باردًا ينفعهم من هذه النار.

قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى ويقال البرد: اليوم، ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ يعنى بالحميم المذاب الذى قد انتهى حره، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ الذى قد انتهى برده، وهو الزمهرير الذى انتهى برده ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [آية: ٢٦] كما أنه ليس فى الأعمال أخبث من الشرك بالله عز وجل وكذلم ليس من العذاب شيء أخبث من النار فوافقت النار الشرك، ثم قال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [آية: ٢٧] يعنى أنهم كانوا لا يخافون من العذاب أن يحاسبوا بأعمالهم الخبيثة إذا عملوها، قال: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ [آية: ٢٨] يعنى تكذيبًا بما فيه من الأمر والنهى، ثم رجع إلى أعمالهم الخبيثة فقال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ من الأعمال ﴿كِتَٰبًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى ثبتناه مكتوبًا عندنا فى كتاب حفيظ يعنى اللوح المحفوظ ﴿كِتَٰبًا﴾ يعنى ما عملوا من السيئات أثبتناه فى اللوح المحفوظ مثلها، فى يس: ﴿**وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين**﴾ [الآية: ١٢] ثم رجع إلى أهل النار الذين قال فيهم: ﴿**لابثين فيها أحقاب**﴾ [النبأ: ٢٣] فذكر أن الخزنة تقول لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [آية: ٣٠].

قال مقاتل، عن أبى الزبير، عن جابر، عن النبى ﷺ: إنه قال: الزيادة خمسة أنهار من

تحت العرش على رؤس أهل النار ثلاثة أنها على مقدر الليل،ونهران على مقدار النهار، كقوله فى النحل: ﴿**زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾ [الآية: ٨٨].

قال: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ بعد هذه السنين، فأما الزيادة فالأنهار، أما الآن الذى ذكره الله عز وجل فى الرحمن فليس له منتهى.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [آية: ٣١] يعنى النجاة من ذلك العذاب الذى سماه للطاغين قال: ﴿حَدَآئِقَ﴾ يعنى البساتين قد حدقت حواليها الحيطان ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ [آية: ٣٢] يعنى الفواكه ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ يعنى النساء الكاعبة يعنى عذارى يسكن فى الجنة للرجال وقسموا لهن ﴿أَتْرَابًا﴾ [آية: ٣٣] يعنى مستويات على ميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثيت سنة، وذلك أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة قام ملك على قصر من ياقوت شرفه كاللؤلؤ المكنون فينادى بصوت رفيع يسمع أهل الجنة أولهم وآخرهم وأسفلهم وأعلاهم، فيقول أين الذين كانوا نزهوا أسماعهم عن قينات الدنيا ومعازفها، قال ويأمر الله عز وجل جوارى فيرفعن أصواتهن جميعًا.

ثم قال: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [آية: ٣٤] يعنى وشرابا كثيرًا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ إذا شربوا ﴿لَغْوًا﴾ يعنى حلف الباطل ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [آية: ٣٥] يقول: ولا يكذبون على شرابهم كما يكذب أهل الدنيا إذا شربوا، ثم جمع أهل النار، وأهل الجنة، فقال: ﴿جَزَآءً﴾ يعنى ثوابا ﴿مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى يحاسب المسيئين فيجازهم بالنار، ويحاسب المؤمنين فيجازيهم بالجنة، فأعطى هؤلاء وهؤلاء جزاءهم و لم يظلم هؤلاء المعذبين شيئًا، فذلك قوله: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ نظيرها فى الشعراء: ﴿**إن حسابهم إلا على ربى**﴾ [الآية: ١١٣] يقول: إن جزاؤهم إلا على ربى، ثم عظم الرب تعالى نفسه ودل على صنعه فقال: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعنى الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب،

والرياح، قال: هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ الرحيم، وهم ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ [آية: ٣٧] يعنى المناجاة، إذا استوى للحساب ثم أخبرهم متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو املك الذى قال الله عز وجل عنه: ﴿يسألونك عن الروح﴾ [الإسراء: ٨٥] وجهه وجه آدم، عليه السلام، ونصفه من نار، ونصفه من ثلج، فيسبح بحمد ربه ويقول: رب كما ألفت بين هذه النار وهذا الثلج، تذيب هذه النار هذا الثلج، ولا يطفئ هذا الثلج هذه النار، فكذلك ألف بين عبادك المؤمنين فاختصه الله تعالى من بين الخلق من عظمه، فقال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ من الخوف أربعين عامًا، ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بالكلام ﴿وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [آية: ٣٨] يعنى شهادة ألا إله إلا الله، فذلك الصواب ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ لأن العرب قالوا: إن القيامة باطل، فذلك قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [آية: ٣٩] يعنى منزلة يعنى الأعمال الصالحة، ثم خوفهم أيضًا العذاب فى الدنيا فقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ يعنى فى الدنيا القتل ببدر، وهلاك الأمم الخالية،وإنما قال قريبًا لأنها أقرب من الآخرة، ثم رجع إلى القول الأول حين قال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ فقال: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ يعنى الإنسان الخاطئ يرى عمله أسود مثل الجبل ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [آية: ٤٠] وذلك أن الله عز وجل يجمع الوحوش والسباع يوم القيامة فيقتص لبعضهم من بعض حقوقهم، حتى ليأخذ للجماعة من القرناء بحقها، ثم يقول لهم: كونوا ترابًا فيتمنى الكافر لو كان خنزيرًا فى الدنيا ثم صار ترابًا كما كانت الوحوش والسباع ثم صارت ترابًا.

* * *

سورة النازعات

مكية، عددها ست وأربعون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [آية: ١] فهو ملك الموت وحده، ينزع روح الكافر حتى إذا بلغ ترقوته غرقه فى حلقه، فيعذبه فى حياته قبل أن يميته، ثم ينشطها من حلقه كما ينشط السفود الكثير الشمث من الصوف فينشط روح الكافر من قدمه إلى حلقه مثل الصوف، فذلك قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [آية: ٢] فهو ملك الموت فيخرج نفسه من حلقه ومعها العروق كالغريق من الماء وأما قوله: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [آية: ٣] وهو ملك الموت وحده، وهى روح المؤمن ولكن قال فى التقديم: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ ثم ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ تقبض روح المؤمن كالسابح فى الماء لا يهوله الماء يقول: تستبق الملائكة أرواحهم فى حريرة بيضاء من حرير الجنة، يسبقون بها ملائكة الرحمة، ووجوههم مثل الشمس عليهم تاج من نور ضاحكين مستبشرين طيبين، فذلك قوله: ﴿**تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾ [النحل: ٣٢]، قال: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ يقول: تسبح الملائكة فى السموات لا تحجب روحه فى السماء حتى يبلغ به الملك عند سدرة المنتهى عندها مأوى أرواح المؤمنين فأما الكافر فإنه أول ما ينزل الملك الروح من جسده، فتستبق ملائكة الغضب وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق غضاب، حرهم أشد من حر النار فتوضع روحه على جمر مثل الكبريت، فيضعون روحه عليه، وتقلب روحه عليه، مثل السمك، على الطابق، ولا تفتح أبواب السماء فيهبط به الملك حتى يضعه فى سجين وهى الأرض السفلى تحت خد إبليس.

هذا معنى ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [آية: ٤] أما قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [آية: ٥] فهم الملائكة منهم الخزان الذين يكونون مع الرياح، ومع المطر، ومع الكواكب، وع

الشمس، والقمر، ومع الإنس والجن، فكذلك هم، ويقال: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، عليهم السلام، الذين يدبرون أمر الله تعالى، فى عباده وبلاده، وبأمره.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [آية: ٦] وهى النفخة الأولى وإنما سميت الراجفة لأنها تميت الخلق كلهم، كقوله: ﴿**فأخذتهم الرجفة**﴾ [الأعراف: ٧٨] يعنى الموت، من فوق سبع سموات من عند العرش فيموت الخلق كلهم.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [آية: ٧] وهى النفخة الثانية أردفت النفخة الأولى بينهما أربعون سنة، أسمعت الخلائق وهى عند صخرة بيت المقدس، وذلك أنه ينزل إسرافيل وترتفع أرواح الكفار من تحت الأرض السفلى إلى واد يقال له: برهوت، وهو بحضر موت، وهو كأشر وادٍ فى الأرض، وتنزل أرواح المؤمنين من فوق سبع سموات إلى واد يقال له: الجابية، وهو بالشام، وهو خير واد فى الأرض فيأخذ هؤلاء وهؤلاء جميعها إسرافيل فيجعلهم فى القرن وهو الصور فينفخ فيه، فيقول أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، اخرجوا من قبوركم لتجازوا بأعمالكم، ثم قال: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى خائفة ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ [آية: ٩] يعنى ذليلة مما رأت عند معاينة النار، فخضعت كقوله: ﴿**خاشعين من الذل**﴾ مما ترى من العجائب ومما ترى من أمر الآخرة.

ثم أخبر الله عز وجل عن كفار مكة فقال: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [آية: ١٠] تعجبًا منها، فيما تقديم، يقولون إنا لراجعون على أقدامنا إلى الحياة بعد الموت، هذا قول كفار مكة، ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ [آية: ١١] يعنى بالية، أى: أنا لا نبعث خلقًا كما كنا ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [آية: ١٢] قالوا إن بعثنا بعد الموت إنا إذا لخاسرون يعنى هالكون، ثم قال الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [آية: ١٣] يقول: فإنما هى صيحة واحدة من غسرافيل، عليه السلام، فيسمعونها وهم فى بطن الأرض أمواتًا ولايثنيها ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [آية: ١٤] يعنى الأرض الجديدة

التى تبسط على هذه الأرض فيسلها الله عز وجل من تحتها كما يسل الثوب الخلق البالى، فذلك قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ يقول بالأرض الأخرى واسمها الساهرة.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [آية: ١٥] قبل هذا ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ يقول: بالوادى المطهر اسمه ﴿طُوًى﴾ [آية: ١٦] لأن الله عز وجل طوى عليه القدس، وكان نداؤه إياه أنه قال: يا موسى، فناداه من الشجرة، وهى الشمران، فقال: يا موسى، إنى أنا ربك، يا موسى، ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [آية: ١٧] يقول: إنه قد بلغ من طغيانه أنه عبد، وفى قراءة ابن مسعود «طغى» لأنه لم يعبد صنما قط ولكنه دعا الناس إلى عبادته، فذلك قوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [آية: ١٨] يقول: هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عظمته ﴿فَتَخۡشَىٰ﴾ [آية: ١٩] يخبر الله عز وجل محمدًا ﷺ بخبره، قال له فرعون: ما هى؟ قال: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [آية: ٢٠] وهى اليد والعصا أخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر، فكانت اليد أعظم وأعجب من العصا من غير سوء يعنى من غير برص، قال: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [آية: ٢١] وزعن أنه ليس من الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰ﴾ فقال: إنه سحر، ﴿وَعَصَىٰ﴾ أيضًا يعنى استعصى عن الإيمان، قال: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الحق ﴿يَسۡعَىٰ﴾ [آية: ٢٢] يعنى فى جمع السحر فهو قوله: ﴿**فجمع كيده**﴾ [طه: ٦] ثم أتى بهم ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [آية: ٢٣] يقول حشر القبط ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [آية: ٢٤] وذلك أن موسى ﷺ قال لفرعون: لك ملكك فلا يزول، وذلك شبابك فلا تهرم، وذلك الجنة إذا مت، على أن يقول ربى الله وأنا عبده، فقال فرعون: إنك لعاجز بيننا يكون الرجل ربا يعبد حتى يكون له رب، فقال، فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ يقول: ليس لى رب فوق، فذلك الأعلى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ بعقوبة قوله: ﴿نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [آية: ٢٥] وكان بينهما أربعين سنة، الأولى قوله: ﴿**ما علمت لكم من إله غيرى**﴾ [القصص: ٣٨] والآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يقول: إن فى هلاك

فرعون وقومه ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [آية: ٢٦] يعنى لمن يذكر الله تعالى، يقول: لمن يخشى عقوبة الله تعالى، مثل ما فعل آل فرعون فلا يشرك، يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فيجازيهم مثل ما حل بقوم فرعون من العذاب.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

ثم قال: يا معشر العرب ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [آية: ٢٧] يقول: أنتم أشد قوة من السماء لأنه قال: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ [الأنفطار: ١] و ﴿**إذا السماء انشق**﴾ [الانشقاق: ١] يقول: فما حالكم أنتم، يا بنى آدم، وأنتم أضعف من السماء؟ ثم قال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ يعنى طولها مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [آية: ٢٨] ليس فيها خلل، قوله: ﴿وَأَغْطَشَ﴾ يقول وأظلم ﴿لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [آية: ٢٩] يعنى وأبرز، يقول: وأخرج شمسها، وإنما صارت مؤنثة لأن ظلمة الليل فى السموات وظلمة الليل من السماء تجئ، قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [آية: ٣٠] يقول: بعد بناء السماء، بسطها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [آية: ٣١] يقول: بحورها ونباتها لأن النبات والماء يكونان من الأرض ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [آية: ٣٢] يقول: أوتدها فى الأرض لئلا نزول، فاستقرت بأهلها، ثم رجع إلى مرعاها، فقال فيها: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [آية: ٣٣] يقول: معيشة لكم ولمواشيكم.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [آية: ٣٤] يعنى العظمى، وهى النفخة الآخرة من بيت المقدس، فذلك الطامة الكبرى، وهى يوم القيامة.

قال الهذيل: أغطش ليلها وأخرج ضحاها إنما صارت مؤنثة لأن ظلمة الليل والشمس فى السماء مؤنثة، قال: وقال شاهر همذان يوم اليرموك:

أقـدم أبـادهم علـى الأسـاوره ولاتغرنـك أكـف بـادره
وإنمـا قصـرك تـرب الساهـره ثـم تـرد بعدها فـى الحافـره
من بعد ما كنت عظامًا ناخره

قال: وفى قوله: ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت﴾ يعنى فى الخلق الأول من غير أب، ﴿ويوم أموت﴾ من ضغطة القبر، ﴿ويوم أبعث حيا﴾ [مريم: ٣٣] بالحجة على من قال أنى رب.

ثم نعت الطامة فقال: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [آية: ٣٥] يعنى يتذكر ما عمل فى الدنيا من الشر، يجزى به فى ذلك اليوم ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [آية: ٣٦] لأن الخلق يؤمئذ يبصرونها فمن كان منها أعمى فى الدنيا؟ فهو يؤمئذ يبصر، قال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [آية: ٣٧] ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ٣٨] نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارض بن علقمة بن كلدة، وفى حبيب بن عبد ياليل، وأمية بن خلف الجمحى، عتبة، وعتيبة ابنى أبى لهب، فهؤلاء كفار ومنهم مصعب، وأبو الدوم ابنا عمير، وذلك أنهم وجدوا جزورًا فى البرية ضلت من الأعراب فنحروها وجعلوا يقتسمونها بينهم فأصاب مصعب، وأبو الدوم سهمين، ثم إن مصعب ذكر مقامه بين يدى رب العالمين، فخاف أن يحاسبه الله تعالى يوم القيامة، فقال: إن سهمى وسهم أخى هو لكم، فقال له عند ذلك أمية بن خلف: وليم؟ قال: إنى أخاف أن يحاسبنى الله به، فقال له أمية بن خلف: هاته وأنا أحمل عنك هذا الوزر عند إلهتك فى الآخرة وفشت تلك المقالة فى قريش فى أمر مصعب فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ الثابت على الشرك، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، ولم يخف الله ولا حسابه فأكل الحرام ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [آية: ٣٩] ثم ذكر مصعب، قتل يوم أحد، وأبا الدوم ابنى عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: مقام ذلك اليوم بين يدى ربه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [آية: ٤٠] يقول: قدر على معصيته فانتهى عنها مخافة حساب ذلك اليوم ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [آية: ٤١] نظيرها فى النجم.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

فخرج رسول الله ﷺ عند ذلك فقرأها عليهم، فقالوا: متى هذا اليوم يا محمد؟ فأنزل

الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [آية: ٤٢] فأجاب الله عز وجل النبى ﷺ فى النمل فقال: ﴿**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ [الآية: ٦٥] يقول: يسالونك عن القيامة متى قيامها، فقال: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [آية: ٤٣] أى من أين تعلم ذلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [آية: ٤٤] يقول: منتهى علم ذلك إلى الله عز وجل، نظيرها فى الأعراف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [آية: ٤٥] يقول: إنما أنت رسول تنذر بالساعة من يخشى ذلك اليوم، ثم نعت ذلك اليوم فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ الساعة يظنون أنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ فى الدنيا ونعيمها ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ وهى ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [آية: ٤٦] يقول: أو ما بين طلوع الشمس إلى أن ترتفع الشمس على قدر عشية الدنيا أو ضحا الدنيا.

* * *

سورة عبس

مكية عددها اثنتان وأربعون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾

قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١] يقول: عبس بوجهه وأعرض إلى غيره نزلت فى عبد الله بن أبى مسرح الأعمر، وأمه أم مكتوم، اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبد ود بن بغيض بن عامر بن لؤى بن غالب.

وأما أم مكتوم: اسمها عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، وذلك أنه ذات يوم كان جالسًا فى المسجد الحرام وحده ليس معه ثان وكان رجلا مكفوف البصر، إذ نزل ملكان من السماء ليصليا فى المسجد الحرام، فقالا: من هذا الأعمى الذى لا يبصر فى ادنيا ولا فى الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجب من أبى طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله ﷺ وإذا معه أمية بن خلف، والعباس بن عبد المطلب وهما قيام بين يديه يعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يامحمد، قد جئتك تائبًا فهل لى من توبة؟ فأعرض النبى ﷺ وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأمية بن خلف، فكرر عبد الله كلامه فأعرض النبى ﷺ بوجهه وكلح فاستحيى عبد الله وظن أنه ليس له توبة فرجع إلى منزله، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعنى كلح النبى ﷺ وتولى ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [آية: ٢] ثم قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [آية: ٣] يقول: لعله أن يؤمن فيصلى فيتذكر فى القرآن بما قد أفسد ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فى القرآن ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [آية: ٤] يعنى المواعظة، يقول: أن تعرض عليه الإسلام فيؤمن فتنفعه تلك الكرى ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [آية: ٥] عن الله فى نفسه يعنى أمية بن خلف ﴿فَأَنتَ لَهُۥ

تَصَدَّىٰ﴾ [آية: ٦] يعنى تدعو وتقبل بوجهك ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [آية: ٧] يقول: وما عليك ألا يؤمن ولا يصلح ما قد أفسد، هؤلاء النفر.

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)﴾

﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ [آية: ٨] فى الحر ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [آية: ٩] الله يعنى بن أن كتوم ﴿فَأَنتَ عَنْهُ﴾ يا محمد ﴿تَلَهَّىٰ﴾ [آية: ١٠] يعنى تعرض بوجهك عنه، ثم وعظ الله عز وجل النبى ﷺ أن لا يقبل على من استغنى عنه فقال: لا تقبل عليهولا تعرض عن من جاءك يسعى، ولا تقبل على من استغنى وتعرض عن من يخشى ربه، فلما نزلت هذه الآية فى ابن مكتوم، أكرمه النبى ﷺ واستخلفه بعد ذلك على المدينة مرتين فى غزواته، ثم انقطع الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [آية: ١١] يعنى آيات القرآن ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [آية: ١٢] يعنى الرب تعالى نفسه، يقول: من شاء الله تعالى فهمه يعنى القرآن، يقول من شاء ذكر، أن يفرض الأمر إلى عباده.

ثم قال: إن هذا القرآن ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى فى كتب مكرمة ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ يعنى به اللوح المحفوظ، مرفوعة فوق السماء الرابعة، نظيرها فى الواقعة عند الله ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [آية: ١٤] من الشرك والكفر ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [آية: ١٥] يعنى تلك الصحف بأيدى كتبة كرام مسلمين، ثم اثنى على الملائكة الكتبة، فقال: ﴿كِرَامٍ﴾ يعنى مسلمين، وهم الملائكة ﴿بَرَرَةٍ﴾ [آية: ١٦] يعنى مطعين لله تعالى أنقياء أبرار من الذنوب، وكان ينزل إليهم من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر، إلى الكتبة من الملائكة، ثم ينزل به جبريل إلى النبى ﷺ، ثم انقطع الكلام، فذلك قوله: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ يعنى لعن الإنسان ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [آية: ١٧] يقول: الذى أكفره، نزلت هذه الآية فى عتيبة بنأبى لهب بن عبد المطلب، وذلك أنه كان غضب على أبيه فأتى محمدًا ﷺ فآمن به، فلما رضى أبوه عنه وصالحه وجهزه وسرحه إلى الشام بالتجارات فقال: بلغوا محمدًا عن غتبة أنه قد كفر بالنجم، فلما سمع ذلك النبى ﷺ، قال: اللهم سلط عليه كلبك يأكله فنزل ليلا فى بعض الطريق فجاء الأسد فأكله، ثم قال وهو يعلم: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ

خَلَقَهُۥ﴾ [آية: ١٨] فأعلمه كيف خلقه ليعتبر فى خلقه فقال: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [آية: ١٩] فى بطن أمه من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم عظمًا، ثم روحًا، فقدر هذا الخلق فى بطن أمه ثم أخرج من بطن أمه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [آية: ٢٠] يعنى هون طريقه فى الخروج من بطن أمه يقول يسره للخروج أفلا يعتبر فيوحد الله فى حسن خلقه فيشكر الله فى نعمه ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾ عند أجله ﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [آية: ٢١].

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [آية: ٢٢] فى الآخرة يعنى إذا شاء بعثه من بعد موته ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمن الإنسان بالنشور، ثم استأنف فقال: ﴿لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ما عهد الله إليه أمر الميثاق الأول، يعنى التوحيد، يعنى بهآدم، عليه السلام، ثم استأنف ذكر ما خلق عليه، فذكر رزقه ليعتبر.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾

فقال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى عتبة بن أبى لهب ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [آية: ٢٤] يعنى رزقه ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ [آية: ٢٥] على الأرض يعنى المطر ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [آية: ٢٦] يعنى عن النبت والشجر ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾ [آية: ٢٧] يعنى الحبوب كلها ﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا﴾ [آية: ٢٨] يعنى به الرطاب ﴿وَزَيۡتُونٗا﴾ يعنى الرطبة التى يعصر منها الزيت ﴿وَنَخۡلٗا﴾ [آية: ٢٩] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ [آية: ٣٠] يعنى الشجر الملتف الشجرة التى يدخل بعضها فى جوف بعض ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [آية: ٣١] يعنى المرعى ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ﴾ يقول: فى هذا كله متاعًا لكم ﴿وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [آية: ٣٢] ففى هذا معتبر، وقال النبى ﷺ: «خلقتم من سبع، ورزقتم من سبع، وخرجتم على سبع».

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [آية: ٣٣] يعنى الصيحة صاخت أسماع الخلق بالصيحة من الصائح يسمعها الخلق، ثم عظم الرب عز وجل، ذلك فقال: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾

[آية: ٣٤] يعنى لا يلتفت إليه ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [آية: ٣٥].

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يعنى وامرأته ﴿وَبَنِيهِ﴾ [آية: ٣٦] ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [آية: ٣٧] يعنى إذا وكل بكل إنسان ما يشغله، عن هؤلاء الأقرباء ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾ [آية: ٣٨] يعنى فرحة بهجة، ثم نعتها فقال: ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ [آية: ٣٩] لما أعطيت منالخير واكرامة،قال: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾ [آية: ٤٠] يعنى السواد كقوله: ﴿**سنسمه**﴾ بالسواد ﴿**على الخرطوم**﴾ [القلم: ١٦] ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [آية: ٤١] يعنى يغشاها الكسوف وهى الظلمة، ثم أخبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين كتب الله هذا لهم الشر فى الآخرة ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ﴾ يعنى الجحدة والظلمة وهم ﴿ٱلۡفَجَرَةُ﴾ [آية: ٤٢] يعنى الكذبة.

قال النبى ﷺ: «نزل القرآن فى ليلة القدر جميعًا كله من اللوح المحفوظ إلى السفرة من الملائكة فى السماء الدنيا، ثم أخبر به جبريل ﷺ فى عشرين شهرًا، ثم أخبر به جبريل النبى ﷺ فى عشرين سنة».

* * *

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مكية عددها تسعوعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [آية: ١] فذهب ضوؤها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [آية: ٢] يعنى اكدارت الكواكب وتناثرت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [آية: ٣] من أماكنها واستوت بالأرض كما كانت أول مرة ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [آية: ٤] يعنى وإذا النوق الحوامل أهملت، يعنى الناقة الحاملة نسيها أربابها، وذلك أنه ليس شيء أحب إلى الأعراب من الناقة الحاملة، يقول: أهملها أربابها للأمر الذى عاينوه ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [آية: ٥] يعنى جمعت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [آية: ٦] يعنى فجرت بعضها فى جوف بعض العذب والمالح، ملئت فى البحر المسجور، يعنى الممتلئ، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا مثل طشت فيه ماء.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [آية: ٧] أزوجت أنفس المؤمنين مع الحور العين، وأزوجت أنفس الكافرين مع الشياطين، يعنى ابن آدم وشيطانه مقرونًا فى السلسلة الواحدة زوجان، نظيرها فى سورة الصافات، قوله عز وجل: ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾ [الصافات: ٢٢]، يعنى قرناءهم ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [آية: ٨] يعنى دفن البنات، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا ولدت له الابنة دفنها فى التراب، وهى حية، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [آية: ٩] سأل قاتلها بأى ذنب قتلها، وهى حية لم تذنب قط ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن المرء إذا مات طويت صحيفته، فإذا كان يوم القيامة نشرت للجن والإنس فيطعون كتبهم،

فتعطيهم الحفظة منشورًا بأيمانهم وشمائلهم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [آية: ١١] عن من فيها لنزول الرب تبارك وتعالى والملائكة، ثم طويت.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [آية: ١٢] يعنى أوقدت لأعدائه ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [آية: ١٣] يعنى قربت لأوليائه ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [آية: ١٤] يعنى علمت ما عملت فاستيقنت من خير، أو شر تجزى به كل هذا يوم القيامة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

ثم أقسم الرب تعالى، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ يعنى أقسم ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ [آية: ١٥] وهى خمس من الكواكب، بهرام، والزهرة، وزحل، والبرجهس، يعنى المشترى، وعطارد، والخنس التى خنست بالنهار فلا ترى، وظهرت بالليل فترى، قال: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [آية: ١٦] لأنهن يجرين فى السماء الكنس، يعنى تتوارى كما تتوارى الظباء فى كناسهن ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [آية: ١٧] يعنى إذا أظلم ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [آية: ١٨] يعنى إذا أضاء لونه فأقسم الله تعالى بهؤلاء الآيات أن هذا القرآن ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ١٩] على الله، يعنى جبريل، عليه السلام، هو علم محمدًا ﷺ ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ يعنى ذا لطش، وذلك أن النبى ﷺ حين بعث، قال إبليس: من لهذا النبى الذى خرج من أرض تهامة؟ فقال شيطان، واسمه الأبيض، هو صاحب الأنبياء: أنا له، فأتى النبى ﷺ، فوجده فى بيت الصفا، فلما انصرف قام الأبيض فى صورة جبريل ﷺ ليوحى إليه، فنزل جبريل، عليه السلام، فقام وبينه وبين النبى ﷺ فدفعه جبريل ﷺ بيده دفعة هينة فوقع من مكة بأقصى الهند من فرقه. ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [آية: ٢٠] جبريل، عليه السلام، يقول: وهو وجيه عند الله عز وجل.

ثم قال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ يعنى هنالك فى السماوات، كقوله: ﴿**وأزلفنا**﴾ يعنى قربنا ﴿**ثم**﴾ يعنى هنالك، وكقوله: ﴿**وإذا رأيت ثم**﴾ [الإنسان: ٢٠] يعنى هنالك، وذلك أن النبى ﷺ ليلة عرج به إلى السماوات رأى إبراهيم ﷺ وموسى، عليهما السلام،

فصافحوه وأداره جبريل على الملائكة فى السماوات فاستبشروا به، وصافحوه، ورأى مالكًا خازن النار، فلم يكلمه و لم يسلم عليه، فقال النبى ﷺ لجبريل، عليه السلام: «من هذا»؟ قال: هذا مالك خازن جهنم لم يتكلم قط، وهؤلاء النفر معه، فخزنة جهنم نزعت منهم الرأفة والرحمة، وألقى عليهم العبوس، والغضب على أهل جهنم، أما إنهم لو كلموا أحدًا منذ خلقوا لكلموك لكرامتك على الله عز وجل، فقال النبى ﷺ: «قل له، فليكشف عن باب منها»، فكشف عن مثل منخر الثور منها، فتخلخلت فجاءت بأمر عظيم، حسبت أنها الساعة حتى أهيل منها النبى ﷺ، فقال لجبريل: «مره فليردها»، فأمره جبريل، صلى الله عليه، فأطاعه مالك، عليه السلام، فردها، فذلك قوله: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [آية: ٢١] يسمى أمينًا لما استودعه عز وجل من أمره فى خلقه.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى النبى ﷺ، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدًا مجنون، وإنما تقوله من تلقاء نفسه، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى من قبل المطلع، وذلك أن النبى ﷺ رأى جبريل، عليه السلام، فى صورته من قبل المشرق بجبال مكة، قد ملأ الأفق وجلاه فى الأرض، ورأسه فى السماء، وجناح له من قبل المشرج، وجناح له من قبل المغرب، فى صورة البشر، فقال: أنا جبريل، وجعل يمسح عن وجهه، ويقول: أنا أخوك أنا جبريل، حتى أفاق، فقال المؤمنون: ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم، فقال النبى ﷺ: «أتانى جبريل، عليه السلام، فى صورته، فعلقنى هذا من حسنه».

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [آية: ٢٤] بظنين، يعنى وما محمد ﷺ على القرآن بمتهم، ومن قرأ بضنين يعنى ببخيل، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى ملعون، وذلك أن كفار مكة، قالوا: إنما يجئ به الرى، وهو الشيطان، واسمه الرى فيلقيه على لسان محمد ﷺ فيها تقديم، يقول لكفار مكة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى أين تعجلون عن كتابى وأمرى لقولهم إن محمدًا مجنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى ما فى القرآن إلا تذكرة وتفكر للعالمين ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [آية: ٢٨] على الحق، ثم رد المشيئة إلى نفسه، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٩].

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أظلم عن كل دابة، الخنافس، والحيات، والعقارب، والسباع، والوحوش.

* * *

سُورَةُ الانْفِطَار

مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)
وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [آية: ١] يعنى انشقت، يعنى انفرجت من الخوف لنزول الرب عز وجل والملائكة، ثم طويت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [آية: ٢] يعنى تساقطت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ﴾ يعنى العذب والمالح ﴿فُجِّرَتْ﴾ [آية: ٣] بعضها فى جوف بعض، فصارت البحار بحرًا واحدًا فامتلأت ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [آية: ٤] يعنى بحثت عن من فيها من الموتى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من خير ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ [آية: ٥] من سيئة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧)
فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ
(١٠) كِرَامًا كَٰتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ
ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ (١٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا
وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [آية: ٦] نزلت فى أبى الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة، وكان أعور شديد البطش، فقال: لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة، يعنى غره الشيطان. ثم قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [آية: ٧] يعنى فقومك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [آية: ٨] يعنى لو شاء ركبك فى غير صورة الإنسان.

﴿كَلَّا﴾ لا يؤمن هذا الإنسان بمن خلقه وصوره، ثم قال: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [آية: ٩] يعنى الحساب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [آية: ١٠] من الملائكة يحفظون

أعمالكم ثم نعتهم، فقال: ﴿كِرَامًا﴾ يعنى مسلمين ﴿كَٰتِبِينَ﴾ [آية: ١١] يكتبون أعمال بنى آدم بالسريانية، فبأى لسان تكلم ابن آدم؟ فإنه إنما يكتبونه بالسريانية والحساب بالسريايانة، وإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية على لسان محمد ﷺ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ١٢] من الخير والشر فيكتبون ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ يعنى المطيعين لله فى الدنيا ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى نعيم الآخرة.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ يعنى الظلمة فى الدنيا ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ [آية: ١٤] يعنى النار يعنى ما عظم منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يصلون الجحيم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٥] يعنى يوم الحساب يوم يدان بين العباد بأعمالهم ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [آية: ١٦] يعنى الفجار محضرون الجحيم لا يغيبون عنها.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٧] تعظيمًا له، كرره، فقال: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٨] يعنى يوم الحساب، ثم أخبر بنبيه ﷺ عن يوم الدنيا، فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ يعنى لا تقدر ﴿نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يعنى من المنفعة، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [آية: ١٩] يعنى يوم الدين كله لله وحده، يعنى لا يملك يومئذ أحد غيره، وحده.

* * *

سُورَةُ المُطَفِّفِين

مدنية، عددها ست وثلاثون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [آية: ١] الويل واد فى جهنم بعده مسيرة سبعين سنة، فيه تسعون ألف شعب، فى كل شعب سبعون ألف شق، فى كل شق سبعون ألف مغار، فى كل مغار سبعون ألف قصر، فى كل قصر سبعون ألف تابوت من حديد، وفى التابوت سبعون ألف شجرة، فى كل شجرة سبعون ألف غصن من نار، فى كل غسن سبعون ألف ثمرة، فى كل ثمرة دودة طولها سبعون ذراعًا، تحت كل شجرة سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب، فأما الثعابين فطولهن مسيرة شهر فى الغلظ مثل الجبال، وأنيابها مثل النخل، وعقاربها مثل البغال الدهم لها ثلاث مائة وستون فقار، فى كل فقار قلة سم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى المدينة، وكان بسوق الجاهلية لهم كيلين وميزانين معلومة لا يعاب عليهم فيها، فكان الرجل إذا اشترى بالكيل الزائد، وإذا باعه بالناقص، وكانوا يريجون بين الكيلين، وبين الميزانين، فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال لهم: «ويل لكم مما تصنعون»، فأنزل الله تعالى التصديق على لسانه، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

ثم ذكر مساوئهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى ينقصون، ثم خوفهم، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين يفعلون هذا ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٥].

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٦] فهو مقدار ثلاث مائة عام إذا أخرجوا من قبورهم، فهم يجولون بعضهم إلى بعض قيامًا ينظرون، ثم خوفهم أيضًا، فقال: ﴿كَلَّا﴾ وهى وعيد مثل ما يقول الإنسان: والله، يحلف بربه والله تعال لا يقول: والله، ولكنه يقول: كلا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [آية: ٧] يعنى أعمال المشركين مكتوبة مختومة بالشر، موضوعة تحت الأرض السفلى، تحت خد إبليس، لأنه أطاعه، وعصى ربه، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [آية: ٨] تعظيمًا لها.

قال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [آية: ٩] ووعدهم أيضًا، فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٠] بالبعث ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ١١] يعنى بيوم الحساب الذى فيه جزاء الأعمال، فقال: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ﴾ بالحساب ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [آية: ١٢] يقول: معتد بربه حيث شك فى نعمته، وتعبد غيره، فهو المعتد، أثيم قلبه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى به كتاب الأولين، مثل كتاب رستم، وأسفندباز، نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث بن علقمة، قدم الحيرة، فكتب حديث رستم وأسفندباز، فلما قدم، قال: ما يحدثكم محمد؟ قالوا: حدثنا عن القرون الأولى، قال: وأنا أحدثكم بمثل ما يحدثكم به محمد أيضًا، فأنزل الله عز وجل، وفيه: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا**﴾ [لقمان: ٦]، فذلك قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ثم وعدهم، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٤] يقول: طبعنا على قلوبهم، فهم لا يبصرون إلى مساوئهم، فيقلعون عنها، ثم أوعدهم، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [آية: ١٥] لأن أهل الجنة يرونه عيانًا لا يحجبهم عنه، ويكلمهم، وأما الكافر، فإنه يقام خلف الحجاب فلا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم حتى يأمر بهم إلى النار ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ يعنى إذا حجبوا عن ربهم ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٧] وذلك أن أهل النار يقول لهم مالك خازن النار هذه: ﴿**النار التى كنتم بها تكذبون**﴾ [سبأ: ٤٢]، ﴿**أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجون ما كنتم تعملون**﴾ [الطور: ١٥، ١٦]، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ثم أوعدهم، فقال: ﴿كَلَّآ﴾ ثم انقطع الكلام، ثم رجع إلى قوله في: ويل للمطفين، فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [آية: ١٨] لفى ساق العرش، يعنى أعمال المؤمنين وحسناتهم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [آية: ١٩] تعظيمًا لها، فقال: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [آية: ٢٠] يعنى كتاب من كتب الخير مختوم ختم بالرحمة مكتوب عند الله عز وجل ﴿يَشۡهَدُهُ﴾ يشهد ذلك ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ٢١] وهم الملائكة من كل سماء سبعة أملاك من مقربى أهل كل سماء يشيعون ذلك العمل الذى يرضاه الله حتى ثبوته عند الله جل وعز، ثم يرجع كل ملك إلى مكانه.

ثم ذكر الأبرار، فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى نعيم الجنة، ثم بين ذلك النعيم، فقال: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٢٣] إلى ذلك النعيم وهى السرر والحجال، فإذا كان سريرًا، ولم يكن عليه حجلة فهو السرير حينئذ، وإذا كانت الحجلة، ولم يكن فيها سرير فهى الحجلة، فإذا اجتمع السرير والحجلة، فهى الأرائك يعنى هؤلاء جلوس ينظرون إلى ذلك النعيم.

يقول: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٢٤] لأنه يعلق فى وجهه النور من الفرح والنعيم، فلا يخفى عليك إذا نظرت إليهم فرحون، ثم قال: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ [آية: ٢٥] وهو الخمر الأبيض إذا انتهى طيبه ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ إذا شرب وفرغ ونزع الإناء من فيه وجد طعم المسك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ يعنى فلينتازع المتنازعون، وفيه فليرغب الراغبون.

ثم قال: ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى فليتنازع المتنازعون، وفيه فليرغب

الراغبون، ثم قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنًا﴾ من جنة عدن، فتنصب عليهم أنصبابًا، فذلك قوله: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ٢٨] يقول: يشربون به الخمر من ذلك الماء، وهم أهل جنة عدن، وهى أربعة جنان، وهى قصبة الجنة، ماء تسنيم يخرج من جنة عدن، والكوثر، والسلسبيل، ثم انقطع الكلام، قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [آية: ٢٩] نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يمرون كل يوم على المنافقين واليهود وهم ذاهبون إلى رسول الله ﷺ، فإذا رأوهم سخروا منهم وتغامزوا فى أمرهم، وضحكوا منهم، وإذا رجعوا إلى أصحابهم، ضحكوا منهم، وذلك أن عبد الله بن نتيل لقى بدعة بن الأقرع، فقال: أشعرت أنا رأينا اليوم الأصلع فضحكنا من؟ قال: كيف؟ قال: لأنه يمشى بين أيديهم، وهم خلفه لا يجاوزنه، كأنه هو الذى يدلهم على الطريق، فسمع بذلك أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، فشق عليه وعلى أصحابه فتركوا ذلط الطريق وأخذوا طريقًا آخر، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ . ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [آية: ٣١] يعنى عبد الله بن نتيل، يعنى إذا راجعوا إلى قومهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الضلالة بما فعلوا بعلى وأصحابه، رحمهم الله، ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٣٣].

ثم أخبر بجزائهم على الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ والأرائك السرير فى الحجلة، يقول: جلوس فى الحجلة يضحكون من أعدائهم، وذلك أن لكل رجل من أهل الجنة ثلمة، ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون؟ فإذا نظروا إلى أهل النار وما يلقون هم من رحمة الله عز وجل، وعرفوا أن الله قد أكرمهم، فهم ضاحكون من أهل النار، ويكلمونهم حتى يطبق على أهل النار أبوابها فى عمد من حديد من نار كأمثال الجبال، فإذا أطبقت عليهم انسدت تلك الكوى، فيمحو الله أسماءهم ويخرجهم من قلوب المؤمنين، فذل قوله: ﴿يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى ينظرون من الكوى، فإذا رأوهم، قالوا: والله قد ثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

* * *

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

مكية، عددها خمس وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [آية: ١] يقول: انشقت لنزول رب العزة والملائكة، فإنها تنشق حتى يرى طرفاها، ثم يرى خلقًا باليًا، وذلك أن أخوين من بنى أمية، أحدهما اسمه عبد الله بن عبد الأسد، والآخر اسمه الأسود بن عبد الأسد، أحدهما يؤمن بالله واسمه عبد الله، وأما الآخر فاسمه الأسود، وهو الكافر، فقال لأخيه عبد الله: آمنت بمحمد؟ قال: نعم، قال: ويحك إن محمدًا يزعم إذا متنا ومنا ترابًا، فإنا لمبعوثون فى الآخرة، ويزعم أن الدنيا تنقطع، فأخبرنى ما حال الأرض يومئذ.

فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [آية: ٢] يقول: انشقت وسمعت لربها وأطاعت، وكان يحق لها ذلك ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [آية: ٣] مثل الأديم المدود ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الحيوان ﴿وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [آية: ٥] يقول: سمعت لربها وأطاعت، وكان يحق لها ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى بالإنسان الأسود بن عبد الأسد ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إنك ساع إلى ربك سعيًا ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [آية: ٦] بعملك، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [آية: ٧] وهو عبد الله بن عبد الأسد، ويكنى أبا سلمة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [آية: ٨] يقول: باليسير، بأن الله لا يغير حسناته ولا يفضحه.

وذلك أن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة، فإنهم يومج بعضهم فى بعض، مقدار ثلاث مائة سنة، حتى إذا استوى الرب جل وعز على كرسيه ليحاسب خلقه، فإذا جاء الرب تبارك وتعالى والملائكة صفًا صفًا، فينظرون إلى الجنة، وإلى النار، ويجاء بالنار، من مسيرة خمس مائة عام، عليها تسعون ألف زمام، فى كل زمام سبعون ألف ملك، متعلق يحبسونها عن الخلائق، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، ما بين منكبى أحدهم مسيرة خمسين سنة، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، إذا تكلم أحدهم، تناثرت من فيه النار، بيد كل واحد منهم مرزبة، عليها ثلاث مائة وستون رأسًا، كأمثال الجبال، هى أخف بيده من الريشة، فيجئون بها فيسوقونها، حتى تقام عن يسار العرش.

ويجاء بالجنة يزفونها كما تزف العروس إلى زوجها، حتى تقام عن يمين العرش، فإذا ما عاين الخلائق النار، وما أعد الله لأهلها، ونظروا إلى ربهم وسكتوا، فانقطعت عند ذلك أصواتهم، فلا يتكلم أحد منهم من فرق الله وعظمته، ولما يرون من العجائب من الملائكة، ومن حملة العرش، ومن أهل السماوات، ومن جهنم، ومن خزنتها، فانقطعت أصواتهم عند ذلك.

وترتعد مفاصلهم، فإذا علم الله ما اصاب أولياءه من الخوف، وبلغت القلوب الحناجر، فيقوم مناد عن يمين العرش، فينادى: ﴿**يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون**﴾ [الزخرف: ٦٨]، فيرفع عند ذلك الإنس والجن كلهم رءوسهم والمؤمنون والكفار، لأنهم عباده كلهم، ثم ينادى فى الثانية: ﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾ [الزخرف: ٦٩]، فيرفع المؤمنون رءوسهم، وينكس أهل الأديان كلهم رءوسهم، والناس سكوت مقدار أربعين عامًا، فذلك قوله: ﴿**هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

وقوله: ﴿**لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: لا إله إلا الله، فذلك الصواب، وقوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا**﴾ [طه: ١٠٨]، فلا يجبهم الله، ولا يكلمهم، ولا يتكلمون هم مقدار أربعين سنة، يقول بعد ذلك لملك من الملائكة، وهو جبريل، عليه السلام: ناد الرسل وابدأ بالأمى، قال: فيقوم الملك، فينادى عند ذلك أين النبى الأمى؟ فتقول الأنبياء عند ذلك: كلنا نبيون وأميون فبين بين، فيقول النبى العرب الأمى الحرمى، فيقوم عند ذلك رسول

الله ﷺ فيرفع صوته بالدعاء، فيقول: كم من ذنب قد عملتموه ونسيتموه، وقد أحصاه الله، رب لا تفضح أمتى، قال: فلا يزال يدنو من الله تعالى، حتى يقوم بين يديه، أقرب خلقه إليه، فيحمد الله ويثنى عليه، ويذكر من الثناء على الله تعالى والحمد، حتى تعجب الملائكة منه والخلائق.

فيقول الله عز وجل: قد رضيت عنك يا محمد، اذهب فناد أمتك، فينادى، وأول ما يدعو يدعو من أمته عبد الله بن عبد الأسد([1]) أبا سلمة، فلا يزال يدنو فيقربه الله عز وجل منه فيحاسبه حسابًا يسيرًا، واليسير الذى لا يأخذه بالذنب الذى عمله، ولا يغضب الله عز وجل عليه، فيجعل سيئاته داخل صحيفته وحسناته ظاهر صحيفته، فيوضع على رأسه التاج من ذهب عليه تسعون ألف ذؤابة، كل ذؤابة درة تساوى مال المشرق والمغرب ويلبس سبعين حلة من الاستبرق والسندس، فالذى يلى جسده حريرة بيضاء.

فذلك قوله: ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾ [الحج: ٢٣]، ويسور بثلاث أسورة، سوار من فضة، وسوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ، ويوضع إكليل مكلل بالدر والياقوت، وقد تلألأ فى وجهه، من نور ذلك، فيرجع إلى إخوانه من المؤمنين، فينظرون إليه وهو جاء من عند الله، فتقول الملائكة والناس والجن: والله لقد أكرم الله هذا، لقد أعطى الله هذا، فينظرون إلى كتابه فإذا سيئاته باطن صحيفته، وإذا حسناته ظاهر كتابه، فتقول عند ذلك الملائكة ما كان أذنب هذا الآدمى ذنبًا قط، والله، لقد اتقى هذا العبد، فحق أن يكرم مثل هذا العبد، وهم لا يشعرون أن سيئاته باطن كتابه، وذلك لمن أراد الله تعالى أن يكرمه ولا يفضحه، قال: فيأتى إخوانه من المسلمين، فلا يعرفونه، فيقول: أتعرفونى؟ فيقولون كلهم: لا، والله، فيقول: إنما برحت الساعة، وقد نسيتونى، فيقول: أنا ابو سلمة، أبشروا بمثله يا معشر الإخوان، لقد حاسبنى ربى حسابًا يسيرًا، وأكرمنى، فذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ .

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يقول: إلى قومه ﴿مَسْرُورًا﴾ [آية: ٩] فيعطى كتابه بيمينه: ﴿**فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه**﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] إلى

---

(١) فى الأصل بن عبد الأسود، وقد أورد فى أول السورة، عبد الله بن عبد الأسد، أخو الأسود بن عبد الأسد.

آخر القصة، ثم ينادى مناد بالأسود بن عبد الأسد، أخى عبد الله المؤمن فيريد الشقى أن يدنو، فينتهرونه، ويشق صدره حتى يخرج قلبه من وراء ظهره من بين كتفيه، ويعطى كتابه، ويجعل كل حسنة عملها فى دهره فى باطن صحيفته، لأنه لم يؤمن بالإيمان، وتجعل سيئاته ظاهر صحيفته، ويحجب عن الله عز وجل فلا يراه، ولكن ينادى مناد من عند العرش يذكره مساوئه.

فكلما ذكر مساوئه، قال: أنا أعرف هذا، لعنه الله، فتجئ اللعنة من عند الله عز وجل، حتى تقع عليه، فيلطخ باللعنة، فيصير جسده مسيرة شهر فى طول مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن، ورأسه مثل الأقرع، وهو جبل عظيم بالشام وأنيابه مثل أحد، وحدقتاه مثل جبل حراء، الذى بمكة، ومنخره مثل الووقين وهما جبلان، وشعره فى الكثرة مثل الأجمة، وفى الطول مثل القصب، وفى الغلظ مثل الرماح، ويوضع على رأسه تاج من نار، ويلبس جبة من نحاس ذائب، ويقلد حجرًا من كبريت، مثل الجبل تشتعل فيه النار، وتغل يداه إلى عنقه، ويسود وجهه، وهو أشد سوادًا من القبر، فى ليلة مظلمة، وتزق عيناه، فيرجع إلى إخوانه، فأول ما يرونه يفزع منه الخلائق حتى يمسكوا على آنافهم من شدة نتنه، فيقولون: لقد أهان الله هذا العبد، لقد أخزى الله هذا العبد، فينظرون إلى كتابه، فإذا سيئاته ظاهرة، وليس له من الحسنات شىء، يقولون: أما كان لهذا العبد فى الله عز وجل حاجة، ولا خافه يومًا قط، ولا ساعة، فحق لهذا العبد، إذ أخزاه الله وعذبه، فتلعنه الملائكة أجمعون، فإذا رجع إلى الموقف لم يعرفه أصحابه، فيقول: أما تعرفونى؟ قالوا: لا والله، فيقول: أنا الأسود بن عبد الأسد، فينادى بأعلى صوته، فيقول: ﴿**يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه**﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٨].

يقول: يا ليت كان الموت أن أموت فاستريح من هذا البلاء هلك عن حجتى اليوم، ثم يقول: الويل، فيبشر أخوه المؤمنين، ويبشر هذا الكفار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [آية: ١٢] يقول: يدعو بالويل، ويدخل النار، يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [آية: ١٣] يقول فى قومه كريمًا، قال فيذله الله عز وجل يوم القيامة، قال: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [آية: ١٤] يقول: أن لن يبعث الله تعالى ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ﴾ يقول الذى خلقه ﴿بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [آية: ١٥] إنه شهيد لعلمه.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾

ثم أقسم الرب عز وجل، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [آية: ١٦] فأما الشفق فهو الضوء الذى يكون بعد غروب الشمس إلى أن تغيب، قال: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [آية: ١٧] يقول: ما ساق من الظلمة ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [آية: ١٨] فى ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، فهن البيض، فهو يستوى فى الشهر ثلاث ليال يشتد ضوءه، ويجتمع من ثلاث عشرة، فأقسم الله عز وجل بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ هذا العبد ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [آية: ١٩] يقول: حالاً بعد حال يقول: خلقًا من نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، ثم صارت إنسانًا ميتًا فى بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانًا حيًا، ثم أخرجه الله تعالى فى بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانًا حيًا، ثم أخرجه الله تعالى من بطن أمه، فكان طفلاً، ثم يبلغ أشده، ثم شاخ وكبر، ثم مات ولبث فى قبره، حتى صار ترابًا، ثم أنشأه الله عز وجل بعد ذلك يوم القيامة.

قال: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالبعث وقد كانوا من قبل هذا الذى وصفته ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ [آية: ٢١] وذلك أن رسول الله ﷺ قرأ ذات يوم ﴿**واسجد واقترب**﴾ [العلق: ٣٥]، فسجد وسجد المؤمنون معه، وكانت قريش يصفقون فوق رءوسهم، ويصفرون وكان الذى يصفر قريب القرابة من رسول الله ﷺ، فذلك قوله: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾ [الأنفال: ٣٥]، فلما سجد رسول الله ﷺ لم يسجدوا وسخروا منه، وكان إذا قرأ آذوه بالصفير والتصفيق، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقول: لكن الذين كفروا ﴿يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [آية: ٢٣] يقول: بما يجمعون عليه من الإثم والفسوق ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٤] يقول: عذاب وجيع لأهل مكة كلهم، ثم استثنى لعلم قد سبق، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [آية: ٢٥].

* * *

سُورَةُ البُرُوجِ

مكية، عددها اثنتان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [آية: ١] يقول: والسماء ذات النجوم، نظيرها فى تبارك: ﴿**الذى جعل فى السماء بروجًا**﴾، يقول: جعل فى السماء نجومًا، ﴿**وجعل فيها سراجًا**﴾، وهى الشمس ﴿**قمرًا منيرًا**﴾ [الفرقان: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [آية: ٢] يقول: هو يوم القيامة الذى وعد الله عز وجل أولياءه الجنة، ووأعداءه النار، فذلك قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [آية: ٣] يقول: يوم النحر، والفطر، ويوم الجمعة، فهذا قسم إن ﴿**بطش ربك لشديد**﴾ [البروج: ١٢]، قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [آية: ٤] وذلك أن يوسف بن ذى نواس من أهل نجران كان حفر خدا، وأوقد فيه النار، فمن تكلم منهم بالتوحيد أحرقه بالنار، وذلك أنه كان قد آمن من قومه ثمانون رجلاً، وتسع نسوة، فأمرهم أن يرتدوا عن الإسلام، فأبوا فأخبرهم أنه سيعذبهم بالنار فرضوا لأمر الله عز وجل، فأحرقهم كلهم، فلم يزل يلقى واحدًا بعد واحد فى النار حتى مرت امرأة ومعها صبى لها صغير يرضع فلما نظرت المرأة إلى ولدها أشفقت عليه، فرجعت فعرضوا عليها أن تكفر فأبت فضربوها حتى رجعت فلم تزل ترجع مرة، وتشفق مرة، حتى تكلم الصبى فقال لها: يا أماه إن بين يديك نارًا لا تطفأ أبدًا، فلما سمعت قول الطفل أحضرت حتى ألقت نفسها فى النار، فجعل الله عز وجل أرواحهم فى الجنة، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه محمد ﷺ قتل أصحاب الأخدود يوسف بن ذى نواس وأصحابه.

ثم ذكر مساوئهم، فقال: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [آية: ٦] يعنى أصحابه قعود على شفة الخد ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [آية: ٧] قال: كانوا يعرفون أن يوسف بن ذى نواس ليس يعذب إلا بالإيمان، ثم قال: يتعجب من سوء صنعيهم، فقال: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يقول: وأى ريبة رأوا منهم؟ ما عذبهم ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى نقمته ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٨] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من السر والعلانية ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ٩].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ نظيرها فى سورة ﴿**والذاريات ذروا**﴾ [الذاريات: ١]، يقول: ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ [الذاريات: ١٣]، يعنى يحرقون.

ثم قال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ من ذلك ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ١٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وشهدوا أن لا إله إلا الله، فهو الصالحات، نظيرها حين قال الله عز وجل: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ [فاطر: ١٠]، فهو الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يقول: يصعد ذلك إليه كله بشهادة أن لا إله إلا الله، ولولا هذا ما ارتفع لابن آدم عمل أبدًا، ثم قال: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: البساتين تجرى من من تحتها الأنهار، وهى العيون خالدين فيها ما دامت الجنة، فهم دائمون أبدًا.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ١١] يقول: هذا النجاء الكبير، يقول: من زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد نجا نجاء عظيمًا.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

ثم رجع إلى قسمه الذى كان أقسم فى أول السورة، فقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ١٢] يقول: إن عذاب ربك لشديد يقول: إذا غضب بطش، وإذا بطش أهلك، ثم

عظم الرب عز وجل نفسه، فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [آية: ١٣] يقول: بدأ خلق النفس من نطفة ميتة ويحيه، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ للذنوب الكبائر لمن تاب منها ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ [آية: ١٤] يقول: الشكور للعمل الصالح القليل إذا رضوه، يقول: اشكر العمل اليسير حتى أضاعفه للواحد عشرة فصاعدًا، ثم عظم الرب تبارك وتعالى، نفسه فقال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ فإنه ما خلق الله عز وجل خلقًا أعظم من العرش لأن السموات والأرض قد غابتا تحت العرش كالحلقة فى الأرض الفلاة.

ثم قال: ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ [آية: ١٥] الجواد الكريم ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٦] يقول: ليس يريد شيئًا إلا فعله، يقول: إن العبد يفرق من سيده أن يفعل ما يشاء، والسيد يفرق من أميره الذى هو عليه، والأمير يفرق من الملك، والملك يفرق من الله عز وجل، والله عز وجل لا يفرق من أحد أن يفعل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿هَلۡ﴾ يعنى قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾ [آية: ١٧] فى القرآن ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ [آية: ١٨] قد عرفت ما فعل الله عز وجل بقوم فرعون، حيث ساروا فى طلب، عليه السلام، وبنى إسرائيل، وكانوا ألف ألف وخمس مائة ألف، فساقهم الله تعال بآجالهم إلى البحر، فغرقهم الله أجمعين فمن الذى جاء يخاصمنى فيهم، قال: ﴿وَثَمُودَ﴾ وهم قوم صالح حيث عقروا الناقة وكذبوا صالحًا ثم تمتعوا فى دارهم ثلاثة أيام، فجاءهم العذاب يوم السبت غدوة حين نهضت الشمس ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ وجبريل، عليه السلام، الذى كان دمدم، لأنه صرخ صرخة فوقع بيوتهم عليهم فسواها، يقول: فسوى البيوت على قبورهم، لأنهم لما استيقنوا بالهلكة عمدوا فحفروا قبورًا فى منازلهم، وتحنطوا بالمر والصبر، قال: فسواها يقول: استوت على قبورهم، قال: فهل جاء أحد يخاصمنى فيهم، فذلك قوله: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ [الشمس: ١٥]، قال: فاحذروا يا أهل مكة، فأنا المجيد الحق الذى ليس فوقى أحد.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾ [آية: ١٩] يقول: لكن يا محمد الذين كفروا لا يؤمنون، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك، وقرأ عليهم سأله رجل من جلسائه عن

علم الله عز وجل فى عباده شىء بدًا له من بعدما خلقهم، أو كان قبل أن يخلقوا؟ فـأنزل الله عز وجل، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [آيـة: ٢٠] ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنـى لكـن هـو ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [آية: ٢١] يقول: هو قرآن مجيد، يقول: هو كتاب مجيد ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [آية: ٢٢] قبل أن يخلقوا، وأن الله عز وجل قد فرغ من علم عباده، وعلم ما يعملون قبـل أن يخلقهم، و لم يجبرهم على المعصية.

* * *

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، عددها سبع عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ﴾ يا محمد ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ [آية: ٢] فسرها له؟ فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [آية: ٣] يعنى المضئ إن ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [آية: ٤] وذلك أن الله عز وجل خلق النجوم ثلاثة نجوم يهتدى بها، ونجوم رجوم للشياطين، ونجوم مصابيح الأرض، فأقسم الله عز وجل بها، فقال: إن كل نفس ما من نفس لما عليها حافظ من الملائكة يكتبون حسناته وسيئاته، قال: فإن لا يصدق هذا الإنسان بالبعث ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [آية: ٥] قال: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [آية: ٦] ثم فسر الماء الدافق، فقال: خلق من ماء الرجل، والمرأة والتصق بعضه على بعض فخلق منه ﴿يَخْرُجُ﴾ ذلك الماء ﴿مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [آية: ٧] يقول: من بين صلب الرجل وترائب المرأة، والترائب موضع القلادة، فأما ماء الرجل، فإنه أبيض غليظ منه العصب والعظم، وأما ماء المرأة، فإنه أصفر رقيق منه اللحم والدم والشعر ﴿إِنَّهُ﴾ الرب تبارك وتعالى الذى خلقه من ماء دافق.

﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [آية: ٨] قادر على أن يبعثه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [آية: ٩] يوم تختبر السرائر كل سريرة من الذنوب عملها ابن آدم، ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع من الله بقوته ﴿وَلَا﴾ له ﴿نَاصِرٍ﴾ [آية: ١٠] ينصره من الله تعالى، ثم أقسم الله تعالى،

فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [آية: ١١] ذات المطر ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [آية: ١٢] بالنبات ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [آية: ١٣] يقول: إن الذى وصفته فى هذه السورة لقول فصل، يقول هو قول الحق.

ثم قال: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [آية: ١٤] يقول: وما هو باللعب، ثم انقطع الكلام، وأما قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [آية: ١٧] فإنهم لما رأوا النبى ﷺ قد أظهر الإيمان، وآمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فلما آمن عمر، قال بعضهم لبعض: ما ترى أمر محمد إلا يزداد يومًا بيوم، ونحن فى نقصان لاشك، لأنه والله يفوق جمعنا وجماعتنا، ويكثر ونقل، ولا شك إلا أنه سيغلبنا، فيخرجنا من أرضنا، ولكن قوموا بنا حتى نستشير فى أمرهن فدخلوا دار الندوة منهم عتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وأبو البحترى بن هشام، وعمرو بن عمير بن مسعود الثقفى، فلما دخلوا دخل معهم إبليس فى صورة رجل شيخ، فنظروا إليه، فقالوا: يا شيخ من أدخلك علينا؟ ومن أنت؟ قد علمت أنا قد دخلنا هاهنا فى أمرٍ ما نريد أن يعلم به أحد، قال إبليس: إنى والله، لست من أرض تهامة، وإنى رجل من الأزد، ويقال: من نجد، قدمت اليمن وأنا أريد العراق، فى طلب حاجة، ولكنى رأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة رائحتكم، فأحببت أن أستريح وأسمع من أحاديثكم، فقال بعضهم لبعض: لا بأس علينا منه، وإنه والله ليس من أرض تهامة، قالوا: يا شيخ أغلق الباب وأجلس.

فقال أبو جهل بن هشام: ما تقولون فى هذا الرجل الذى قد خالف ديننا وسب آلهتنا، ويدعو إلى غير ديننا وليس يزداد أمره إلا كثرة، ونحن فى قلة وينبغى لنا أن نحتال؟ ثم قال: يا عمر بن عمير ما تقول فيه؟ قال عمرو: رأيى فيه أن نردفه على بعير وناقة، فنخرجه من الحرم، فيكون شره على غيرنا.

قال إبليس: عند ذلك بئس الرأى رأيت يا شيخ، تعمد إلى رجل قد ارتكب منكم ما قد ارتكب، وهو أمر عظيم، فنظر دونه فلا شك أنه يذهب فيجمع جموعًا، فيخرجكم من أرضكم.

قالوا: ما تقول يا أبا البحترى؟ قال: أما والله، إن رأيى فيه ثابت، قالوا: ما هو؟ قال: ندخله فى بيت فنسد بابه عليه، ونترك له ثلمة قدر ما يتناول منه طعامه وشرابه ونتربص به إلى أن يموت.

قا إبليس عند ذلك: بئس والله، الرأى رأيت يا شيخ تعمدون إلى رجل هو عدو لكم فتربونه، فلا شك أن يغضب له قومه فيقاتلونكم حتى يخرجوه من أيديكم فما لكم وللشر؟ قالوا: صدق والله فما تقول: يا أبا جهل؟ قال: تعمدون إلى كل بطن من قريش فنختار منهم رجالاً فنمكنها من السيوف ويمشون كلهم بجماعتهم فيضربونه، حتى يقتلوه فلا يستطيع بنو هاشم أن تعادى قريشًا كلهم، وتؤدون ديته.

قال إبليس: صدق والله، الشاب فخرجوا على ذلك القول راضين بقتله، وسمع عمه أبو طالب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، فلم يخبر محمدًا لعله أن يجزع من القتل، فيهرب، فيكون مسبة عليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿**أم أبرموا أمرًا فإنا مبرمون**﴾ [الزخرف: ٧٩]، يقول: أم أجمعوا أمرًا على قتل محمد ﷺ، فإنا مجمعون أمرًا على قتلهم ببدر، وقال: ﴿**أم يريدون كيدًا فالذين كفروا هم المكيدون**﴾ [الطور: ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾.

قال: فسمع أبو طالب ما سمع، قال: يا ابن أخى ما هذه الهينمة؟ قال: أما تعلم يا عم ما أرادت قريش؟ قال: سمعت ما سمعته يا ابن أخى، قال: نعم، قال: ومن أخبرك بذلك؟ قال: ربى، قال: أما والله، يا ابن أخى إن ربط بك لحفيظ فامض لما أمرت يا ابن أخى، فليس عليك غضاضة.

* * *

سُورَةُ الأعلى

سورة الأعلى مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ
ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾
سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ
تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ
﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [آية: ١] يقول سبحانه: نزاه اسم ربك الأعلى، يقول: نزهه من الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله، فذلك قوله: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ الإنسان فى بطن أمه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، قال: ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [آية: ٢] يقول: فسوى خلقه ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [آية: ٣] يقول: الذى قدر الولد فى بطن أمه تسعة أشهر، فلما بلغ الوقت هداه للخروج من بطن أمه، وأيضًا قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ يعنى قدر الذكر والأنثى فعلمه، كيف يأتيها؟ وكيف تأتيه؟.

وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [آية: ٤] ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [آية: ٥] بصنعه يقول: الذى أخرج الحشيش والكلأ فى الشتاء، فتراه رطبًا فيجعله بعد الرطوبة، والخضرة إلى اليبوسة، قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن يا محمد نجمعه فى قلبك ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [آية: ٦] فلا تنساه أبدًا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعنى إلا ما شاء الله فينسخها، ويأت بخير منها، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [آية: ٧] يعلم الجهر من القول والفعل، وما يخفى منهما.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [آية: ٨] يقول: ونبدلك مكان آية بأيسر منها، ثم قال:

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد يقول: اذكر بشهادة أن لا إله إلا الله ﴿إِن﴾ يعنى قد ﴿نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [آية: ٩] شهادة أن لا إله إلا الله، الذين من قبلك، قال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [آية: ١٠] يقول: سيوحد الله من يخشاه، يقول: من يخشاه غفر له، ولم يؤاخذه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [آية: ١١] يقول: ويتهاون بها، يعنى بالتوحيد الأشقى ﴿ٱلَّذِى﴾ قد سبق علم الله فيه بالشقاء الذى ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [آية: ١٢] وهى نار جهنم، قال: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [آية: ١٣] يقول: لا يموت فى النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، ولكنه فى بلاء ما دام فى النار يأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت ويحترق كل يوم سبع مرات، ثم يعاد إلى العذاب ليس له طعام إلا من لحمه، فذلك قوله: ولا طعام إلا من غسلين، يأكل النار وتأكله وهو فى النار، لباسه النار، وعلى رأسه نار، وفى عنقه نار، وفى كل مفصل منه سبعة ألوان من ألوان العذاب، لا يرحم أبدًا، ولا يشبع أبدًا، ولا يموت أبدًا، ولا يعيش معيشة طيبة أبدًا، الله عليه غضبان، والملائكة غضاب، وجهنم غضبانة.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [آية: ١٥] يقول: قد أفلح من أدى الزكاة، وشهد أن لا إله إلا الله، وصلى الصلوات الخمس، قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ١٦] يقول: بل تختارون الحياة الدنيا ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٨] يقول: الكتب الأولى ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف إبراهيم ﴿وَ﴾ كتب ﴿وَمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٩] وهى التوراة، فأما صحف إبراهيم فقد رفعت.

* * *

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، عددها ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ
﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ
﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ
﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ
مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا
يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾
لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ
﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [آية: ١] يعنى قد أتاك حديث أهل النار من قوله: ﴿**تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون**﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، وكل شيء فى القرآن ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾، يقول: قد أتاك، ثم أخبر عن حالهم، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [آية: ٢] يعنى ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [آية: ٣] يعنى عاملة فى النار، النار تأكله، ويأكل من النار، يعنى ناصبة للعذاب صاغرة ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [آية: ٥] يعنى من عين قد انتهى حرها، وذلك أن جهنم تسعر عليهم منذ يوم خلقت إلى يوم يدلخونها، وهى عين تخرج من أصل جبل طولها مسيرة سبعين عامًا، ماؤها أسود كدردى الزيت، كدر غليظ كثير الدعاميص، تسقيه الملائكة بإناء من حديد من نار فيشربه، فإذا قرب الإناء من فيه أحرق شدقيه، وتناثرت أنيابه وأضراسه، فإذا بلغ صدره نضج قلبه، فإذا بلغ بطنه غلى كما يغلى الحميم من شدة الحر، حتى يذوب كما يذوب الرصاص إذا أصابه النار، فيدعو الشقى بالويل، فذلك قوله: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾.

ثم أخبر عن طعام الشقى، فقال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [آية: ٦] وهى شجرة تكون بمكة كثيرة الشوك لا تقربها دابة فى الأرض من شوكها، ولا يستطيع أحد أن يمسها من كثرة شوكها، وتسميها قريش، وهى رطبة فى الربيع الشبرق، وتصيب الإبل من ورقها فى الربيع ما دامت رطبة، فإذا يبست لم تقربها الإبل، وما من دابة فى الأرض من الهوام والسباع، وما يؤذى بنى آدم إلا مثلها فى النار سلطها الله عز وجل على أهلها، لكنها من نار، وما خلق الله شيئًا فى النار إلا من النار، ثم قال: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [آية: ٧] فإنهم لا يطعمون من أجل الجوع، وإنما من أجل العذاب.

ثم ذكر أولياءه من أهل طاعته، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى فرحة شبه الله عز وجل وجوههم بوجوه قوم فرحين، إذا أصابوا الشراب طابت أنفسهم، فاجتمع الدم فى وجوههم، فاجتمع فرح القلوب وفرح الشراب، فهو ضاحك الوجه مبتسم طيب النفس، ثم قال: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [آية: ٩] يعنى قد رضى الله عمله، فأثابه الله عز وجل ذلك بعمله.

قال: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [آية: ١٠] وإنما سمها عالية لأن جهنم أسفل منها، وهى دركات، والجنة درجات، ثم قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [آية: ١١] يقول: لا يسمع بعضهم من بعض غيبة، ولا كذب، ولا شتم، قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [آية: ١٢] يعنى فى الجنة لأنها فيها تجرى الأنهار ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [آية: ١٣] منسوجة بقضبان الدر والذهب عليها سبعون فراشًا، كل فراش قدر غرفة من غرف الدنيا، فذلك قوله: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ .

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [آية: ١٤] يعنى مصفوفة وهى أكواب من فضة، وهى من الصفاء مثل القوارير مدورة الرءوس ليس لها عرى ولا خراطيم، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [آية: ١٥] يعنى الوسائد الكبار العظام مصفوفة على الطنافس، وهى بلغة قريش خاصة، ثم قال: ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [آية: ١٦] يعنى طنافس مبسوطة بعضها على بعض، يذكرهم الله عز وجل صنعه ليعتبر عباده فيحرصوا عليها، ويرغبوا فيها، ويحذروا النار، فإن عقوبته على قدر سلطانه وكرامته قدر سلطانه.

ثم ذكر عجائبه، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ لأن العرب لم يكونوا رأوا الفيل، وإنما ذكر لهم ما أبصروا، ولو أنه قال: أفلا ينظرون إلى الفيلة ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [آية:

١٧] لم يتعجبوا لها لأنهم لم يروها ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ [آية: ١٨] من فوقهم خمس مائة عام ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ [آية: ١٩] على الأرض أوتادًا لئلا تزول بأهلها، ثم قال: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [آيـة: ٢٠] يعنـى كيـف بسـطت مـن تحـت الكعبـة مسيرة خمس مائة عام.

ثم قال: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ أهل مكة يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [آية: ٢١] كالذين مـن قبلك ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [آية: ٢٢] يقول: لست عليهم بملـك، ثـم نسـختها آيـة السيف فى براءة، ثم قال: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ يعنى أعرض ﴿وَكَفَرَ﴾ [آية: ٢٣] بالإيمـان ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ [آية: ٢٤] وإنما سمـاه الله الأكـبر لأن الله كان أوعدهم القتل والجوع فى الدنيا، فقال: الأكبر، لأنه أكبر من الجوع والقتـل، وهـو عـذاب جـهنم، ثـم قـال: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [آيـة: ٢٥] يعنـى مصـيرهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [آية: ٢٦] يعنى جزاءهم على الله هين.

* * *

سُورَةُ الفَجْرِ

مكية، عددها ثلاثون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [آية: ١] يعنى غداة جمع يوم النحر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [آية: ٢] فهى عشر ليال قبل الأضحى، وأما سماها الله، عز وجل، ليال عشر لأنها تسعة أيام وعشر ليال ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [آية: ٣] وأما الشفع فهو آدم وحواء، عليهما السلام، وأما الوتر فهو الله عز وجل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [آية: ٤] يعنى إذا أقبل، وهى ليلة الأضحى، فأقسم الله بيوم النحر، والعشر، وبآدم وحواء، وأقسم بنفسه، فلما فرغ منها، قال: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [آية: ٥] يعنى إن فى ذلك القسم كفاية لذى اللب، يعنى ذا العقل، فيعرف عظم هذا القسم، فأقسم الله ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ [الفجر: ١٤].

وأما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [آية: ٦] يعنى بقوم هود، وإنما سماهم قوم هود، لأن أباهم كان اسمه ابن سمل بن لمك بن سام بن نوح، مثل ما تقول العرب ربيعة ومضر وخزاعة وسليم، وكذلك عاد وثمود، ثم ذكر قبيلة من قوم عاد، فقال: ﴿إِرَمَ﴾ وهى قبيلة من قبائلهم اسمها إرم، ثم قال: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [آية: ٧] يعنى ذات الأساطين، وهى أساطين الرهبانيين التى تكون فى الفيافى والرمال، فشبه الله عز وجل طولهم إذ كانوا قيامًا فى البرية بأنه مثل العماد، وكان طول أحدهم ثمانية عشر ذراعًا، ويقال: اثنى عشر ذراعًا فى السماء مثل أعظم أسطوانة تكون، قال: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آية: ٨] يقول: ما خلق الله عز وجل مثل قوم عاد فى الآدميين، ولا مثل إرم فى قوم عاد.

ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿وَثَمُودَ﴾ وهو أبوهم، وبذلك سماهم، وهم قوم صالح، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [آية: ٩] يقول: الذين نقبوا الصخر بالوادى، وذلك أنهم كانوا يعمدون إلى أعظم جبل فيثقبونه، فيجعلونه بيتًا، ويجعلون بابه منها، وغلقه منها، فذلك قوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ [الشعراء: ١٤٩]، ثم ذكر فرعون واسمه مصعب بن جبر، ويقال: الوليد بن مصعب، فقال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [آية: ١٠] وذلك أنه أوثق الماشطة على أربع قوائم مستلقية، ثم سرح عليها الحيات والعقارب، فلم يزلن يلسعنها ويلدغنها، ويدخلون من قبلها ويخرجون من فيها حتى ذابت كما يذوب الرصاص، لأنه تكلمت بالتوحيد، وذلك أنها كانت تمشط هيجل بنت فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله وخيبة لمن كفر بالله، فقالك ابنة فرعون: وأى إله هذا الذى تذكرين؟ قالت: إله موسى، فذهبت فأخبرت أباها، فكان من أمرها ما كان، فذلك قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ يقول: إنه أوثق امرأة على أربع قوائم من أجل أنها عرفتنى.

ثم جمع عادًا وثمود وفرعون، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آية: ١١] يعنى الذين عملوا فيها بالمعاصى ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ [آية: ١٢] يقول: فأكثروا فيها المعاصى، فلما كثرت معصيتهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى نقمته وكانت نقمته عذابًا، ثم رجع إلى قسمه الأول، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [آية: ١٤] يعنى بالصراط، وذلك أن جهنم عليها سبع قناطر، كل قنطرة مسيرة سبعين عامًا، على كل قنطرة ملائكة قيام، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، بأيديهم المحاسر والمحاجن، والكلاليب يسألون فى أول قنطرة عن الإيمان، وفى الثانية يسألون عن الصلوات الخمس، وفى الثالثة يسألون عن الزكاة، وفى الرابعة يسألون عن صوم رمضان، وفى الخامسة يسألون عن حج البيت، وفى السادسة يسألون عن العمرة، وفى السابعة يسألون عن مظالم الناس، فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ

ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [آية: ١٥] نزلت الآية فى أمية بن خلف الجمحى، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويذكره ذلك، فقال له أمية بن خلف: ويحك أليس الله يقول: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾ [محمد: ١١]، قال عبد الله بن نفيل: نعم، قال: فما له أغنانى وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله، قال أمية: بل أغنانى الله لكرامتى عليه، وأفقرك لهوانك عليه، قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لخليق أن يكون الله فعل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [آية: ١٦] قال: يقول: كلا ما أغنيت هذا الغنى لكرامته، ولا أفقرت هذا الفقير لهوانه على، ولكن كذلك أردت أن أحسن إلى هذا الغنى فى الدنيا، وأهون على هذا الفقير حسابه يوم القيامة، ثم قال فى سورة أخرى: ﴿**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**﴾ [الشرح: ٥، ٦] يقول: ليس من شدة إلا بعدها رخاء، ولا رخاء إلا بعده شدة.

ثم انقطع الكلام، ثم ذكر أمية بن خلف الجمحى، وذكر مساوئه، فقال: ﴿كَلَّا﴾ ما الأمر كما قال أمية بن خلف ﴿بَل﴾ يعنى لكن ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [آية: ١٧] ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [آية: ١٨] لأنهم لا يرجون بها الآخرة ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [آية: ١٩] يعنى تأكلون الميراث أكلا شديدًا ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [آية: ٢٠] ويجمعون المال جمعًا كثيرًا، وهى بلغة مالك بن كنانة، ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ ما يؤمنون بالآخرة وهو وعيد، وأما قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ [آية: ٢١] يعنى إذا تركت فاستوت الجبال مع الأرض الممدودة.

ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [آية: ٢٢] وذلك أنه تنشق السماوات والأرض، فتنزل ملائكة كل سماء، وتقوم ملائكة كل سماء على حدة، فيجيء الله، تبارك وتعالى، كما قال: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك**﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وكما قال: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة**﴾ [البقرة: ٢١٠] قيامًا صفوفًا، قال: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ يجاء بها من مسيرة خمس

مائة عام عليها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك، متعلقون بها يحبسونها عن الخلائق، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، فإذا تكلم أحدهم تناثرت من فيه النار من فيه بيد كل ملك منهم مرزبة، عليها ألفًا وسبعون رأسًا كأمثال الجبال، وهى أخف فى يده من الريش، ولها سبعة رءوس كرءوس الأفاعى، وأعينهم زرق، تنظر إلى الخلائق من شدة الغضب، تريد أن تنفلت على الخلائق من غضب الله عز وجل، ويجاء بها حتى تقام على ساق.

ثم قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ يعنى أمية بن خلف الجمحى إذا عاين الغار والملائكة، ثم قال: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ومن أين له التذكرة فى الآخرة؟ وقد كفر بها فى الدنيا، ثم قال يخبر عن حالهم، وما يقولون فى الآخرة إذا عاينوا النار، فقال: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا لآخرتى يقول الله تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ﴾ أى لا يعذب كعذاب الله ﴿أَحَدٌ﴾ [آية: ٢٥] يعنى ليس أعظم من الله تعالى سلطانه على قدر عظيمته، وعذابه مثل سلطانه، ثم قال: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [آية: ٢٦] يعنى ولا يوثق كوثاق الله عز وجل.

قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [آية: ٢٧] يعنى المطمئنة بالإيمان ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ لعملك ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ [آية: ٢٨] بما أعطاك الله عز وجل من الخير والجزاء ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [آية: ٢٩] يعنى فى رحمتى ﴿وَادْخُلِي﴾ من رحمتى فى ﴿جَنَّتِي﴾ [آية: ٣٠] نظيرها فى طس النمل، قول سليمان بن داود، عليهما السلام: ﴿**وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين**﴾ [النمل: ١٩] نزلت هذه الآية فى حبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة، وجعلوا وجهه نحو المدينة، فقال: اللهم إن كان لى عندك خير، فحول وجهى نحو قبلتها، فحول الله عز وجل وجهه نحو هذه القبلة من غير أن يحوله أحد، فلم يستطيع أن يحوله عنها أحد.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنا مقاتل بن سليمان، عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس، عن النبى ﷺ، قال: خلق الله السماء الدنيا من ماء حرج مكفوف، والثانية من حديد، والثالثة من فضة، والرابعة من شبه، والخامسة من ذهب، والسادسة من ياقوتة حمراء، والسابعة من نور عليها ملائكة من نور قيام صفًا صفًا، فذلك قوله: ﴿**والصافات صفا**﴾ [الصافات: ١]، فهم أهل السماء السابعة.

* * *

سُورَةُ البَلَدِ

مكية، عددها عشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ (٢٠)﴾

قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [آية: ١] يعنى مكة ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [آية: ٢] يعنى لم أحلها لأحد من قبلك ولا من بعدك، وإنما أحللتها لك ساعة من النهار، وذلك أن الله عز وجل لم يفتح مكة على أحد غيره، ولم يحل بها القتل لأحد، غير ما قتل النبى ﷺ مقيس بن ضبابة الكنانى وغيره، حين فتح مكة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم وذريته عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، فأقسم الله عز وجل بمكة، وبآدم وذريته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [آية: ٤] منتصبًا قائمًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق كل شىء على أربع قوائم غير ابن آدم يمشى على رجلين، نزلت هذه الآية فى الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشى، وذلك أنه أصاب ذنبًا، وهو بالمدينة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: ما كفارته؟ فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فاعتق رقبة، أو أطعم ستين مسكينًا»، قال: ليس غير هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «هو الذى أخبرتك»، فرجع من عند رسول الله ﷺ، وهو مهموم مغموم حتى أتى أصحابه، فقال: والله، ما أعلم إلا أنى لئن دخلت فى دين محمد إن مالى لفى نقصان من الكفارات والنفقة فى سبيل الله، ما يظن محمد إلا أنا وجدنا هذا المال فى الطريق لقد أنفقت مالاً

لبدًا، يعني مالاً كثيرًا، فأنزل الله عز وجل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [آية: ٥] يعني بالأحد الله عز وجل، يعني نفسه، أيحسب هذا الإنسان أن لن يقدر الله عز وجل على أن يذهب بماله، وإن أحرزه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [آية: ٦] ثم قال الله تعالى وهو بعده الخير: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [آية: ٧] أو يحسب هذا الإنسان أن الله تعالى ليس يرى ما ينفق وليس يحصيه؟ وهو يخلقه عليه، ثم ذكر النعم، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [آية: ١٠] يقول: بينًا له سبيل الخير والشر، ثم حرضه على الكفارة، فقال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [آية: ١١] وهو مثل ضربه الله عز وجل له يقول: إن الذنوب بين يديك مثل الجبل، فإذا أعتقت رقبة اقتحم ذلك الذنوب حتى تذوب وتذهب، كمثل رجل بين يديه عقبة فيقتحم فيستوى بين يديه، وكذلك من أصاب ذنبًا واستغفر ربه، وكفره بصدقة تتقحم ذنوبه حتى تحطمها تحطيمًا مثل الجبل إذا خر، فيستوى مع الأرض، فذلك قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾.

قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [آية: ١٢] تعظيمًا لها، قال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [آية: ١٤] يعني مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [آية: ١٥] يعني ذا قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [آية: ١٦] يعني فقيرًا قد التصق ظهره بالتراب من العرى، وشدة الحاجة، فيستحى أن يخرج، فيسأل الناس، وذلك كله لقول رسول الله ﷺ أعتق رقبة، أو أطعم ستين مسكينًا، يقول الله عز وجل أعجز أن يفعل من هذين الأمرين واحدًا، وكان يظن أن الله تعالى لم يكن يراه إذا أنفق فيخلف عليه تلك النفقة، فذلك قوله: ﴿**أيحسب أن لم يره أحد**﴾ [البلد: ٧]، يعني الله عز وجل.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى وملائكته، وكتبه ورسله وجنته وناره ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعني على فرائض الله تعالى ما افترض عليهم فى القرآن، فإنهم إن لم يؤمنوا بالله، ولم يعملوا الصالحات، ولم يصبروا على الفرائض، لم أقبل منهم كفاراتهم وصدقاتهم، ثم ذكر الرحم، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [آية: ١٧] يعني بالمرحمة، يعني بالرحم، فلا يقطعونها، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة هم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [آية: ١٨] الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني بالقرآن ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [آية: ١٩] يعني الذين يعطون كتبهم بشمائلهم والمشأمة بلغة بنى غطيف حى من مراد،

وكل ذلك يخوف الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [آية: ٢٠] يعني مطبقة وهي جهنم.

* * *

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، عددها خمس عشرة آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا
يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا
۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا
۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ
نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا
۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [آية: ١] يعنى وحرها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [آية: ٢] يعنى إذا تبعها يسير من خلفها، وله حفيف فى السماء ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [آية: ٣] يعنى جلاها الرب تبارك وتعالى من ظلمة الليل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [آية: ٤] يعنى تغشى ظلمته ضوء النهار ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [آية: ٥] يعنى وبالذى بناها، ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [٦] يعنى أقسم بالأرض، وبالذى بسطها، يعنى الرب تعالى نفسه، ثم قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [آية: ٧] يعنى آدم، وما سواها، يعنى وبالذى خلقها، يعنى نفسه فسوى اليدين والرجلين والعينين والأذنين ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [آية: ٨] يعنى وعلمها الضلالة والهدى.

ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [آية: ٩] يعنى قد أسعدها الله يعنى أصلحها الله تعالى، فإنه من أصلحه الله، فقد أفلح ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [آية: ١٠] يعنى وقد هلك من أشقاه الله عز وجل، ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [آية: ١١] يعنى الطغيان والشقاء حملها على التكذيب، لأنه طغى عليهم الشقاء مرتين، مرة بما كذبوا الله عز وجل، وعموا عن الإيمان به، والأخرى عقروا الناقة، فذلك قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [آية: ١٢]، وأما قوله:

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [آية: ١٣] يعنى بالرسول صالح ﷺ، وهو بين لهم أمر الناقة وشربها، وما يفعل الله عز وجل بهم إن كذبوا وعقروا الناقة، فذلك قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بما جاء به ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يعنى قتلوا الناقة فحل بهم العذاب، قال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾.

ثم قال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ يقول: إنما كان بذنبهم، بذلك أنهم لما عقروا الناقة اتبعد الفصيل حتى صعد على جبل فصاح ثلاث مرات: يا صالح، قتلت أمى وفزع أهل المدينة كلهم إلى صالح، فقالوا: ما جئتنا؟ قال: حيلتكم أن تأخذوا الفصيل، فعسى الله أن يكف عنكم العذاب فى شأن الفصيل، فلما صعدوا الجبل ليأخذوه فر من بين أيديهم وتوارى فلم ير، وغاب، قالوا: يا صالح، ما يفعل الله بنا؟ قال: كم من صيحة صاح الفصيل؟ قالوا: ثلاث مرات، قال: تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك الوعد الذى صالح الفصيل غير مكذوب، يقول: إنه لا يكذب فيه، قالوا: وما علامة ذلك يا صالح؟ قال: غنكم تصفر وجوهكم يوم الثانى، وتسود وجوهكم يوم الثالث، ثال: ثم يأتيكم العذاب يوم الرابع، فلما أن كان اليوم الأول اصفرت وجوه القوم، فلم يصدقوا، وقالوا: إنما هذه الصفرة من الخوف والفرق، فلما كان اليوم الثانى احمرت وجوههم واستيقنوا بالعذاب، ثم إنهم عمدوا فحفروا لأنفسهم قبورًا وتحنطوا بالمر والصبر وتكفتوا بالأنطاع، فلما أن كان اليوم الثالث اسودت وجوههم حتى لم يعرف بعضهم بعضًا من شدة السواد، والتغير، فلما أن كان اليوم الرابع أصبحوا فدخلوا حفرهم، فلما اشرقت الشمس، وارتفع النهار لم يأتهم العذاب، فظنوا أن الله يرحمهم، وخرجوا من قبورهم، ودعوا بعضهم بعضًا، إذ نزل جبريل، عليه السلام، فسد ضوء الشمس حتى دخلوا فى قبورهم، فصاح بهم جبريل، عليه السلام، فلما عاينوا جبريل، عليه السلام، ونظروا إلى ضوء الشمس شدوا حتى دخلوا فى قبورهم، فناموا فصاح بهم جبريل صيحة أن قوموا عليكم لعنة الله، فسالت أرواحهم من أجسادهم، زلزلت بيوتهم حتى وقعت على قبورهم إلى يوم القيامة، فأصبحوا كأن لم يكن بمدينتهم شىء، فذلك قوله: ﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾ [هود: ٦٨] وذلك قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [آية: ١٤] يعنى فسوى بيوتهم على قبورهم، قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [**١٥**].

قال فى التقديم: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ عاقر الناقة من الله عز وجل، وإنما كان أصحاب الشراب تسعة نفر منهم قدار بن قديرة، وهو عاقر الناقة

وسالف، وجدع، وقيل، وجزيل، وهذيل، وجمال بن مالك، وحبابة بن أذاذ، وجميل بن جواد.

فذلك قوله تعالى: ﴿**وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون**﴾ [النمل: ٤٨]، قال أبو صالح: بعض هؤلاء المسمين يوافق تسمية عاقرى الناقة فى سورة النمل، وهذا قول، وأولئك قول قوم آخرين والله أعلم.

* * *

سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية، عددها إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [آية: ١] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [آية: ٢] أقسم الله عز وجل بالليل إذا غشى ظلمته ضوء النهار، والنهار إذا تجلى عن ظلمة الليل، فقال: ﴿**إن سعيكم**﴾ إن أعمالكم ﴿**لشتى**﴾ [الليل: ٤] يا أهل مكة.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم وحواء وما هاهنا صلة، فأقسم الله عز وجل بنفسه، وبهؤلاء الآيات، فقال: والذى خلق الذكر والأنثى، نظيرها فى ﴿**الشمس وضحاها**﴾ [الشمس: ١].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [آية: ٤] يا أهل مكة، يقول: أعمالكم مختلفة فى الخير والشر، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ المال فى حق الله عز وجل ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ [آية: ٥] ونزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق، رحمة الله عليه، وذلك أنه مر على أبى سفيان، وهو صخر بن حرب، وإذا هو يعذب بلالاً على إسلامه، وقد وضع حجرًا على صدره، فهو يعذبه عذابًا شديدًان فقال له أبو بكر الصديق، رحمة الله عليه: أتعذب عبدًا على معرفة ربه؟ قال أبو سفيان: أما والله، إنه لم يفسد هذا العبد الأسود غيركم، أنت وصاحبك، يعنى رسول الله ﷺ، قال له أبو بكر، رضى الله عنه: هل لك أن أشتريه منك؟ قال: نعم.

قال أبو بكر: والله ما أجد لهذا العبد ثمنًا، قال له صخر بن حرب: والله إن جبلاً من شعر أحب إلىّ منه، فقال له الصديق أبو بكر: والله إنه خير من ملء الأرض ذهبًا، قال له أبو سفيان: اشتره منى، قال له أبو بكر: قد اشتريت هذا العبد الذى على دينى بعبد مثله على دينك، فرضى أبو سفيان، فاشترى أبو بكر بلالاً، رضى الله عنه، فأعتقه.

قال أبو سفيان لأبى بكر، رضى الله عنه: أفسدت مالك ومال أبى قحافة، قال: أرجو بذلك المغفرة من ربى، قال: متى هذا؟ قال أبو بكر، رضى الله عنه: يوم تدخل سقر تعذب، قال: أليس تعدنى هذا بعد الموت؟ قال: نعم، قال: فضحك الكافر واستلقى، وقال: يا عتيق أتعدنى البعث بعد الموتى؟ وتأمرنى أن أرفض مالى إلى ذلك اليوم؟ لقد خسرت واللات والعزى إن مالك قد ضاع، وإنك لا تصيب مثله أبدًا، قال له أبو بكر، رضى الله عنه: والله، لأذكرنك هذا اليوم يا أبا سفيان، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول بعدة الله عز وجل أن يخلفه فى الآخرة خيرًا، إذا أعطى فى حق الله عز وجل.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [آية: ٧] يعنى نيسره للعودة إلى أن يعطى فسنيسره للخير ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [آية: ٨] عن الله تعالى فى نفسه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [آية: ٩] يعنى بعدة الله بأن يخلفه خيرًا منه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [آية: ١٠] يقول: نعسر عليه أن يعطى خيرًا ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذى بخل به فى الدنيا ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [آية: ١١] يعنى إذا مات، وتردى فى النار، يعنى أبا سفيان، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [آية: ١٢] يعنى بيان الهدى ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٣] يعنى الدنيا والآخرة ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [آية: ١٤] يعنى تتوقد وتشتعل ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ يعنى النار ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [آية: ١٥] يعنى هؤلاء النفر من أهل مكة.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ١٦] الذين كذبوا بالقرآن وتولى يعنى وأعرض عن الإيمان ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يعنى النار، يقول: يجنب الله النار ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ [آية: ١٧] يعنى ابا بكر الصديق ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [آية: ١٨] يعنى يتصلح ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [آية: ١٩] وأيضًا، وذلك أن أبا بكر، رضى الله عنه، وأرضاه مر على بلال المؤذن، وسيدة أمية بن خلف الجمحى يعذبه على الإسلام، ويقول: لا أدعك حتى تترك دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد.

فقال أبو بكر، رحمة الله عليه: أتعذب عبد الله على الإيمان بالله عز وجل؟ فقال سيده أمية: أما إنه لم يفسده عليّ إلا أنت وصاحبك، يعنى النبى ﷺ، فاشتره منى، قال: نعم، قال سيده أمية: بماذا؟ قال أبو بكر: بعبد مثله على دينك، فرضى، فعمد أبو بكر، رضى الله عنه، إلى عبد فاشتراه، وقيض أبو بكر بلالاً، رحمة الله عليه، وأعتقه، فقال أمية لأبى بكر، رضى الله عنه: لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية من ذهب لأعطيتكها، قال أبو بكر، رضى الله عنه: وأنت لو أبيت إلا أربعين أوقية من ذهب لأعطيتكها.

فكره أبو قحافة عتقه، فقال لأبى بكر: أما عملت أن مولى القوم من أنفسهم، فإذا أعتقت فاعتق من له منظر وقوة، وكان بلال أسود الوجه، فأنزل الله عز وجل فى أبى بكر، رضى الله عنه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ يقول: يجزيه بذلك، ولكن إنما يعطى ماله ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [آية: ٢٠] الرفيع فوق خلقه ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [آية: ٢١] هذا العبد يعنى أبا بكر، رضى الله عنه، وأن أبا بكر، رضى الله عنه، اشترى تسعة نفر يعذبون على الإسلام، منهم بلال المؤذن، وعامر بن فهيرة، وأخته، وزنيرة، وابنتها، وحارثة بن عمر، وأم كياس، والنهدية وابنتها، كانت لامرأة من بنى عبد الدار تضربها على الإسلام، فأعتقهم أبو بكر الصديق، عليه السلام.

* * *

سُورَةُ الضُّحَىٰ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [آية: ١] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [آية: ٢] أقسم الله عز وجل، فقال: والضحى يعنى حر الشمس وهى أول ساعة من النهار حين تطلع الشمس، وبالليل إذا سجى، يعنى إذا غطى بهيمه ضوء النهار، فأقسم الله عز وجل ببدو الليل والنهار، فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [آية: ٣] يعنى وما مقتك، وذلك أن جبريل، عليه السلام، لم ينزل على محمد ﷺ أربعين يومًا، ويقال: ثلاثة أيام، فقال: مشركوا العرب من أهل مكة: لو كان من الله لتتابع عليه الوحى، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فقد ودعه الله وتركه صاحبه، فما يأتيه، فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نزل عليك الوحى؟ قال: كيف ينزل على الوحى، وأنتم لا تنقُّون براجمكم، ولا تقلمون أظفاركم، قال: أقسم الله بهما، يعنى بالليل والنهار، فقال: ما ودعك ربك، يا محمد، وما قلى، يقول: وما مقتك، لقولهم قد ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل، عليه السلام، قال له النبى ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل، عليه السلام: أنا كنت إليك اشد شوقًا لكرامتك على الله عز وجل، ولكنى عبد مأمور، ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا**﴾ من الدنيا ﴿**وما خلفنا**﴾ من الآخرة، ﴿**وما بين ذلك**﴾، يعنى بين الدنيا والآخرة بين النختين، وهى أربعون سنة.

ثم قال: ﴿**وما كان ربك نسيًا**﴾ [مريم: ٦٤]، يقول: لم ينسك ربك يا محمد، ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ يعنى الجنة ﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٤] يعنى من الدنيا، يعنى أنه قد

دنت القيامة والآخرة خير لك من الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ فى الآخرة، وهو الخير ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ [آية: ٥] يعنى حتى ترضى، ثم ترضى، ثم ترضى بما يعطيك، ثم أخبره الله عز وجل عن حاله التى كان عليها، وذكره النعم، فقال له جبريل عليه السلام: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول: فضمك إلى عنك أبى طالب، فكفاك المؤنة، فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى وهو أهل المن»، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عن الدلالة ﴿فَهَدَىٰ﴾ [آية: ٧] فهداك لدينه، فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى وهو أهل المن»، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ يعنى فقيرًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ [آية: ٨] فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى، وهو أهل المن».

ثم وصاه الله عز وجل، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [آية: ٩] يقول: لا تنهره، ولا تعبس فى وجهه، فقد كنت يتيمًا ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ يعنى الفقير المسكين ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ [آية: ١٠] لا تنهره إذا سألك فقد كنت فقيرًا ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [آية: ١١] يعنى اشكر الله على ما ذكر فى هذه السورة، وما صنع الله عز وجل بك من الخير، إذ قال: ألم تكن كذا، ففعلت بك كذا، أنزلت هاتين السورتين جميعًا بمكة: والضحى، والليل، وألم نشرح لك صدرك، فجعل النبى ﷺ يحدث بهما سرًا إلى من يطمئن إليه، ثم أتاه جبريل، عليه السلام، بأعلى مكة فدفع الأرض بيديه فانفرت عين ماء، فتوضأ جبريل، عليه السلام، ليرى النبى ﷺ وضوء الصلاة، ثم توضأ النبى ﷺ فصلى به جبريل، عليه السلام، فلما انصرف أخبر خديجة، ثم صلت مع النبى ﷺ.

* * *

سُورَةُ الشَّرْحِ

سورة ألم نشرح، عددها ثمانى آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)﴾

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [آية: ١] يقول: ألم نوسع لك صدرك بعد ما كان ضيقًا لا يلج فيه الإيمان حتى هداه الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿**ووجدك ضالا فهدى**﴾ [الضحى: ٧]، وقوله: ﴿**ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ [الشورى: ٥٢]، وذلك أن أربع مائة رجل من أصحاب النبى ﷺ من أصحاب الصفة، كانوا قومًا مسلمين، فإذا تصدقوا عليهم شيئًا أكلوه وتصدقوا ببعضه على المساكين، وكانوا يأوون فى مسجد رسول الله ﷺ، ولم يكن لهم بالمدينة قبيلة، ولا عشيرة، ثم إنهم خرجوا محتسبين يجاهدون المشركين، وهم بنو سليم كان بينهم وبين المسلمين حرب فخرجوا يجاهدونهم، فقتل منهم سبعون رجلاً، فشق ذلك على النبى ﷺ، وعلى المسلمين، ثم إن رسول الله ﷺ كان يدعو عليهم فى دبر كل صلاة الغداة يقنت فيها، ويدعو عليهم أن يهلكهم الله.

فقال الله تعالى: ﴿**ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ثم عظم الرب تعالى نفسه، فقال: ﴿**ولله ما فى السماوات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم**﴾ [آل عمران: ١٢٩] فى تأخير العذاب عنهم، لعلم قد سبق فيهم أن يسلموا، وأنزل الله عز وجل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يعنى ألم يوسع لك صدرك، يعنى بالإيمان يقول: بالتوحيد حتى تقولها، قول: لا إله إلا الله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [آية: ٢] يقول: وحططنا عنك ذنبك، ﴿الَّذِي أَنقَضَ

﴿ظَهْرَكَ﴾ [آية: ٣] يقول للنبى ﷺ: كان أثقل ظهرك فوضعناه عنك، لقوله: ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيمًا**﴾ [الفتح: ١، ٢] يا محمد ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [آية: ٤] فى الناس علمًا، كلما ذكر الله تعالى ذكر معه رسول الله ﷺ حتى فى خطبة النساء ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [آية: ٥] ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [آية: ٦] يقول: إن مع الشدة الرخاء.

فقال النبى ﷺ عند ذلك: «لن يغلب، إن شاء الله، عسر واحد يسرين أبدًا»، ثم قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ يا محمد من الصلاة المكتوبة بعد التشهد والقراءة والركوع والسجود، وأنت جالس قبل أن تسلم ﴿فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بالدعاء ﴿فَٱرْغَب﴾ [آية: ٨] إليه فى المسألة، فنهاه عن القنوت فى صلاة الغداة.

حدثنا عبد الله بن ثابت، حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنا مقاتل، عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس، قال: فارقنى خليلى على أربع خصال، كان يؤذن مرتين، ويقيم مرتين، ويسلم مرتين، حتى يستبين بياض خده الأيمن والأيسر، وكان لا يقنت فى صلاة الغداة، وكان يسفر جدًا ﷺ.

* * *

سُورَةُ التِّين

مكية وعددها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [آية: ١] أقسم الله عز وجل بالتين الذى يؤكل، والزيتون الذى يخرج منه الزيت ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى الجبل الحسن وهو بالنبطية، وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى، عليه السلام، يوم أخذ التوراة، وكل جبل لا يحمل الثمر لا يقال له سيناء، ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [آية: ٣] يعنى مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد فى الجاهلية والإسلام، ولا تقام فيه الحدود فأقسم الله عز وجل بهؤلاء الآيات الأربع.

فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [آية: ٤] يعنى يمشى على رجلين وغيره يمشى على أربع، وأحسن التقويم الشباب، وحسن الصورة، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ بعد الشباب والصورة الحسنة ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [آية: ٥] يعنى من الصورة لأنه يسقط حاجباه، ويذهب شبابه، وعقله، وقوته، وصوته، وصورته، فلا يكون شيئًا أقبح منه، وما خلق الله شيئًا أحسن من الشباب، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٦] يعنى غير منقوص، لا يمن به عليهم، يقول: ليس الأجر فى الهرم إلا للمؤمنين، وذلك أن المؤمن إذا كبر ومرض كتب له حسناته فى كبره، وما كان يعمل فى شبابه وصحته لا ينقص، ولا يمن له عليه، وأما الكافر، فإنه إذا شاخ وكبر ختم له بالشرك، ووجبت له النار فيموت والله تبارك وتعالى عليه غضبان، والملائكة والسماوات والأرض.

قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [آية: ٧] يقول: ما يكذبك، أيها الإنسان، يعنى عدى بن ربيعة بالدين، يعنى بالبعث بعد الصورة الحسنة والشباب، وبعد الهرم، وفيه نزلت هذه الآية، يقول: يكذبك بالقيامة، فيقول الله: الذى فعل ذلك به قادر على أن يبعثه فيحاسبه، ثم قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٨] على أن يحكم بينك وبين أهل مكة، قال رسول الله ﷺ: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، يا أحكم الحاكمين»، يعنى يا أفضل الفاصلين، يقول: يفصل بينك يا محمد وبين أهل التكذيب، وكل شىء فى القرآن أليس الله يقول: أنا الله.

حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا الهذيل، حدثنا مقاتل، عن أبى عبيدة، عن أنس بن مالك، قال: من شاب رأسه فى الإسلام، ولحيته كانت له بكل شعرة حسنة، وصارت كل شعرة فيه نورًا يوم القيامة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن خالد الزيات، عن من حدثه، عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ، قال: «المولود حتى يبلغ الحنث، ما عمل من حسنة كتبت لوالديه، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه، ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث، وجرى عليه القلم أمر الملكان اللذان معه أن يتحفظا وأن يسددا، فإذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام أمنه الله عز وجل من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ الخمسين خفف عنه حسابه، فإذا بلغ الستين رزقه الله عز وجل الإنابة إليه، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين كتب له حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وشفع فى أهل بيته، وسمى عبد الله أسير الله فى أرضه، فإذا بلغ أرذل العمر ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا**﴾ [الحج: ٥] كتب له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه».

* * *

سورة العلق

مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى بالواحد ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [آية: ١] يعنى الإنسان، وكان أول شىء نزل من القرآن خمس آيات من أول هذه السورة ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [آية: ٢] وهى النطفة التى تكون عشرين ليلة، ثم تصير ماء ودمًا، فذلك العلق، قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [آية: ٣] ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [آية: ٤] وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد الحرام، فإذا أبو جهل يقلد إلهه الذى يعبده طوقًا من ذهب، وقد طيبه بالمسك، وهو يقول: يا هبل لكل شىء سكن، ولك خير جزاء، أما وعزتك لأسرنك القابل، وذلك أنه كان ولد له فى تلك السنة ألف من الإبل، وجاءه عير من الشام فربح عشرة آلاف مثقال من الذهب، فجعل ذلك الشكر لهبل، وهو صنم كان فى جوف الكعبة طوله ثمانية عشر ذراعًا.

فقال رسول الله ﷺ: «ويحك، أعطاك إلهك وشكرت غيره، أما والله لله فيك نقمة، فانظر متى تكون؟ ويحك، يا عم، أدعوك إلى الله وحده، فإنه ربك ورب آبائك الأولين، وهو خلقك ورزقك، فإن اتبعتنى أصبت الدنيا والآخرة»، قال له: واللات والعزى ورب هذه البنية لئن لم تنته عن مقالتك هذه، فإن وجدتك هاهنا، وأنت تعبد غير آلهتنا

لأسفعنك على ناصيتك يقول: لأخرجنك على وجهك، أليس هؤلاء بناته، قال: وأنى يكون له ولد؟.

فأنزل الله عز وجل: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [آية: ٥] والنبى ﷺ يومئذ بالأراك ضحى، ثم بين، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يعنى من دم حتى تحولت النطفة دمًا، اقرأ يا محمد، ثم استأنف، فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الكتابة ﴿بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ من القرآن ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ لا يعلم إن عملته، ثم استأنف، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [آية: ٦] فى نعم الله عز وجل، يعنى أبا جهل بن هشام، وكان إذا أصاب مالاً أشر يعنى بطرفى ثيابه، وفى مراكبه، وفى طعامه وشرابه، فذلك طغيانه، إذا رأى نفسه استغنى، وكان موسرًا طغى، فخوفه الله الرجعة إليه، فقال: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [آية: ٨] خوفه فى القيامة فى التقديم بعد أن قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، ثم هدده فيما بعد بقوله: ﴿**لئن لم ينته لنسفعن بالناصية**﴾ [العلق: ١٥]، ثم ذكر الناصية، فقال: ﴿**ناصية كاذبة خاطئة**﴾ [العلق: ١٦].

ثم قال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن النبى ﷺ فرضت عليه الصلاة بمكة، فقال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى لأضربن عنقه، فقال الله، عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ يعنى النبى ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾، يعنى محمدًا ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ١١] ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [آية: ١٢] يعنى بالإخلاص ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أبو جهل بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١٣]، يعنى وأعرض ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أبو جهل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [آية: ١٤] النبى ﷺ وحده، ويرى جمع أبى جهل.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ لا يعلم أن الله عز وجل يرى ذلك كله، ثم خوفه، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ يعنى أبا جهل عن محمد، بالتكذيب والتولى ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [آية: ١٥] يقول: لنأخذن بالناصية أخذًا شديدًا، ثم أخبر عنه أنه فاجر، فقال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [آية: ١٦] يقول: إنما يجره الملك على وجهه فى النار من خطيئته، ثم قال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [آية: ١٧] يعنى بنى مخزوم، يعنى ناصره ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [آية: ١٨] فهم أشد غضبًا عليه من بنى مخزوم على محمد ﷺ، لأنه قال لرسول الله ﷺ: لئن لم تنته ورأيتك هاهنا لأجرنك على وجهك.

فأراد بذلك أن يذل رسول الله ﷺ، فأنزل فيه يذله، فقال: لئن لم ينته عنك، وعن مقالته الشرك ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، قال رسول الله ﷺ: «رأيت أبا جهل في طمطام من نار يجر على وجهه في نار جهنم على جبال من جمر فيطرح في أوديتها، فيقول: بأبي محمد وأمي لقد كان ناصحًا لي، وأراد بي خيرًا، ولكني كنت مسيئًا إلى نفسي، وأردت به شرًا، رب ردني إلى قومي، فأؤمن به، وآمر بني مخزوم أن يؤمنوا به.

قال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [آية: ١٩] لأنهم كانوا يبدؤون بالسجود، ثم بعد السجود بالركوع، ثم بعد الركوع بالقيام، فكانوا يقومون، ويطلبون المسألة من آلهتهم فأمر الله تعالى أن يسجدوا ويقتربوا، فكان رسول الله ﷺ يسجد، ثم يركع، ثم يقوم، فيدعو الله تعالى ويحمد فخالف الله تعالى على المشركين بعد ذلك، فأمر النبي ﷺ أن يبدأ بالقيام، ثم بالركوع، ثم السجود.

قال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني ناصره ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ يعني خزنة جهنم أرجلهم في الأرضين السفلى ورءوسهم في السماء ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يقول للنبي ﷺ: لا تطع أبا جهل في أن تترك الصلاة، ﴿وَاسْجُدْ﴾ يقول: وصل لله عز وجل ﴿وَاقْتَرِب﴾ إليه باطاعة، فلما سمع أبو جهل ذكر الزبانية، قال: قد جاء وعد الله وانصرف عن النبي ﷺ، وقد كان هم به، فلما رجع قالوا له: يا أبا الحكم خفته؟ قال: لا، ولكني خفت الزبانية.

* * *

سُورَةُ القَدْرِ

مدنية، عددها خمس آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعنى القرآن أنزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة، وكان ينزل تلك الليلة من الوحى على قدر ما ينزل به جبريل، عليه السلام، على النبى ﷺ فى السنة كلها إلى مثلها من قابل حتى نزل القرآن كله ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [آية: ١] من شهر رمضان من السماء، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [آية: ٢] تعظيمًا لها، ثم أخبر عنها، فقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [آية: ٣] يقول: العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر فيما سواها ليس فيها ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ فى تلك الليلة عند غروب الشمس ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يعنى بأمر ربهم ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [آية: ٤] ينزلون فيها بالرحمة، وبكل أمر قدره الله وقضاه فى تلك السنة، ينزلون فيها ما يكون فى تلك السنة إلى مثلها من قابل، ثم أخبر عن تلك الليلة، فقال: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ هى سلام وبركة وخير ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [آية: ٥].

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: أخبرنى مقاتل بن حيان، عن الضحاك بن مزاحم، عن أنس بن مالك، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الروح على صورة إنسان عظيم الخلقة، وهو الذى قال الله عز وجل: ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهو الملك، وهو يقوم مع الملائكة صفًا.

* * *

سُورَةُ البَيِّنَةِ

سورة لم يكن مدنية، عددها ثمانى آيات كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾
رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعنى مشركى العرب ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعنى منتهين عن الكفر والشرك، وذلك أن أهل الكتاب قالوا: متى يبعث الذى نجده فى كتابنا، وقالت العرب: ﴿**لو أن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين**﴾ [الصافات: ١٦٨، ١٦٩]، فنزلت: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعنى اليهود والنصارى والمشركين، يعنى مشركى العرب ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعنى منتهين عن الكفر والشرك ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [آية: ١] محمد ﷺ فبين لهم ضلالتهم وشركهم.

ثم أخبر الله عز وجل، عن النبى ﷺ، فقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ [آية: ٢] يعنى يقرأ صحفًا مطهرة، يعنى كتابًا لأنها جماعة فيها خصال كثيرة، من كل نحو، مطهرة من الكفر والشرك يقول: يقرأ كتابًا ليس فيه كفر ولا شرك، وكل شىء فيه كتاب فإنه يسمى صحفًا.

ثم قال: ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى صحف محمد ﷺ ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ [آية: ٣] يعنى كتابًا مستقيمًا على الحق ليس فيه عوج، ولا اختلاف، وإنما سميت كتب لأن فيها أمورًا شتى

كثيرة مما ذكر الله عز وجل فى القرآن، ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعنى اليهود والنصارى فى أمر محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [آية: ٤] يعنى البيان يقول الله تعالى: لم يزل الذين كفروا مجتمعين على تصديق محمد ﷺ، حتى بعث لأنه نعته معهم فى كتبهم، فلما بعثه الله عز وجل من غير ولد إسحاق اختلفوا فيه، فآمن بعضهم: عبد الله بن سلام وأصحابه من أهل التوراة، ومن أهل الإنجيل أربعون رجلاً منهم بحيرى، وكذب به سائر أهل الكتاب.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ يقول: ما أمرهم محمد ﷺ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعنى به التوحيد ﴿حُنَفَاءَ﴾ يعنى مسلمين غير مشركين ﴿وَ﴾ أمرهم أن ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الخمس المكتوبة ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [آية: ٥] يعنى الملة المستقيمة، ثم ذكر الله عز وجل المشركين يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: يقيمون فيها لا يموتون.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [آية: ٦] يعنى شر الخليقة من أهل الأرض، ثم ذكر مستقر من صدق النبى ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [آية: ٧] يعنى خير الخليقة من أهل الأرض ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ يعنى ثوابهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يموتون ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالطاعة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بالثواب ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [آية: ٨] فى الدنيا، وكل شىء خلق من التراب، فإنه يسمى البرية.

* * *

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

مكية، عددها ثماني آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ
مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ
يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [آية: ١] يقول: تزلزلت يوم القيامة من شدة صوت إسرافيل، عليه السلام، يعنى تحركت، فتفطرت حتى تكسر كل شىء عليها بزلزالها من شدة الزلزلة، ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شىء خرج منها، وزلزلت الدنيا، فلا تلبث حتى تسكن ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [آية: ٢] يقول: تحركت فاضطربت، وأخرجت ما فى جوفها من الناس، والدواب، والجن، وما عليها من الشياطين، فصارت خالية ليس فيها شىء، وتبسط الأرض جديدة بيضاء، كأنها الفضة، أو كانها خامة، ولها شعاع كشعاع الشمس، لم يعمل عليها ذنب، ولم يهرق فيها الدماء، وذلك أنه إذا جاءت النفخة الأولى، يموت الخلق كلهم، ثم النفخة الثانية.

فأما الأولى فينادى من تحت العرش من فوق السماء السابعة، وأما الأخرى فمن بيت المقدس، يقعد إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فيقول: أيتها العظام البالية، والعروق المتقطعة، واللحوم المتمزقة اخرجوا إلى فصل الفضاء، لتجازوا بأعمالكم، قال: فيخرجون من قبورهم إلى الأرض الجديدة، وتسمى الساهرة، فذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾، وأيضًا ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أخرجت ما فيها من الموتى والأموال.

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [آية: ٣] قال الكافر جزعًا ما لها تنطق بما عمل عليها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [آية: ٤] يقول: تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر، تقول الأرض وحد الله على ظهرى، وصلى على، وصام، وحج، واعتمر، وجاهد،

وأطاع ربه، فيفرح المؤمن بذلك وتقول للكافر: أشرك على ظهرى، وزنى، وسرق، وشرب الخمر، وفعل، وفعل، فتوبخه فى وجهه، وتشهد عليه أيضًا الجوارح، والحفظة من الملائكة، مع علم الله عز وجل فيه، وذلك الخزى العظيم، فلما سمع الإنسان المكذب عمله، قال جزعًا: ﴿مَا لَهَا﴾ يعنى للأرض تحدث بما عمل عليها، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ فى التقديم، يقول له: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يقول: تشهد على أهلها بما عملوا عليها من خير أو شر، فلما سمع الكافر يومئذ، قال: ما لها تنطق؟ قال الملك الذى كان موكلاً به فى الدنيا يكتب حسناته وسيئاته، قال: هذا الكلام الذى تسمع إنما شهدت على أهلها.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [آية: ٥] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ يعنى الكافر، يقول: يوحى الله إليها بأن تحدث أخبارها، وأيضًا أن ربك أوحى لها بالكلام، فذلك قوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ يعنى يرجع الناس من بعد العرض والحساب إلى منازلهم من الجنة والنار متفرقين، كقوله: ﴿يومئذ يصدعون﴾ [الروم: ٤٣]، يعنى يتفرقون فريق فى الجنة، وفريق فى السعير.

وذكر فينا تقدم ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، ثم ذكر هنا أن الناس أخرجوا ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [٦] الخير والشر، يعنى لكى يعاينوا أعمالهم، وأيضًا ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، يقول: انتصف الناس فريقين والأشتات الذين لا يلتقون أبدًا، قال: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [آية: ٧] يقول: من يعمل فى الدنيا مثقال ذرة، يعنى وزن نملة أصغر النمل الأحمر التى لا تكاد نراها من صغرها، خيرًا فى التقديم يره يومئذ يوم القيامة فى كتابه أيضًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [آية: ٨] فى صحيفته، وذلك أن العرب كانوا لا يتصدقون بالشىء القليل، وكانوا لا يرون بالذنب الصغير بأسًا، فزهدهم الله عز وجل فى الذنب الحقير، ورغبهم فى الصدقة القليلة، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فى كتابه والذرة أصغر النمل وهى النملة الصغيرة، وأيضًا فمن يعمل فى الدنيا مثقال ذرة قدر نملة شرًا يره يوم القيامة فى كتابه، نزلت فى رجلين بالمدينة، كان أحدهما إذا أتاه السائل يستقل أن يعطيه الكسرة أو التمرة، ويقول: ما هذا بشىء إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ [الإنسان: ٨]، فيقول: ليس

هذا مما يحب، فيستقل ذلك، ويرى أنه لا يؤجر عليه، فيرد المسكين صفرًا، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، ويقول: ليس على من فعل هذا شيء إنما وعد الله النار أهل الكبائر، فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطزه لله، فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فالذنب الصغير فى عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال الرواسى، ولجميع محاسنه التى عملها فى دار الدنيا أصغر فى عينه من حسنة واحدة.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى روق، فى قوله: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً**﴾ [الأنعام: ١١٥]، قال: لمن جاء بشرائع الإسلام، فله الجنة وعدلاً على أهل التكذيب فلهم النار.

أسماء من دفن بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ورحمة الله عليهم، عمران بن حصين، وطلحة، والزبير، وزيد بن صوحان، وأنس بن مالك.

أسماء من حفظ القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ أبو الدرداء، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قال مقاتل، رحمه الله: شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

أيوب بن تارح بن عيصو.

داود بن أشى بن عويذ بن قارص بن يهوذا بن يعقوب.

إسحاق بن إبراهيم.

هود وهو عابر.

صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح.

إبراهيم اسمه إبرخيم، وفى الإنجيل أبو الأمم.

لوط بن حران بن آزر، وهو ابن أخى إبراهيم، وسميت حران به.

سارة أخت لوط بنت حران، أخى إبراهيم، وهى امرأته.

قال مقاتل: الحسن عشرة أجزاء خمسة لحواء، وثلاثة لسارة، وواحد ليوسف، وواحد لسائر الناس.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنى المسيب بن شريك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قالت الملائكة: نحن المقربون منا حملة العرش، ومنا الحفظة الكرام الكاتبون.

جعلت الدنيا لبنى آدم يأكلون، ويشربون، ويفرحون، فاجعل لنا الجنة، فأوحى الله إليهم لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى، كمن قلت له كن فكان، قال المسيب: ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿**أولئك هم خير البرية**﴾ [البينة: ٧]، يعنى الخليقة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل: حدثنى الحذاء عن شيبان، عن بشر بن سعاف، عن عبد الله بن سلام، قال: إن الله عز وجل لم يخلق خلقًا أكرم عليه من آدم، عليه السلام، قال: فقلت: ولا من جبريل، وميكائيل، عليهما السلام، فقال: نعم، إنما هم قوم محمولون على شىء كالشمس والقمر، وحديث آخر أن المسجود له أكرم على الله عز وجل من الساجد.

* * *

سُورَةُ العَادِيَاتِ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٢) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٥) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ (١١)﴾

قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [آية: ١] ذلك أن النبى ﷺ بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبى ﷺ خبرها، فأخبره الله عز وجل عنها، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ يعنى الخيل، وقيل: إن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الخبر، فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا بأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمرًا عظيمًا، فجاءه جبريل، عليه السلام، يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ يقول: غدت الخيل إلى الغزو حتى أضبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب.

ثم قال: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [آية: ٢] يقدحن بحوافرهن فى الحجارة نارًا كنار أبى حباحب، وكان شيخًا من مصر فى الجاهلية له نويرة تقدح مرة وتخمد مرة لكيلا يمر به ضيف فشبه الله عز وجل ضوء وقع حوافرهن فى أرض حصباء بنويرة أبى حباحب، وأيضًا ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: كانت تصيب حوافرهن الحجارة فتقدح منهن النار، ثم قال: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [آية: ٣] وذلك أن الخيل صبحت العدو بغارة يقول: غارت عليهم صبحًا ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [آية: ٤] يقول: فأثرن بجريهن يعنى بحوافرهن نقعًا فى التراب.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال الفراء: النقع الغبار ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [آية: ٥] يعنى

بعدوهن، يقول: حين تعدو الخيل جمع القوم يعنى العدو، فأقسم الله عز وجل، بالعاديات ضبحًا، وحدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [آية: ٦] وأيضًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ يقول: فوسطن بذلك الغبار جمعًا، يقول: حمل المسلمون عليهم، فهزمهم، فضرب بعضهم بعضًا، حتى ارتفع الوهج الذى كان ارتفع من حوافر الخيل إلى السماء، فهزم الله المشركين وقتلهم، فأخبره الله عز وجل بعلامات الخيل، والغبار، وكيف فعل بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، ومتى كان هذا»؟ قال: اليوم، فخرج رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين بذلك، وقرأ عليهم كتاب الله عز وجل، ففرحوا واستبشروا، وأخزى الله عز وجل اليهود والمنافقين ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ يعنى لكفور، نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى، وهو الرجل الذى أكل وحده، وأشبع بطنه وأجاع عبده، ومتع رفده، ولم يعط قومه شيئًا، يسمى بلسان بنى مالك بن كنانة الكنود.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [آية: ٧] يقول: إن الله عز وجل على كفر قرط لشهيد، ثم أخبر عنه، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ٨] يعنى المال، ثم خوفه، فقال: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ يعنى فهلا يعلم ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ يعنى بعث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ٩] من الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١٠] من الخير والشر، يعنى تميز ما فى القلب ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌۢ﴾ [آية: ١١] بالصالح منهم والطالح.

* * *

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [آية: ١] ثم بين لهم ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [آية: ٢] فقال: يقرع الله عز وجل أعداءه، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [آية: ٣] تعظيمًا لها لشدتها، وكل شىء فى القرآن وما أدراك، فقد أخبر به النبى ﷺ، وكل شىء فى القرآن وما يدريك فمما لم يخبر به، وفى الأحزاب: ﴿**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا**﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال فى هذه السورة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ثم أخبر عنها، فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [آية: ٤] يقول: إذا خرجوا من قبورهم تجول بعضهم فى بعض، فشبههم بالفراش المبثوث، وشبههم فى الكثرة بالجراد المنتشر، فقال: ﴿**كأنهم جراد منتشر**﴾ [القمر: ٧]، ثم قال: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [آية: ٥] يقول: تكون الجبال يومئذ بعد القوة والشدة كالصوف المندوف عرقها فى الأرض السفلى، ورأسها فى السماء، يقول: هو جبل فإذا مسسته فهو لا شىء من شدة الهول: فما حالك يومئذ يا ابن آدم، قال: كالصوف المنفوش فى الوهن، أوهن ما يكون الصوف إذا نقش ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [آية: ٦] يقول: من رجحت موازينه بحسناته.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [آية: ٧] ولا يثقل الميزان إلا قول: لا إله إلا الله بقلوب

المخلصين فى الأعمال، وهم الموحدون، يعنى فى عيش فى الجنة برضاه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [آية: ٨] بسيئاته وهو الشرك لأنه لا يرى شيئًا مما كسب إلا صار كالرماد، فاشتدت به الريح فى يوم شديد الريح، وكما أنه ليس فى الأرض شىء أخبث من الشرك، فهكذا ليس شىء أخف من الشرك فى الميزان، ولا إله إلا الله ثقيلة، وصاحبها ثقيل كريم رزين عند الله عز وجل، فيأتى صاحب التوحيد بأعماله الصالحة فيثقل ميزانه، ويأتى صاحب الشرك بأعماله الطالحة فلا تكون له حسنة توزن معه، فهو خفيف ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ وهى الجنة، يعنى براضيه أنه لا يسخط بعد دخولها أبدًا، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وهو الشرك.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [آية: ٩] يقول: لا تحمله الأرض، ولا تظله السماء، ولا شىء إلا النار، فذلك قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ يعنى أصله هاوية، كقوله: ﴿**أم القرى**﴾ [الأنعام: ٩٢]، يعنى أصل القرى يعنى مكة.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [آية: ١١] يقول: نار حامية تحمى ستة أبواب من جهنم، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يقول: خفت موازينه بسيئاته وحق لميزان لا يقع فيه الحق أن يخف لأن الحق ثقيل مرئ، والباطل خفيف وبئ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ تعظيمًا لشدتها، ثم أخبر عنها، فقال: هى: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ يقول: انتهى حرها.

* * *

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مكية، عددها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ
﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [آية: ١] يعنى شغلكم التكاثر، وذلك أن حيين من قريش من بنى عبد مناف بن قصى، وبنى سهم بن عمرو بن مرة بن كعب، كان بينهم لحاء فافتخروا، فتعادى السادة والأشراف، فقال: بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدًا، وأعز عزيزًل، وأعظم شرفًا، وأمنع جانبًا، وأكثر عددًا، فقال بنو سهم لبنى عبد مناف: مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف بالأحياء، ثم قالوا: تعالوا نعد أمواتنا، حتى أتوا المقابر يعدونهم، فقالوا: هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان، فعد هؤلاء وهؤلاء موتاهم، فكاثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات، لأنهم كانوا أكثر عددًا فى الجاهلية من بنى عبد مناف، فأنزل الله فى الحيين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يقول: شغلكم التكاثر عن ذكر الآخرة، فلم تزالوا كذلك ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [آية: ٢] كلكم يقول: إلى أن أتيتم المقابر.

ثم أوعدهم الله عز وجل، فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣] هذا وعيد ما نحن فاعلون بذلك إذا نزل بكم الموت، ثم قال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] وهو وعيد: إذا دخلتم قبوركم، ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمنون بالوعيد، ثم استأنف، فقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٥] لا شك فيه ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [آية: ٦] لعلمتم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٧] لا شك فيه، يقول: لترون الجحيم فى الآخرة معاينة، والجحيم ما عظم من النار، يقينها رؤية العين، سنعذبهم مرتين، مرة عند الموت، ومرة عند القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فى الآخرة ﴿يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٨] يعنى كفار مكة كانوا

فى الدنيا فى الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، وأيضًا، فذلك قوله: ﴿**أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بها**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وذلك أن الله عز وجل إذا جمع الكفار فى النار صرخوا: يا مالك، أضجت لحومنا، وأحرقت جلودنا، وجاعت وأعطشت أفواهنا، وأهلكت أبداننا، فهل إلى خروج يوم واحد من سبيل من النار، فيرد عليهم مالك يقول: لا، قالوا: ساعة من النهار، قال: لا، قالوا: فردنا إلى الدنيا، فنعمل غير الذى كنا نعمل، قال: فينادى مالك، خازن النار، بصوت غليظ جهير، قال: فإذا نادى حسرت النار من فوقه، وسكن أهلها، فيقول: أبشروا فيرجون أن تكون عافية قد أتتهم، ثم يناديهم: يا أهل النار، فيقولون: لبيك، فيقول: يا أهل البلاء، فيقولون: لبيك، فيقول: ﴿**أذهبتم فى طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، يا أهل الفرش والوسائد والنعمة فى دار الدنيا، كيف تجدون مس سقر؟ قالوا: يأتينا العذاب من كل مكان، فهل إلى أن نموت ونستريح، قال: فيقول: وعزة ربى لا أزيدكم إلا عذابًا، قال: فذلك قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، يعنى الشكر للنعيم الذى أعطاه الله عز وجل، فلم يهتد ولم يشكر، يعنى الكافر.

* * *

سُورَةُ العَصْرِ

مكية، عددها ثلاث آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [١] قسم، أقسم الله عز وجل بعصر النهار، وهو آخر ساعة من النهار، وأيضًا العصر سميت العصر حين تصوبت الشمس للغروب، وهو عصر النهار، فأقسم الله عز وجل بصلاة العصر.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [آية: ٢] نزلت فى أبى لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب، يعنى أنه لفى ضلال أبدًا، حتى يدخل النار، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فليسوا فى خسران، ثم نعتهم، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بتوحيد الله عز وجل ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [آية: ٣] يعنى على أمر الله عز وجل، فمن فعل هذين كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فليسوا من الخسران فى شىء، ولكنهم فى الجنان مخلدون.

* * *

سُورَةُ الهُمَزَة

مكية، عددها تسع آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ يعنى الطعان المغتاب الذى إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه ﴿لُّمَزَةٍ﴾ [آية: ١] يعنى الطاغى إذا رآه طغى عليه فى وجهه، نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى، ثم نعته، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [آية: ٢] يقول: الذى استعد مالاً ليشترى به الخدم والحيوان، يقول: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [آية: ٣] من الموت، فلا يموت حتى يفنى ماله، يقول الله عز وجل ﴿كَلَّا﴾ لا يخلده ماله وولده، ثم استأنف، فقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [آية: ٤] يقول: ليتركن فى الحطمة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [آية: ٥] تعظيمًا لشدتها، تحطم العظام، وتأكل اللحم حتى تهجم على القلب.

ثم أخبر عنها، فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [آية: ٦] على أهلها لا تخمد، ثم نعتها، فقال: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [آية: ٧] يقول: تأكل اللحم والجلود حتى يخلص حرها إلى القلوب، ثم تكسى لحمًا جديدًا، ثم تقبل عليه وتأكله حتى يصير إلى منزلته الأولى ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى مطبقة ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [آية: ٩] يقول: طبقت الأبواب ثم شدت بأوتاد من حديد من نار، حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح، ولا يخرج منها غم آخر الأبد.

وأيضًا ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فأما الهمزة فالذى ينم الكلام إلى الناس وهو النمام، وأما اللمزة، فهو الذى يلقب الرجل بما يكره، وهو الوليد بن المغيرة، كان رجلاً نمامًا،

وكان يلقب الناس من التجبر والعظمة، وان يستهزئ بالناس، وذلك أنه أنزل على رسول الله ﷺ ﴿**ذرنى ومن خلقت وحيدًا وجعلت له مالاً ممدودًا**﴾ [المدثر: ١١، ١٢]، وكان له حديقتان، حديقة بمكة، وحديقة بالطائف، وكان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفًا، فذلك قوله: ﴿**مالاً ممدودًا وبنين شهودا**﴾ [المدثر: ١٢، ١٣]، يعنى أرباب البيوت، وكان له سبعة بنين، قال: ﴿**ومهدت له تمهيدًا**﴾ [المدثر: ١٤]، يقول: بسطت له فى المال كل البسط، ﴿**ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا**﴾ [المدثر: ١٥، ١٦]، قال: والله، قسمت مالى يمينًا وشمالاً على قريش ما دمت حيًا ما فنى، فكيف تعدنى الفقر؟ قال: أما والله، إن الذى أعطاك، قادر على أن يأخذه منك، فوقع فى قلبه من ذلك شىء، ثم عمد إلى ماله فعده، ما كان ذهب أو فضة، أو أرض، أو حديقة، أو رقيق، فعده وأحصاه.

فقال: يا محمد تعدنى الفقر والله لو كان هذا خبزًا ما فنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا﴾ لا يخلده، ثم استأنف، فقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تعظيمًا لها، فقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ وذلك أن الشقى إذا دخل النار طاف به الملك فى أبوابها فى ألوان العذاب وفتح له باب الحطمة، وهى باب من أبواب جهنم، وهى نار تأكل النار من شدة حرها، وما خمدت من يوم خلقها الله عز وجل إلى يوم يدخلها، فإذا فتح ذلك الباب وقعت النار عليه فأحرقته، فتحرق الجلد واللحم والعصب والعظم ولا تحرق القلب ولا العين، وهو ما يعقل به ويبصر، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ ثم تلا: ويأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت، يقول: ليس فى جسده موضع شعرة إلا والموت يأتيه من ذلك المكان، ثم قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ وذلك أنه إذا خرج الموحدون من الباب الأعلى، وهى جهنم، قال أهل تلك السبعة الأبواب، وهى أسفل درك من النار، لأهل الباب السادس: ﴿**ما سلككم فى سقر**﴾ يقول: ما أدخلكم فى سقر، ﴿**قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٤] إلى آخر الآيات، ثم يقولون: تعالوا حتى نجزع، فيجزعون حقبا من الدهر فلا ينفعهم شيئًا، ثم يقولون: تعالوا حتى نصرخ فيصرخون حقبا من الدهر، فلا يغنى عنهم شيئًا، فيقولون: تعالوا: حتى نصبر، فلعل الله عز وجل إذا صبرنا وسكتنا أن يرحمنا، فيصبرون حقبًا من الدهر، فلا يغنى عنهم شيئًا،

فيقولون: ﴿**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**﴾ [إبراهيم: ٢١]، ثم ينادون: ﴿**أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فينادى رب العزة من فوق العرش: ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فتصم آذانهم ويختم على قلوبهم، وتغلق عليهو أبوابها، فيطبق كل واحد على صاحبه، بمسامير من حديد من نار كأمثال الجبال، فلا يلج فيها روح، ولا يخرج منها حر النار، ويأكلون من النار، ولا يسمع فيها إلا الزفير والشهيق، نسأل الله المعافاة منها بفضله وجوده، ورحمته.

* * *

سُورَةُ الفِيلِ

مكية، عددها خمس آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [آية: ١] يعنى أبرهة بن الأشرم اليمانى وأصحابه، وذلك أنه كان بعث أبا يكسوم بن أبرهة اليمانى الحبشى، وهو ابنه، فى جيش كثيف إلى مكة، ومعهم الفيل ليخرب البيت الحرام، ويجعل الفيل مكان البيت بمكة، ليعظم ويعبد كتعظيم الكعبة، وأمره أن يقتل من حال بينه وبين ذلك، فسار أبو يكسوم بمن معه حتى نزل بالمعمس، وهو واد دون الحرم بشىء يسير، فلما أرادوا أن يسوقوا الفيل إلى مكة لم يدخل الفيل الحرم، وبرك، فأمر أبو يكسوم أن يسقوه الخمر، فسقوه الخمر ويردونه فى سياقه، فلما أرادوا أن يسوقوه برك الثانية، ولم يقم، وكلما خلوا سبيله ولى راجعًا إلى الوجه الذى جاء منه يهرول، ففزعوا من ذلك وانصرفوا عامهم ذلك، فلما أن كان بعده بسنة أو بسنتين خرج قوم من قريش فى تجارة إلى أرض النجاشى، حتى دنوا من ساحل البحر فى سند حقف من أحقافها ببيعة النصارى، وتسميها قريش الهيكل، ويسميها النجاشى وأهله أرضة ما سر حسان، فنزل القوم فى سندها، فجمعوا حطبًا، وقدوا نارًا، وشووا لحمًا.

فلما أرادوا أن يرتحلوا تركوا النار، كما هى فى يوم عاصف، فعجبت الريح واضطرم الهيكل نارًا، فانطلق الصريخ إلى النجاشى، وجاءه الخبر فأسف عند ذلك غضبًا للبيعة، وسمعت بذلك ملوك العرب الذين هم بحضرته، فأتوا النجاشى منهم حجر بن شرحبيل، وأبو يكسوم الكنديان، وأبرهة بن الصباح الكندى، فقالوا: أيها الملك، لا تكاد ولا تغلب، نحن مؤازرون لك على كعبة قريش التى بمكة، فإنها فخرهم ومعتزهم على من

بحضرتهم من العرب، فننسف بناءها، ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، وتمنح حفائرها من شئت من سوامك، ونحن لك على ذلك مؤازرون، فاعزم إذا شئت أو أحببت أيها الملك، فأرسل الملك الأسود بن مقصود، فأمر عند ذلك بجنوده من مزارعى الأرض، فأخرج كتائبه جماهير معهم الفيل، واسمه محمود، فسار بهم وبمن معه من ملوك العرب تلقاء مكة فى حجائل تضيق عليهم الطرق، فلما ساروا مروا بخيل لعبد المطلب، جد النبى ﷺ، مسومة وإبل، فاستاقها.

فركب الراعى فرسًا له أعوجيًا كان يعده لعبد المطلب، فأمعن فى السير حتى دخل مكة، فصعد إلى الصفا فرقى عليه، ثم نادى بصوت رفيع: يا صباحاه، يا صباحاه، أتتكم السودان معها فيلها، يريدون أن يهدموا كعبتكم، ويدعوا عزكم، ويبيحوا دماءكم، وينتهبوا أموالكم، ويستأصلوا بيضتكم، فالنجاء النجاء، ثم قصد إلى عبد المطلب، فأخبره الأمر كله، فركب عبد المطلب فرسه، ثم أمعن جادًا فى السير حتى هجم على عسكر القوم، فاستفتح له أبرهة بن الصباح، وحجر بن شراحيل، وكانا خلين، فقالا: لعبد المطلب ارجع إلى قومك، فأخبرهم وأنذرهم أن هذا قد جاءكم حميًا آتيًا، فقال عبد المطلب: واللات والعزى، لا أرجع حتى أرجع معى بخيلى، ولقاحى، فلما عرفا أنه غير راجع ونازع عن قوله قصدا به إلى النجاشى، فقالا: كهيئة المستهزئين يستهزئان به: أيها الملك، اودد عليه أبله وخياله، فإنما هو وقومه لك بالغداة، فأمر بردها.

فقال عبد المطلب للنجاشى: هل لك إلى أن أعطيك أهلى ومالى، وأهل قومى، وأموالهم، ولقاحهم على أن تنصرف عن كعبة الله؟ قال: لا، فسار عبد المطلب بإبله وخيله، حتى أحرزها، ونزل النجاشى ذا المجاز، موضع سوق الجاهلية، ومعه من العدد والعدة كثير، وانذعرت قريش وأعروا مكة، فلحقوا بجبل حراء وثبير، وما بينها من الجبال، وقال عبد المطلب لقريش: واللات، والعزى لا ابرح البيت حتى يقضى الله قضاءه، فقد نبأنى أجدادى أن للكعبة ربا يمنعها، ولن تغلب النصرانية، وهذه الجنود جنود الله، وبمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى جد المختار، وكان مكفوف البصر، يقيظ بالطائف، ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيلاً تستقسم الأمور برأيه، وهو أول فاتق، وأول راتق، وكان خلا لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: يا أبا مسعود، ماذا عندك هذا يوم لا يتغنى عن رأيك، قال له أبو مسعود: اصعد بنا الجبل حتى نتمكن فيه، فصعدا الجبل فتمكنا فيه، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى ما ترى من إبلك، فاجعلها حرمًا

لله، وقلدها نعالاً، ثم أرسلها فى حرم الله، فلعل بعض هؤلاء السودان أن يعقروها، فيغضب رب هذا البيت، فيأخذهم عند غضبه، ففعل ذلك عبد المطلب، فعمد القوم إلى تلك الإبل، فحملوا عليها وعقروا بعضها، فقال عبد المطلب عند ذلك، وهو يبكى:

يا رب إن العبد يمنع رحـ ... ـله فأمنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومـحا ... لهم عدوًا محالك
فإن كنت تاركهم وكعـ ... ـبتنا فأمر ما بدالك
فلم أسمع بأرجس من رجال ... أرادوا العز فانتهكوا حرامك

ثم دعا عليهم فقال: اللهم أخز الأسود بن مقصود، الآخذ الهجمة بعد التقليد، قلبها إلى طماطم سود، بين ثبير فالبيد والمروتين والمشاعر السود، ويهدم البيت الحرم المصمود، قد أجمعوا ألا يكون لك عمود، اخفرهم ربى فأنت محمود.

فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربًا يمنعه منعة ونحن له فلا ندرى ما منعه، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه الله عن ذلك، وابتلاه وأظلم عليهم ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساه الثياب البيض من الشطرين وعظمه، ونحر له جزرًا، ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب: انظر نحو البحر ما ترى؟ فقال: أرى طيرًا بيضًا قد انساب مع شاطئ البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أزرت على رءوسنا، فقال: هل تعرفها؟ قال: لا والله ما أعرفها، ما هى بنجدية، ولا تهامية، ولا غربية، ولا شرقية، ولا يمانية، ولا شامية، وإنها تطير بأرضنا غير مؤنسة.

قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب فى مناقيرها الحصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت، وهى طير أبابيل يتبع بعضها بعضًا، أمام كل رفقة منها طائر يقودها أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق، حتى إذا جازت بعسكر القوم ركدن فوق رءوسهم، فلما توافتها الرعال كلها هالت الطير ما فى مناقيرها من الحجارة على من تحتها، يقال: إنه كان مكتوبًا على كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها عادت راجعة من حيث جاءت، فقال أبو مسعود: لأمر ما هو كائن، فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل إلى الأرض فمشيا ربوة أو ربوتين، فلم يؤنسا أحدًا، ثم دنوا فمشيا ربوة، أو ربوتين أيضًا، فلم يسمعا همسًا، فقالا: عند ذلك بات القوم سامدين فأصبحوا نيامًا لا يسمع لهم ركزًا، وكانا قبل ذلك يسمعان صياحهم، وجلبة فى أسواقهم، فلما دنيا من عسكرهم، فإذا هم خامدون، يقع الحجر فى بيضة الرجل فيخرقها، حتى يقع فى دماغه، ويخرق الفيل والدابة، حتى يغيب

فى الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب، فأخذ فأسًا من فئوشهم فحفر حتى عمق فى الأرض وملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد، وحفر أيضًا لصاحبه فملأه من الذهب والجوهم.

ثم قال لأبى مسعود: هات خاتمك، واختر أيهما شئت، خذ إن شئت حفرتى، وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك، فقال أبو مسعود: اختر لى، فقال عبد المطلب: إنى لم أجعل أجود المتاع فى حفرتى وهى لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة صاحبه، ونادى عبد المطلب فى الناس، فتراجعوا فأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعًا، وساد عبد المطلب بذلك قريشًا، وأعطوه المقادة، فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود وأهلوهما فى غنى من ذلك المال، ودفع الله عز وجل عن كعبته وقبلته وسلط عليهم جنودًا لا قبل لهم بها، وكان لهم بالمرصاد والأخذة الرابية، وأنزل فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، يعنى يخبر نبيه ﷺ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ يعنى الأسود بن مقصود، ومن معه من الجيش وملوك العرب.

ثم أخبرهم عنهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [آية: ٢] الذى أرادوا من خراب الكعبة واستباحة أهلها، ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ يعنى خسار ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [آية: ٣] يعنى متتابعة كلها تترى بعضها على إثر بعض ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [آية: ٤] يعنى بحجارة خلطها الطين ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [آية: ٥] فشبههم بورق الزرع المأكول يعنى البالى، وكان أصحاب الفيل قبل مولد النبى ﷺ بأربعين سنة، وهلكوا عند أدنى الحرم، ولم يدخلوه قط.

قال عكرمة بن خالد:

حبست رب الجيش والأفيال ... وقد رعوا بمكة الأجبال
قد خشينا منهم القتال ... كل كريم ما جد بطال
يمشى يجر المجد والأذيال ... ولا يبالى حيلة المختال
تركتهم ربى بشر حال ... وقد لقوا أمرًا له فعال

وقال صفوان بن أمية المخزومى:

يا واهب الحى الحلال الأحمس ... وما لهم من طارق ومنفس
أنت العزيز ربنا لا تدنس ... أنت حبست الفيل بالمعمس

حبست فإنه هكروس

وقال ابن أبى الصلت:

إن آيـــات ربنـــا بينـــات   لا يمـــارى بـــهن إلا الكفـــور
حـــابس الفيـــل بـــالمعمس حتـــى   ظـــل يحبـــو كأنـــه معقـــور
وأسـقى حلقـه الحــراب كمـــا   قطـر مـن ضحـر كبكـب محـدور
حولــه مــن ملــوك كنــدة فتيــا   ن ملاويــث فــى الهيــاج صقــور
حـــالفوه ثـــم انذعـــروا عنـــه   عظمـــه خلـــف ســـاقه مكســـور
كل دين يوم القيامــة عنــد اللـــ   ـــه إلا ديـــن الحنيفـــة بـــور

* * *

سورة قريش

مكية، عددها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ [آية: ١] وذلك أن قريشًا كانوا تجارًا يختلفون إلى الأرض، ثم سميت قريش، وكانوا يمتارون فى الشتاء من الأردن، وفلسطين، لأن ساحل البحر أدفا، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشتاء والبحر من أجل الحر، وأخذوا إلى اليمن للميرة، فشق عليهم الاختلاف لهم ولا تجارة قد قطعناها عنهم، فذلك: ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ [آية: ٢] فقذف الله عز وجل فى قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام فى السفن إلى مكة للبيع، فحملوا إليهم فجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحمير، فيشترون الطعام على مسيرة يومين من مكة، وتتابع ذلك عليهم سنين، فكفاهم الله مؤنة الشتاء والصيف.

ثم قال: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [آية: ٣] لأن رب هذا البيت كفاهم مؤنة الخوف والجوع، فليألفوا العبادة له، كما ألفوا الحبشة، ولم يكونوا يرجونهم، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ حين قذف فى قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [آية: ٤] يعنى القتل والسبى، وذلك أن العرب فى الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضًا، ويغير بعضهم على بعض، فكان الله عز وجل يدفع عن أهل الحرم، ولا يسلط عليهم عدوًا، فذلك قوله: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾.

وأيضًا ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ يقول: لا ميرة لقريش، ولا اختلاف، وذلك أن قريشًا كانت لا تأتيهم التجار، ولا يهتدون إليهم، فكانت قريش تمتار لأهلها الطعام من الشام فى الشتاء، ومن اليمن فى الصيف، وذلك أنهم كانوا فى الشتاء ينطلقون إلى الشام يمتاروا الطعام لأهلهم، فإذا جاء الصيف انطلقوا إلى اليمن، فكانت لهم رحلتان فى الشتاء

والصيف، فرحمهم الله عز وجل فقذف فى قلوب الحبش أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن، فكانوا يخرجون على مسيرة ليلة إلى جدة، فيشترون الطعام وكفاهم الله مؤنة الشتاء والصيف.

فأنزل الله عز وجل يذكرهم النعم، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ والإيلاف من المؤنة والاختلاف، ثم قال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ يقول: أخلصوا العبادة له ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ حين قذف فى قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن، ثم قال: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ يعنى القتل والسبى، لأن العرب كانت يقتل بعضهم بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا، وهم آمنون فى الحرم.

* * *

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مكية، عددها سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [آية: ١] يعنى بالحساب، نزلت فى العاص بن وائل السهمى، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، زوج أم هانى بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ، ثم أخبر عن المكذب بالدين، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [آية: ٢] يعنى يدفعه عن حقه، فلا يعطيه، نظيرها: ﴿**يوم يدعون إلى نار جهنم**﴾ [الطور: ١٣]، ثم قال: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [آية: ٣] يقول: لا يطعم المسكين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [آية: ٤] يعنى المنافقين فى هذه الآية.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى لاهون عنها، حتى يذهب وقتها، وإن كانوا فى خلال ذلك يصلونها ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [آية: ٦] الناس فى الصلاة، يقول: إذا أبصرهم الناس صلوا، يراءون الناس بذلك، ولا يريدون الله عز وجل بها ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [آية: ٧] يعنى الزكاة المفروضة والماعون بلغى قريش الماء.

قال أبو صالح، وذكر عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الماعون، الإبرة، والماء، والنار، وما يكون فى البيت من نحو هذا، فيمنع.

* * *

سورة الكوثر

مكية، عددها ثلاث آيات كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [آية: ١] لأنه أكثر أنهار الجنة خيرًا، وذلك النهر عجاج يطرد مثل السهم طينه المسك الآذفر، ورضراضه الياقوت، والزبرجد، واللؤلؤ، أشد بياضًا من الثلج وألين من الزبد، وأحلى من العسل، حافتاه قباب الدر المجوف، كل قبة طولها فرسخ فى فرسخ، وعرضها فرسخ فى فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فى كل قبة زوجة من الحور العين، لها سبعون خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، ما هذه الخيام»؟ قال جبريل، عليه السلام: هذه مساكن أزواجك فى الجنة، يتفجر من الكوثر أربعة أنهار لأهل الجنان التى ذكر الله عز وجل فى سورة محمد ﷺ: الماء، والخمر، واللبن، والعسل.

ثم قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ يعنى الصلوات الخمس ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [آية: ٢] البدن يوم النحر، فإن المشركين لا يصلون ولا يذبحون لله عز وجل ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [آية: ٣] وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد الحرام من باب بنى سهم بن عمرو بن هصيص، وأناس من قريش جلوس فى المسجد، فمضى النبى ﷺ ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إلى النبى ﷺ حين خرج ولم يروه حين دخل، ولم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل السهمى بن هشام بن سعد بن سهم على باب الصفا، وهو يدخل، وكان النبى ﷺ قد توفى ابنه عبد الله، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له من بعده ابن يرثه، سمى الأبتر، فلما انتهى العاص إلى المقام، قالوا: من الذى تلقاك؟ قال: الأبتر.

فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعنى أن مبغضك هو الأبتر، يعنى العاص بن وائل السهمى، هو الذى أبتر من الخير، وأنت يا محمد ستذكر معى إذا ذكرت فرفع الله عز وجل له ذكره فى الناس عامة، فيذكر النبى ﷺ فى كل عيد للمسلمين فى صلواتهم، وفى الآذان، والإقامة، وفى كل موطن حتى خطبة النساء، وخطبة الكلام، وفى الحاجات.

* * *

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مكية، عددها ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١] نزلت فى المستهزئين من قريش، وذلك أن النبى ﷺ قرأ بمكة ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ [النجم: ١]، فلما قرأ: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، ألقى الشيطان على لسانه، فى وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلا، عندها الشافعة ترتجى، فقال أبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمستهزءون من قريش عشيا فى دبر الكعبة لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين تدخل معك فى بعض دينك ونعبد إلهك، وتدخل معنا فى بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا ونتبرأ من إلهك، فأنزل الله عز وجل، فيهم تلك الساعة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فأتاهم النبى ﷺ بعد، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، قالوا: ما لك يا محمد؟ قال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: لا أعبد آلهتكم التى تعبدون اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ إلهى الذى أعبده اليوم ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ [آية: ٣].

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [آية: ٤] فيما بعد اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [آية: ٥] فيما بعد اليوم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذى أنتم عليه ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ [آية: ٦] الذى أنا عليه، ثم انصرف عنهم، فقال بعضهم: تبرأ ها منكم فشتموه وآذوه، ثم نسختها آية السيف فى براءة: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥].

* * *

سورة النصر

مدنية، عددها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [آية: ١] نزلت هذه السورة بعد فتح مكة والطائف ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ يعنى أهل اليمن ﴿أَفۡوَاجٗا﴾ [آية: ٢] من كل وجه زمرًا، القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم، ليس بواحد ولا اثنين ولا ثلاثة، فقد حضر أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فأكثر ذكر ربك ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ من الذنوب.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [آية: ٣] للمستغفرين كانت هذه السورة آية موت النبى ﷺ فقرأها على أبى بكر وعمر ففرحا، وسمعها عبد الله بن عباس فبكى، فقال له النبى ﷺ: «صدقت»، فعاش النبى ﷺ بعدها ثمانين يومًا، ومسح رسول الله ﷺ بيده على رأس ابن عباس، وقال: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل».

* * *

سورة المسد

سورة تبت مكية، عددها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وهو عم النبى ﷺ، وإنما سمى أبو لهب لأن وجنتيه كانتا حمراوين، كأنما يلتهب منهما النار، وذلك أنه لما نزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب، وهما ابنا عبد مناف بن قصى، قال النبى ﷺ: «يا على، قد أمرت أن أنذر عشيرتى الأقربين، فاصنع لى طعامًا، حتى أدعوهم عليه وأنذرهم»، فاشترى على، رحمة الله عليه، رجل شاة فطبخها وجاء بعس من لبن، فدعا النبى ﷺ بنى هاشم، وبنى المطلب إلى طعامه، وهم أربعون رجلاً غير رجل، على رجل شاة، وعس من لبن، فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا.

فقال أبو لهب: لهذا ما سحركم به، الرجال العشرة منا يأكلون الجذعة، ويشربون العس، وإن محمدًا قد أشبعكم أربعين رجلاً من رجل شاة، ورواكم من عس من لبن، فلما سمع ذلك منه رسول الله ﷺ شق عليه، و لم ينذرهم تلك الليلة، وأمر النبى عليًا أن يتخذ لهم ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا، فقال النبى ﷺ: «يا بنى هاشم، ويا بنى المطلب، أنا لكم النذير من الله، وأنا لكم البشير من الله إنى قد جئتكم بما لم يجئ به أحد من العرب، جئتكم فى الدنيا بالشرف، فأسلموا تسلموا، وأطيعونى تهتدوا»، فقال أبو لهب: تبا لك، يا محمد، سائر اليوم لهذا دعوتنا؟ فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [آية: ١] يعنى وخسر أبو لهب.

ثم استأنف، فقال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ فى الآخرة ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [آية: ٢]

يعنى أولاده عتبة وعتيبة ومعتب لأن ولده من كسبه ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ يعنى سيغشى أبو لهب ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [آية: ٣] ليس لها دخان ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ وهى أم جميل بنت حرب، وهى أخت أبى سفيان بن حرب ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [آية: ٤] يعنى كل شوك يعقر كانت تلقيه على طريق النبى ﷺ ليعقره.

ثم أخبره بما يصنع بها فى الآخرة، فقال: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فى عنقها يوم القيامة ﴿حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [آية: ٥] يعنى سلسلة من حديد، فلما نزلت هذه الآية فى أبى لهب قيل لها: إن محمدًا قد هجا زوجك، وهجاك، وهجا ولدك، فغضبت وقامت فأمرت وليدتها أن تحمل ما يكون فى بطن الشاة من الفرث والدم والقذر، فانطلقت لتستدل على النبى ﷺ لتلقى ذلك عليه فتصغره، وتذله به، لما بلغها عنه، فأخبرت أنه فى بيت عند الصفا، فلما انتهت إلى الباب سمع أبو بكر، رحمة الله عليه، كلامها، وكان النبى ﷺ داخل البيت، فقال أبو بكر، رحمة الله عليه: يا رسول الله، إن أم جميل قد جاءت، وما أظنها جاءت بخير، فقال النبى ﷺ: «اللهم خذ ببصرها»، أو كما قال.

ثم قال لأبى بكر، رحمة الله عليه: «دعها تدخل، فإنها لن ترانى»، فجلس النبى ﷺ وأبو بكر، رحمة الله عليه، جميعًا، فدخلت أم جميل البيت، فرأت أبا بكر، رحمة الله عليه، ولم تر النبى ﷺ، وكانا جميعًا فى مكان واحد، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقال: وما أردت منه يا أم جميل؟ قالت: إنه بلغنى أنه هجانى، وهجا زوجى، وهجا أولادى، وإنى جئت بهذا الفرث لألقيه على وجهه، ورأسه أذله بذلك، فقال لها: والله، ما هجاك، ولا هجا زوجك، ولا هجا ولدك.

قالت: أحق ما تقول يا أبا بكر، قال: نعم، فقالت: أما إنك لصادق، وأنت الصديق، وما أرى الناس إلا وقد كذبوا عليه، فانصرفت إلى منزلها، ثم إنه بدا لعتبة بن أبى لهب أن يخرج إلى الشام فى تجارة، وتبعه ناس من قريش حتى بلغوا الصفاح، فلما هموا أن يرجعوا عنه إلى مكة، قال لهم عتبة: إذا رجعتم إلى مكة، فأخبروا محمدًا بأنى كفرت بـ﴿**النجم إذا هوى**﴾ [النجم: ١]، وكانت أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ، فلما بلغ النبى ﷺ ذلك، قال: «اللهم سلط عليه كلبك يأكله»، فألقى الله عز وجل فى قلب عتبة الرعب لدعوة النبى ﷺ، وكان إذا سار ليلاً ما يكاد ينزل بليل.

فهجر بالليل، فسار يومه وليلته، وهم أن لا ينزل حتى يصبح، فلما كان قبيل الصبح،

قال له أصحابه: هلكت الركاب، فما زالوا به حتى نزل، وعرس وإبله، وهو مذعور، فأناخ الإبل حوله مثل السرادق، وجعل الجواليق دون الإبل مثل السرادق، ثم أنام الرجال حوله دون الجواليق، فجاء الأسد، ومعه ملك يقوده، فألقى الله عز وجل على الإبل السكينة، فسكنت.

فجعل الأسد يتخلل الإبل، فدخل على عتبة وهو فى وسطهم فأكله مكانه، وبقى عظامه وهم لا يشعرون، فأنزل الله عز وجل فى قوله حين قال لهم: قولوا لمحمد: إنى كفرت بالنجم إذا هوى، يعنى القرآن إذ نزل، أنزل فيه: ﴿**قتل الإنسان**﴾ يعنى لعن الإنسان ﴿**ما أكفره**﴾ [عبس: ١٧] يعنى عتبة يقول: أى شىء أكفره بالقرآن، إلى آخر الآيات.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: كانت قريش وأم جميل تقول: مذممًا عصينًا، وأمره أبينا.

فقال رسول الله ﷺ: «ومن لطف الله أن قريشًا تذم مذممًا، وأنا محمد» ﷺ.

* * *

سورة الإخلاص

مكية، عددها أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [آية: ١] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [آية: ٢] تعنى أحد لا شريك له، وذلك أن عامر بن الطفيل بن صعصعة العامرى، دخل على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أما والله لئن دخلت فى دينك ليدخلن من خلفى، ولئن امتنعت ليمتنعن من خلفى، قال رسول الله ﷺ: «فما تريد»؟ قال: أتبعك على أن تجعل لى الوبر ولك المدر، قال له رسول الله ﷺ: «لا شرط فى الإسلام»، قال: فاجعل لى الخلافة بعدك، قال رسول الله ﷺ: «لا نبى بعدى»، قال: فأريد أن تفضلنى على أصحابك، قال رسول الله ﷺ: «لا، ولكنك أخوهم، إن أحسنت إسلامك»، فقال: فتجعلنى أخا بلال، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسى، وجعال، قال: «نعم»، فغضب، وقال: أما والله لأثيرن عليك ألف أشقر عليها ألف أمرد، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك تخوفنى»؟ قال له جبريل، عليه السلام، عن ربه: لأثيرن على كل واحد منهم ألفًا من الملائكة، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، وكان يكفيهم واحد، ولكن الله عز وجل أراد أن يعلمه كثرة جنوده، فخرج من عند رسول الله ﷺ وهو متعجب مما سمع منه، فلقيه الأربد بن قيس السهمى، فقال له: ما شأنك؟ وكان خليله فقص عليه قصته، وقال: إنى دخلت على ابن أبى كبشة آنفًا، فسألته الوبر، وله المدر فأبى، ثم سألته من بعده فأبى، ثم سألته أن يفضلنى على أصحابه، فأبى، وقال: أنت أخوهم إن أحسنت إسلامك، فقال له: أفلا قتلته؟ قال: لم أطق ذلك، قال: فارجع بنا إليه، فإن شئت حدثته حتى أضرب عنقه، فانطلقا على وجوههما، حتى دخلا على رسول الله ﷺ فقعد عامر عن يمينه والأربد عن يساره، وكان رسول الله ﷺ علم ما يريدان، قال: وجاء ملك من الملائكة فعصر بطن الأربد بن قيس، وأقبل عامر على رسول الله ﷺ وقد وضع يده على

فمه، وهو يقول: يا محمد لقد خوفتنى بأمر عظيم، وبأقوام كثيرة فمن هؤلاء؟ قال: «جنودى وهم أكثر مما ذكرت لك»، قال: فأخبرنى ما اسم ربك؟ وما هو؟ ومن خليله؟ وما حيلته؟ وكم هو؟ وأبو من هو؟ ومن أى حى هو؟ ومن أخوه؟.

وكانت العرب يتخذون الأخلاء فى الجاهلية، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لقوله ما اسمه؟ وكم هو؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لقوله ما طعامه؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لا يأكل ولا يشرب ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يقول: ولم يتخذ ولدًا ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [آية: ٣] يقول: ليس له ولد يكتنى به، لقوله: وابن من هو؟ ثم قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [آية: ٤] لقوله: من خليله؟ ويقول: ليس له نظير، ولا شبيه، فمن أين يتخذ الخليل، فأشار بيده وبعينه إلى الأربد بن قيس، وهو فى جهد قد عصر الملك بطنه حتى أراد أن يخرج خلاه من فيه، وقد أهمته نفسه، فقال الأربد: قم بنا، فقاما، فقال له عامر: ويحك ما شأنك؟ قال: وجدت عصرًا شديدًا فى بطنى، ووجعًا، فما استطعت أن أرفع يدى.

قال: فأما الأربد بن قيس، فخرج يومئذ من المدينة، وكان يومًا متغيمًا، فأدركته صاعقة فى الطريق فقتلته، وأما عامر بن الطفيل، فوجاه جبريل، عليه السلام، فى عنقه، فخرج فى عنقه دبيله، ويقال: طاعون فمرض بالمدينة، فلم يأوه أحد إلا امرأة مجذوبًا من بنى سلول، فقال جزعًا من الموت: غدة كغدة البعير، ومت فى بيت سلولية، أبرز إلى يا موت، فأنا قاتلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال**﴾ [الرعد: ١٣].

وأيضًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وذلك أن مشركى مكة، قالوا لرسول الله ﷺ: أنعت لنا ربك وصفه لنا، وقال عامر بن الطفيل العامرى: أخبرنا عن ربك أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، أو من صفر؟ وقالت اليهود: عزيزًا ابن الله، وقد أنزل الله عز وجل نعته فى التوراة، فأخبرنا عنه يا محمد، فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا شريك له ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ يعنى الذى لا جوف له، كجوف المخلوقين، ويقال: الصمد السيد الذى تصمد إليه الخلائق بحوائجهم وبالإقرار والخضوع، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورث، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركى العرب، قالوا: الملائكة بنات الرحمن، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله عز وجل، فبرأ نفسه من قولهم، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يعنى

لم يكن له ولد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما ولد عيسى وعزيز ومريم، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يقول: لم يكن له عدل، ولا مثل من الآلهة تبارك وتعالى علوًا كبيرًا.

* * *

سُورَةُ الفَلَق

مكية، عددها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [آية: ١] وذلك أن لبيد بن عاصم بن مالك، ويقال: ابن أعصم اليهودى، سحر النبى ﷺ فى إحدى عشرة عقدة فى وتر، فجعله فى بئر لها سبع موانى فى جف طلعة كان النبى ﷺ يستند إليها فدب فيه السحر، واشتد عليه ثلاث ليال، حتى مرض مرضًا شديدًا، وجزعت النساء، فنزلت المعوذات، فبينما رسول الله ﷺ نائم إذ رأى كأن ملكين قد أتياه، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما شكواه؟ قال: أصابه طب، يقول: سحر، قال: فمن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى، قال: فى أى شىء؟ قال: تنزف البئر، ثم يخرج قشر الطلعة فيحرقه، ثم يحل العقد، كل عقدة بآية من المعوذتين، فذلك شفاؤه، فلما استيقظ النبى ﷺ وجه على بن أبى طالب، عليه السلام، إلى البئر، فاستخرج السحر وجاء به فأحرق ذلك القشر، ويقال: إن جبريل أخبر النبى ﷺ بمكان السحر، وقال جبريل للنبى ﷺ: حل عقدة، واقرأ آية، ففعل النبى ﷺ ذلك، فجعل يذهب عنه ما كان يجد حتى برأ وانتشر للنساء.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ يعنى برب الخلق ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [آية: ٢] من الجن والإنس ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ يعنى ظلمة الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [آية: ٣] يعنى إذا دخلت ظلمة الليل فى ضوء النهار، إذا غابت الشمس فاختلط الظلام، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [آية: ٤] يعنى السحر وآلاته، يعنى الرقية التى هى لله معصية، يعنى به ما

تنفثن من الرقى فى العقدة، والآخذة، يعنى به السحر فهن الساحرات المهيجات الأخاذات ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [آية: ٥] يعنى اليهود حين حسدوا النبى ﷺ، قال: فقال له جبريل، عليه السلام: ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: يا جبريل، ما هو؟ قال: المعوذتان، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وقال النبى ﷺ: «قيل لى، فقلت لكم، فقولوا كما أقول»، قال: وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما فى المكتوبة.

* * *

سُورَةُ النَّاسِ

مكية، عددها ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن
شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ
ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ١] أمر الله عز وجل النبى ﷺ أن يتعوذ برب الناس هو ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٢] بملكهم فى برهم ومجرهم، وفاجرهم، وصالحهم، وطالحهم، وهو ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٣] كلهم ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [آية: ٤] وهو الشيطان فى صورة خنزير معلق بالقلب فى جسد ابن آدم، وهو يجرى مجرى الدم، سلطه الله على ذلك من الإنسان، فذلك قوله: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٥] فإذا انتهى ابن آدم وسوس فى قلبه حتى يتبلع قلبه، والخناس الذى إذا ذكر الله ابن آدم خنس عن قلبه، فذهب عنه، ويخرج عن جسده، ثم أمره الله أن يتعوذ ﴿مِنَ﴾ شر ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٦] يعنى الجن والإنس.

* * *

تم بحمد الله

فهرس المحتويات